وقف لله تعالى

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٥٠)

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

للإمام / محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وغفر له

تأليف

الشيخ / عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله لهم المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ العلامة

الدكتور / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الأول

طبع على نفقة

خديجه بنت عبد الهادي بغلف

رحمها الله وغفر لها ولوالديها ولذريتها ولجميع المسلمين

توزيع

جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بسلطانة

الرياض - ص.ب ٩٢٦٧٥ الرمز البريدي ١١٦٦٣

شرح فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

الجزء الأول

ⓒ مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٤٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله

شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ١/٤، / صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان؛ سلمان جابر عثمان المجلهم - ط١، - الرياض، ١٤٤٤ هـ

٤ مج.

ردمك: ٣-٥-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠-٦-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- التوحيد ٢- العقيدة الاسلامية أ. المجلهم، سلمان جابر عثمان (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٤/٦٦٢٥

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٦٢٥

ردمك: ٣-٥-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠-٦-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

الإمام الذهبي

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي: حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف: ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجهراء: الناصر مول، تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل: البرج الأخضر - شارع الدبوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض: المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٠٠٩٦٦٥٥٧٧٦٥١٣٨

الخط الساخن: جوال: ٠٠٩٦٥٩٤٤٠٥٥٥٩

z.zahby74@yahoo.com imamzahby

شرح
فتح المجيد
بشرح كتاب التوحيد

للإمام / محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله وغفر له

تأليف
الشيخ / عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
أجزل الله لهم المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ العلامة
الدكتور / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الأول

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه، وبعد:

فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم، بطباعة: **شرح فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد.**

رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

١٤/١٢/١٤٤٠هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فهذه تعليقات شيخنا الهمام، العلامة الإمام، صاحب الفضيلة معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله ومتع به- على كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، حفيد الإمام المجدد، وقد ولد في الدرعية شمال مدينة الرياض سنة١١٩٣هـ قبل وفاة جده الإمام محمد بن الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بثلاث عشرة سنة؛ كما ذكر بعض أهل العلم، وقد توفي الشيخ عبدالرحمن بن حسن في شهر ذي القعدة من عام ١٢٨٥هـ، فقد عاش قرابة الثنتين والتسعين سنة، عالمًا متفننًا موسوعيًّا، ومعلمًا وداعيًا للتوحيد والاخلاص والسنة -رحمه الله وغفر له!

ويتناول الكتاب أهم موضوع وأخطر قضية على الإطلاق، فيها صلاح الإنس والجان والعالمين، وهي قضية توحيد الله وإفراده بالعبادة ونبذ الشرك، والكفر بالطاغوت، والشهادة بحق أنه لا معبود بحق سواه، ولا رب ولا إله غيره، ولا ند له، ولم يكن له كفوًا أحد -تبارك اسمه وتقدست آلاؤه-، لاسيما وأنها كانت وظيفة وقضية كل رسول؛ كما قال ربنا جَلَّ وَعَلَا في سورة النحل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾،

وقال -جل شأنه- في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وإن القلب ليصلح وإن الروح لتهتدي، وتصبح نفسا مرحومة، باتباع قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة التوبة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

وما صلاح العباد والبلاد والدول والشعوب والمجتمعات والأفراد والجماعات إلا بتوحيد الله جَلَّ جَلَالُهُ.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن تدبر أحوال العالم، وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والدعوة الى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر، وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عمومًا وخصوصًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله). مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٥)

وكل محاولة لدعوة الخلق لدين الإسلام من غير تمسك بتوحيد الله العظيم وتشبث باتباع رسول الله الكريم -عليه الصلاة والتسليم- على منهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان، لهي محاولة فاشلة، وطاقات مهدرة، وعبث شنيع، ووقت ضائع بلا فائدة مرجوة.

وموضوع الكتاب -كما قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن الأصل تأليف جده الإمام محمد بن عبد الوهاب: «كتاب التوحيد»؛ حيث

قال: (جمع على اختصاره خيرًا كثيرًا، وضمنه من أدلة التوحيد ما يكفي من وفَّقه الله، وبين فيه الأدلة في بيان الشرك الذي لا يغفر الله)، وقال أيضًا: (وقد ابتدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا المصنف العظيم ببيان توحيد الإلهية، ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كتاب التوحيد: (وصنف كتابه المشهور في التوحيد، وأعلن بالدعوة إلى الله العزيز الحميد، وقرأ عليه هذا الكتاب المفيد، وسمعه كثير ممن لديه من طالب ومستفيد، وشاع ذكره في البلاد، وطار ذكره في الغور والأنجاد).

ومن جميل ما قاله بعض أهل العلم عن كتاب التوحيد -وهو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد-: (وهو كتاب فرد في معناه، لم يسبق إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق).

وقد جاء الشيخ عبد الرحمن بن حسن بهذا الشرح النافع الماتع، وسماه «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، أفاد فيه وأفاض وأجاد، ولقد هذب الشيخ عبد الرحمن بن حسن «شرح تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، وزاد عليه بالشرح والبيان لنصوص الكتاب والسنة، وينقل من كلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علمائنا وأئمتنا -كشيخ الاسلام بن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن جرير، وابن كثير، رحمة الله على الجميع-، ويقف عند مناسبة ذكر النص في الباب محل البحث مستنبطًا وشارحًا بنفس العالم النحرير، وينقل أحيانًا من كلام فقهائنا من الحنفية والمالكية والشافعية، ولا يقتصر على مذهب الحنابلة في شرحه النافع،

مع ضرب الأمثلة المتنوعة والتنبيهات للمعاني الجميلة والفوائد الرائعة، حتى قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نفسه: (ولما قرأت شرحه، رأيته أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرار يستغني بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله، فأخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله، وربما أدخلت فيه بعض النقول المستحسنة؛ تتميما للفائدة، وسميته: «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد»).

وقد أثنى جمع من أهل العلم على الشيخ عبد الرحمن بن حسن مؤلف «فتح المجيد»، فمما قالوا عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الشيخ عبد اللطيف بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نصب نفسه -بحمد الله ومنته- لحماية هذا الدين والذب عنه، ومراغمة أعدائه، وقام في وجوه أهل البدع، وقد من عليه بنشر العلم...، وانتفع الناس به....، فجدد الله به آثار سلفه الصالح...، وقد عرف العامة والخاصة مناصحته لولاة الأمور، وحثهم على تعليم كتاب الله، والجهاد لإعلاء كلمته، ونصحهم عن الإصغاء إلى أهل الريب، وهو قائم على قضاة تلك البلاد، وقد أنطق الله ألسن المسلمين بالثناء والدعاء لهذا الشيخ).

وقال ابن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الشيخ الإمام العالم الفاضل، القدوة رئيس الموحدين، وقامع الملحدين، كان إمامًا بارعًا محدثًا فقيهًا، له اليد الطولى في جميع العلوم الدينية).

وقال ابن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الشيخ العالم النحرير، والبحر الزاخر الغزير، مفيد الطالبين ومرجع الفقهاء والمتكلمين، المحفوظ بعناية رب العالمين، جامع أنواع العلوم الشرعية ومحقق العلوم الدينية والأحاديث النبوية والآثار السلفية).

فرحم الله تعالى الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، مع حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، مع صاحب التعليقات الكاشفة المفيدة على هذا الشرح النافع؛ شيخنا العلامة ووالدنا الكريم صاحب الفضيلة معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، وجزاهم الله خيرًا كثيرًا وأجرًا كبيرًا على ما قدموه في نشر العلم وبيان الحق ومقارعة الباطل، وجمعنا وإياهم في دار كرامته دار السلام، مع نبينا ورسولنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعلى صحبه الكرام مع أئمتنا الأعلام، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بحسن ختام.

وقد طبع الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبد الرحمن مساعد بن علي الشايجي، والشيخ أبي وائل محمد بن أحمد الفرحان، وزوجته الكريمة، وفقهم الله تعالى، وأثابهم، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، يفرحون بوقفهم يوم القيامة، ويتقبل الله منهم بكرمه وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومما يشار إليه أن إعداد هذا الكتاب، وطباعته، وريعه، والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه إنما هو وقف لله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيد الأنام، وسلم تسليمًا كثيرًا عظيمًا مزيدًا.

كتبه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة شارح

فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد

فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منَّ على هذه الأمة أنه يبعث لها على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها؛ كما في الحديث(١).

وكان من المجددين الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢) في هذه البلاد؛ فإنه درس على علماء بلده في العلوم السائرة عندهم: علم الفقه، وعلم العربية، وغير ذلك من العلوم التي كانت عندهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٧، ٥٦٨)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ٢٠٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**».

(٢) هو الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد، من بني تميم، ولد سنة خمسَ عشرةَ ومئة وألف بالعيينة، نشأ على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وكتب السلف عامة، وارتحل في طلب العلم، فأخذ عن علماء مكة، والمدينة، والإحساء، والبصرة، وبدأ دعوته من حريملاء، ثم انتقل إلى العيينة، ثم إلى الدرعية، فشرح الله صدر أمير الدرعية محمد بن سعود لنصرة الدعوة، وجلس الإمام المجدد للتدريس، وتوافد عليه الطلاب، وكتب الله له القَبول في الأرض، وانتشرت =

وكانوا في الغالب -علماء نجد- يتلقون العلم عن الحنابلة من علماء الشام، ولكنهم -كسائر أهل عصرهم- كانوا لا يهتمون بالعقيدة عندهم على ما سار إليها من خرافات ومن شركيات ومن عقيدة الأشاعرة، وهذا أسهل شيء- عقيدة الأشاعرة(١)- لكن هناك عقائد المعتزلة(٢)،

= دعوته لتشمل نجدًا وغيرها، له مؤلَّفاتٌ ورسائلُ عديدة في العقيدة وغيرها؛ منها: (كتاب التوحيد)، و(كشف الشبهات)، و(مسائل الجاهلية)، و(أصول الإيمان)، و(ثلاثة الأصول)، و(فضل الإسلام)، و(فضائل القرآن)، و(مختصر زاد المعاد)، وغيرها كثير. توفِّيَ سنة ستٍّ ومائتين وألف. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٣١وما بعدها)، و(من أعلام المجددين) للشيخ صالح الفوزان وَفَّقَهُ اللهُ (ص٨٣- ١٢٧)، و(حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته) للدكتور سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، و(الشيخ محمد بن عبد الوهاب) لأحمد بن حجر آل بوطامي، و(الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، و(علماء نجد خلال ثمانية قرون) للشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ اللهُ (١/ ١٢٥ -١٦٨).

(١) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. ا.هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٤/ ١٢٩- ١٣٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٢١٢).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها. =

والجهمية(١)، لكن كانت عقيدة الأشاعرة سائدة، فكان علماء نجد لا يخرجون عن هذا الخط.

أما عنايتهم بالفقه، فقد كان فيهم فقهاء متبحرون، لكن التوحيد مثل غيرهم عندهم خرافات، عندهم شركيات، عندهم تأويل في الصفات، هذه كانت حالتهم.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشأ في علماء بلاده، ولكنه أقبل على كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، فنهل من كتب هذين الإمامين ما نبهه على العقيدة الصحيحة -عقيدة السلف الصالح-؛ لأن الله أراد أن يجعله مجددًا لهذا العصر الذي هو فيه، فأقبل على كتب هذين الإمامين، ونهل منهما، وأقبل عليهما مطالعة ودراسة وكتابة؛ ينسخ ما وجده؛ لأنه لم يكن هناك مطالع في ذاك الوقت، ينسخ ما وجده من كتبهما. فتبين له ما عليه أهل

= وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة. انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨). وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٣٧-٥٣٨).

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ، قتله سَلْم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٣٢٩)، والتعريفات للجرجاني (ص٢٢٢)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٣٩).

بلده، وما عليه العالم الإسلامي في وقته؛ لأن العناية كانت بالفقه، أو قد تكون -أيضًا- في علم الحديث، التفسير، ولكن العقيدة عندهم فيها ما فيها من الدخيل الذي توارثوه عن مشايخهم.

ولكن هذا الشاب أقبل على كتب الشيخين: الإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والأصل في الحقيقة هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم تلميذ له، فعرف ما عليه أهل بلده، وما عليه غيرهم من أمر العقيدة، وما فيها من شوائب ورواسب، فوقع في قلبه ألا يسكت على هذا مثلما سكت غيره، ويحاول الدعوة إلى الله وبيان التوحيد، والنهي عن الشرك، والتنبيه على الأخطاء التي كانت واقعة في وقته.

في بلاد نجد كان فيها الشرك في القبور والأشجار والمغارات في الجبال مثل غيرهم، وفيها قبر زيد بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من شهداء حروب الردة، وكان قبره مشهورًا في ذاك الوقت ومبني عليه قبة؛ يتبركون به، ويأتون إليه.

وكان في بلاد الرياض جماعة من الصوفية من أتباع ابن عربي(١) -أهل وحدة الوجود(٢)- يسكنون في جنوب الرياض في معكال- معروفون، فيهم

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين ابن عربي طاف البلاد وأقام بمكة مدة وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلدًا فيها ما يعقل ومالا يعقل، وله الكتاب المسمى بفصوص الحكم قال عنه الذهبي: ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر. وقال العز بن عبد السلام: شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجًا. توفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٨٢)، وميزان الاعتدال (٣/ ٦٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨).

(٢) هم الذين يقولون بوحدة الوجود، قال شيخ الإسلام: (مَذْهَبُهُمْ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ: =

سحرة، كان الناس يأتون إليهم يتبركون بهم، فلم يسع الشيخ أن يسكت على هذا الوضع، وقد عرف أنه باطل. فتجول في البلاد -في الحرمين الشريفين-، والتقى بالعلماء، وأخذ عنهم علماء الحديث، وأخذ عنهم ما تيسر من العلوم. ذهب إلى الأحساء، تلقى عن علمائها الحنابلة كتب المذهب، لكنه يخالفهم فيما هم عليه من الاعتقاد، وتجادل معهم في ذلك، فلم يقبل.

ذهب إلى البصرة في العراق؛ كان فيها علماء، وتتلمذ على عالم يقال له: الشيخ المجموعي، وكان عنده بعض التقبل للحق، فرغب في المقام عنده، ودرس عليه، وتفاهم معه في هذه الأمور، فأوجد عنده تفهمًا للوضع، ولكنه لا يقدر. ثم همَّ الشيخ بالذهاب إلى الشام، وخرج إلى الشام يريد أن يذهب للشام لطلب العلم واللقاء بالعلماء والتفاهم معهم، ولكنه في الطريق انقطع، فلم يستطع المضي، وكاد أن يهلك، فرجع إلى البصرة، ولم يكتب له الذهاب إلى الشام. ثم رجع إلى نجد موطنه، وفيها أبوه الشيخ عبد الوهاب، وكان قاضيًا يستوطن في حريملاء، جلس عنده، وصار يتكلم في التوحيد، ويناقش والده، ويناقش من يصغي إليه، لكنه لم يجد عندهم تقبلًا.

= أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ؛ وَيُسَمَّوْنَ أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَيَدَّعُونَ التَّحْقِيقَ وَالْعِرْفَانَ وَهُمْ يَجْعَلُونَ وُجُودَ الخَالِقِ عَيْنَ وُجُودِ المَخْلُوقَاتِ فَكُلُّ مَا يَتَّصِفُ بِهِ المَخْلُوقَاتُ مِنْ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ وَمَدْحٍ وَذَمٍّ إِنَّمَا الْمُتَّصِفُ بِهِ عِنْدَهُمْ: عَيْنُ الخَالِقِ وَلَيْسَ لِلْخَالِقِ عِنْدَهُمْ وُجُودٌ مُبَايِنٌ لِوُجُودِ المَخْلُوقَاتِ مُنْفَصِلٌ عَنْهَا أَصْلًا؛ بَلْ عِنْدَهُمْ مَا ثَمَّ غَيْرُ أَصْلًا لِلْخَالِقِ وَلَا سِوَاهُ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمْ: لَيْسَ إِلَّا اللهُ. فَعُبَّادُ الْأَصْنَامِ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُ مَا عِنْدَهُمْ لَهُ غَيْرٌ). انظر: أمراض القلوب وشفاؤها (١/ ٦٤)، والفتاوى الكبرى (٥/ ١٢٢- ١٢٣)، والفرقان (١/ ١١٣)، ودرء التعارض (٧/ ١٢٥)، ومجموع الفتاوى (٢/ ١٢١- ١٢٦).

وهمَّ به السفهاء وأهل المعاصي الذين كان ينكر عليهم، همّوا بقتله؛ بأن يهجموا عليه في بيته، ولكن جاءه من نبهه، فخرج منها، ترك أباه فيها، وخرج منها، ذهب إلى العيينة، وكان حاكمها عثمان بن معمر، فعرض عليه الدعوة، وبين له ما له من الأجر إذا قام بها، فوافقه على ذلك، فأراد أن يهدم قبة زيد بن الخطاب، عرض على الأمير هذه الفكرة، فوافقه على ذلك، وخرج لهدمها.

فالأمير قال: أنا لا أهدمها بيدي، قال الشيخ: أنا أهدمها؛ فأخذ الفأس وهدم القبة، هذا أول عمل قام به. طارت الأخبار إلى حاكم الأحساء ابن عريعر، ذهب الأشرار إليه وحرضوه، فأنكر هدم القبة، وكتب إلى ابن معمر: أن أخرج هذا المطوع الذي عندك، وإلا قطعت عنك عائداتك التي أصرفها لك. هدده بأن يقطع الإجراء الذي يعطيه له من المال، فعرض ابن معمر الأمر على الشيخ، وقال: أنا لاأستطيع أن أخالف الأمير ابن عريعر، لاأستطيع هذا. فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأى أنه يريد أن يتراجع، أو أنه سيتوقف عن نصرته، فخرج من العيينة وقت القيلولة وشدة الحر، ليس معه شيء، وهو يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣]، يردد هذه الآية.

وذهب إلى الدرعية، فيها محمد بن سعود أمير الدرعية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان له تلميذ في الدرعية يقال له: ابن سويلم، وكان الشيخ قد تحاذر منه الناس، فذهب إلى تلميذه ابن سويلم، ودخل عليه خفية، فأصاب الشيخ ابن سويلم نوع ارتياع وخوف، فوطنه الشيخ لهذا الأمر.

سمعت به امرأة الأمير محمد بن سعود وأخوه ثنيان- كان كفيفًا-، وقد اقتنعا بدعوته، الرجل والمرأة اقتنعا بدعوته وأحباه، وقالا لمحمد بن سعود: هذه غنيمة ساقها الله لك فاغتنمها، هذا الشيخ جاء يدعو إلى الله، فاغتنم هذه الغنيمة. فقال: لا بأس يأتي إليَّ. قالت المرأة: لا، إذا طلبته قال الناس إنما سيقتله، ولكن أنت اذهب إليه، وليكن هذا أعز لك وله. فذهب الأمير إليه في بيت ابن سويلم، دخل عليهما، قام الشيخ وسلم عليه، وعرض عليه الدعوة، فقال: أبشر بالنصر، قال: وأنا أبشرك بالتأييد من الله عَزَّوَجَلَّ، هذه كلمة التوحيد من قام بها، فإن الله يعينه ويسدده. فتبايعا على ذلك؛ أن الأمير يجاهد، وأن الشيخ يدعو إلى الله عَزَّوَجَلَّ، تبايعا على ذلك؛ يكون الأمير بيده السلطة والجهاد، ويكون الشيخ بيده العلم والفتوى والتعليم، تعاهدا على ذلك، حينئذ استقر الشيخ في الدرعية، فتوافد عليه طلبة العلم من كل صوب، ازدهرت الدرعية في طلبة العلم والوافدين إليها، وكان هذا أول نصر وأول تأييد.

فالشيخ في أثناء رحلته إلى العراق -إلى البصرة- وجلوسه عند شيخه المجموعي ألف كتاب «التوحيد» الذي هو حق الله على العبيد، ألفه من كلام الله وكلام رسوله، وكلام السلف الصالح، هذا الكتاب الذي بين أيديكم في توحيد الألوهية، وبيان ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينقصه من الشرك الأصغر، أو ينافي كماله الواجب من البدع، ألف هذا الكتاب، جاء به وصار يدرسه للطلاب في الدرعية.

انتشر الكتاب، وانتفع به الناس، وقامت دولة التوحيد من ذاك الوقت على يد الإمامين: الإمام محمد بن سعود، والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

كان ابن سعود لا يحكم إلا الدرعية، ليس عنده مملكة إلا الدرعية، فلما قام بهذه الدعوة، أدخل الله بلاد نجد كلها تحت حكمه، فصار حاكمًا على كل بلاد نجد بدل أن كان حاكمًا على قرية الدرعية فقط، هذه نتائج القيام لله عَزَّوَجَلَّ.

عند ذلك أهل الشر وأهل الرغبات المالية والأطماع قاموا على الشيخ، وكتبوا ينكرون عليه، الشيخ ردَّ عليهم بردود موجودة، ردَّ عليهم بردود مفحمة، لم يستطيعوا أن يردوا عليها -والحمد لله.

فألف هذا الكتاب -كتاب التوحيد- من آيات الله، ومن أحاديث رسول الله، ومن كلام السلف الصالح، لم يأت بكلام له هو، إنما هذا الكتاب مبني على آيات وأحاديث وكلام السلف، ولا أحد يعترض على هذه الأمور، لا يقدر، لو أن الكلام للشيخ من الممكن أن يعترضوا عليه، لكن لا أحد يقدر أن يعارض القرآن، ويعارض السنة، ويعارض كلام السلف الصالح؛ فلذلك أصبح هذا الكتاب تاجًا على أمور الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ومعلمًا للتوحيد، ناهيًا عن الشرك، ولا زال بأيدي المسلمين يتدارسونه، وتجاوز بلاد نجد والبلاد السعودية إلى البلاد الأخرى: إلى مصر، إلى الشام، حتى وصل إلى الهند، فنفع الله به العالم الإسلامي نتيجة الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ.

فصار طلبة العلم يحفظونه؛ يستظهرونه، ويحضرون شروحه وتوضيحه، حتى بين الله الحق، وقمع الباطل، والذين عارضوا الشيخ لم تبق لهم باقية؛ لاكتبهم بقيت، ولا شبهاتهم امتدت، ولا....، ولا....، وبقيت دعوة الشيخ -ولله الحمد-، هكذا الحق؛ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

هذا الكتاب تناوله الشراح بالشروح والتوضيح، وأول من شرحه حفيد الشيخ: الشيخ الشاب سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[(١)]، شرحه في كتاب «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد»[(٢)]، وهو شرح

(١) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة ألف ومائتين من الهجرة، قبل وفاة جده بست سنين، حفظ القرآن، واشتغل بطلب العلم على علماء الدرعية في مختلف الفنون، فبرز في التوحيد، والفقه، والتفسير، وعلم الحديث، ومن أشهر مشايخه: والده الشيخ عبد الله، وعمه الشيخ حسين ابن الشيخ محمد، والشيخ الفقيه حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، والشيخ عبد الله بن فاضل، والشيخ محمد ابن علي بن غريب، والشيخ حسين بن غنام، وأخذ علم الفرائض عن الشيخ عبدالرحمن بن خميس، والتقى بالإمام الشوكاني الذي أجازه في علم الحديث، كما أجازه الشيخ الإمام الشريف حسن بن خالد الحني العريشي أحد قضاة الإمام سعود على اليمن. له من المؤلفات: (الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك)، و(حاشية على المقنع في فقه الحنابلة)، و(رسالة في بيان عدد الجمعة المشترط)، ولما غزت الجيوش المصرية الدرعية بقيادة إبراهيم باشا عن أمر الأتراك، كان الشيخ سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من جملة من غُدر بهم، فقُتل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص٢٩)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٣٤٢).

(٢) طُبع عام ١٣٨٢ هـ في دمشق الشام، ط. منشورات المكتب الإسلامي لزهير شاويش، واشترى الشيخ علي بن عبد الله بن قاسم بن ثاني جميع النسخ الخاصة بالمكتب، وجعلها وقفًا لله -جزاه الله خيرًا-، وقد بلغ الشيخ سليمان في شرحه إلى نهاية (باب ما جاء في منكري القدر)، ووقف على (باب ما جاء في المصورين)، فأكمله الشيخ عبد الرحمن بن =

حافل بالعلم في العقيدة وعلم الحديث وأقوال السلف، فأضفى على هذا الكتاب شرحًا ممتازًا حافلًا، لكنه لم يكمله؛ لأنه قُتِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل أن يكمله، قتله الخبيث إبراهيم باشا؛ لما غزا الدرعية، وانتهى القتال وتعاهد مع الإمام عبد الله بن سعود على أن الإمام يسلم نفسه، ويذهب إلى إسطنبول، إلى السلطان في وقته، سلطان الترك، وعلى أنه لا يتعرض لأهل الدرعية، ويوقف القتال، فسلم الإمام نفسه -عملًا بالعهد الذي بينهما-، ونقله إلى إسطنبول، ونقلوا العلماء إلى مصر، علماء الدرعية، فخان الخبيث العهد، وهدم الدرعية على من فيها، وشرد أهلها، ووُشِي بالشيخ سليمان عنده في رسالته «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك» في الولاء والبراء، وُشِي إليه من قبل أهل الشر والمنافقين، وأغروه بقتله، فاستدعاه، وقتله خيانة وغدرًا، هكذا ما جرى.

ولكن هل انطفأت هذه الدعوة؟ هذا من العجائب، الدعوة لم تنطفئ -ولله الحمد-، نعم، أهلها أصيبوا، ونرجو الله أن يجعل ذلك في ميزان حسانتهم وجهادهم في سبيل الله، ولكن الدعوة لم تتأثر ولم تتضعضع، بل الذين ذهبوا إلى مصر من العلماء أثروا في علماء مصر وعلماء الأزهر، تأثروا بهم، وانتفعوا بهم، والحمد لله.

فهذه الدعوة لا تزال -ولله الحمد- قائمة ومستمرة ومنتشرة حتى في أقطار الأرض؛ لأنها دعوة إلى الكتاب والسنة، ليست بدعوة إلى مذهب، أو

= عبد اللطيف من كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد بلغ الشرح بدون التتمة (٦١٨ صفحة)، وبالتتمة (٦٧٨ صفحة). انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص٣٠).

دعوة إلى دولة، أو دعوة إلى...، لا، بل هي دعوة إلى الكتاب والسنة، فلذلك نجحت، أما لو كانت لها هدف آخر؛ دعوة إلى مذهب معين، دعوة إلى دولة لما نجحت، لكنها دعوة إلى الكتاب والسنة فنجحت- ولله الحمد -ولا تزال.

هذا الكتاب تناولوه بالشرح، أول من شرحه: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حفيد المصنف، وكان شابًا تقيًا عالمًا متبحرًا لا يتجاوز عمره الثلاثين سنة حين قُتِلَ، ولم يكمل هذا الكتاب- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد.

فجاء حفيد الشيخ الثاني عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب[1]، فأخذ هذا الشرح، واختصره وهذبه وأكمله الأبواب الباقية بهذا الكتاب الذي بين أيديكم «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»[2].

---

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية سنة ثلاث وتسعين ومئة وألف، قرأ على جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب التوحيد إلى باب السحر، وغيره من الكتب، وقرأ على غيره من علماء نجد، وبعد سقوط الدرعية نقله إبراهيم باشا إلى مصر، وفي مصر قرأ على أشهر علمائها في شتى العلوم، وعاد إلى نجد سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف، فاشتهر في أيام الإمام تركي بن عبدالله، وتولى قضاء الرياض. له من المؤلفات: (الإيمان والرد على أهل البدع)، و(فتح المجيد)، و(قرة عيون الموحدين)، و(كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس)، و(كتاب في الرد على عثمان بن منصور)، و(مختصر العقل والنقل). تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرياض سنة خمس وثمانين ومائتين وألف. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص٥٨)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ١٨٠ - ٢١٠).

(٢) هذا الكتاب من أحسن شروح كتاب التوحيد، لخص فيه أكثر ما في كتاب (تيسير العزيز الحميد)، وهذَّبه، وأتمَّه، مع إضافات جليلة، وفوائدَ مهمةٍ، مع التحقيق، وسهولة =

وشرحه شرحًا مختصرًا آخر؛ «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين».

فالشيخ عبد الرحمن له شرحان: الشرح الأول مطول، وهو اختصار لشرح ابن عمه الشيخ سليمان وتهذيب له.

الشرح الثاني: قرة عيون الموحدين، فهذا أول مختصر لشرح تيسير العزيز الحميد.

ثم جاءت بعده مختصرات في فتح المجيد؛ منها ومن أقدمها: «إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد»(١) للشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢)،

= العبارة، ووضوحها، طُبع مرارًا، وطبع بتعليقات للشيخ حامد الفقي، وعليها تعليق للشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد طبع سنة ١٤١٥هـ بتحقيق متقن مع العناية بتخريج الأحاديث في مجلدين، حققه الشيخ الدكتور الوليد بن عبدالرحمن الفريان، مع مقدمة وافية عن الكتاب والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفهارس مفصلة.

(١) هذا الكتاب حاشية مختصرة على كتاب التوحيد، أكثر ما فيه نقول من تيسير العزيز الحميد، انتهى رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تأليفه في شوال سنة خمس وخمسين ومائتين وألف.

(٢) هو العلامة حمد بن علي بن محمد بن عتيق، ولد في الزلفي سنة سبع وعشرين ومائتين وألف، وانتقل إلى الرياض، ولازم دروس الشيخ عبد الرحمن بن حسن وغيره من العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وحصل علومًا كثيرة، تولى القضاء في الخرج وغيرها، وتصدى للتدريس، وأقبل عليه الطلاب، وكان من أهل الغيرة على دين الله الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. من مؤلفاته: «إبطال التنديد»، و«سبيل النجاة»، و«الدفاع عن أهل السنة والاتباع»، و«حياة القلوب»، و«التحذير من السفر إلى بلاد المشركين»، و«الرد على ابن دعيجلة»، وله مراسلات مع الشيخ صديق حسن خان تدل على تواضعه ونصحه للإسلام والمسلمين. تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأفلاج سنة ١٣٠١هـ. انظر: مشاهير علماء نجد (ص١٧٩)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٨٤).

وهو اختصار لـ«تيسير العزيز الحميد»، وفي نفس الوقت هو اختصار لـ«فتح المجيد».

ثم جاءت حواشٍ على هذا الشرح:

منها: حاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم[(١)] في كتابه: «حاشية كتاب التوحيد»[(٢)].

منها: حاشية الشيخ أبابطين[(٣)] على شرح كتاب التوحيد[(٤)].

---

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، طلب العلم على عدد من المشايخ؛ منهم: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، وغيرهم، وله من المؤلفات: كتاب حاشية الدرر السنية، وكتاب حاشية الروض المربع، وغيرها، وجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته. ومشاهير علماء نجد (ص١٠٤)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٠٢ـ ٢٠٨)، والمبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر (٢/ ٢٩٥ـ ٣٠٣).

(٢) وهي حاشية مختصرة منتخبة من أبرز شروح من سبقه من الشراح، إضافة إلى ما استفاده من مشايخه، وقد طُبعت هذه الحاشية الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦هـ في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض، كما طبعت طبعة ثانية سنة ١٤٠٨هـ، إلى غير ذلك من الطبعات.

(٣) هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بُطَيْن. الملقب كأسلافه (أبا بطين)، ولد في الروضة من قرى سدير سنة أربع وتسعين ومائة وألف من الهجرة، ونشأ بها، وقرأ على عالمها الشيخ محمد بن طراد الدوسري، ولازمه ملازمة تامة، ثم ارتحل إلى شقراء، ثم إلى عنيزة، وولي قضاءها وقضاء جميع بلدان القصيم. له «مجموعة رسائل وفتاوى» و«مختصر بدائع الفوائد» و«الانتصار للحنابلة» و «تأسيس التقديس في كشف شبهات ابن جرجيس»، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف للهجرة. انظر في ترجمته: الأعلام للزركلي (٤/ ٩٧- ٩٨)، وتسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (٣/ ١٧٠٢)، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩/ ١١١).

(٤) لا تزال هذه الحاشية مخطوطة، وقد ذكرها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في حاشية كتاب التوحيد في المقدمة (ص٧).

منها: كتاب الشيخ ابن سعدي[(١)] «القول السديد في مقاصد التوحيد»، تكلم عن تراجم الشيخ في كتاب التوحيد وما يقصد بها.

وشُرِح بشروح كثيرة -ولله الحمد-؛ شرحه الشيخ فيصل بن مبارك[(٢)]،

---

(١) هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، أبو عبد الله السعدي. ولد في بلدة عنيزة في اثني عشر للمحرم عام سبع وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، وكان والده واعظًا وإمامًا في مسجد المسوكف. اشتغل بالعلم منذ صغره، ففاق الأقران، وكانت له عناية كبيرة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكتب أخرى في التفسير والحديث والتوحيد والفقه والأصول وغيرها. أثنى عليه مجموعة من علماء عصره، له نحو ٣٠ كتابًا لا يتسع المقام لذكرها، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إثر مرض أصابه في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف. انظر في ترجمته: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٠)، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩/ ٣٢٧).

(٢) هو الشيخ العلامة فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن محمد بن مبارك بن راشد آل حمد آل الحسيني العنزي ثم الوائلي. ولد في بلد عشيرته (حريملاء) سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة، ثم انتقلت أسرته إلى الرياض، وتوفي والده في المعركة التي دارت بين الملك عبد العزيز وبين الأمير عبد العزيز بن رشيد سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة. تلقى العلوم الشرعية على شيوخ زمانه كالشيخ ناصر بن محمد بن ناصر، والشيخ محمد بن فيصل ابن مبارك، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، والشيخ محمد بن إبراهيم وغيرهم. بعثه الملك عبد العزيز واعظًا ومرشدًا إلى بلدان الحجاز وتهامة، وتولى القضاء في عدة بلدان. وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مولعًا بكتب ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان يدرسها لطلبة العلم. وأوقاته كلها معمورة بالتدريس والإفادة، أخذ عنه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب والشيخ عبد العزيز العقل والشيخ حمود ابن متروك البليهد وغيرهم. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف في مدينة سكاكا بالجوف. انظر في ترجمته: الأعلام للزركلي (٥/ ١٦٨)، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩/ ٣٢٤).

شرحه الشيخ سليمان بن حمدان[١]، واسم كتابه: «الدر النضيد على أبواب التوحيد»[٢].

ثم جاءت شروح من نمط آخر، وهي الشروح التي تفرغ من الأشرطة، الأولون يكتبونها كتابة ويحررونها.

ثم صار المشايخ يدرسونه وتسجل دروسهم، فيأتي من يفرغها من الأشرطة، ثم يلقون نظرة عليها ويهذبونها، ثم تخرج شروح وحواشٍ، والحمد لله.

فهذا الكتاب حفل بالشروح والحواشي، وحفل بالعناية التامة ببركة ما فيه من العلم الغزير المبني على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث إنه لم يقل: هذه عقيدة الحنابلة، هذه عقيدة أهل نجد، لا، هذه عقيدة فلان، بل قال: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد. فنال هذا الكتاب نجاحًا باهرًا وقبولًا وبركة -ولله الحمد-، ونفع الله به.

---

(١) هو الشيخ العلامة سليمان بن عبد الرحمن بن محمد بن حمدان من أهل المجمعة، ولد سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة وألف، وتوفي سنة سبع وتسعين وثلاث مئة وألف، ولي القضاء في الطائف، ثم صار عضوًا في رئاسة القضاء بمكة، ثم تولى القضاء في المدينة، ثم في المجمعة، ثم بعد إعفائه من القضاء في المجمعة انتقل إلى مكة المكرمة وجلس للتدريس في المسجد الحرام إلى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٢٩٥ - ٣٠٠).

(٢) استخرج فيه خلاصة ما ذكره شراح كتاب التوحيد قبله، مع ما مَنَّ الله به عليه مِن الفوائد وتوضيح الشواهد، وأتبع كل آية أو حديث بما استنبطه المصنف من الفوائد، وقد طُبع الطبعة الأولى في المطبعة السلفية بالقاهرة، سنة ١٣٩٦هـ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة شارح كتاب التوحيد

الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وبه نستعين، وعليه التكلان.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، كالمبتدعة والمشركين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده ولا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه أجمعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**)، هذه سنة أن كل كتاب، وكل رسالة تبدأ بـ«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فالشيخ عمل بهذه السنة، وبدأ شرحه بـ«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وسيأتي شرحها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحمد لله رب العالمين**)، كذلك بعدما قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» أتى بالحمد؛ لأن السنة أن يبدأ بـ«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، ثم بـ«الحمد لله رب العالمين»؛ لحديثين يأتي ذكرهما: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لَا يُبْدَأُ بِبِسْمِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ**»، وفي رواية: «**لَا يُبْدَأُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ**»(١)، وقد عمل الشيخ بكلا الحديثين.

---

(١) ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة، منها المرفوع إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها المرسل، وقد أخرجه: أحمد في المسند (١٤/ ٣٢٩)، وأبو داود (٤٨٤٠)، والنسائي في الكبرى =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والعاقبة للمتقين)**، بلا شك أن العاقبة للمتقين، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه:١٣٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا عدوان إلا على الظالمين)**؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]، هذه آية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كالمبتدعة والمشركين)**، من هم الظالمون؟

المبتدعة: الذين خرجوا عن سنة الرسول.

والمشركون: الذين خرجوا عن دعوة الرسل، وأشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو أعظم العدوان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده ولا شريك له)**، سنة الخطباء: أنها تبدأ بـ«بسم الله»، ثم الحمد لله، ثم الشهادتين، ثم الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأشهد أن لا إله إلا الله)**؛ أي: أقر وأعترف وأعتقد أنه لا يستحق العبادة إلا الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما عُبِد من دونه، فهو باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحده ولا شريك له)**؛ تأكيد لـ(أشهد أن لا إله إلا الله).

= (٩/ ١٨٤)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٣٩)، والدارقطني (١/ ٤٢٧، ٤٢٨)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٩٥)، وفي شعب الإيمان (٦/ ٢١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(وحده): توكيد للإثبات «إلا الله».

(لا شريك له): توكيد للنفي «لا إله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إله الأولين والآخرين)**، الله جَلَّ وَعَلَا هو إله العالم كله، الأولون والآخرون الله هو إلههم المستحق عليهم بالعبادة، فكل العالم يجب عليهم عبادة الله وحده لا شريك له؛ منهم من استجاب، ومنهم من لم يستجب.

فلا أحد يخرج عن العبودية؛ لا الملائكة، ولا الرسل، ولا الأنبياء، ولا الأولياء، ولا الصالحون، لا أحد يخرج عن العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقيوم السماوات والأرضين)**، قيوم السماوات؛ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

الحي: كامل الحياة، وهذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء والصفات.

القيوم: صيغة مبالغة من القيام؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا هو القائم بأرزاق عباده وشؤونهم، هو قائم في نفسه سبحانه لا يحتاج إلى أحد، ومقيم لغيره، كلهم محتاجون إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصفات الأفعال كلها ترجع إلى القيوم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقيوم السماوات والأرضين)**، يعني: قامت به السماوات والأرضين؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١].

﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾، يعني: لا أحد يمسكهما؛ لأن «إنْ» نافية؛ يعني: لا أحد يمسكهما من بعده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)**، بعدما أتى بشهادة أن لا إله إلا الله، أتى بشهادة أن محمدًا رسول الله؛ لأن شهادة أن محمدًا رسول الله تابعة لشهادة أن لا إله إلا الله.

فمن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشهد أن محمدًا رسول الله، فهو كافر؛ فلابد أن يشهد أن محمدًا رسول الله، فيؤمن برسالته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)**، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن هاشم، إلى آخر نسبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام.

اسمه محمد، واسمه أحمد، وله أسماء كثيرة تدل على شرفه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يريد أن يطلع عليها في «جلاء الأفهام» للإمام ابن القيم[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)**، عبده ورسوله.

عَبْدُهُ: ردٌّ للغلو في حقه، الذين يرفعونه، ويقولون: إن له شيئًا من الألوهية والتدبير في الكون، وإنه يعطي ويمنع، وإنه، وإنه. هذا غلو، هو عَبْد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»**[2]، فهو عَبْدٌ لله، وهذا شرف له، عبودية الله شرف للعبد، فهو عَبْدٌ، هذا ردٌّ للغلو في حقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر: كتاب «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام» (ص ١٧١-٢٠٢)، وزاد المعاد (١/ ٨٤-٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠) عَنْ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»**.

ورسوله: هذا ردٌّ للجفاء في حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ الذين يحتقرونه ويكذبونه ويستهزئون به، فهو رسول الله، وهل يليق برسول الله أن يتنقص، أن يسخر منه، أن يستهزأ به، أن يكذب؟! فهذا ردٌّ للجفاء في حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأنت تقر أنه عبد الله؛ ردًّا للغلو، ورسوله ردٌّ للجفاء في حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وخيرته من خلقه أجمعين)**، لا شك أن الله اختار محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخلق أجمعين، وأرسله للعالمين: الجن والإنس والثقلين، رسالته عامة، لابد أن يشهد المسلم بهذا.

من شهد أنه رسول الله، وقال: إلى العرب فقط، فهو كافر، لابد أن يقر بأنه رسول الله إلى الجن والإنس والثقلين والعرب والعجم، رسالته عامة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»(١)، وفي القرآن: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [سبأ:٢٨]، ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ [الأعراف:١٥٨]، فرسالته عامة، لا يكفي أنك تشهد أنه رسول الله، وتقول: ليست بعامة، فقط للعرب، هذا لا يدخلك في الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، بلفظ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**». واللفظ للبخاري.

اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد)**، هذا امتثال لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وهذا من حقوقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ علينا، من حقوقه: أن نحبه أكثر مما نحب أنفسنا ووالدينا وأولادنا والناس أجمعين. فمن حقوقه علينا: اتباعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

من حقوقه علينا: الصلاة والسلام عليه؛ لأن الله أمرنا بذلك، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، هذا من حقوقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(اللهم صلِّ على محمد)**، والصلاة من الله: ثناؤه على عبده[١]، والصلاة من الملائكة: الاستغفار[٢]، والصلاة من الآدميين: الدعاء.

---

(١) ذكره البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا بصيغة الجزم عن أبي العَالِيَةِ قال: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ المَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ». انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٢٠). وانظر: كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام): (ص ١٦٠- ١٦٣)، و(بدائع الفوائد): (١/ ٢٦ - ٢٧) لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) كما في المسند عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ مرفوعًا: «**المَلَائِكَةُ تُصَلي على أَحَدِكُمْ مَا دَامَ في مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلى فِيهِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**». أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٠٧)، وأخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩).

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣]، أي: ادع لهم[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعلى آل محمد، وأصحابه، ومن تبعهم)**، وعلى آل محمد: يعني قرابة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قرابته أهل بيته، هم أهله.

وأصحابه: أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: القرن الأول الذين بُعِث فيهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورأوه وآمنوا به وجاهدوا معه ونصروه، هؤلاء هم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[٢].

ثم من بعدهم التابعون، التابعون: القرن الذي بعد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[٣]، ثم من بعدهم أتباع التابعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين)**، من تبعهم بإحسان، أما الذي ينتسب إليهم، ولا يتبعهم بإحسان، فهذا ليس من أتباعهم.

والإحسان معناه: الإتقان؛ أن يعرف ما هم عليهم فيتعلمه، ثم يعمل به، ويكون مقتديًا بهم.

أما من يقول: (أنا سلفي)، وهو لا يعرف مذهب السلف، أو يشتد في ذلك، ويخرج إلى الغلو، فهذا ليس من أتباع السلف.

---

(١) انظر في معنى الصلاة: تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٧٢)، ومختار الصحاح (١/ ١٥٤).

(٢) **الصحابي:** مَن لَقِيَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، ولو تَخَلَّلَتْ رِدَّةٌ في الأصح. انظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٩١)، وشرح التبصرة والتذكرة للعراقي (٢/ ١١٩- ١٢٠)، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٤/ ٧٢٤).

(٣) **التابعي:** من لقي الصحابي، وروى عنه، وإن لم يصحبه. انظر: الباعث الحثيث (ص١٩١)، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٤/ ٧٢٤)، وقفو الأثر في صفوة علوم الأثر (ص٩١).

هناك الآن من يقول: نحن سلفيون، وهم غلاة مخربون، يقولون: نحن سلفيون، برأ الله السلف من هذا، ليسوا بسلفيين، السلف على الاستقامة وعلى الاعتدال، ولن تتبع السلف إلا إذا تعلمت منهجهم، وسرت عليه، ولهذا الله جَلَّوَعَلَا لم يقل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ وسكت، بل قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]؛ أي: بإتقان بعد معرفة ما هم عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلى يوم الدين)**، يعني: صلاة وسلامًا مستمرين إلى يوم الدين، وهو يوم القيامة، وسمي يوم الدين؛ لأن الدين معناه الحساب؛ أي: يوم الحساب؛ لأن الله يحاسب الخلائق على أعمالهم، فسمي يوم الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسلم تسليمًا كثيرًا)**؛ عملًا بقوله: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

أما بعد:

فإن كتاب التوحيد الذي ألفه الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -أجزل الله له الأجر والثواب، وغفر له، ولمن أجاب دعوته إلى يوم يقوم الحساب- قد جاء بديعًا في معناه، من بيان التوحيد ببراهينه، وجمع جملًا من أدلته؛ لإيضاحه وتبيينه، فصار علمًا للموحدين، وحجة على الملحدين، فانتفع به الخلق الكثير، والجم الغفير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أما بعد**)، هذه كلمة معروفة عند المؤلفين، ويقال: إنها هي فصل الخطاب الذي أوتيه دواد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠][1].

وقوله: (أما بعد)؛ أي: ما بعد ما سبق من الكلام، وهو الموضوع الذي يراد بحثه، الذي قبل «أما» هذه مقدمة، الذي بعدها هذا هو الموضوع الذي يراد بحثه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أما بعد: فإن كتاب التوحيد الذي ألفه الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب**)، كتاب التوحيد: هذا هو اسمه؛ «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، وهذا الاسم مأخوذ من حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي كان رديف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حمار -كما يأتي-، قَالَ: «كُنْتُ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٠/ ٣٢٣٧) عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «أَوَّلُ مَنْ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ» دَاوُدُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَهُوَ فَصْلُ الخِطَابِ». وانظر: تفسير القرطبي (١٥/ ١٦٢)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٥٩)، والدر المنثور (٧/ ١٥٥).

رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: **يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ على عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟** قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: **لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»[1]، فحق الله على العبيد مأخوذ من هذا الحديث، كتاب التوحيد الذي هو -يعني: التوحيد- الذي هو حق الله على العبيد، وهو توحيد الألوهية، توحيد العبادة، هذا هو حقه؛ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

ولم يقل: أن يقروا أنه الرب، هذا لأنهم مقرون به من الأصل، فطرة، لكن المدار على عبادة الله وحده لا شريك له، الذي هو حق الله على العبيد، مأخوذ من هذا الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن كتاب التوحيد الذي ألفه الإمام شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب -أجزل الله له الأجر والثواب، وغفر له، ولمن أجاب دعوته إلى يوم يقوم الحساب)**، الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما تحصل على العلم النافع، وأخذ عن العلماء في وقته، ولم يكتف بعلماء بلده، بل سافر إلى علماء الأقطار من حوله، وأخذ العلم عنهم، ونظر وقرأ في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، تحصل عنده علم غزير، لا سيما في العقيدة.

ولما نظر في حالة المجتمع من حوله، لم ترضه هذه الحالة التي هم عليها؛ إذ كانوا يشركون بالله عَزَّ وَجَلَّ، يشركون بالله في العبادة؛ يستغيثون بالأموات

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

وبالأشجار والأحجار، حتى في بلد نجد وفي الرياض -أيضًا-، وفي العيينة كغيرهم من البلاد الأخرى عندهم الشرك في العبادة بأنواعه؛ يعبدون القبور، يعبدون الأشجار والأحجار، يذهبون إلى الغيران في الجبال يستغيثون.

فوجد أنه لا يسعه السكوت على هذا، وعنده علم ينقذ به من شاء الله، فقام بالدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك، وألف هذا الكتاب؛ ليكون مستندًا لأهل التوحيد.

ذكروا أنه ألفه في سفره إلى العراق -في البصرة-؛ لأجل أن يكون عدة للموحدين، فهو دعا إلى الله بالتأليف، ودعا إلى الله بالكلام، ودعا إلى الله بالتعليم، حتى نفع الله بجهوده نتيجة لإخلاص النية لله عَزَّوَجَلَّ، كانت نيته خالصة، وإلا لما نجحت دعوته، لو كانت نيته غير خالصة، لما نجحت دعوته.

كم نسمع الآن من دعاة ومن جمعيات وجماعات، لكن ليس لها تأثير؛ لأن النيات الله أعلم بها.

فنفع الله بدعوته أهل نجد خاصة ومن حوله من البلاد عامة؛ نتيجة للنية الصالحة، وألف الكتب والرسائل، ولكن من أعظمها فائدة هذا الكتاب: كتاب التوحيد؛ لأنه أخذه من الآيات والأحاديث.

بوب للمسائل المهمة في هذا الكتاب أبوابًا تشتمل على آيات وأحاديث وأقوال السلف الصالح، لم يأت بكلام من عنده، أو يؤلف عقيدة من عنده، بل إنما جاء بآيات وأحاديث في كل باب بما يناسبه، ولم يعترض على هذا أحد، لا أحد يستطيع أن يعترض على الآيات والأحاديث.

هل رأيتم ردًّا على كتاب التوحيد؟ لم نر هذا، لا أحد يستطيع أن يرد عليه؛ لأنه آيات وأحاديث، وكلام السلف الصالح، فلذلك نفع الله بهذا الكتاب، ولله الحمد والمنة تناوله العلماء بالشروح والتوضيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قد جاء بديعًا في معناه)**، بديعًا في معناه، لم يسبق لمنواله إلا في صحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تراجم صحيح البخاري وما يورد تحتها من الآيات والأحاديث يشبهه هذا الكتاب.

ولذلك لما عُرِضَ هذا الكتاب على أحد علماء الهند، عرضه أحد العلماء الذين ذهبوا من هنا، وجلس في حلقة عالم كبير هناك من المحدثين، وكان هذا العالم كلما انتهى الدرس يدعو على محمد بن عبد الوهاب؛ يرفع يديه، ويرفع الطلاب حوله أيديهم، ويدعو على محمد بن عبد الوهاب.

فهذا العالم من علماء الدعوة أخذ كتاب التوحيد، وأزال الورقة الأولى منه التي فيها اسم المؤلف، وجاء به إلى هذا الشيخ، وقال هذا كتاب وجدته، ولكن لا أعرف مؤلفه؛ لأنه ضاعت منه الصفحة الأولى والعنوان ولا أعرف مؤلفه، فأحببت أن أعرضه عليك؛ لعلك تعرف مؤلفه.

فأخذه هذا العالم، وتأمله، فلما جاء، قال: هذا من تأليف البخاري، هذا من تأليف الإمام البخاري، فأبرز له هذا العالم الورقة الأولى، وقال: هذا من تأليف هذا الشيخ الذي أنت تدعو عليه في حلقتك، فاستغفر الله، رفع يديه واستغفر الله من هذا الذي حصل في حق الشيخ، وصار كلما تنتهي الحلقة يدعو للشيخ محمد بن عبد الوهاب بدل ما كان يدعو عليه.

انظروا كيف الحكمة في انتزاع ما عند هذا الشيخ من الجهل بحق الشيخ محمد بن الوهاب؛ لأنه يسمع الناس، ويسمع الشائعات، فلما رأى هذا الكتاب، ندم على ما حصل منه، وأنه ليس كما بلغه عن هذا الرجل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قد جاء بديعًا في معناه، من بيان التوحيد ببراهينه)**، التوحيد ببراهينه من الكتاب والسنة؛ كل باب يشتمل على آيات وأحاديث، ليس فيها كلام له أو لمشايخه أو لفلان وعلان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجمع جملًا من أدلته؛ لإيضاحه وتبيينه)**، هذه طريقة هذا الكتاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فصار علمًا للموحدين)**، صار هذا الكتاب علمًا، والعلم: في الأصل هو الجبل المرتفع الذي يهتدي به المسافرون؛ (كأنه علم في رأسه نار)؛ يعني: جبل. تقول الخنساء في أخيها[1].

وَإِنّ صَخرًا لَتَأتَمّ الهُداةُ بِهِ كَأَنّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ

فالعلم في الأصل: الجبل، قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن:٢٤]؛ أي: كالجبال يهتدي بهم المسافرون.

هذا الكتاب صار علمًا للموحدين يهتدون به في طريقهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحجة على الملحدين)**، حجة على الملحدين الذين لا يريدون التوحيد، لكن هذا الكتاب يفحمهم، ويخرس ألسنتهم،

---

(١) انظر: المحاسن والأضداد (ص ١٧١)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٤٨)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٠٩).

ولا يقدرون أن يردوا عليه، من الذي يرد على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فانتفع به الخلق الكثير، والجم الغفير)**، بلا شك، نفع الله بهذا الكتاب المشارق والمغارب، ولا يزال تطبع منه الآن الألوف من النسخ وتوزع، ويتلقاه الناس بالقبول، وهذا من فضل الله سبحانه، وهذا نتيجة الإخلاص في النية، ونتيجة تركيز الدعوة على الكتاب والسنة، لا على منهج فلان أو منهج الجماعة الفلانية، لا، على الكتاب والسنة، هذا منهج هذا الكتاب، ومنهج هذا العالم وهذا المؤلف.

فإن هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مبدأ منشئه قد شرح الله صدره للحق المبين، الذي بعث الله به المرسلين، من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين، وإنكار ما كان عليه الكثير من شرك المشركين، فأعلى الله همته، وقوى عزيمته، وتصدى لدعوة أهل نجد إلى التوحيد، الذي هو أساس الإسلام والإيمان، ونهاهم عن عبادة الأشجار، والأحجار، والقبور، والطواغيت، والأوثان، وعن الإيمان بالسحرة، والمنجمين، والكهان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مبدأ منشئه، قد شرح الله صدره للحق المبين، الذي بعث الله به المرسلين، من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين، وإنكار ما كان عليه الكثير من شرك المشركين)**، ما كان عليه الكثير من شرك المشركين في بلده وفي غير بلده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأعلى الله همته، وقوى عزيمته، وتصدى لدعوة أهل نجد إلى التوحيد)**، أعلى الله همته؛ لأنه اهتم بشيء عظيم، وسيعترضه من أذى الناس ومن معارضات الناس الشيء الكثير، ولكنه صبر واستمر في دعوته، وصار له طلاب يفدون إليه ويتعلمون منه، ويتوزعون على البلاد، حتى انتشرت هذه الدعوة.

ولو أنه رضي بالجلوس والعيش، وهو من بيت علم وبيت وظائف في نجد، لو رضي بهذا وسكت، لم يحصل هذا الخير الكثير لو آثر الراحة وقنع بالمناصب، لوجد الشيء الكثير من هذا، لكن همته أعلى من هذا، أعلى من الدنيا وما فيها؛ يريد الآخرة، يريد ثواب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أعلى الله همته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأعلى الله همته، وقوى عزيمته)**، وقوى عزيمته؛ لأن العزيمة هي التي تجعلك تمضي أو تتراجع، أعطاه الله عزيمة قوية على المضي في طريقه، محتسبًا الأجر من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، صابرًا على ما يناله من اللوم ومن التهديد، ومن الاعتراضات كلها تجاوزها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتصدى لدعوة أهل نجد إلى التوحيد)**؛ يعني: بدأ بأهل نجد.

انظر! الحكمة أن الداعي أول ما يبدأ بأهل بلده؛ ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]، فيبدأ بأهل بلده.

﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [التوبة:١٢٢]، قومهم يبدؤون بهم، ثم يتمدد الخير من قومه إلى من بعدهم ومن عشيرته إلى الآخرين؛ كما فعل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتصدى لدعوة أهل نجد إلى التوحيد، الذي هو أساس الإسلام والإيمان)**، التوحيد هو الأساس، بدون التوحيد لا تنفع العبادات ولا الطاعات، تكون هباءًا منثورًا بدون توحيد.

أما إذا كانت مؤسسة على التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، فإن الله يقبلها، ويثيب عليها؛ فأي عمل تعمله ولم يؤسس على التوحيد، فهو عمل ضائع، كل دعوة لا تهتم بالتوحيد، فهي دعوة ضائعة ولا أثر لها -كما هو مشاهد الآن-، كل دعوة لا تجعل التوحيد في مقدمة اهتمامها؛ تدعو إليه، فإنها دعوة فاشلة مهما بُذِل فيها من الجهود ومن الأموال لا تنفع أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونهاهم عن عبادة الأشجار، والأحجار، والقبور، والطواغيت، والأوثان، وعن الإيمان بالسحرة، والمنجمين، والكهان)**، كل هذه آفات منتشرة في بلاد نجد وغيرها: عبادة القبور والأضرحة، عبادة الأشجار والأحجار والتبرك بها، السحر كان منتشرًا والشعوذة، الصوفية كانت منتشرة في الرياض، بل وحدة الوجود موجودة في الرياض كانت، ولها ناس معروفون.

فهو قاوم الأشياء هذه كلها، صبر على ذلك حتى أزالها الله من هذه البلاد، وامتد ذلك إلى الأقطار الأخرى، فتأثرت بهذه الدعوة، واستنارت بها، ولا تزال -ولله الحمد- تتجدد وتظهر.

فأبطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة، يدعو إليها كل شيطان، وأقام الله به علم الجهاد، وأدحض به شبه المعارضين من أهل الشرك والعناد، ودان بالإسلام أكثر أهل تلك البلاد، الحاضر منهم والباد، وانتشرت دعوته ومؤلفاته في الآفاق، حتى أقر له بالفضل من كان من أهل الشقاق، إلا من استحوذ عليه الشيطان، وكره إليه الإيمان، فأصر على العناد والطغيان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأبطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة)**، كذلك بعد التوحيد البدع؛ لأن البدع وسيلة إلى الشرك، ووسيلة إلى عبادة غير الله.

فالبدع في العبادات -أيضًا- من جهوده أنه قاومها، قاوم البدع والمبتدعة، وحث على لزوم السنة، والعمل بسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأبطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة، يدعو إليها كل شيطان)**، الشياطين تدعو إلى البدع، شياطين الإنس والجن تدعو إلى البدع؛ لتطمس بها الدين؛ لأن البدع تطمس الدين، تطمس السنن؛ كما أن السنن تطمس البدع وتزيلها، لكن لا يجتمعان، لا تجتمع السنة والبدعة إلا ويزيل أحدهما الآخر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأقام الله به علم الجهاد)**، هو جاهد؛ يعني: دعا إلى الله، ثم أمر بالجهاد، فجاهد ولاة الأمور من آل سعود الذين عاضدوه جاهدوا، هو عليه الدعوة، وهم عليهم الجهاد للمعاندين الذين أصروا على ما هم عليه، جاهدوهم بالسيف حتى نصرهم الله عليهم، ودانت لهم بلاد نجد كلها من اليمن إلى بادية الشام، ومن البحر إلى البحر، كلها صارت تحت

ولاية آل سعود، وكلها التزمت بهذه الدعوة المباركة، فأحيا الله به وأنقذ الله به أممًا، وأنقذ الله به بلادًا كثيرة بدعوته، ماتوا على التوحيد، على عبادة الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأدحض به شبه المعارضين من أهل الشرك والعناد)**؛ لأن الجهاد على نوعين:

جهاد بالسيف: وهذا للمعاندين للدعوة -دعوة التوحيد- الذين يقاومون بالحروب والسيوف يجاهدون.

وجهاد باللسان والتأليف والكتابة: وهذا للمنافقين، وأصحاب الأفكار المنحرفة، فالجهاد: جهاد بالعلم وجهاد بالسيف.

الله جَلَّ وَعَلَا قال لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو بمكة قبل الهجرة-: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ [الفرقان:٥٢]: بماذا؟ بالقرآن يعني؛ ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ أي: بالقرآن، فالعلم يجاهد به كما يجاهد بالسلاح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودان بالإسلام أكثر أهل تلك البلاد)**، امتدت من اليمن إلى الشام، إلى البحر الغربي والشرقي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الحاضر منهم والباد)**، الحاضرة في المدن والقرى، والبوادي في البراري الذين كانوا في جاهلية، كانوا يتحاكمون إلى عادات القبائل، وإلى السلوم التي يسمونها سلوم العرب وسلوم القبائل -أيضًا- نفعهم الله بهذه الدعوة، فصاروا يتحاكمون على الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وانتشرت دعوته، ومؤلفاته في الآفاق)**، تجاوزت البلاد السعودية إلى الآفاق: إلى مصر، إلى السودان، إلى المغرب، إلى بلاد في المشرق، إلى الهند.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حتى أقر له بالفضل من كان من أهل الشقاق)**، حتى إن أهل الشقاق في الأول لما عرفوا الحق، رجعوا عما هم عليه، وهم كثير، تابوا إلى الله، ولم يبق إلا المعاند، والمعاند هذا ليس له إلا السيف، المعاند الذي لا يقبل الحق ليس له إلا السيف؛ ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، مع الرسل يعني، ﴿وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾، ثم قال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾، الذي لا يقبل الحق والميزان والكتاب ليس له إلا الحديد ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥]، فإلى جانب المصحف: السيف، فلابد من هذا.

وقد أصبح أهل جزيرة العرب بدعوته؛ كما قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حال أول هذه الأمة: إن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون، وكبرت عليهم، وضاق بها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يمضيها، ويظهرها، ويفلجها، وينصرها على من ناوأها، إنها كلمة من خاصم بها فلج، ومن قاتل بها نُصر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة التي يقطعها الراكب في ليال قلائل، ويسير من الدهر، في فئام من الناس، لا يعرفونها، ولا يقرون بها[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حال أول هذه الأمة: إن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون، وكبرت عليهم)؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]؛ يعنون: محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾؛ لأنهم فهموا أن لا إله إلا الله: ترك للشرك، فهموا هذا؛ قالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾، وفي الآية الأخرى لما قال لهم: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا»[٢]، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٦٠٩)، وابن كثير في تفسيره (٥/ ٨٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٥/ ٤٠٤)، والحاكم (١/ ٦١)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٣) عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا» وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا، إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ، كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، =

وَاحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾(١)؛ يعني: ملة قريش العرب.

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾؛ يعني: كذب من هذا الرجل.

﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ [ص:٥-٨]؛ يعني: كيف أنه ينزل عليه الوحي ويتعدانا، نحن أولى به، أولى بالوحي منه، لماذا؟

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١]؛ على رئيس من مكة أو رئيس من الطائف، لا ينزل على يتيم فقير، ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف:٣٢]: الله جَلَّ وَعَلَا يخص بفضله من يشاء، وهو

= قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا، قَالَ: لَا وَاللهِ إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ».

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في الكبرى (٨/ ٩٠، ١٠/ ٢٣٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٩٤)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٧٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٣٢)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٤٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣١٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ قَالَ: وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ العَجَمُ الجِزْيَةَ. قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً، قَالَ: يَا عَمِّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ. قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ: ﴿صٓۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:٢] -إِلَى قَوْلِهِ-: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص:٧]».

أعلم بمن يصلح للرسالة، ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فلا يضع رسالته إلا فيمن يستحقها، ليس هم الذين يجعلون الرسالة على هواهم، هذا هو شأن المعاندين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أنكر ذلك المشركون، وكبرت عليهم، وضاق بها إبليس، وجنوده)**، ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات:٣٦]، هذا لما سمعوا: لا إله إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأبى الله إلا أن يمضيها، ويظهرها)**، أبى الله جَلَّ وَعَلَا إلا أن يمضي هذا الدعوة، ويظهرها؛ نظرًا لأنها قامت على الكتاب والسنة، وقامت على نية صالحة خالصة لله، وقامت على الصبر والعزيمة القوية، فنجحت بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويفلجها، وينصرها على من ناوأها)**، انظر! رجل واحد؛ لما أخلص لله وقام بالدعوة، رجل واحد نفع الله به أممًا وأجيالًا عاشت على التوحيد وماتت على التوحيد بسبب رجل واحد، فهذا الخير من قام به بصدق وإخلاص، أعزه الله ونصره؛ ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧]، فالدعوة لابد لها من أمرين: لابد لها من العلم، ولابد لها من الإخلاص، إخلاص النية لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إنها كلمة من خاصم بها، فلج)**، إنها كلمة «لا إله إلا الله»، هذا كلام منقول عن قتادة، كلمة «لا إله إلا الله» من خاصم بها فلج خصمه؛ يعني: انتصر عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن قاتل بها، نُصر)**، من قاتل بـ«لا إله إلا الله»، قاتل المعاندين والمخالفين لهذه الكلمة بعد دعوتهم إلى الله، فمن قاتل في سبيل الله، نصره الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا ما حصل لهذا الإمام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة التي يقطعها الراكب في ليال قلائل، ويسير من الدهر، في فئام من الناس، لا يعرفونها، ولا يقرون بها)**، عاشوا في الجزيرة قبل ظهور الشيخ على هذه الحالة، جزيرة ممتدة لايعرفون التوحيد إلا من قلَّ منهم، والقليل منهم لم يقم ودعا إلى الله.

لا نقول: إنها خالية، وليس فيها علماء، لا، فيها علماء، وعلماء فطاحل -أيضًا-، وقد يكون فيهم ناس موحدون ومخلصون، لكن لم يقوموا بهذه الدعوة سكتوا، تركوا الناس على ما هم عليه.

وقد شرح الله صدور كثير من العلماء لدعوته، وسُروا واستبشروا بطلعته، وأثنوا عليه نثرًا ونظمًا.

فمن ذلك ما قاله عالم صنعاء، محمد بن إسماعيل الأمير[(١)] في هذا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شعرًا:

وَقَدْ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ ... يُعِيدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيفَ بِمَا يُبْدِي
وَيَنْشُرُ جَهْرًا مَا طَوَى كُلُّ جَاهِلٍ ... وَمُبْتَدِعٍ مِنْهُ، فَوَافَقَ مَا عِنْدِي
وَيَعْمُرُ أَرْكَانَ الشَّرِيعَةِ هَادِمًا ... مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيهَا عَنِ الرُّشْدِ
أَعَادُوا بِهَا مَعْنَى سُوَاعٍ وَمِثْلَهُ ... يَغُوثَ وَوَدٍّ، بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وَدِّ
وَقَدْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ الْمُضْطَرُ بِالصَّمَدِ الْفَرْدِ
وَكَمْ عَقَرُوا فِي سُوحِهَا مِنْ عَقِيرَةٍ ... أُهِلَّتْ لِغَيْرِ اللهِ جَهْرًا عَلَى عَمْدِ
وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ الْقُبُورِ مُقَبِّلٍ ... وَمُسْتَلِمِ الْأَرْكَانِ مِنْهُنَّ بِالْأَيْدِي

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد شرح الله صدور كثير من العلماء لدعوته)، كثير من العلماء فضلًا عن العوام، العلماء لما عرفوا صدق دعوته، وافقوه على ذلك وأيدوه.

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن. يلقب (المؤيد بالله) ابن المتوكل على الله. أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام. له نحو مئة مؤلف، ذكر صديق حسن خان أن أكثرها عنده (في الهند). ولد بمدينة كحلان، ونشأ وتوفي بصنعاء. من كتبه (توضيح الأفكار، شرح تنقيح الأنظار) مجلدان في مصطلح الحديث، و(سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني). انظر في ترجمته: الأعلام للزركلي (٦/ ٣٨)، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٨/ ٥٧٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسُروا واستبشروا بطلعته، وأثنوا عليه نثرًا ونظمًا)**، أثنوا على الشيخ كما سبق في قصيدة الصنعاني، وقصائد جاءت بعده تمدح هذا الإمام، وتمدح دعوته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن ذلك ما قاله عالم صنعاء، محمد بن إسماعيل الأمير)**، وكان معاصرًا للشيخ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَقَدْ هتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا * كَمَا يَهْتِفُ الْمُضْطَرُ بالصَّمَدِ الْفَرْدِ)؛ يعني: عند القبور؛ يتضرعون ويبكون عند القبور؛ كما يتضرع أهل التوحيد بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد هتفوا. انظروا! الذي يذهب منكم ليرى المشاهد في البلاد الأخرى ما يحصل عندها من البكاء والنحيب، والتمرغ عليها، وذبح القرابين عندها إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكَمْ عَقَرُوا في سُوحِهَا مِنْ عَقِيرَةٍ)**، يذبحون عندها تقربًا إليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ الْقُبُورِ مُقَبِّلٍ وَمُسْتَلِمِ الْأَرْكَانِ مِنْهُنَّ بالْأَيْدِي)**، يطوفون عليها كما يطاف على الكعبة، ويتمسحون بجدران القبور؛ كما يتمسح بالحجر الأسود والركن اليماني.

وقال شيخنا عالم الإحساء، أبو بكر حسين بن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)] فيه:

لَقَدْ رَفَعَ الْمَولى به رُتْبَةَ الهُدى ... بِوَقْتٍ بِهِ يُعلى الضَّلالُ وَيُرْفَعُ
سَقَاهُ نَميرَ الْفَهْمِ مَوْلاهُ فَارْتَوَى ... وَعَامَ بِتَيَّارِ المَعَارِفِ يَقْطَعُ
فَأَحْيَا بِهِ التَّوْحِيدَ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ ... وَأَوْهى بِهِ مِنْ مَطْلَعِ الشِّرْكِ مَهْيَعُ
سَمَا ذِرْوَةَ المَجْدِ الَّتي مَا ارْتَقَى لها ... سِوَاهُ وَلا حَاذَى فِنَاهَا سَمَيْذَعُ
وَشَمَّرَ في مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدَ ... يُشَيِّدُ وَيُحْيِي مَا تَعفى، وَيَرْفَعُ
يُنَاظِرُ بِالآيَاتِ وَالسُّنَّةِ الَّتي ... أُمِرْنَا إلىهَا في التَّنَازعِ نَرْجِعُ
فَأَضْحَتْ بِهِ السَّمْحَاءُ يَبْسُمُ ثَغْرُهَا ... وَأَمْسَى مُحَيَّاهَا يُضِيءُ وَيَلْمَعُ
وَعَادَ بِهِ نَهْجُ الْغِوَايَةِ طَامِسًا ... وَقَدْ كَانَ مَسْلُوكًا بِهِ النَّاسُ تَرْتَعُ
وَجَرَّتْ بِهِ نَجْدٌ ذُيُولَ افْتِخَارِهَا ... وَحُقَّ لَهَا بِالأَلْمَعِيِّ تُرفَعُ
فَآثَارُهُ فِيهَا سَوَامُ سَوَافِرٍ ... وَأَنْوَارُهُ فِيهَا تُضِيءُ وَتَلْمَعُ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال شيخنا عالم الإحساء، أبو بكر حسين بن غنام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **فيه**)، حسين بن غنام هذا من علماء الأحساء في المبرّز، وكان إمامًا في النحو

---

(١) هو الشيخ حسين بن أبي بكر آل غنام، من قبيلة بني تميم. ولد في بلدة المبرز، ونشأ في الأحساء، وقرأ على علمائها وأعلامها، ثم انتقل إلى الدرعية، فاتصل بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، فدرس عليه وعلى أبنائه، حتى أدرك وصار في عداد علماء عصره. قال ابن بشر: كانت له اليد الطولى في العلم ومتونه، وله معرفة في الشعر والنثر، وصنف المصنفات. ألف تاريخ نجد المسمى بـ«روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وهو عبارة عن تاريخ الدعوة السلفية وأعلامها. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شهر ذي الحجة سنة خمس وعشرين ومائتين وألف من الهجرة. انظر في ترجمته: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥١)، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩/ ٤٧).

واللغة العربية، كان شاعرًا، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جاء به من الأحساء للدرعية من أجل أن يدرس العربية، يدرس النحو، وتتلمذوا عليه، ومن جملتهم: الشيخ عبد الرحمن بن حسن تتلمذ عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَقَدْ رَفَعَ المَولى بِه رُتْبَةَ الهُدى)**، هذه في مرثيته، لما مات رثاه الشيخ ابن غنام، هذه مرثية، هذه الأبيات منها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَوْهى بِهِ مِنْ مَطْلَعِ الشِّرْكِ مَهْيَعُ)**، مَهْيَعُ: طريق يعني، المهيع: الطريق الواسع(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَآثَارُهُ فِيهَا سوَامُ سَوَافِرٍ وَأَنْوارُهُ فِيهَا تُضِيءُ وَتَلْمَعُ)**، بلا شك.

---

(١) انظر مادة (هيع) في: العين (٢/ ١٧٠)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٧)، والصحاح (٣/ ١٣٠٩)، ومقاييس اللغة (٦/ ٢٥).

وأما كتابه المذكور، فموضوعه في بيان ما بعث به الله رسله من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب، من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك، أو يوصل إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما كتابه المذكور، فموضوعه في بيان ما بعث به الله رسله)**، كل كتاب له موضوع، وما موضوع كتاب التوحيد؟ ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة والألوهية، وبيان أنواعه، وبيان ما يضاده من الشرك أو ما ينقصه من الشرك الأصغر والبدع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فموضوعه في بيان ما بعث به الله رسله، من توحيد العبادة)**؛ لأن الرسل جاءوا بتوحيد العبادة، لم يدعوا الناس إلى توحيد الربوبية؛ لأنه موجود في الناس، وموجود بالفطرة، وهذا في القرآن، ذكره الله عنهم أنهم يعترفون به، ولكن الرسل جاءوا بتوحيد العبادة؛ ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩]، وهود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كذلك، وصالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كلهم قالوا: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩]، لم يقولوا للناس: اعترفوا أن الله هو الخالق، والرزاق، والمحيي والمميت، ويكفي هذا، لا، هذا موجود، لكنه

لا يغني ولاينفع إلا ومعه توحيد العبادة؛ لأن توحيد الربوبية وسيلة إلى توحيد الألوهية، وسيلة ومعرف به.

فمن اقتصر على توحيد الربوبية، وترك توحيد العبادة، فإنه ليس بمسلم، ليس بعبد لله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، يؤمنون بتوحيد الربوية، ويشركون بتوحيد الألوهية، فالمدار على توحيد الألوهية، الرسل كلهم دعوا إليه، لم يدعوا إلى توحيد الربوبية؛ لأنه موجود.

ولهذا تجد عقائد المتكلمين كلها على توحيد الربوبية، لا تذكر توحيد الألوهية أبدًا، كلها تقريبًا توحيد الربوبية والرد على الملحدين، لكن الألوهية ليس لها ذكر في كتبهم، هذه ليست بكتب توحيد ولا تغني شيئًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب، من الشرك الأصغر، ونحوه)**، هذا موضوع كتاب التوحيد، هذا موضوعه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما يقرب من ذلك، أو يوصل إليه)**، الوسائل هي وسائل الشرك، يعني هذا الكتاب -أيضًا- حذر من الوسائل التي تجر إلى الشرك، حماية المصطفى جناب التوحيد، هذا باب من أبواب كتاب التوحيد، باب: حماية المصطفى جناب التوحيد، وسده كل وسيلة إلى الشرك.

وقد تصدى لشرحه حفيد المصنف، وهو الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ، فوضع عليه شرحًا أجاد فيه وأفاد، وأبرز فيه من البيان ما يجب أن يطلب منه ويراد، وسماه: (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد).

وحيث أطلق شيخ الإسلام، فالمراد به: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية، والحافظ، فالمراد به: أحمد بن حجر العسقلاني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقد تصدى لشرحه حفيد المصنف، وهو الشيخ سليمان ابن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ)**، حظي هذا الكتاب المبارك -كتاب التوحيد- بعناية من العلماء من أحفاد الشيخ ومن غيرهم، فقاموا بوضع الشروح عليه، ووضع الحواشي والمختصرات، له شروح كثيرة مطولة ومختصرة، وعليه حواشٍ كثيرة، وهذا مما يدل على عظيم فائدته وعناية العلماء والمتعلمين به.

فأول من شرحه: حفيد المؤلف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، شرحه بشرح حافل واسع، وقد أعطاه الله غزارة في العلم، واطلاعًا على أقوال العلماء من كتب التفسير والحديث.

وهو عالم متفنن في الفقه وفي علم الحديث وفي التفسير، مع قصر عمره رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن له عناية بالعلم من صغره، وكان لا يخرج من البيت لا لنزهة ولا لفرجة، حتى إنه كان لا يعرف بعض الأشياء التي في الدرعية، لا يعرف بعض الأشجار، بعض الثمار التي في الدرعية؛ لأن ليس له عناية وشغل إلا بالعلم.

وكان في الدرعية مكتبة حافلة للكتب، فاستفاد منها فائدة عظيمة، والتقى بالإمام الشوكاني، أخذ منه إجازة في علم الحديث.

وقد شرح هذا الكتاب لجده في شرح حافل بالمعلومات باختلاف أنواعها، ولكنه لم يكمله؛ حيث قُتِل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل أن يكمله، وقد وصل على باب: من هزل بشيء من القرآن أو باسم الله، باب معروف وصل إلى هذا، وانتهى أجله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقُتِلَ شهيدًا على يد الطاغية المجرم المعتدي إبراهيم باشا الذي غزا الدرعية، وخان كثير من أهل نجد معه والبادية؛ لأنه أغراهم بالطمع، فصاروا ينقلونه على إبلهم، ويدلونه على الطريق، قبحهم الله!

فألف الشيخ في هذا الموضوع رسالة اسمها «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك»، وهو يقصد هؤلاء الذين خانوا مع الغزاة الظلمة القبوريين الصوفية، خانوا بلادهم، وساعدوا هؤلاء الغزاة ووالوهم.

كتب رسالة يبين فيها تحريم موالاة المشركين وإعانة الأعداء، فوشوا به إلى هذا الطاغية بسبب هذه الرسالة؛ لأنها عليهم وتعنيهم، وتفضح أسرارهم، فلم يجدوا بدًا من أن يذهبوا إلى هذا الطاغية ويحرضونه عليه.

وكان الإمام عبد الله بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي يقود الجهاد لصد العدوان، كان قد طال عليه الحرب، وأشفق على أهل البلد أن تسقط بيده؛ فيفجر بالنساء، ويعذب أهل العلم، ويعذب أهل البلد، فرأى أن يصالحه على الاستسلام، على أن يستسلم الإمام له؛ يرسله إلى الخليفة العثماني -يسمونه الخليفة العثماني-، الذي هو يمول هذه الحرب ويسرحها، فتفاوض على هذا

الأمر، وانتهت الحرب على ألا يعتدي على أحد، وألا يمس الدرعية بسوء، ولكنه ما إن رحل الإمام إلى إسطنبول، حتى خان العهد -والعياذ بالله-، فشرع بالقتل والتعذيب والتدمير، وترحيل العلماء إلى مصر؛ ليقضي على الدعوة بزعمه، فخان العهد، وقتل من أهل الدرعية ومن الفضلاء ومن كبار السن الكثير، خصوصًا غدره بهذا الشيخ، الشيخ سليمان، فأخرجه من بيته، وأحضره في مخيمه، وأظهر أمامه المنكرات والأغاني والمزامير؛ من أجل أن يغيظه، ثم أمر به الجنود فذهبوا به إلى المقبرة، وأطلقوا عليه النار من بنادقهم حتى تمزق جسمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتناثر لحمه في المقبرة، ولم يكمل هذا الشرح.

ثم خان البلد وهدمها، هدم الدرعية، لم يبق فيها بيتًا إلا وهدمه، وأجلى منها أهلها، ورحل العلماء الكبار، منهم: إمام الدعوة بعد أبيه عبد الله بن محمد حمله إلى مصر ومن معهم من ذراريهم.

ومن جملة الشباب الذين معهم: الشيخ عبد الرحمن بن حسن؛ كان شابًّا، رحله مع العلماء هناك، وخرب الدرعية، وقتل رجالها، ورحل بعضهم بزعمه أنه يقضي على هذه الدعوة.

ولكن هذه الدعوة -ولله الحمد- كتب الله لها البقاء، وكتب لها الاستمرار، ولم يضرها ما حصل من هذه الحرب الخائنة.

وبمجرد ما إن رحل الخبيث إلى مصر ظهر الإمام تركي بن عبد الله، وكان مختفيًا في بئر أو في غار حول الدرعية، كان مختفيًا من الجنود، بحثوا عنه ولم يجدوه، فلما ذهبوا خرج من مخبئه، واستبشر الناس به وبايعوه، فقاد

الجهاد في سبيل الله، وعادت الدولة الثانية، دعوة التوحيد ودولة التوحيد عادت على يده مرة ثانية، وكأنه لم يحصل شيء على هذه الدعوة، وهذا من لطف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والشاهد من هذا ما جرى لهذا الشيخ الشاب، وأنه قُتِلَ ولم يكمل هذا الشرح، فجاء بعده الحفيد الثاني عبد الرحمن بن حسن بعدما رجع من مصر، وأمسك رئاسة العلماء في الرياض؛ لأنهم رحلوا من الدرعية، وصاروا في الرياض، فلما أمسك مشيخة العلماء في الرياض، أخذ هذا الشرح لابن عمه وأكمله واختصره؛ لأنه شرح مطول، لو استمر فيه لبلغ مجلدات، فاختصره وهذبه وأكمله بفتح المجيد هذا. وأما أصل الشرح، وهو: «تيسير العزيز الحميد»، فهو موجود -والحمد لله- ومطبوع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فوضع عليه شرحًا أجاد فيه وأفاد)**، وهو مطبوع ومفيد، وبحر من العلم بفنونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحيث أطلق شيخ الإسلام)**، وحيث أطلق الشيخ سليمان شيخ الإسلام، فهو يريد شيخ الإسلام ابن تيمية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحافظ فالمراد به: أحمد بن حجر العسقلاني)**؛ لأنه ينقل عن الحافظ في شرح الأحاديث من «فتح الباري»، فإذا أطلق الحافظ، فيراد به الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني الذي شرح كتاب البخاري في «فتح الباري» شرحًا واسعًا، صار قاموسًا للسنة بأيدي الناس.

ولما قرأت شرحه، رأيته أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرار يستغنى بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله، فأخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله، وربما أدخلت فيه بعض النقول المستحسنة؛ تتميمًا للفائدة، وسميته «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد».

وأسأل الله أن ينفع به كل طالب للعلم ومستفيد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وموصلًا من سعى فيه إلى جنات النعيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولما قرأت شرحه، رأيته أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرار يستغنى بالبعض منه عن الكل)**؛ لأن الكتاب مسودة، والكتاب إنما كتبه مسودة، لم يكتبه كتابة نهائية، فلذلك حضر عليه ما تيسر له من العلوم، فصار يستطرد، وصار يطيل، وصار يكرر؛ لأنه مسودة، لم يهذبه مات قبل أن يراجعه ويهذبه، لكن قيض الله له هذا العالم الثاني فقام بالواجب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولم يكمله)**؛ لأنه قُتِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأخذت في تهذيبه، وتقريبه)**، فظهر «فتح المجيد».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وربما أدخلت فيه بعض النقول المستحسنة)**، ربما يزيد عليه نقولًا مستحسنة من باب الفائدة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ش: ابتدأ كتابه بالبسملة؛ اقتداء بالكتاب العزيز، وعملًا بحديث: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فهو أَقْطَعُ»، أخرجه ابن حبان من طريقين. قال ابن الصلاح: والحديث حسن.

ولأبي دواد، وابن ماجه: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالحَمْدُ للهِ -أَوْ بِالحَمْدِ- أَقْطَعُ».

ولأحمد: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُفْتَتَحُ بِذِكْرِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ أَوْ أَقْطَعُ».

وللدارقطني عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِذِكْرِ اللهِ، فَهُوَ أَقْطَعُ»[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ المُصَنِّفُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، يعني: الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**)، قال في أول كتاب التوحيد: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؛ عملًا بالسنة؛ لأن «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» يُبْدَأُ بها في أمر له أهمية؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لَا يُبْدَأُ بِبِسْمِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ**»[٢]؛ يعني: مقطوع، ناقص البركة. فعمل بالسنة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٧).
(٢) سبق تخريجه (ص٢٧).

كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يبدأ بالبسملة حينما يكتب الرسائل للملوك والرؤساء، ويقول: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى فلان»(١).

وكان يبدأ بها في أحاديثه في المجلس الشريف مع أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، يبدأ بـ«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، هذه هي السنة.

بينما كثير من الكتاب اليوم، لا أقول كلهم، لكن كثيرًا منهم لا يكتبون «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» في أوائل مصنفاتهم أو مؤلفاتهم، وهذا نقص فيها.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(ابتدأ كتابه بالبسملة، اقتداء بالكتاب العزيز)**؛ لأن الله بدأ كتابه بـ«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» في المصحف، في أول آية في المصحف: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، أول آية.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وعملًا بحديث «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فهو أَقْطَعُ»)**، أقطع، أو أبتر، أو أجذم روايات.

---

(١) كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقتصر عليها في مراسلاته؛ كما في كتابه لهرقل عظيم الروم، أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، وفيه: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ**». وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يكتب أول ما يكتب: «**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ**»، فلما نزلت ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠] كتب «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**». أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٨١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٦١)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٠٢) عن الشعبي، وأخرجه أبو داود في مراسيله (ص٩٠) عن أبي مالك. وانظر: زاد المعاد (١/ ١١٦): (**فَصْلٌ فِي كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **إِلَى الْمُلُوكِ**).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال ابن الصلاح: والحديث حسن)، حكم عليه ابن الصلاح الإمام الجليل المحدث بأنه حديث حسن، والحسن: ما دون الصحيح وفوق الضعيف(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولأبي دواد، وابن ماجه «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالحَمْدُ للهِ -أو بِالحَمْدِ- أَقْطَعُ»)، الحديث الآخر البداية بالحمد، فإذا جمع بينهما، فقد استكمل الخير - «بسم الله الرحمن الرحيم»، ثم «الحمد لله رب العالمين»-، وعمل بالحديثين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولأحمد: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُفْتَتَحُ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ أَوْ أَقْطَعُ»)؛ يعني: ناقص البركة، (فَهُوَ أَبْتَرُ)؛ يعني: ناقص البركة، أبتر أو أقطع المعنى واحد، البتر هو القطع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وللدارقطني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَقْطَعُ)، يبدأ بذكر الله؛ بالبسملة «بسم الله الرحمن الرحيم»، أو «الحمد لله رب العالمين»، إن بدأت بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، فحسن، وإن ابتدأت بـ«الحمد لله» فحسن، وإن جمعت بينهما فهو أحسن.

---

(١) قال ابن الصلاح: (الحسن قسمان:

أحدهما: ما لا يخلو إسناده من مستور لم تتحقق أهليته، وليس مغفلاً كثير الخطأ، ولا ظهر منه سبب مفسق، ويكون متن الحديث معروفًا برواية مثله أو نحوه من وجه آخر.

الثاني: أن يكون راويه مشهوراً بالصدق والأمانة، ولم يبلغ درجة الصحيح لقصوره في الحفظ والإتقان، وهو مرتفع عن حال من يعد تفرده منكرًا. مقدمة ابن الصلاح (ص٣١- ٣٢).

وقال ابن جماعة: (الحسن: كل حديث خالٍ من العلل، وفي سنده المتصل مستور، له به شاهد أو مشهور، قاصر عن درجة الإتقان). انظر: المنهل الروي (ص٣٥)، وفتح المغيث للسخاوي (١/ ٨٥)، وتدريب الراوي (١/ ١٦٦)، وقواعد التحديث (ص١٠٢).

ش: **والمصنف قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة؛ لأنها من أبلغ الثناء، والذكر وللحديث المتقدم.**

وكان النبي ﷺ يقتصر عليها في مراسلاته؛ كما في كتابه لهرقل عظيم الروم[1].

ووقع لي نسخة بخطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ فيها بالبسملة، وثنى بالحمد، والصلاة على النبي ﷺ، وآله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمصنف قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة)**؛ يعني: ولم يأت بـ«الحمد لله»، اقتصر على البسملة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأنها من أبلغ الثناء، والذكر وللحديث المتقدم)**؛ لأن البسملة كافية، و«الحمد لله» زيادة خير.

ولكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحرص تمام الحرص على الاختصار؛ لأجل إفادة الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان النبي ﷺ يقتصر عليها في مراسلاته)**، مثلما كتب لهرقل عظيم الروم، مثلما كتب لمسيلمة الكذاب، ومثلما كتب للمقوقس ملك مصر.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما في كتابه لهرقل عظيم الروم)**، قال: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ**»؛ يعني: الفلاحين، أنك تتحمل آثام الناس الذين يتبعونك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ووقع لي نسخة بخطه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بدأ فيها بالبسملة، وثنى بالحمد، والصلاة على النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وآله)**، يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجدت نسخة بخط الشيخ محمد بن عبد الوهاب جمع فيها بين الأمرين: «بسم الله الرحمن الرحيم»، و«الحمد لله رب العالمين».

ش: وعلى هذا فالابتداء بالبسملة حقيقي، وبالحمدلة نسبي إضافي؛ أي: بالنسبة إلى ما بعد الحمد يكون مبدوءًا به.

والباء في (بِسْمِ اللهِ): متعلقة بمحذوف، واختار كثير من المتأخرين كونه فعلًا خاصًّا متأخرًا.

أما كونه فعلًا؛ فلأن الأصل في العمل للأفعال.

وأما كونه خاصًّا؛ فلأن كل مبتدئ بالبسملة في أمر يضمر ما جعل البسملة مبدأ له.

وأما كونه متأخرًا؛ فلدلالته على الاختصاص، وأدخل في التعظيم، وأوفق للوجود؛ ولأن أهم ما يبدأ به ذكر الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعلى هذا فالابتداء بالبسملة حقيقي، وبالحمدلة نسبي إضافي)**، إذا جُمِع بين البسملة والحمدلة، فإنه يقال: بدأ بالبسملة، وبدأ بالحمدلة، أما البداءة بالبسملة فهي حقيقة، وأما البداءة بالحمدلة فهي إضافية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وبالحمدلة نسبي إضافي)**؛ يعني: بالنسبة، فهي بداية لما بعدها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والباء في «بِسْمِ اللهِ»)**، الباء في «بسم الله»، الباء حرف جر، والاسم «بسمِ» هذا مجرور.

ولغة العرب لابد فيها للجار والمجرور من متعلق به، فـ«بسم الله» لابد لها من متعلق؛ إما قبلها وإما بعدها، فمعنى «بسم الله» فيها تقدير: أبتدئ ببسم الله، أتبرك ببسم الله... إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واختار كثير من المتأخرين كونه فعلًا خاصًّا متأخرًا)**، يجوز أن يكون المتعلق متقدمًا أو يكون متأخرًا، فإذا تأخر فهو أبلغ؛ لأنه يفيد الاختصاص، ويفيد الحصر أيضًا، يفيد الاختصاص والحصر، مثل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، أصلها: نعبدك، ولكنه قدم المعمول «إياك» على العامل، وهو « نعبدك»؛ لأجل الحصر؛ أي: لا نعبد غيرك، ولانستعين بغيرك.

ابن مالك يقول(١):

وَأَخْبَرُوا بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفِ جَرّ ... نَاوِينَ مَعْنَى كَائِنٍ أوِ اسْتَقَرّ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واختار كثير من المتأخرين كونه فعلًا خاصًّا متأخرًا)**، يفيد الاختصاص والحصر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أما كونه فعلًا؛ فلأن الأصل في العمل للأفعال)**، أما كون العامل فعلًا فهذا هو الأصل، قد يكون مصدرًا، لكن الفعل أحسن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما كونه خاصًّا؛ فلأن كل مبتدئ بالبسملة في أمر يضمر ما جعل البسملة مبدأ له)**، فيقول: «بسم الله»؛ أي: بسم الله أبتدئ، بسم الله أتبرك، بسم الله أستعين. قدِّر ما شئت من هذه الأفعال.

---

(١) انظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك (ص ٧٩)، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١/ ٤٧٩)، وإرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك (١/ ١٧٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما كونه متأخرًا؛ فلدلالته على الاختصاص)**، مثل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، اختصاص وحصر، حصر الاستعانة بالله، وحصر العبادة لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأدخل في التعظيم، وأوفق للوجود)**؛ يعني: كونه المتعلق يتأخر أحسن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولأن أهم ما يبدأ به ذكر الله تعالى)**؛ أي: لا يتقدمه فعل؛ يقول: استعين بالله، أتبرك باسم الله، لا. دع اسم الله هو الأول، لايسبقه شيء.

....

ش: **ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لحذف العامل فوائد:**

منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله.

ومنها: أن الفعل إذا حذف، صح الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول وحركة، فكان الحذف أعم. انتهى ملخصًا(١).

وباء (بِسْمِ اللهِ) للمصاحبة، وقيل: للاستعانة، فيكون التقدير: بسم الله أؤلف حال كوني مستعينًا بذكره، متبركًا به.

وأما ظهوره في قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١]، وفي قوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا﴾ [هود:٤١]؛ فلأن المقام يقتضي ذلك؛ كما لا يخفى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله)**، بسم الله أحسن من أبتدئ بسم الله، أو أتبرك بسم الله؛ لأن تقديم الاسم -اسم الله- يفيد تعظيم الاسم الكريم، ولا يسبقه شيء، يكون هو البداية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: أن الفعل إذا حذف، صح الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول وحركة، فكان الحذف أعم)**؛ مطابقة للحديث: **«يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ»(٢).**

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وباء (بِسْمِ اللهِ) للمصاحبة)**، باء «بسم الله»، ما معنى الباء؛ لأن الحروف لها معان، فما معنى الباء؟

قيل: للمصاحبة؛ أي: أبتدئ مستصحبًا بسم الله، مستصحبًا بسم الله.

وقيل: للاستعانة، تقدير أستعين بسم الله، أو بسم الله أستعين، فالباء للاستعانة أو للمصاحبة، وكلاهما صحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما ظهوره في قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١])**؛ يعني: ظهور المتعلق في مثل قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١].

لم يقل: باسم ربك، ذكر المتعلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، هذه حالة اقتضت أن يظهر المتعلق؛ لأن هو المقصود.

فلو قال له جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، لم يحصل المقصود، لكن قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١]، قال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»؛ يعني: لا أحسن القراءة[1]، هذه أول مرة. قال: ﴿ٱقْرَأْ﴾، قال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»؛ يعني: يخبر أنه ليس قارئًا ولا كاتبًا، ثم قال له في الثالثة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا﴾ [هود:٤١])، (بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا)**، هذه قراءة، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[3].

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٣) قرأ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَعَاصِم فِي رِوَايَة أبي بكر وَابْن عَامر (مُجراها) بِضَم الْمِيم، وَقَرَأَ حَمْزَة والكسائي (مَجراها) بِفَتْح الْمِيم وَكسر الرَّاء، وَكَذَلِكَ حَفْص عَن عَاصِم (مَجراها) بِفَتْح الْمِيم وَكسر الرَّاء. انظر: السبعة في القراءات (ص ٣٣٣)، والحجة في القراءات السبع (ص ١٨٧)، والمبسوط في القراءات العشر (ص ٢٣٩)، وحجة القراءات (ص ٣٤٠).

فلماذا ذكر المتعلق، وهو ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾، أو (مُجْرَاهَا)؟ لأنه لا يظهر المعنى إلا بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلأن المقام يقتضي ذلك كما لا يخفى)**، ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١]، لماذا ذكر المتعلق؟ لأن المقام يقتضي هذا.

١

ش: و(الاسم) مشتق من السمو، وهو العلو[(١)]، وقيل: من الوسم، وهو العلامة؛ لأن كل ما سمى، فقد نوه باسمه ووسم[(٢)].

قوله: (الله)، قال الكسائي[(٣)] والفراء[(٤)]: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لامًا واحدة مشددة مفخمة.

---

(١) انظر مادة (سمو) في: العين (٧/ ٣١٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٩٨)، ومادة (سما) في: تهذيب اللغة (١٣/ ٧٨)، ولسان العرب (١٤/ ٣٩٧).

(٢) انظر مادة (وسم) في: العين (٧/ ٣٢١)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٧٧)، ومقاييس اللغة (٦/ ١١٠)، ولسان العرب (١٢/ ٦٣٥).

(٣) هو: عليّ بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، مولى بني أسد، أبو الحَسَن الأسَديّ الكوفيُّ الكِسائيّ، إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالريّ، عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. له تصانيف، منها «معاني القرآن»، و«المصادر»، و«الحروف»، و«القراءات». انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٤/ ٩٢٧)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٣)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/ ٣٦٢).

(٤) هو: أبو زكريّا يحيى بْن زياد بْن عَبْد الله بْن منظور الأَسَديّ، مولاهم، الكُوفيُّ النحْوي، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يومًا في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيهًا متكلمًا، عالمًا بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. من كتبه «المقصور والممدود» و «المعاني»، ويسمى «معاني القرآن»، أملاه في مجالس عامة كان في جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضيًا، وكان يتفلسف في تصانيفه. واشتهر بالفرّاء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لأنه كان يفري الكلام. ولما مات وجد «كتاب سيبويه» تحت رأسه، فقيل: إنه كان يتتبع خطأه ويتعمد مخالفته. =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(و(الاسم) مشتق من السمو، وهو العلو)**، الاسم: بمعنى الوسم، وهو العلامة؛ لأن الإنسان يعرف باسمه؛ كما يعرف بالوسم الدابة. أو من السمو -قولان-، أو من السمو وهو الارتفاع، إما مأخوذ من الوسم، وإما من السمو، وهو الارتفاع، هذا الاسم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقيل: من الوسم وهو العلامة؛ لأن كل ما سمى فقد نوه باسمه ووسم)**، وُسِم بالاسم، صار علامة عليه، الوسم: علامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: الله)**، الله، ما معنى: الله، وما تصريف هذه الكلمة؟

الله: بمعنى الإله؛ يعني: المعبود، أصله الإله، لكن حذفت الهمزة، فالتقت اللام مع اللام، وأدغمت إحداهما في الأخرى، فصار (الله)، وإلا هو أصله: الإله[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الكسائي والفراء)**، الكسائي من أئمة اللغة، والفراء كذلك من أئمة اللغة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لامًا واحدة مشددة مفخمة)**؛ لأنهما متماثلان، فهذا من إدغام المتماثلين؛ لأن

= انظر في ترجمته: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٤/ ٧)، وتاريخ الإسلام (٥/ ١٤١)، والأعلام للزركلي (٨/ ١٤٥).

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٦٧)، ومختار الصحاح (ص٩)، والمصباح المنير (ص١٩).

اللامين أدغمت إحداهما في الأخرى، فصارت حرفًا واحدًا مشددًا، (الله) أي: الإله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لامًا واحدة مشددة مفخمة)**، درسنا اليوم صرف، من علم الصرف.

....

ش: **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الصحيح أنه مشتق، وأن أصله الإله، كما هو قول سيبويه، وجمهور أصحابه إلا من شذ، وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى**[١].

والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك؛ فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلًا وفرعًا ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الصحيح أنه مشتق**)؛ يعني: هل لفظ (الله) مشتق أو جامد؟ الصحيح أنه مشتق؛ لأن الاشتقاق أبلغ من الاسم الجامد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما هو قول سيبويه**)، سيبويه هو إمام النحاة، وله كتاب في النحو المسمى «الكتاب».

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٩).
(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٢-٢٣).

بعضهم يختصر، ويقول: ذكر في الكتاب، جاء في الكتاب؛ يعني: كتاب سيبويه، فإذا أُطلق الكتاب عند أهل اللغة وأهل النحو، فالمراد به كتاب سيبويه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى)**، (الله): جامع للأسماء الحسنى والصفات العلى، فكلها ترجع إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى)**؛ لأن كل اسم من أسماء الله يتضمن صفة من صفاته، ولذلك صارت حسنى؛ «الرحمن» و«الرحيم» يتضمنان الرحمة، و«العليم» يتضمن العلم، و«السميع» يتضمن السمع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك)**؛ لأن «العليم» يدل على العلم، «قدير» يدل على القدرة، كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على صفة من صفاته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب)**؛ يعني: من مصادرها: السمع والبصر والعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهي قديمة)**، قديمة يعني: أزلية بأزلية الله، ليست هذه الأسماء محدثة، وإنما هي أزلية وأبدية.

الأول بأسمائه وصفاته، وليس قبله شيء، والآخر بأسمائه وصفاته، وليس بعده شيء، فهي ملازمة للذات، فكما أن الذات أزلية قديمة، فكذلك الأسماء والصفات ليست محدثة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله)**، كل هذا كلام ابن القيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلًا وفرعًا، ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة)**، هذا بحث من بحوث الصرف.

ش: قال أبو جعفر بن جرير: (الله) أصله: الإله، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة. انتهى.

وقال: وأما تأويل (الله)، فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «هُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَعْبُدُهُ كُلُّ خَلْقٍ».

وساق بسنده عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «اللهُ ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ».

فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلًا في فعل ويفعل؟ قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم. وذكر بيت رؤبة بن العجاج[1].

لِلَّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّهِ ... سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

يعنى: من تعبدي، وطلبي الله بعملي، ولا شك أن التأله التفعل، من أَلِهَ يَأْلَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال أبو جعفر بن جرير)، أبو جعفر بن جرير إمام المفسرين في كتابه التفسير العظيم الذي هو مصدر التفاسير كلها تقريبًا[2].

---

(١) هو رؤبة بن العجاج، انظر: تفسير الطبري (١/ ٥٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٠).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، الإمام العلم المجتهد، أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان ثقة، صادقًا، حافظًا، رأسًا في التفسير، إمامًا في الفقه والإجماع =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو جعفر بن جرير: «الله» أصله: الإله، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم)**، هذا الكلام السابق: أن «الله» أصله الإله، وأسقطت الهمزة وأدغمت اللام في اللام فصارت مشددة «الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم)**، فاء الاسم يعني: في الصرف، فعل فاعل هذه صيغة صرفية، فأول الاسم في الصرف يسمى (فاء)، ثانيه يسمى (عين)، ثالثه يسمى (لام)، فعل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة. انتهى)**، هذا كلام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال)** يعني: ابن جرير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما تأويل الله)**، يعني: تفسير، ابن جرير لا يقول: تفسير الآية أو القرآن، يقول: تأويل؛ لأن التأويل عند المتقدمين هو التفسير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «هُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَعْبُدُهُ كُلُّ خَلْقٍ»)**، يألهه كل شيء: يعني: يحبه كل شيء، يعبده كل شيء؛ لأن الإِلَاهَةَ: معناها العبادة، فالله هو المألوه يعني: المعبود.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هو الذي يألهه كل شيء)**، يعني: يعبده كل شيء، ويحبه كل شيء.

= والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفًا بالقراءات، وباللغة... وغير ذلك، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، وطبقات الشافعية (٢/ ١٠٠)، وطبقات السبكي (٣/ ١٢٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويعبده كل خلق)**، سواء عبادة اختيارية أو عبادة اضطرارية؛ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣].

حتى الكفار والمشركون عبيد، بمعنى العبودية العامة؛ لأنهم خاضعون لله، منقادون لأوامره الكونية، وتدبيراته الربانية، لا أحد يخرج عن تدبير الله عَزَّوَجَلَّ؛ لا الكافر ولا المسلم.

وأما العبودية الخاصة -التي هي فعل الأوامر وترك النواهي-، فهذه خاصة بالمؤمنين، هذه عبودية خاصة، والعبودية الخاصة هذه اختيارية، ليست إجبارية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وساق بسنده عن الضحاك)**، ساق: يعني ابن جرير، لايزال الكلام لابن جرير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن عبد الله بن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال: «اللهُ ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ»)**، وهذه هي العبارة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ثلاثة الأصول(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلًا في فعل ويفعل؟ قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم)**، سبق أن الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أن الإله معناه: المعبود، والألوهية معناها: العبودية، مأخوذة من الوله، وهو الحب؛ لأن العبادة: هي غاية الذل

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول لشيخنا صالح الفوزان -حفظه الله- (ص٨٣-٨٦).

وغاية الحب لله عَزَّوَجَلَّ، فمن أحب شيئًا ولم يذل له، فليس عابدًا له، ومن ذل لشيء ولم يحبه، فليس عابدًا له، إنما من جمع بين الذل والمحبة هذه هي العبادة.

قال: فإن اعترض معترض، وقال: ما الدليل على أن الإله معناه المعبود؟

ذكر بيت رؤبة بن العجاج، ورؤبة هذا من أئمة اللغة، وهو له أراجيز كثيرة، له ديوان في الرَّجَز، ومنه هذا البيت:

(**للهِ دَرُّ الغانِياتِ**): الغانيات يعني: البنات، هذا غزل.

(**للهِ دَرُّ الغانِياتِ المُدَّهِ**)، أي: المادحات.

(**سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي**)، أي: تعبدي، فدل هذا على أن الإله معناه المعبود المحبوب.

(**مِنْ تَأَلُّهِي**)، أي: من عبادتي.

وهذا إمام من أئمة اللغة يحتج بقوله، وهو في هذا البيت يقول: إن التأله هو العبادة، (مِنْ تَأَلُّهِي)، أي: من تعبدي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي**)، يعني: أعجبن من تعبدي، الشاهد في قوله: (مِنْ تَأَلُّهِي)، بمعنى: تعبدي وكثرة عبادتي.

....

ش: وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بفعل يفعل بغير زيادة، وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع -وساق السند إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قرأ: (وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ) [الأعراف:١٢٧] قال: عبادتك، ويقول: إنه كان يعبد ولا يعبد[(١)].

وساق بسند آخر عن ابن عباس: (وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ)، قال: إنما كان فرعون يعبد ولا يعبد، وذكر مثله عن مجاهد.

ثم قال: فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أن أله عبد، وأن الإلاهة مصدره، وساق حديثًا عن أبي سعيد مرفوعًا: «إِنَّ عِيسَى أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَى الْكُتَّابِ لِيُعَلِّمَهُ، فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّمُ: اكْتُبِ اللهَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ اللهُ إِلَهُ الْآلِهَةِ»[(٢)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وساق السند إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قرأ: (وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ) [الأعراف:١٢٧])، (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ)، هذه قراءة، والقراءة المشهورة والمثبتة

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٨)، وسنن سعيد ابن منصور (٥/ ١٥١)، وتفسير البغوي (٢/ ٢٢١)، قال البغوي: «وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ بكسر الألف، أي: عبادتك، فلا يعبدك؛ لأن فرعون كان يُعبد ولا يَعْبُد» اهـ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٣).

في المصحف: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾؛ لأنه كان يدعي الربوبية، وأنه هو الإله؛ ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾، بدل: (**وَإِلَاهَتَكَ**)، المعنى واحد، فهذا شاهد في أن التأله: معناه التعبد

انظروا! كيف وصف هؤلاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمسلمين بأنهم يفسدون في الأرض، يا سبحان الله! وهذا هو الواقع الآن من العلمانيين والليبراليين، يسمون التعبد والعبادة والمتعبدين بأنهم يفسدون في الأرض، وأن الإصلاح هو الحرية وعدم تقييد الناس بدين من الأديان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وساق بسند آخر عن ابن عباس: (وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ)، قال: إنما كان فرعون يعبد ولا يعبد**)، فرعون لا يَعبد، وإنما هو يُعبد.

فقوله: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾، أو (**وَإِلَاهَتَكَ**)، أي: عبودية الناس لك، وإلا هو -الخبيث- لا يَعبد؛ يزعم أنه رب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أن أَلَهَ: عَبَدَ**)، أن أله بمعنى: عبد، والإله: بمعنى المعبود، والألوهية: هي العبادة أو العبودية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**إِنَّ عِيسَى أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَى الْكُتَّابِ لِيُعَلِّمَهُ**)، إلى الْكُتَّابِ، يعني: المدرسة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عن أبي سعيد مرفوعًا: «إِنَّ عِيسَى أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَى الْكُتَّابِ لِيُعَلِّمَهُ، فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّمُ: اكْتُبِ اللهَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ اللهُ إِلَهُ الْآلِهَةِ**)، عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو طفل صغير دفعته أمه مريم إلى الكُتّاب، وهو الذي يتعلم فيه الصبيان، (**فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّمُ: اكْتُبِ اللهَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ اللهُ إِلَهُ الْآلِهَةِ**) الله هو المعبود، وهو الإله المطلق.

....

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية، وساقها، ثم قال: وأما خصائصه المعنوية، فقد قال أعلم الخلق به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عليكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ»[1].

وكيف تحصى خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء، وكل مجد، وكل جلال، وكل كمال، وكل عز، وكل جمال، وكل خير وإحسان وجود وفضل وبر، فله ومنه؟

فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيًّا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما خصائصه المعنوية، فقد قال أعلم الخلق به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عليكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ»)، قال محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أعلم الخلق بربه- في دعائه: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عليكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كثرة عبادته، ومعرفته بالله اعترف بالعجز عن أن يقوم بالثناء الكامل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١٨]، فلا أحد يبلغ الكمال في عبادته لله، ولا في الثناء على الله، حتى أفضل الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعترف، فقال: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عليكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فله ومنه**)، له أي: لله، ومنه: راجع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فلا أحد من الخلق يقوم بحق الله على التمام والكمال؛ لأن حق الله عظيم، ولكنه سبحانه يعفو عن تقصير عباده، وينعم على عباده من عنده ومن إحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لا أنهم قاموا بشكره وبعبادته على الكمال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله**)، فهذا الاسم (اسم الله) هذا مبارك؛ ما ذُكِر في قليل إلا كثره، وأنزل فيه البركة، ولا ذُكِرَ في خوف إلا أمنه، فلذلك إذا قلت: (بسم الله)، فإنك تأمن من ضرر الجن والشياطين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ولا عند كرب إلا كشفه**)، ولا عند كرب إلا كشفه؛ فإذا ذكرت هذا الاسم عند الكرب والشدة، فإن الله يفرجها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة**)، ولا تعلق به ضعيف إلا قواه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا تعلق باسم الله، فالله يقويه ويجبر ضعفه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ولا شريد إلا آواه**)، ولا شريد: مطارد إلا آواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحماه.

ش: فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات.

وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسماوات، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط، ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عبد رب العالمين وحمد.

وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر، ويوم البعث والنشور، وبه الخصام، وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد من عرفه، وقام بحقه، وبه شقي من جهله، وترك حقه.

فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله، فما وجد خلق ولا أمر، ولا ثواب ولا عقاب، إلا مبتدئًا منه، ومنتهيًا إليه، وذلك موجبه ومقتضاه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]... إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء)، هذا اسم عظيم، يعني: هذا الاسم (الله) اسم عظيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة)**، الحاقة والواقعة من أسماء يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعنه السؤال في القبر)**، وعنه السؤال في القبر: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا)**، الخلق يعني، ثبت وقام يعني: الخلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلى آخر كلامه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، من كلام ابن القيم.

ش: قوله: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). قال ابن جرير: حَدَّثَنِي السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ زُفَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعَرْزَمِيَّ، يَقُولُ: «﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ: الرَّحْمَنِ بِجَمِيعِ الخَلْقِ. الرَّحِيمِ قَالَ: بِالْمُؤْمِنِينَ». وساق بسنده عن أبي سعيد -يعني: الخدري- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ: الرَّحْمَنُ: رَحْمَنُ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وَالرَّحِيمُ: رَحِيمُ الْآخِرَةِ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾)، انتهينا من اسم الجلالة.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: ما معناهما، وما مقتضاهما؟

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (سَمِعْتُ الْعَرْزَمِيَّ، يَقُولُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ: الرَّحْمَنِ بِجَمِيعِ الخَلْقِ. الرَّحِيمِ قَالَ: بِالْمُؤْمِنِينَ)، الرحمن: رحمة عامة بجميع الخلق، فهو الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لجميع الخلق، كل الخلق تحت رحمته، وبه يرزقون، وبه يعيشون، وبه يتصرفون: المؤمنون والكفار، والدواب، الحيوانات كلها في رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأما الرحيم، فهو خاص بالمؤمنين، رحمة خاصة بالمؤمنين؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٦، ١٢٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ١١٩، ١٢٤).

فـ«رحيم»: فعيل بمعنى فاعل، رحيم بمعنى راحم صيغة مبالغة، يعني: كثير الرحمة بالمؤمنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ: الرَّحْمَنُ: رَحْمَنُ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وَالرَّحِيمُ: رَحِيمُ الْآخِرَةِ»)**، وهذا تفسير آخر: أن الرحمن: من رحمته في الدنيا والآخرة، وأما الرحيم: فهو من رحمته في الآخرة.

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واسمه (الله) تعالى دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا، يألهه الخلائق محبة، وتعظيمًا، وخضوعًا، ومفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنتين لكمال الملك والحمد، وإلهيته، وربوبيته، ورحمانيته، وملكه، مستلزم لجميع صفات كماله؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أقواله وأفعاله.

فصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله)، وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة أخص باسم (الرب)، وصفات الإحسان، والجود، والبر، والحنان، والرأفة، واللطف أخص باسم (الرحمن)[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أقواله وأفعاله)، لا يمكن أن هذا الكون بما فيه من مخلوقات واختلافها وتنوعها، لا يمكن أن يصدر عن غير رب قادر حكيم عليم سميع بصير، موصوف بكل صفات الكمال، لا يمكن هذا، فهي تدل على ذلك، هذه الكائنات وهذه المخلوقات تدل على كمال من خلقها وأوجدها ورتبها.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا متكلم)**، ولا متكلم: يأمر وينهى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكل الكلام الذي يصدر منه سبحانه فإنه أمرٌ ونهيٌ، وتدبير لا حصر له، لا إحصاء لكلامه سبحانه.

ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾، يعني: حبرًا يكتب به كلام الله؛ ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، مثل: البحر بحر آخر.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧]، فكلام الله لا يحصيه إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وصفات الإحسان، والجود، والبر، والحنان، والرأفة، واللطف أخص باسم «الرحمن»)**، هذا كلام مفيد، فهذه الأشياء منها ما يرجع إلى اسم الرب، ومنها ما يرجع إلى اسم الله، ومنها ما يرجع إلى اسم الرحمن.

ش: وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: (الرحمن) دال على الصفة القائمة به سبحانه، و(الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم.

وإذا أردت فهم هذا، فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧]، ولم يجئ قط رحمان بهم.

وقال: إن أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فـ«الرحمن» اسمه تعالى ووصفه، فمن حيث هو صفة جرى تابعًا لاسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. انتهى ملخصًا(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («الرحمن» دال على الصفة القائمة به سبحانه)، كل أسماء الله حسنى؛ لأن كل اسم يتضمن صفة، الرحمن الرحيم يتضمنان صفة الرحمة، السميع يتضمن صفة السمع، العليم يتضمن صفة العلم، الخلّاق يتضمن صفة الخلق، وهكذا.

ليست هي أسماء مجردة، بل أسماء تدل على صفات الكمال لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، كل اسم من أسمائه يدل على صفه من صفاته جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٣-٢٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾** [التوبة:١١٧])، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولم يجئ قط رحمان بهم**)، بل ﴿بِهِمۡ رَءُوفٞ﴾: هذا أخص بالخلق ﴿رَّحِيمٞ﴾، رحيم بهم، أما (رحمن)، فهذا يرجع إلى ربوبيته وتدبيراته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إن أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت**)، أسماء ونعوت، ليست هي أسماء مجردة، بل أسماء تتضمن نعوتًا، يعني: صفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فـ«الرحمن» اسمه تعالى ووصفه، فمن حيث هو صفة جرى تابعًا لاسم الله**)، «الرحمن» هذا تابع لاسم الله، بسم الله الرحمن، والتوابع معروفة في النحو حكمها حكم المتبوع في الإعراب، ولهذا يقولون: نعت المجرور مجرور، نعت المرفوع مرفوع، نعت المنصوب منصوب، التوابع الأربعة المعروفة عند النحويين، فالرحمن الرحيم تابعان لاسم الله عَزَّوَجَلَّ إعرابًا ومعنىً.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بل ورود الاسم العلم؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾** [طه:٥])، «الرحمن» اسم من أسماء الله، لكن تارة يرد مفردًا؛ مثل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، هذا لم يسبق قبله شيء يتبعه، فهو مفرد.

وأحيانًا يأتي «الرحمن» تابعًا لاسم الله؛ مثل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١-٣]، هذا تابع لاسم الله جَلَّ وَعَلَا.

الحَمْدُ لِلهِ.

ش: ومعناه: الثناء بالكلام على الجميل على وجه التعظيم، فمورده: اللسان والقلب، والشكر يكون باللسان والجنان والأركان، فهو أعم من الحمد متعلقًا، وأخص سببًا؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة.

والحمد أعم سببًا، وأخص موردًا؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها، فبينهما عموم وخصوص وجهي، يجتمعان في مادة، وينفرد كل واحد عن الآخر في مادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحَمْدُ للهِ**)، لما فرغ من شرح «بسم الله الرحمن الرحيم»، انتقل إلى قول المصنف الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بداية كتاب التوحيد: (الحَمْدُ للهِ)، بدأه بالحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمورده: اللسان والقلب، والشكر يكون باللسان والجنان والأركان، فهو أعم من الحمد**)، الحمد: هو الثناء على الله جَلَّ وَعَلَا في أفعاله التي لا تعد ولا تحصى، وعلى نعمه العظيمة، والحمد يكون باللسان وبالقلب أيضًا[1].

(١) انظر: مادة (حمد) في: العين (٣/ ١٨٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٥١)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٠٠)، ولسان العرب (٣/ ١٥٥). وانظر الكلام على الحمد في: تفسير الطبري (١/ ١٣٥)، وزاد المسير (١/ ١٨)، والمفردات للراغب (ص٢٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٧)، وبدائع الفوائد (٢/ ٩٢-٩٦).

وأما الشكر، فيكون بالثلاثة؛ باللسان وبالقلب وبالفعل، ومن هنا كان الشكر أعم من الحمد؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، فسمى العمل شكرًا، أما الحمد فلا يطلق على العمل؛ لا تقول: عملت حمدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والشكر يكون باللسان والجنان والأركان، فهو أعم من الحمد)**، يعني: الحمد يكون أخص من الشكر؛ لأن الحمد يكون باللسان وبالقلب فقط، وأما الشكر فيكون باللسان وبالقلب وبالفعل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والشكر يكون باللسان والجنان والأركان)**، الجنان يعني: القلب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحمد أعم سببًا، وأخص موردًا؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة، وغيرها)**، يعني: بينهما عموم وخصوص مطلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فبينهما عموم وخصوص وجهي، يجتمعان في مادة، وينفرد كل واحد عن الآخر في مادة)**، ليس بمطلق، عموم وخصوص وجهي؛ يعني: من وجه، وينفرد كل واحد عن الآخر بشيء خاص به، هذا العموم والخصوص الوجهي.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

ش: **ش: أصح ما قيل في معنى صلاة الله على عبده: ما ذكره البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي العَالِيَةِ، قال: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ»[١].**

وقرره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونصره في كتابيه: (جلاء الأفهام)، و(بدائع الفوائد)[٢].

قلت: وقد يراد بها الدعاء؛ كما في المسند عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «المَلَائِكَةُ تُصَلي على أَحَدِكُمْ مَا دَامَ في مُصَلاَّهُ الَّذِى صَلى فِيهِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»[٣].

قوله: (وَعلى آلِهِ)، أي: أتباعه على دينه، نص عليه الإمام أحمد هنا، وعليه أكثر الأصحاب، وعلى هذا فيشمل الصحابة وغيرهم من المؤمنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)، لما فرغ من تفسير الحمد لله الذي بدأ به المصنف، انتقل إلى شرح قول المصنف: (وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ).

(١) ذكره البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا بصيغة الجزم عن أبي العَالِيَةِ قال: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ المَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ». انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٢٠).

(٢) انظر: كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام): (ص ١٦٠- ١٦٣)، و(بدائع الفوائد): (١/ ٢٦ - ٢٧) لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٠٧)، وأخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩).

إذا قلت: اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم، كلاهما دعاء، لكن إذا قلت: صَلَّى اللهُ: هذا خبر، صلى الله عليه وسلم، فعل ماض.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ما ذكره البخاري** رَحِمَهُ اللَّهُ **عن أبي العَالِيَةِ قال: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ**)، الصلاة تكون من الله، وتكون من الملائكة، وتكون من الآدميين، فما معناها لكل عبارة؟

الصلاة من الله: ثناؤه على عبده عند الملائكة في الملأ الأعلى(١).

الصلاة من الملائكة: الاستغفار؛ تصلي عليه الملائكة، يعني: تستغفر له(٢).

والصلاة من الآدميين: الدعاء، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣]، أي: أدع لهم(٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قلت: وقد يراد بها الدعاء**)، هذا المعنى الثالث، (قلت): المصنف ألحق بها المعنى الثالث، ابن القيم ذكر اثنين فقط.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «المَلَائِكَةُ تُصَلي على أَحَدِكُمْ مَا دَامَ في مُصَلَّاهُ الَّذِى صَلى فِيهِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»**)، قوله: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ**»، هذا دليل على أن الصلاة من الملائكة: الاستغفار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: وَعلى آلِهِ**)، آلِهِ: المراد بهم هنا: أتباعه على دينه من القرابة ومن غيرهم، كل أتباعه على دينه فهم أهله؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَدْخِلُوٓا۟

---

(١) انظر: (ص٩٨).

(٢) انظر: (ص٩٨).

(٣) انظر في معنى الصلاة: تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٧٢)، ومختار الصحاح (١/ ١٥٤).

ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦]، أي: أتباعه، أتباع فرعون، وهم أقاربه خاصة، بل أتباعه، فالآل يطلق ويراد به الأتباع، وهو المراد هنا.

(وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ)، أي: على أتباعه على دينه من قرابته وغيرهم، ويطلق الآل على القرابة؛ قرابة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(نص عليه الإمام أحمد هنا)**، نص على هذا المعنى الإمام أحمد أن المراد بالآل: الأتباع، ليس خاصًا بالقرابة، بل هو عام للأتباع، وعليه عامة أصحاب الإمام أحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعلى هذا فيشمل الصحابة، وغيرهم من المؤمنين)**، كل أتباع الرسول إلى يوم القيامة فهم آله.

فآل محمد في الصلاة: أتباعه على دينه، وآل محمد في الزكاة: قرابته الذين لا تحل لهم الزكاة، فيتنبه لهذا.

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

ش: ش: (كِتَابُ): مصدر كتب يكتب كتابًا، وكتابة وكتبًا، ومدار المادة على الجمع، ومنه: تكتَّب بنو فلان إذا اجتمعوا، والكتيبة: لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم: لاجتماع الكلمات والحروف، وسمي الكتاب كتابًا: لجمعه ما وضع له(١).

والتوحيد نوعان: توحيد في المعرفة، والإثبات، وهو توحيد الربوبية، والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كِتَابُ التَّوْحِيدِ**)، كتاب التوحيد: هذا خبر مبتدأ محذوف تقدير: هذا كتاب التوحيد.

والكتاب: مأخوذ من التكتب وهو الاجتماع، ومنه الكتيبة في الجند لاجتماعها.

سُمِي الكتاب كتابًا بهذا المعنى؛ لأنه يجمع بين الحروف، تجتمع الحروف فتكون كتابًا.

وأما الكتاب في اصطلاح المؤلفين، فالكتاب: ما يشمل أبوابًا، والباب: ما يشمل فصولًا، والفصول: ما تشمل مسائل، هذا اصطلاح المؤلفين.

---

(١) انظر: الصحاح (١/ ٢٠٨)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٥٨)، والمطلع على ألفاظ المقنع (١/ ١٤)، ولسان العرب (١/ ٦٩٨) (كتب).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومدار المادة على الجمع)**، معناه: الجمع، ومنه الكتيبة، ومنه يسمى الخَرَّاز: كاتبًا؛ لأنه يجمع بين الرقاع، فيخرز بعضها مع بعض، ولهذا يقول الحريري في المقامات[1]:

وَكَاتِبِينَ وما خَطَّتْ أَنامِلُهُمْ   حَرْفًا ولم يَقْرَءُوا شيئًا من الكُتُبِ

هذا لغز؛ كاتبين وهم لا يكتبون حروف، ولم يقرؤوا شيئًا من الكتب، عوام، كيف يسمون كاتبين؟ لأنهم يخرزون الجلود مع بعض ويجمعونها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتوحيد نوعان)**، انتهينا من تفسير كتاب، ما معنى التوحيد؟

التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، التوحيد هو الإفراد، الواحد هو الفرد، والتوحيد هو الإفراد، إفراد أي شيء؟ إفراد الله بالعبادة، هذا هو التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتوحيد نوعان)**، التوحيد له نوعان على سبيل الإجمال:

النوع الأول: توحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه من الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، والأسماء والصفات، هذا يسمى توحيد الربوبية.

والنوع الثاني: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بأفعال العباد، لا بأفعاله هو، بل بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه، هذا توحيد الألوهية أو العبودية.

---

(١) انظر: مقامات الحريري (ص ٤٧٢)، وشرح مقامات الحريري (٣/ ٣٣١)، و اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر (ص ١٩٥).

هذا من حيث الأصل أن التوحيد على سبيل الإجمال ينقسم إلى قسمين: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، ويدخل توحيد الأسماء والصفات في الربوبية، لكن لما وُجِد في طوائف أهل الضلال من ينكر الأسماء والصفات، أو يؤولها، أو يفوضها، احتاجوا إلى أن يفصلوا توحيد الأسماء والصفات، ويجعلوه قسمًا ثالثًا للرد على هؤلاء، فصار التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، هذا من جهة التفصيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة)**، الطلب والقصد، والتقرب إليه سبحانه بالعبادة، وهذا توحيد الألوهية، وهو توحيد الله بأفعال العباد، توحيد الربوبية توحيد الله بأفعاله هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والنوع الأول أقر به المشركون -توحيد الربوبية-، والنوع الثاني جحده أكثر الخلق، ولم يقر به إلا أهل الإيمان.

والنوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات أنكره الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية[1]، وأنواع أهل التأويل.

---

(١) هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرى سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بسمرقند، ومن المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيمان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن هل الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته، وغير ذلك من مسائل الصفات. انظر: فتح الباري (١٣/ ٤٥٥)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/ ٣٦٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١ - ٤٣٤)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٦٢)، وانظر: رسالة الماتريدية للشيخ شمس الدين الأفغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

....

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، فهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول هو: إثبات حقيقة ذات الرب -تعالى-، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح؛ كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر الحشر، وأول تنزيل السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول سورة يونس، ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما: خبر عن الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما: دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما: أمر ونهي، وإلزام بطاعته، وأمره ونهيه،

فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما: خبر عن إكرام أهل التوحيد، وما فُعِل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما: خبر عن أهل الشرك، وما فُعِل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك، وأهله، وجزائهم. انتهى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(توحيد في المعرفة والإثبات)**، وهذا توحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتوحيد في الطلب والقصد)**، وهذا توحيد الألوهية؛ الطلب من الله، والدعاء، والقصد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالأول هو: إثبات حقيقة ذات الرب -تعالى-، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده)**، يعني: إفراده بأفعاله هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح؛ كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر الحشر، وأول تنزيل السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك)**، يعني: توحيد الربوبية ذكره الله في القرآن في مواضع.

لكنه لم يذكره؛ لأنه يكفي، بل ذكره؛ لأنه يلزم من أقر به بأن يقر بتوحيد الألوهية، هو ذكره على سبيل الإلزام للمشركين الذين يعترفون بتوحيد الربوبية، وينكرون توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**النوع الثاني: ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾** [الكافرون:١])، عندنا سورتان من آخر المفصل:

سورة الكافرون هذه في توحيد الألوهية، توحيد العبادة.

وعندنا سورة الإخلاص؛ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، وهذه في توحيد الربوبية، والأسماء والصفات.

ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ بهما في ركعتي الفجر؛ يعني: في راتبة الفجر؛ يقرأ في الأولى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١]؛ لأنها في توحيد الألوهية، ويقرأ في الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]؛ لأنها في توحيد الربوبية(١).

وتارة يقرأ بقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة:١٣٦]، إلى آخر الآية، هذه في توحيد الربوبية.

وفي الثانية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤](٢)، هذه في توحيد الألوهية، فتأملوا هذا.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨) (٧٢٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ».

وأخرجه النسائي في المجتبى (٩٩٢)، وفي الكبرى (٢/ ١٧)، وابن ماجه (١١٤٩)، وأحمد (٩/ ٥٠١): عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «رَمَقْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرِينَ مَرَّةً، يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾».

(٢) أخرجه مسلم (١٠٠) (٧٢٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:١٣٦]، وَالَّتِي فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤])، هذه في توحيد الألوهية، الآية والسورة كلاهما في توحيد الألوهية، العبادة؛ ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٢، ٣]، توحيد العبادة.

والآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤]، توحيد العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤])، إن أبى أهل الكتاب أن يجيبوكم، فأنتم تبرءوا منكم، وأعلنوا إسلامكم.

﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، يعني: وأما أنتم، فلستم مسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأول سورة تنزيل الكتاب)، ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة:١، ٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وآخرها)، آخر سورة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ سورة السجدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأول سورة يونس، ووسطها وآخرها)، توحيد الربوبية، سورة يونس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به، داعية إليه)، الإمام ابن القيم يقول: القرآن كله في

التوحيد، كل القرآن في التوحيد؛ لأنه إما إخبار عن الله جَلَّوَعَلَا وعن أفعاله، وهذا توحيد الربوبية، وإما أمرٌ بعبادة الله وحده لاشريك له، وهذا توحيد الألوهية، وإما ذكر لأسماء الله وصفاته، وهذا توحيد الأسماء والصفات، القرآن كله توحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به، داعية إليه)**، لكن لمن يتأمل، أما الإنسان الذي لايتأمل، أو المعاند، فيمر على القرآن، ولا يميز بين هذا وهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن القرآن إما: خبر عن الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، فهو التوحيد العلمي الخبري)**، توحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإما: دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي)**، توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك، وأهله، وجزائهم. انتهى)**، هذا كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء، والصفات، قال الله تعالى:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، **وقال تعالى:** ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، **وقال تعالى:** ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، **وقال تعالى:** ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله)**، قال شيخ الإسلام -يعني: ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: إن التوحيد الذي جاءت به الرسل ليس هو توحيد الربوبية؛ لأن هذا موجود، ومقرون به، وإنما الذي جاءت به الرسل هو توحيد الألوهية.

كل رسول يقول لقومه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، ولا يقول: أقروا بأن الله هو الرب؛ لأن هذا يقرون به؛ لكنه لا يكفي، لا يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية.

فهذا هو الفرق المراد بالتوحيد عند علماء الكلام وعند علماء الشريعة، المراد به شرعًا هو توحيد الألوهية.

وأما توحيد الربوبية، فإنما يذكره الله في القرآن احتجاجًا عليهم، إذا أقروا بتوحيد الربوبية، يلزمهم أن يعبدوا الله، إذا أقروا أنه ربهم، خالقهم، رازقهم، يلزمهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

في ثاني سورة في القرآن، وهي سورة البقرة، أول نداء فيها، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، لم يقل: يا أيها الناس، أقروا أن الله هو الرب الخالق الرزاق.

﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، ثم ألزمهم، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾، أنتم تعترفون أنه هو الذي خلقكم، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾: تستقرون عليها. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾؛ يعني: سقفًا؛ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢].

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، وهو المطر، المراد بالسماء في إنزال المطر هو السحاب المسخر بين السماء والأرض.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾، يعترفون بهذا، فهو يلزمهم بما أقروا به، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، أي: شركاء في عبادته، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢] أنه لا شريك له، فكما أنه لا شريك في ربوبيته، فكذلك لا شريك له في عبادته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده)**، هذا رد على علماء الكلام الذين يقولون بأن المراد بالتوحيد: إثبات الربوبية، وهذا في عقائدهم الموجودة الآن التي تدرس في مدارس العالم الإسلامي، أكثرها هو عقيدة علماء الكلام والجدل، ليس في هذه العقائد التي يدرسونها إلا إثبات توحيد الربوبية، وهذا تحصيل حاصل، والإقرار به وإثباته لا يكفي، ولا يدخل في الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا يعبد إلا إياه)**، هذا معنى لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا هو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يتوكل إلا عليه)**، يعني: جميع أنواع العبادة، ومنها التوكل، فلا يتوكل إلا عليه، ولا يتوكل على الأصنام والأحجار والأشجار والقبور، وإنما يتوكل على الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه)**، الولاء والبراء، ليس فقط أنه يعبد الله، ويصير أن الناس عنده سواء؛ المشرك والموحد، والمؤمن والكافر، ويقول: الناس كلهم إخوانه في الإنسانية.

لا، لابد أن يميز بين المؤمن والكافر، والمشرك والموحد، فيوالي أهل التوحيد وأهل الإيمان، ويعادي أهل الشرك وأهل الكفران، لابد من هذا، الولاء والبراء باب عظيم من أبواب العقيدة، لابد أن يفرق بين هذا وهذا، لايقل: الناس سواء، وكلهم بنو آدم، وكلهم إنسان وما أشبه ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يعمل إلا لأجله)**، ولا يعمل عملًا إلا لأجله مخلصًا له الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء، والصفات)**، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، يتضمن يعني: يدخل فيه توحيد الربوبية، ومن توحيد الربوبية: الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ، فهي من توحيد الربوبية.

والعلاقة بين نوعي التوحيد أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، هذه العلاقة بينهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣])**، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾: الذي تجب عبادته، والتأله له، ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، يعني: معبود واحد، لا يعبد معه غيره، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: اسمان من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١])**، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: هذا نهي عن الشرك.

والشرك: هو أن يجعل مع الله إلها آخر، هذا هو الشرك؛ بأن يعبد معه غيره، هذا هو الشرك الذي نهت عنه الرسل.

﴿إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾: المجوس(١) اتخذوا إلهين؛ قالوا: إن الخير خلقه النور، والشر خلقه الظلمة، فعندهم إلهان: النور والظلمة، هذا عند المجوس، ولذلك يسمون الثنوية؛ لأنهم اتخذوا إلهين وخالقين لهذا الكون(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل:٥١])، ﴿إِنَّمَا هُوَ﴾، أي: المعبود حقًا، ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾: وهو الله لا يعبد معه غيره.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]: تقديم المعمول ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾، الأصل: ارهبوا الله، ثم قدم الضمير، ضمير المتكلم قال: ﴿فَإِيَّٰيَ﴾: يفيد الحصر.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾: ولا ترهبوا سواي، والرهبة من أنواع العبادة، وهي من أعمال القلوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى:** ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧])،

---

(١) قال الأزهري: «المَجُوسُ: جَمْعُ المَجُوسيِّ، وَهُوَ مُعرب، أَصله: مِنج قُوش، وَكَانَ رجلًا صَغِير الْأُذُنَيْنِ، كَانَ أول من دَان بدين المَجُوسِ، ودعا النَّاس إِلَيْهِ، فعرَّبته الْعَرَب. فَقَالَت: مَجُوسٌ، وَنزل الْقُرْآن بِهِ». انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣١٧).

وقال الجوهري: «المَجوسِيَّةُ: نِحْلَةٌ. والمَجوسِيُّ منسوبٌ إليها، والجمع المجوس». انظر: الصحاح (٣/ ٩٧٧)، وانظر في بيان معتقدهم: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٥-٦٠).

(٢) انظر: الملل والنحل (٢/ ٣٥-٦٠).

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]. أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من يدعو مع الله إلهًا آخر أنه ليس له دليل على هذا، وليس له حجة، الحجة إنما هي على التوحيد، وأما الشرك والمشركون، فليس لهم حجة، إن هي إلا شبهات واهية باطلة، كل مشرك وكل كافر ليس له دليل ولا برهان إلا الشبهات فقط، وأما الأدلة والبراهين، فهي على التوحيد؛ ﴿ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾.

ثم توعده، فقال: ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾: يوم القيامة، هل الناس مفلتون؟ ليسوا بمفلتين، وليس كل بهواه، ينتظرهم يوم، وهو يوم الحساب، والذي يحاسب من؟ هو الله جَلَّ وَعَلَا؛ ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾.

ثم قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، فسماهم كافرين. الذين يدعون إلهًا آخر كافرون، وإن كانوا يقولون: نحن مسلمون، نحن موحدون، وليس هذا كفرًا، وليس هذا شركًا، ليس بهواهم، هذا شرك، وهذا كفر، دعوة غير الله سواء كان من الأصنام، أو من الأحجار، أو من الأشجار، أو من القبور، أو من الملائكة، أو من الأولياء والصالحين، هذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف:٤٥])**، أمر الله نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأل من سبقه من الرسل، الرسول محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو آخر الرسل، قبله رسل من نوح إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلهم يدعون إلى

التوحيد وإفراد الله بالعبادة؛ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

كل نبي يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥]، لم يقولوا: أقروا أنه الرب، هذا شيء موجود يقرون به، لكنه لا يكفي، فلا يدخلهم في الإسلام.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، كل الرسل جاءوا بهذا، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له.

ش: **وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقال:** ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٥-٣٧]، **وهذا في القرآن كثير.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له**)، هذه البراءة؛ من وحد الله وأفرده بالعبادة، فإنه يجب عليه الولاء والبراء؛ يوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله، ولا يقول: الناس سواء، وكلهم إخوة، وإنسانية، هذا باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال:** ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤])، هذه ملة إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذين أتبعوه أنهم يتبرؤون من المشركين، ويوالون المؤمنين.

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تبرأ حتى من أبيه؛ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة:١١٤]، تبرأ من أبيه، أقرب الناس إليه.

ونحن مأمورون باتباع ملة إبراهيم، نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأمور بذلك؛ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

نحن مأمورون بالولاء والبراء، والذي ليس عنده ولاء ولا براء هذا معناه أنه لا يفرق بين المشرك والموحد، والمؤمن والكافر، لا يفرق بين الناس، هذا ليس له دين؛ الناس عنده سواء، ويساوي بين الحق والباطل، ويقول: (كلهم بنو آدم، وكلهم إنسان)، هذا كلام باطل، وهذا طمس لعقيدة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ التي أمرنا باتباعها.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، يعني: قدوة حسنة؛ لأن القدوة على نوعين: إما قدوة حسنة، وإما قدوة سيئة.

القدوة ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من الموحدين قدوة حسنة؛ يقتدوا بهم، في أي شيء؟ ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: تبرؤوا منهم ومن معبوداتهم.

بعض الناس أو المتعالمين الآن يقولون: نحن نتبرأ من الشرك، لكن لا نتبرأ من الأشخاص، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ والذين معه قالوا: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، تبرؤوا من الاثنين: من المشركين، ومن الشرك؛ لابد أن يتبرأ من هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤])، لا نحبكم، ولا نواليكم أبدًا ما دمتم على الشرك، حتى ولو كانوا أقرب قريب.

ما دمتم على الشرك؛ ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾، فإذا آمنتم بالله وحده وتركتم الشرك، فنحن نواليكم ونحبكم، ونتواصل معكم دينيًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦])، لاحظ! ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟﴾، يعني: المشركين، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، إذا دُعوا إلى التوحيد. قيل لهم: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: قولوا: لا إله إلا الله، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥]، ويأبون أن يقولوها، لماذا؟ فسر هذا؛ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات:٣٦]، فهموا أن معنى لا إله إلا الله: هو إفراد الله بالعبادة، وهم لا يريدون أن يفردوا الله بالعبادة، بل يريدون أن يبقوا على عبادتهم لغير الله، فهموا معنى لا إله إلا الله، لكن لم يعملوا بها.

عباد القبور الآن لم يفهموا معنى «لا إله إلا الله»، وهم يقولونها، ويرددونها، لكن لم يفهموا معناها؛ يجمعون بين لفظ: «لا إله إلا الله»، وبين «يا علي»، أو «يا حسين»، أو «يا عبد القادر»، أو يا فلان وعلان.

المشركون أحذق منهم؛ فهموا معنى لا إله إلا الله، لكن أبوا أن يقبلوه، هؤلاء لم يمتنعوا من قول «لا إله الله»، لكن خالفوها في العمل، فأشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا خير في رجل كفار قريش أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)(١).

---

(١) قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، و الكفر بما يعبد من دونه، والبراءة منه، فإنه لما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولوا لا إله إلا الله، قالوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]، فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني. والحاذق منهم يظن أن معناه لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله). انظر: كشف الشبهات (ص٩).

....

- -

ش: وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو: اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا، وفنوا فيه، فقد فنوا في غاية التوحيد، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب -تعالى- من الصفات، ونزهه عن كل ما يتنزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحدًا حتى يشهد بأن لا إله إلا الله وحده، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية)**، لا يزال الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية.

فرغ من أن المراد بالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف)**، من أهل الكلام، وهم أهل المنطق والجدل، كل عقائدهم ليس فيها إلا توحيد الربوبية، وإثبات توحيد الربوبية، توحيد الربوبية ثابت لا يحتاج إلى تعب، الكل يقر به، وأدلته واضحة، إنما الخصومة في توحيد الألوهية، فهم أفرغوا جهدهم في شيء غير مقصود ولا نافع، وهو توحيد الربوبية.

حتى لو أقر بتوحيد الربوبية وهو يشرك بالله في توحيد الألوهية، فليس بمسلم، المشركون كذلك يقرون بتوحيد الربوبية، ولكن يشركون به

في الألوهية، ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، يؤمنون بتوحيد الربوبية، لكن يشركون في توحيد الألوهية.

وأهل التصوف -أيضًا- شاركوا المتكلمين في أن المقصود بالتوحيد هو توحيد الربوبية، فمن عرف الرب، فهو الموحد. هذا عند الصوفية: من عرف الرب وشهد توحيد الربوبية، فهو الموحد عندهم، ولو لم يصل، ولم يصم، إذا عرف توحيد الربوبية، فقد وصل، يقولون: وصل إلى الله، وحتى ليس عليه صلاة ولا صيام؛ لأنه وصل إلى الله، عرف ربه، يكفي أنه يعرف ربه، فإذا عرف ربه، لابد أن يعبده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد)**، بالدليل العقلي يعني، إذا اثبتوا توحيد الربوبية بالدليل العقلي، فقد أقاموا بالتوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقد أثبتوا غاية التوحيد)**، وهو توحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنهم إذا شهدوا هذا، وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد)**، الصوفية يفنون بمعنى أنهم لا يشاهدون في هذا الكون إلا الله، ليس هناك مخلوق وخالق عندهم، الكون كله هو الله.

الذي يقول: (إن هناك مخلوقًا وخالقًا) هذا مشرك عندهم، والذي يقول: (ليس هناك إلا الله) هذا هو الموحد، وهؤلاء هم غلاة الصوفية، وهم أهل وحدة الوجود كابن عربي وغيره من غلاتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات)**، لاحظ! الواحد لو أقر بكل أنواع الربوبية، وكل ما يستحق من الأسماء والصفات، ولم يعبد الله، لم يكن مسلمًا، فضلًا عن أن يكون موحدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأقر بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحدًا)**، لم يكن موحدًا حتى يفرده بالعبادة، وإذا أفرده بالعبادة، صار موحدًا، وإلا فالمشركون يقرون بتوحيد الربوبية، وهم مشركون، لم يزل عنهم اسم الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لم يكن موحدًا حتى يشهد بأن لا إله إلا الله وحده)**، بمعنى أنه لا معبود بحق إلا الله، يعترف بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة)**، نعم، هذا هو المطلوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له)**، يلتزم، ليس معناه أنه يعرف توحيد الألوهية، ولا يلتزم به، لابد أن يلتزم به، وإلا لم يكن موحدًا، لو عرف توحيد الألوهية ولم يلتزم به لا يكون موحدًا.

....

ش: والإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، وليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد -كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه-، لم يعرف حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين. قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]. قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: «تَسْأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَيَقُولُونَ اللهُ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ»(١). قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]، فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدًا له دون ما سواه، داعيًا له دون ما سواه، راجيًا له خائفًا منه دون ما سواه، يوالي فيه، ويعادي فيه، ويطيع رسله، ويأمر بما أمر به، وينهى عما نهى عنه، وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به، وجعلوا له أندادًا. قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٣، ٤٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٠-٥١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة)**، الإله: هو المألوه المعبود -كما سبق في أول الكتاب-، الإلهية هي العبادة بخلاف الرب والربوبية، فهناك عنده فرق بين الألوهية والربوبية؛ الربوبية: توحيد الربوبية، والألوهية: توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق)**، علماء الكلام عندهم أن الإله هو القادر على الاختراع والخلق والتدبير، هذا الإله عندهم، في حين أن الإله هو الذي يستحق العبادة؛ لأن الألوهية معناها العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية)**، متكلمة الصفاتية: الذين يثبتون بعض الصفات، أو حتى كل الصفات يثبتونها، لكن يقولون: الإلهية معناها الربوبية، لا فرق بين الربوبية والإلهية عندهم، فمن أقر أن الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت المدبر، فقد أقر بالألوهية.

نقول لهم: لا؛ هذا أقر بالربوبية فقط، ولا يقر بالألوهية، إلا إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وعمل بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن)**، الصفاتية أتباع أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأبو الحسن كان في الأول على مذهب المعتزلة، ثم إنه تاب من مذهب المعتزلة، وصار على مذهب الْكُلَّابِيَّةِ أتباع ابن كُلَّابٍ[1]،

(١) هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري، رأس المتكلمين، قال بنفي الصفات الاختيارية لله تعالى، وابتدع بدعة القول بالكلام النفسي، وأن القرآن خُلق ليدل على ذلك المعنى، وإنما هو حكاية عن كلام الله تعالى، وأن الله تعالى لا يرضى في وقت دون =

ثم إنه في الأخير انتقل إلى مذهب أهل السنة، وصار يقول بما يقوله أهل السنة كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، وهذا موجود في كتبه الأخيرة مثل كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، ومثل «الرسالة إلى أهل الثغر»، موجود في مؤلفاته الأخيرة، لكن أتباعه لم يرجعوا معه عن مذهب الكلابية، فهم ليسوا أشاعرة في الحقيقة، إنما يقال: كلابية، هم على مذهب الكلابية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن)**، علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري؛ نسبة إلى أشعر قبيلة من اليمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لم يعرف حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، الذي يقول: (إن التوحيد هو توحيد الربوبية)، هذا لم يعرف حقيقة التوحيد التي أرسل الله بها الرسل، مع أنه متبحر في علم الجدل والكلام والمنطق، لكنه لا يعرف من أدلة الشرع شيئًا مع الأسف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء)**، لا فرق بينه وبين مشركي العرب الذين بُعِث إليهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية تمامًا.

والرسل لم يطالبوا بالإقرار بتوحيد الربوبية، طالبهم بالإقرار بتوحيد الألوهية مثل إخوانه من المرسلين، كل نبي يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

= وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت. وهو الذي تأثر بمذهبه الأشعري ومن تابعه. تُوُفِّيَ سنة ٢٤٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤)، والفتاوى (١٢/ ١٢٠).

مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، واضح الأمر، لكن عميت أبصارهم عن هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكانوا مع هذا مشركين)، ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ ﴾ [الزخرف:٨٧]. ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧].

ذكر الله هذا في القرآن بكثرة؛ أنهم يقرون بتوحيد الربوبية، ومع هذا يشركون به في توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦])، ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾: إيمان بتوحيد الربوبية؛ ﴿ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ في توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: «تَسْأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَيَقُولُونَ اللهُ وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ»)، هذا من العجب أنهم يقولون: الذي خلق السماوات والأرض هو الله، ومع هذا يعبدون غيره مما لا يخلق ولا يرزق، ولا يحيي ولا يميت، ولا يدبر من الأمر شيئًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾)، ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ

﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٦-٨٩]، ذكر الله عنهم أنهم يقرون بتوحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فليس كل من أقر بأن الله -تعالى- رب كل شيء، وخالقه، يكون عابدًا له دون ما سواه، داعيًا له دون ما سواه)**، ليس كل من أقر بتوحيد الربوبية يعترف بتوحيد الألوهية، إنما اعترف به المؤمنون خاصة، الرسل وأتباعهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويطيع رسله، ويأمر بما أمر به، وينهى عما نهى عنه)**، لا يكون كذلك إلا إذا اعترف بتوحيد الألوهية وعمل به، لا يزال الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به)**، هذا من العجب أنهم يقرون أن الله خالق كل شيء، واتخذوا معه الآلهة، يزعمون أنهم شفعاء؛ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]، سماهم كفار، كذبة.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]: لا يقولون: (هؤلاء شركاء لله)، إنما يقولون: (شفعاء)، كله واحد، الشرك شرك، سميته شفيعًا أو سميته شريكًا، كله سواء؛ الأسماء لا تغير الحقائق، سموهم شفعاء، وهم شركاء لله في العبادة، فالأسماء لا تغير الحقائق.

الآن يسمون الشرك في الألوهية توسل، والتقرب إلى الله بشفاعتهم، يشفعون بهم، يقربونهم إلى الله زلفى، هذا كله باطل، هذا موروث المشركين لا زال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا ﴾ [الزمر:٤٣، ٤٤])، قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الزمر:٤٣]: كالأصنام والأحجار والأشجار.

ثم قال: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا ﴾: الشفاعة ملكٌ لله، ولا تثبت إلا بشرطين:

الشرط الأول: أن يأذن الله للشافع أن يشفع.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، أما المشرك والكافر، فلا تنفعه الشفاعة، ولا يقبل الله فيه شفاعة؛ ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨]، ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨]، المشرك لا تقبل فيه الشفاعة أبدًا، وأنتم مشركون؛ أنتم تعبدون مع الله غيره؛ فلا يقبل فيكم شفاعة.

أولًا: أنها ليست بإذن الله؛ الله لم يأذن بها.

وثانيًا: أنتم لستم من أهل الشفاعة، المشرك ليس من أهل الشفاعة، الشفاعة لعصاة الموحدين خاصة.

ش: وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨])، يقولون: نحن نعلم أنهم لا ينفعون ولا يضرون، لكن هؤلاء صالحون، ونحن مذنبون، ونريد أنهم يشفعون لنا عند الله، هل الله أذن لكم بهذا؟! هل أذن لكم أن تتخذوا هؤلاء شفعاء؟!

ثم أيضًا هم لم يقتصروا على أنهم وسائط بل عبدوهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾؛ يعبدون الوسائط والشفعاء، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ [يونس:١٨]. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾: أقروا أنهم يعبدونهم، ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣].

يا سبحان الله! تشركون بالله، وتريدون هؤلاء الأصنام والأحجار والقبور والأضرحة تقربكم إلى الله زلفى؟!!

لا يقربكم إلى الله إلا العمل الصالح، وهو الوسيلة التي قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:٣٥]، فالوسيلة هي العبادة، التقرب إلى الله بالطاعة هذه هي الوسيلة، ليست الوسيلة بأنك تأتي بفلان وفلان يشفع لك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إلى قوله:** ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨])، فنزه نفسه عن شركهم هذا، سماه شركًا، ونزه نفسه عنه، وهم يقولون: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، لا يقولون: هؤلاء شركاء لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى:** ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٤])، إذا مات الإنسان، ترك هذه الدنيا بما فيها، وما عنده من المال والأرصدة والملايين والمليارات، وترك الأولاد والأصدقاء، ثم ذهب إلى ربه فردًا ليس معه شيء.

﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ ﴾: يعني ما أعطيناكم في الدنيا ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡ ﴾، ثم قال -وهذا محل الشاهد-: ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾، أين شركاءكم

الذين أنتم في الدنيا أفنيتم أعماركم تدعونهم، تذبحون لهم، تنذرون لهم، تطوفون بقبورهم؟ أين هم؟ لماذا لم يأتوا معكم كي يخلصوكم؟ ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:٩٤]، القرآن واضح في هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥])، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، يعني: مع الله.

﴿أَندَادًا﴾، يعني: شركاء لله.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، أي: يحبون أصنامهم وأندادهم كما يحب الموحدون الله جَلَّ وَعَلَا.

فالموحد يحب الله، والمشرك يحب الصنم والوثن والقبر والضريح، لم يحمله على هذا إلا لأنه يحبه، لكنها محبة باطلة زائفة، تزول وتنقطع يوم القيامة؛ ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]: يتعادون ويتلاعنون يوم القيامة، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥]، تنقطع هذه.

لاحظ! ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، المحبة التي بينهم زالت، وحلت محلها البغضاء، فلا يبقى إلا محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعبادة الله وحده لا شريك له، هذا الذي يبقى، وهذا الذي ينجي من عذاب الله.

....

ش: ولهـذا كان من أتباع هـؤلاء من يسجد للشمس، والقمر، والكواكب، ويدعوها، ويصوم، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة، لم أكن مشركًا. ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس، والقمر، والكواكب، ويدعوها، ويصوم، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة، لم أكن مشركًا)**، ليس كيفما تشاء لا تكون مشركًا، أنت مشرك، وليس كيفما تشاء أنك تقول: أنا لست بمشرك، وتعمل ما تشاء، تعبد غير الله، أتعبد غير الله، وتقول: أنا لست مشركًا؟! ليس كيفما تشاء هذا، أنت مشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك)**، أن عبادة غير الله شرك، ولو سميته غير الشرك، لو سميته واسطة أو وسيلة أو شفيع، لا تنفعك هذه التسمية، الشرك شرك.

أنت لو سميت السم عسلًا وشربته، هل يكون عسلًا؟!

الأسماء لا تغير الحقائق، تسمية الشرك تشفّع أو واسطة أو وسيلة لاينفع، الشرك شرك، لا ينفعك.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**انتهى كلامه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، كل هذا كلام شيخ الإسلام من بداية الكلام إلى هذا نقلًا عنه من كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا واضح، تقرير للتوحيد، رد على هؤلاء الذين قلبوا الحقائق، وزيفوا الأمور، وسموا التوحيد شركًا، وسموا الشرك توحيدًا.

الآن لهم كتب ومؤلفات، ولا يزالون يؤلفون ويكتبون، يبررون الشرك وعبادة القبور، ويسمونها التوحيد، وامتلأت المكاتب الآن والرفوف من كتبهم التي يزيفون بها الدعوة إلى التوحيد، لم يكفهم أنهم هم أشركوا، بل يريدون أن يضلوا الناس، ويوقعوهم في الشرك، ويزيفوا لهم الشرك باسم التوحيد وباسم محبة الأولياء والصالحين، وما أشبه ذلك من الشبهات، ويعرضوا عن كتاب الله وعن سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون:١١٧]، هذه قاعدة أن المشرك ليس له برهان ولا دليل، وإنما هي شبهات وتزييفات فقط.

الله جَلَّ وَعَلَا يقول لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]، ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: هل أتوا ببرهان؟ لم يأتوا ببرهان.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

ش: بالجر عطف على التوحيد، ويجوز الرفع على الابتداء.

قال شيخ الإسلام: العبادة: هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل. وقال -أيضًا-: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦])، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كتاب التوحيد، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦])، وما بعدها من الآيات.

فغرض الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إيراد هذه الآيات: أن يبين معنى التوحيد، وأن المقصود به توحيد العبادة لا توحيد الربوبية؛ فإن توحيد الربوبية إذا اُقتصر عليه لا يغني شيئًا، بل إنما إذا أُضيف إليه توحيد العبادة وتوحيد الألوهية حصل المقصود؛ لأن توحيد الربوبية إنما هو دليل على توحيد الألوهية، برهان على توحيد الألوهية، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، بين أن التوحيد هو العبادة التي خلق الله الخلق من أجلها، وأنزل بها كتبه، وأرسل بها رسله -كما يأتي.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، هذا حصر، حصر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحكمة والعلة في خلق الجن والإنس أنها لأجل عبادته

---

(١) انظر: (رسالة العبودية) ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

فقط، وبعبادة الله يعمر الكون، تصلح الأرض لعبادة الله جَلَّ وَعَلَا، وبالشرك والكفر تخرب الأرض، فيظهر فيها الفساد في البر والبحر، فعبادة الله وحده لا شريك الله هي عمارة هذا الكون وهذه الأرض، ولهذا في آخر الزمان إذا خلت الأرض من عبادة الله، قامت القيامة؛ في الحديث: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ**»(١)، لا تقوم إلا على المشركين والكفار.

فالعبادة -عبادة الله- هي الحكمة من خلق الخلق، والحكمة من العبادة: حصول الخير للبشرية، والله جَلَّ وَعَلَا لم يأمرهم بعبادته من أجل أنه محتاج إليها، هو غني عن عبادتهم، حتى ولو كفروا جميعًا، لم ينقص ذلك من ملكه شيئًا؛ كما في الحديث(٢)، وإنما مصلحة العبادة راجعة إلى العباد، وبها يسعدون في الدنيا والآخرة، مصلحتها لهم.

ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾، الله لم يخلقهم يريد منهم أن ينفعوه، إنما خلقهم لينفعوا أنفسهم.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٧، ٥٨]، الله ليس بحاجة إلى عبادتهم، وإنما هم المحتاجون إليها، وهذا من رحمته بهم أنه أمرهم بعبادته وحده لا شريك له.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤) (١٤٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) (٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وفيه: «... **يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**».

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، يعبدون الله وحده سبحانه، فلايعبدون غيره ممن لا يخلق ولا يرزق، هذا من انتكاس الفطر وسخافة العقول أن يعبدوا دونه، أو من أضعف منه، أو يعبدوا جمادًا لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئًا، هذا من سخافة العقول.

والإنسان عبد، لابد أنه عبد؛ فإما أن يعبد الله، وإما أن يعبد غيره، ولذلك الذين لا يعبدون الله، أين ذهبوا؟ انطلقوا يعبدون كل ما وجدوا: الأحجار والأشجار والأصنام والقبور والأضرحة، كل يختار له إلهًا يعبده، لا ينفعه ولا يضره؛ لأنهم لما تركوا عبادة الله، وقعوا في عبادة غيره، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ... فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَان

صاروا عبيدًا لأهوائهم، وعبيدًا للشياطين، وعبيدًا حتى للبقر؛ يعبدون البقر، حتى الفروج يعبدون الفروج، ويعبدون كل ما استحسن؛ لأنهم تركوا عبادة الله، وهم لابد لهم من العبادة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾، أي: سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعني: من العلو، ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، ليس له قرار.

إذا سقط من التوحيد، فإنه لا يستقر، ويقع فريسة للأهواء شياطين الإنس والجن، مثلما أن الإنسان إذا سقط من السماء -يعني: من العلو-، ومات تتخطفه سباع الطير؛ لتأكل لحمه.

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٤٦٦).

وكذلك العبد إذا سقط من التوحيد، تتخطفه الأهواء، وتتخطفه الشياطين، كل يريد أن يفترسه، ولا حماية له ولا نجاة إلا بالتوحيد الذي خُلِق من أجله، والذي به سعادته ونجاته في الدنيا والآخرة.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ ﴾، إلا لشيء واحد: أن يعبدوه، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذرايات:٥٦]، أصلها يعبدوني بالياء، ثم خففت الياء، وحذفت، وبقيت الكسرة دليلًا عليها «يعبدوني»، ولذلك النون مكسورة؛ لأن أصلها «ليعبدوني» فحذفت الياء من أجل تواصل الآيات، وبقيت الكسرة دليلًا عليها، وهو منصوب بـ«أن» المضمرة بعد لام التعليل، فهذه النون ليست نون الرفع، وإنما هي نون الوقاية.

فهذه الحكمة من خلق الله للجن والإنس.

ولماذا خص الله الجن والإنس دون بقية المخلوقات؟ لأن الجن والإنس لهم عقول؛ خلق الله لهم عقولًا يعرفون بها الضار من النافع، والخير من الشر، فضلهم الله بالعقول؛ لأجل أن يعبدوه، لكنهم لم يستعملوا عقولهم فانتكسوا، وصاروا يعبدون آلهة كثيرة، كل على حسب هواه، ولهذا قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لأصحاب السجن، لما وجدهم يعبدون غير الله، ودعاهم إلى التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، قال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾: ليس لها أصلها، أنتم الذين سميتموها، جعلتموها آلهة، وهي ليست بآلهة، ولا تستحق العبادة، ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾: ليس لكم دليل على عبادتها

ولا برهان إلا التقليد الأعمى واتباع الشيطان، ليس لكم برهان، ولذلك دائمًا الشرك ليس عليه برهان، وليس عليه دليل، إنما هو شبهات يزينها شياطين الإنس والجن.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾: يعني من حجة، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: عبادة الله هي الدين القيم.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠]، لاحظ! أكثر الناس لا يعلمون العلم الذي ينتفعون به، هذا الذي أوقعهم أنهم لا يعلمون العلم الذي ينفعهم، هذه دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كدعوة الأنبياء والمرسلين، الرسل كلهم على هذا -كما يأتي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات:٥٦])، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: معطوف على التوحيد المجرور بالإضافة إلى كتاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بالجر عطف على التوحيد**)، التوحيد في قوله: كتاب التوحيد، لما عطف عليه قول الله كسره وجره؛ لأن المعطوف على المجرور مجرور؛ هذا من التوابع الأربعة؛ كما هي القاعدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويجوز الرفع على الابتداء**)، يجوز، لكن الأصل هو الجر؛ لأن هذا هو أصل العطف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام: العبادة: هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل)**، يعني: ليست العبادة بهوى الناس، كل يختار تعريفًا لها من عنده، العبادة: هي طاعة الله ورسوله بامتثال ما أمر الله به ورسوله.

العبادة لابد لها من دليل من الكتاب والسنة، والتي لا دليل عليها هي بدعة، ليست عبادة، العبادة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، لابد من دليل عليها، وأما من عبد الله بغير دليل من الكتاب والسنة، فهو مبتدع؛ **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»**(١)، وفي رواية: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»**(٢)، فكل عبادة ليس عليها دليل، فهي بدعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أيضًا: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة)**، العبادة: طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسن رسله، هذا تعريف عام، لكن التفصيل هو التعريف الثاني، هذا التفصيلي؛ العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة، كل ما أمر الله به؛ كما ذكر هذا في رسالة العبودية في أولها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أيضًا: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة)**، فأنواع العبادة كثيرة، منها: ما هو على اللسان؛ مثل: التسبيح والتهليل والتكبير والدعاء وغير ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقًا في كتاب البيوع - باب النجش (٤/ ٣٥٦ مع الفتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (١٣/ ٣١٧ مع الفتح).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، واللفظ له، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ومنها: ما هو بالقلب؛ مثل: الخوف والخشية والرغبة والرهبة والإنابة.

ومنها: ما هو على الجوارح؛ مثل: الصيام والجهاد والصلاة، هذه على الجوارح، تؤدى بالأعضاء والجوارح.

الأعمال الظاهرة على اللسان وعلى الأعضاء، والباطنة في القلب.

....

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومدارها على خمس عشرة قاعدة، من كملها، كمل مراتب العبودية.

وبيان ذلك: أن العبادة منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح.

والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهنَّ لكل واحد من القلب، واللسان، والجوارح(١).

وقال القرطبي: أصل العبادة التذلل، والخضوع(٢).

وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات؛ لأنهم يلتزمونها، ويفعلونها خاضعين، متذللين لله تعالى.

ومعنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، فهذه هي الحكمة من خلقهم.

قلت: وهي الحكمة الشرعية الدينية.

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعبادته هي طاعته بفعل المأمور، وترك المحظور، وذلك هو حقيقة دين الاسلام؛ لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى، المتضمن غاية الانقياد، والذل، والخضوع. انتهى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وبيان ذلك: أن العبادة منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح)؛ كما ذكرنا.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٢٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٢٢٥، ١٧/ ٥٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح)**، الأحكام التكليفية خمسة: واجب، ومستحب، ومحرم، ومكروه، ومباح، هذه أقسام الأحكام الشرعية لا تخلو عن هذه الأقسام، وهذا موجود في كتب أصول الفقه[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهنَّ لكل واحد من القلب، واللسان، والجوارح)**، هذه الأقسام بعضها على اللسان، وبعضها على القلب، وبعضها على الجوارح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال القرطبي: أصل العبادة التذلل، والخضوع)**، أصل العبادة: التذلل والخضوع لله عَزَّوَجَلَّ، فالعبد هو الخاضع لله، المتذلل لله، وأيضًا يكون معها المحبة، فالعبادة: هي غاية الحب مع غاية الذل، هذا تعريفها المختصر[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]:

وَعِبَادَةُ الرَّحمنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطبَانِ

---

(١) انظر: المنخول (ص ٧٨)، وتاريخ التشريع الإسلامي (ص ٧١).

(٢) قال ابن القيم: (وَالْعِبَادَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: غَايَةُ الْحُبِّ بِغَايَةِ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ أَيْ مُذَلَّلٌ، وَالتَّعَبُّدُ: التَّذَلُّلُ وَالْخُضُوعُ، فَمَنْ أَحْبَبْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ خَاضِعًا لَهُ، لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ، وَمَنْ خَضَعْتَ لَهُ بِلَا مَحَبَّةٍ لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ حَتَّى تَكُونَ مُحِبًّا خَاضِعًا). انظر: التفسير القيم (١/ ٦٩)، ومدارج السالكين (١/ ٩٥- ٩٦)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٢٥، ١٧/ ٥٦).

قال الزجاج: (وَمعنى الْعِبَادَة فِي اللُّغَة: الطَّاعَة مَعَ الخضوع. وَيُقَال طريقٌ مُعَبَّدٌ إِذا كَانَ مذلَّلًا بِكَثْرَة الْوَطْء، وبعيرٌ مُعَبَّد إِذا كَانَ مَطْلِيًّا بالقَطِران). انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨)، وانظر مادة (عبد) في: العين (٢/ ٤٨)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٣٦)، والصحاح (٢/ ٥٠٢)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٠٥)، ولسان العرب (٣/ ٢٧٠).

(٣) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٢٥٣).

وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ
وَمَدَارُهُ بِالأَمْرِ أَمْرِ رَسُولِهِ لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

هذه العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومعنى الآية: أن الله -تعالى- أخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، فهذا هو الحكمة في خلقهم**)، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، قيل معناها: إلا لآمرهم بعبادتي، وليست الحكمة القضائية القدرية؛ لأن لو كانت الحكمة القضائية القدرية، لما كفر أحد، كل الناس يعبدون الله.

لكن هذه الحكمة الشرعية التي هي اختيارها؛ من شاء فعلها، ومن شاء تركها، يفعلها العبد بمشيئته واختياره، هو الذي إن شاء صلى، وإن شاء ترك الصلاة، إن شاء آمن، وإن شاء كفر، وإن شاء وحد، وإن شاء أشرك، الله فعل الأول -وهو الخلق-؛ ليفعلوا هم الثاني -وهو العبادة-، فالخلق فعله، والعبادة فعل الناس؛ منهم من يعبد، ومنهم من لا يعبد؛ من عبد، فإنما هو لنفسه، ومن لم يعبد، إنما أضر نفسه، ترك لهم سبحانه الاختيار، ولم يجبرهم على العبادة إجبارًا، وإنما ترك لهم الخيار بمشيئتهم؛ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]، الاستقامة بمشيئة العبد؛ إن شاء استقام، وإن شاء انحرف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال العماد ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعبادته هي طاعته بفعل المأمور، وترك المحظور**)؛ كما سبق في قول الشيخ أول تعريف.

وأعظم المأمور هو التوحيد: إفراد الله بالعبادة، ومنه الصلاة والصيام والحج وسائر العبادات، وترك المحظور، وأعظم المحظور: هو الشرك وسائر المعاصي كلها محظور، لكن يتفاوت، المحرم يتفاوت؛ كما أن الواجب يتفاوت أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك هو حقيقة دين الاسلام؛ لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى، المتضمن غاية الانقياد، والذل، والخضوع)**، العبادة: هي معنى الإسلام، كل الإسلام يتمثل بعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣]، أي: منقادون لأوامره، مجتنبون لنواهيه.

الإسلام: هو الانقياد لله بالتوحيد والطاعة، هذا هو الإسلام، وليس الإسلام أن الإنسان يقول: أنا مسلم، وهو لا يدري ما هو الإسلام، يقول: أنا مسلم، نقول له: ما الإسلام؟ يقول: لا أعرف، أنا مسلم وفقط، كيف تقول أنا مسلم؟! لابد أن تعرف الإسلام ما هو، وما هي نواقض الإسلام؛ من أجل أن تسلم منها وتبتعد عنها، ليست المسألة فقط مجرد انتساب، لابد من العلم بما تنتسب إليه.

ش: وقال -أيضًا- في تفسير هذه الآية: وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْعِبَادَ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ أَطَاعَهُ، جَازَاهُ أَتَمَّ الْجَزَاءِ، وَمَنْ عَصَاهُ، عَذَّبَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ، بَلْ هُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، فَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ[(١)].

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الآية: إلا لآمرهم أن يعبدوني، وأدعوهم إلى عبادتي[(٢)].

وقال مجاهد: إلا لآمرهم، وأنهاهم. اختاره الزجاج، وشيخ الإسلام[(٣)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال -أيضًا- في تفسير هذه الآية: وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْعِبَادَ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ أَطَاعَهُ جَازَاهُ أَتَمَّ الْجَزَاءِ، وَمَنْ عَصَاهُ عَذَّبَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ)، هذه النتيجة؛ من أطاع الله، فعبده؛ لأن الناس ليس كلهم عابدين، يعبدون الله، ليس كلهم، أكثرهم يعبدون غير الله، والقليل هم الذين يعبدون الله.

النتيجة: أن من عبد الله، جزاه بالجزاء الحسن والجنة، ومن عبد غير الله، جزاه بالجزاء الأسوأ والنار -والعياذ بالله.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٨٨).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٧٨).

فإذًا المنفعة راجعة لهم، والضرر راجع عليهم، أما الله جَلَّوَعَلَا، فإنه لا ينتفع بطاعة المطيع، ولا يتضرر بمعصية العاصين؛ ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٨]، ﴿تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]، هكذا، وليس الله محتاج إلى أننا نعبده، لو لم نعبده سيزول ملكه، لا، ملك الله باق وتام، لكن العبادة نفعها للعباد، وتركها ضرر على العباد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ، بَلْ هُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ**)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، الغنى المطلق لله جَلَّوَعَلَا، وأما العباد فهم فقراء، حتى ولو كانوا من الملوك والرؤساء والتجار، كلهم عبادٌ لله مفتقرون إليه، فالملوك فقراء إلى الله، والتجار فقراء إلى الله، لا تغنيهم تجارتهم، فقراء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والأحرار والعبيد، والعرب والعجم، والجن والإنس كلهم فقراء إلى الله جَلَّوَعَلَا، لا أحد يستغني عن الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **في الآية: إلا لآمرهم أن يعبدوني، وأدعوهم إلى عبادتي**)، في الآية، وهي قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (إلا لآمرهم بعبادتي)، ونترك لهم الاختيار؛ هم يختارون لأنفسهم الطاعة أو المعصية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال مجاهد: إلا لآمرهم وأنهاهم. اختاره الزجاج، وشيخ الإسلام)**، إلا لآمرهم وأنهاهم، هذه أعم.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]: إلا لآمرهم وأنهاهم، آمرهم بالتوحيد والعبادة، وأنهاهم عن الشرك والمعصية.

الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]، يعني: مهملًا، لا يؤمر ولا ينهى، بل لابد أن يؤمر وينهى.

ش: قال: ويدل على هذا قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦].

قال الشافعي: لا يؤمر، ولا يُنهى[1].

وقال في القرآن في غير موضع: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١]، فقد أمرهم بما خلقوا له، وأرسل الرسل بذلك، وهذا المعنى هو الذي قصد بالآية قطعًا، وهو الذي يفهمه جماهير المسلمين، ويحتجون بالآية عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويدل على هذا قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾** [القيامة:٣٦])، معنى ﴿سُدًى﴾: لا يؤمر ولا ينهى، وهذا نفاه الله عَزَّوَجَلَّ، هذا حسبان باطل، الله جَلَّوَعَلَا يأمر وينهى؛ يأمر بالطاعة، وينهى عن المعصية، ولا أحد يأتي يوم القيامة، ويقول: (أنا لم أدر، أنا لم يبلغني شيء)، قامت عليه الحجة في إرسال الرسل وإنزال الكتب تأمره وتنهاه، فليس لأحد حجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال في القرآن في غير موضع ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾** [البقرة:٢١]، **﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾** [النساء:١]، **فقد أمرهم بما خلقوا له، وأرسل الرسل بذلك**)، فلما خلقهم الله لعبادته، لم يتركهم لرغباتهم وهواهم في العبادة؛ كل يعبد الله على هواه، بل أرسل الرسل؛ لتبين لهم العبادة، وأنزل الكتب لتبين لهم العبادة التي يرضاها، والعبادة التي لا يرضاها.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٤)، وتفسيرابن عاشور (٢٩/ ٣٦٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا المعنى هو الذي قصد بالآية قطعًا)**، في الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، هذا هو المقصود منها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو الذي يفهمه جماهير المسلمين، ويحتجون بالآية عليه)**، يحتجون بالآية على أن العبادات توقيفية، ليست بهوى الناس؛ كل يعبد الله بما يستحسن وما يفعله فلان وعلان، إنما العبادات توقيفية على الكتاب والسنة.

ش: قال: وهذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:٦٤]، ثم قد يطاع، وقد يعصى، وكذلك ما خلقهم إلا لعبادته، ثم قد يعبدون، وقد لا يعبدون.

وهو سبحانه لم يقل: إنه فعل الأول، وهو خلقهم ليفعل بهم كلهم الثاني وهو عبادته، ولكن ذكر أنه فعل الأول؛ ليفعلوا هم الثاني، فيكونون هم الفاعلين له، فيحصل لهم بفعله سعادتهم، ويحصل ما يحبه ويرضاه منه ولهم. انتهى(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:٦٤])، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ﴾ [النساء:٦٤]، يعني: قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، مثل قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:٦٤]، إلا ليطاع.

لكن الخلق منهم من أطاع هذا الرسول، ومنهم من عصاه، فهم غير مجبرين، إنما هم مختارون لأفعالهم خيرًا أو شرًّا، الله أعطاهم هذا، أعطاهم الخيار، ولم يجبرهم على العبادة؛ كما تقوله الجبرية(٢).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٥٦).

(٢) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: فالجبرية =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك ما خلقهم إلا لعبادته، ثم قد يعبدون، وقد لا يعبدون)**؛ لئلا يقول أحد: الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، إذًا كل من عبد، فقد عبد الله، لا، ليس بهذا، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: بما شرعت، وبما أرسلت به رسلي، وأنزلت به كتبي، هذه هي العبادة التي يقبلها الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو سبحانه لم يقل: إنه فعل الأول، وهو خلقهم ليفعل بهم كلهم الثاني، وهو عبادته)**، ليفعل بهم من أجل أن يلزمهم؛ يعني: إجباريًا بالثاني، وهو العبادة، الله لم يجبرهم على العبادة جبرًا، وإنما ترك الاختيار لهم، أعطاهم الاختيار، فالعبد مخير، وليس مسيرًا من جهة العبادة والأوامر والنواهي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولكن ذكر أنه فعل الأول؛ ليفعلوا هم الثاني، فيكونوا هم الفاعلين له)**، العبادة فعلهم، الخلق فعل الله جَلَّ وَعَلَا، والعبادة فعل العباد، وهي باختيارهم.

= الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرة على الفعل أصلًا، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلًا. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٦٨)، والملل والنحل (١/ ٨٥)، والتعريفات (ص١٠١).

....

ش: ويشهد لهذا المعنى: ما تواترت به الأحاديث.

فمنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ -أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلا أُدْخِلَكَ النَّارَ- فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ»[1]، فهذا المشرك قد خالف ما أراده الله تعالى منه من توحيده، وأن لا يشرك به شيئًا، فخالف ما أراده الله منه، فأشرك به غيره، وهذه هي الإرادة الشرعية الدينية؛ كما تقدم.

فبين الإرادة الشرعية الدينية والإرادة الكونية القدرية عموم وخصوص مطلق؛ يجتمعان في حق المخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصي. فافهم ذلك، تنج من جهالات أرباب الكلام وتابعيهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ -أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلا أُدْخِلَكَ النَّارَ- فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ»؛ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم(٢٨٠٥)، واللفظ له.

﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١]، هذا عهد أخذه الله على الناس وهم في صلب أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أخذ عليهم العهد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فخالف ما أراده الله منه فأشرك به غيره، وهذه هي الإرادة الشرعية الدينية؛ كما تقدم)**؛ لأن الإرادة -إرادة الله- على نوعين:

النوع الأول: إرادة كونية، لابد من وقوعها؛ إما خيرًا وإما شرًّا، ما أراده الله كونًا وقدرًا، فلابد أن يقع.

وأما النوع الثاني: وهي الإرادة الشرعية، فقد تقع، وقد لا تقع؛ لأنها باختيار العباد؛ إما أن يعبدوا الله، وإما أن لا يعبدوا الله، إما أن يطيعوا، وإما أن يعصوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فبين الإرادة الشرعية الدينية والإرادة الكونية القدرية عموم وخصوص مطلق)**، الإرادة الكونية القدرية هذه لابد من وقوعها، وأما الإرادة الشرعية، فقد تقع، وقد لا تقع، وإذا وقعت على ما أراده الله، أثمرت لصاحبها، وإذا وقعت على غير ما اراده الله شرعًا، ضرت بصاحبها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يجتمعان في حق المخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصي)**، فالمؤمن اجتمعت فيه الإرادتان: الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية، والكافر انفردت به الإرادة الكونية فقط؛ لأنه خالف ما شرعه الله، خالف الإرادة الشرعية، فكفر الكافر هذا فيه الإرادة الكونية فقط، وأما إيمان المؤمن، فهذا اجتمعت فيه الإرادتان: الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فافهم ذلك، تنج من جهالات أرباب الكلام وتابعيهم)**، إذا فهمت هذا، تنجو من ضلالات الجهمية، والجبرية، والمرجئة[1]، والمبتدعة، تسلم من أمور كثيرة.

(١) **المرجئة**: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص ١٩٠).

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

ش: الطاغوت: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد[١].

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: «الطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ»[٢].

وقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الطَّاغُوتُ: كُهَّانٌ كَانَت تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ».

رواهما ابن أبي حاتم[٣].

وقال مالك: «الطَّاغُوتُ: هُوَ كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ»[٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِهِ)، كله معطوف على التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦])، لما قال المشركون: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النحل:٣٥]: احتجوا بالقضاء والقدر، يقولون: لولا أن الله راض عنا، لما تركنا نعصي ونكفر، فكونه تركنا نعصي ونكفر هذا دليل على أنه راض عنا، هكذا يقولون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) انظر: العين (٤/ ٤٣٥)، والصحاح (٦/ ٢٤١٢)، ولسان العرب (١٥/ ٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٥٦)، والمحرر الوجيز (١/ ٣٤٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٥، ٣/ ٩٧٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٣٤).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٢٦٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٣٤).

الله رد عليهم، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥]، لو كان الأمر كما قالوا، لما احتاج إلى إرسال الرسل.

الرسل أرسلوا بأي شيء؟ ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

الله أرسل الرسل بالأمر بعبادته، والنهي عن عبادة الطاغوت، لم يترك الناس، أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل، ولو كان الله يرضى ما هم عليه، لما أرسل الرسل تناهم عن الشرك، وتنهاهم عن المعاصي، لو كان يرضاها، لما أرسل الرسل تنهى عنها، فهذا ردٌّ على الجبرية.

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، لاحظ! ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾، وامتثل، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، حق عليه القضاء والقدر، ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل:٣٦، ٣٧].

فالإنسان إذا اختار الكفر، واختار الشرك، فقد اختار لنفسه الخسارة، وأنت لا تستطيع أن تهديه الهداية التي هي هداية القلب، إنما تهديه هداية الإرشاد فقط؛ تبين له، وأما هداية القلوب، فهي بيد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهو أعلم بمن يستحق هداية التوفيق ومن لا يستحقها.

فالهداية هدايتان:

* هداية بمعنى البيان والإرشاد، وهذه يملكها الرسل وكل عالم وكل داعية.

* وأما هداية التوفيق، فهذه لا يقدر عليها إلا الله، وهو يعلم من يصلح لها، ومن لا يصلح؛ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

الله حكيم لا يضع هداية التوفيق إلا لمن يرغب الخير، ويريد الخير، أما من يريد الشر، ويريد الكفر، فهذا الله جَلَّوَعَلَا يعاقبه ويحرمه من الهداية؛ ﴿لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، ﴿لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤]، ﴿لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:١٠٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الطاغوت: مشتق من الطغيان)**، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل:٣٦].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، الطاغوت: كل ما عُبِد من دون الله، فهو طاغوت.

الطاغوت يطلق، ويراد به الشيطان، وهو رأس الطواغيت، ويطلق، ويراد به كل معبود من دون الله وهو يرضى بذلك ويأمر به، ويطاع في معصية الله، ويطلق الطاغوت على الحكم بغير ما أنزل الله؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٦٠]، ويطلق الطاغوت على الكاهن -أيضًا-، ويطلق الطاغوت على كل دعاة الشر يسمون طواغيت؛ لأنه من الطغيان، فالطاغوت من الطغيان، وهو مجاوزة الحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الطاغوت: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد)**، الحد الذي حده الله، فكل من تجاوز ما حده الله، فهو طاغوت، كل من تجاوز شرع الله، فهو طاغوت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: «الطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ»)**، الشيطان هو رأس الطواغيت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال جابر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«الطَّاغُوتُ: كُهَّانٌ كَانَت تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ»)**، من أقسام الطواغيت، يعني: الطاغوت كلمة جامعة تجمع كل من خرج عن شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كل من طغى -يعني: خرج عن الحد، فهو طاغوت.

وكون العلماء فسروها تارة بالشيطان، وتارة فسروها بالكاهن، وتارة فسروها بغير ذلك، هذه من أفراد التفسير، هذه يسمونها اختلاف تنوع، الآية تحتمل كل هذه المعاني، اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد، كل أخذ مما تحتمله الآية، اختلاف المفسرين من هذا الوجه، اختلافهم أن الآية تكون عامة تشمل عدة معان، وكل عالم أخذ منها بمعنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال مالك: «الطَّاغُوتُ: هُوَ كُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ»)**، هذا الكلام في تتمة تفسير الآية التي أوردها الشيخ، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فكل الرسل جاءوا بهذه الكلمة، كلمة لا إله إلا الله، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، هذا معنى لا إله إلا الله؛ فإن معناها: الأمر بعبادة

الله، وترك عبادة ما سواه، نفي وإثبات، ولا يصلح النفي وحده، ولا يصلح الإثبات وحده، بل لابد من الأمرين: نفي وإثبات؛ لا إله: هذا نفي؛ أي: لامعبود بحق، إلا الله: العبادة حق لله جَلَّوَعَلَا، خلق الخلق من أجلها؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

ولا يكفي أن الإنسان يعبد الله، ثم يعبد معه غيره، يدعو معه غيره، لابد من عبادة الله، وترك عبادة ما سواه؛ ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: هذا الإثبات، ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: هذا النفي، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، نفي وإثبات، ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: هذا النفي، ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: هذا إثبات، هو معنى لا إله إلا الله تمامًا.

ومعنى الطاغوت: كل ما عُبِد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

الطاغوت في الأصل مأخوذ من «طغى»، إذا زاد، طغى الماء؛ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١]، طغى؛ يعني: زاد عن المعتاد، وغطى الجبال -والعياذ بالله-، هذا الطوفان الذي أرسله الله على قوم نوح، طغى على وجه الأرض وعلى الجبال؛ ليغرق الله به هذه الأمة الكافرة الجاحدة المعاندة لرسوله نوح صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فالطاغوت مأخوذ من الطغيان، وهو الزيادة وتجاوز الحد المحدود، هذا الطاغوت في الأصل، وأما المراد به في واقع الناس، فهو تعدد؛ كل طائفة من بني آدم المشركين لها طاغوت تعبده من دون الله، كل طائفة أو كل أمة مشركة لها طاغوت تعبده من دون الله، ولذلك تنوعت أقوال المفسرين في قوله تعالى:

﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، ما هو الطاغوت؟ الأصل: الطاغوت: ما عُبِد من دون الله، فكل ما عُبِد من دون الله، فهو طاغوت؛ إن كان رضي بهذا أن يعبد من دون الله، فهو طاغوت، وإن كان لم يرض؛ لأن الأنبياء عُبِدوا والأولياء عُبِدوا، وعيسى عُبِد، فهو في نفسه ليس طاغوتًا؛ لأنه لم يأمر بهذا.

وإنما الطاغوت الذي أمرهم بهذا وهو الشيطان، ولهذا بعض المفسرين يقولون: الطاغوت: الشيطان؛ لأنه هو الذي أمر بعبادة غير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال الإمام ابن القيم: (الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فهو طاغوت، كل ما تجاوز به العبد حد الشرع وغلا فيه، فهو طاغوت).

ثم قال: (والطواغيت كثيرون، رأسهم إبليس -لعنه الله- ومن عُبِد وهو راض بذلك)[(١)].

ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن حكم بغير ما أنزل الله؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٦٠]؛ فمن حكم بغير ما أنزل الله متعمدًا، فإنه طاغوت، ومن ادعى علم الغيب -من الكهان والسحرة وغيرهم-، فهو طاغوت، هؤلاء لأنهم تجاوزوا الحد الشرعي في أعمالهم وأقوالهم صاروا طواغيت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «الطَّاغُوتُ: كُهَّانٌ كَانَت تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ». رواهما ابن أبي حاتم)، يعني: من ادعى علم الغيب، فهو طاغوت، وهذا في الكهان؛ لأن الكهان يدعون علم الغيب، فهم طواغيت.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

كل مفسر أخذ بمعنى من معاني الطاغوت، ليس المراد أنه ليس هناك طاغوت غير الذي قال به المفسر، ولكن هذا معنى من المعاني، والآية تشمل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال مالك: «الطَّاغُوتُ: هُوَ كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ»)**، هذا الأصل: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، كل مَا عُبِدَ من دون الله، فإنه طاغوت، إذا كان راضيًا بذلك، أما إذا كان لم يرض، وكان ينهى عن ذلك في حياته، لكن عبدوه بعد موته -كالمسيح-، فالطاغوت الذي أمرهم بهذا، وهو الذي دعا إلى عبادة غير الله، الذي يدعو إلى عبادة غير الله هذا طاغوت.

الطاغوت هو الذي أمرهم بعبادة الأولياء والصالحين، والأنبياء والمرسلين، والملائكة، لم يأمروا بهذا، لكن الذي أمر بهذا من دعاة الضلال، ومن شياطين الإنس والجن، فهو الطاغوت.

ش: **قال العماد بن كثير: الطاغوت: الشيطان، وما زينه من عبادة غير الله.**

قلت: وذلك المذكور بعض أفراده، وقد حده العلامة ابن القيم حدًّا جامعًا، فقال: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع. فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم، إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال العماد بن كثير: الطاغوت: الشيطان، وما زينه من عبادة غير الله)**، الطاغوت: هو الشيطان وأعمال الشيطان، ومن شرها: عبادة غير الله عَزَّ وَجَلَّ.

أشر أعمال الشيطان: هو الأمر بعبادة غير الله، لم يعبدوا هذه الأشياء وألغوا عقولهم إلا لأن الشيطان زين لهم هذا، الشيطان سول لهم، وأملى لهم؛ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢، ٨٣]، لا يسلم من الشيطان إلا المخلصون من عباد الله.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قلت: وذلك المذكور بعض أفراده**)، هذا تعليق الشيخ عبد الرحمن بن حسن على الأقوال التي مرت؛ يقول: كل أخذ ببعض أفراد الطاغوت وفسره، والطاغوت يشمل كل هذه الأشياء.

ولهذا يقولون: اختلاف المفسرين اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد، تصير الآية أو الحديث محتمل لعدة معاني، وكل أخذ بمعنى من معانيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد حده العلامة ابن القيم حدًّا جامعًا، فقال: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع**)، هذا الضابط الذي ذكره ابن القيم، وهو يشمل جميع الطواغيت من الجن والإنس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله**)، طاغوت كل قوم من الكفار: من يتحاكمون إليه غير الله جَلَّ وَعَلَا؛ يتحاكمون إلى الكهان، يتحاكمون إلى السحرة، يتحاكمون إلى القوانين الوضعية، القوانين الوضعية هذه طواغيت.

فكل ما خالف ما شرعه الله، خالف حكم الله الشرعي، فهو طاغوت؛ من الطغيان، وهو الخروج عن الحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله**)، يتحاكمون إليه في خصوماتهم؛ مثلما كانت عليه الجاهلية، يتحاكمون إلى الكهان؛ إذا صار عندهم مشكلة فيما بينهم يتحاكمون إلى الكهان، كل قبيلة لها كاهن يتحاكمون إليه.

قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ **أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة:٥٠]، هذا حكم الجاهلية، كل قبيلة لها طاغوت، لها كاهن يتحاكمون إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو يعبدونه من دون الله)**، أو يعبدونه -وهذا أشد- يعبدونه من دون الله؛ كالأشجار والأحجار والقبور والأضرحة كلها طواغيت، كل ما عُبِد من دون الله، فهو طاغوت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو يتبعونه على غير بصيرة من الله)**، أو يتبعونه فيما يأمرهم وينهاهم على غير بصيرة من الله؛ من غير دليل.

كل من أطاع أحدًا أو حكم بقوله، أو اتبعه على قوله دون أن يكون له مستند من كتاب الله وسنة رسوله، فهو من حكم الطاغوت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله)**، فيما لا يعلمون أنه طاعة، أما اتباع من يدعو إلى الله، ويحكم بكتاب الله، فهذا واجب، وأما من يدعو خلاف ذلك، فهذا من اتباع الطاغوت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذه طواغيت العالم)**، لا تخرج عن هذا، كل طواغيت العالم لا تخرج عن هذا الحد: معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله، فهو طاغوت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت وعن طاعة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى طاعة الطاغوت، ومتابعته)**، وكل هؤلاء المشركين يعبدون

الطاغوت على اختلاف معبوداتهم؛ مختلفون في معبوداتهم: الحجر والشجر والبشر والجن والإنس، كلها طواغيت، كل ما عُبِد من دون الله، فهو طاغوت؛ إن كان رضي بهذا، وإلا فعبادته عبادة للطاغوت، وليست عبادة له؛ لأنه ينهى عن ذلك، عبادة للطاغوت، ليست لذلك الولي أو الصالح؛ لأنه لم يأمر بهذا، فهو بريء من هذا.

وكذلك من اتبع أحدًا في أمور الشرع لا دليل على ذلك، وهو يعلم هذا، فهذا من اتباع الطاغوت.

....

ش: **وأما معنى الآية، فأخبر تعالى أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولًا بهذه الكلمة: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾** [النحل:٣٦]، **أي: اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة ما سواه؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾** [البقرة:٢٥٦]، **وهذا معنى لا إله إلا الله؛ فإنها هي العروة الوثقى.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما معنى الآية: فأخبر تعالى أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولًا بهذه الكلمة: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾** [النحل:٣٦])، المعنى الإجمالي للآية: أن الله بعث -أي: أرسل- إلى كل طائفة من الناس وجيلًا من الناس.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ﴾: في كل جيل، وفي كل طائفة، ﴿رَّسُولًا﴾: رسولًا منهم؛ ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يأمرهم بقوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، كلهم جاءوا بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة ما سواه)**، اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة ما سواه، لا يلزم أن يكون ما يعبدون صنمًا، لا، هذا يشمل كل ما عُبِد من دون الله: من صنم، أو قبر، أو حجر، أو شجر، أو جن، أو إنس، يشملهم هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]**)**، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: يكفر بعبادة غير الله، وبكل ما عُبِد من دون الله يكفر بذلك.

﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: لاحظ! قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأن الإيمان بالله لا يصح إلا بالكفر بالطاغوت، والشرط يتقدم على المشروط.

لم يقتصر على قوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾، بل قال: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]؛ لأن العبادة إذا خالطها شرك، بطلت؛ ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥، ٦٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا معنى لا إله إلا الله)**، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]؛ هو معنى لا إله إلا الله تمامًا؛ لأنه نفي وإثبات.

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: هذا إثبات، ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: هذا نفي، جمع بين النفي والإثبات، يكفر بالطاغوت، ويؤمن بالله، هذا نفي وإثبات.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: وهي «لا إله إلا الله»، العروة الوثقى هي «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا معنى لا إله إلا الله، فإنها هي العروة الوثقى)**، «لا إله إلا الله» تسمى العروة الوثقى، وتسمى كلمة التقوى؛ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦]، كلمة التقوى: هي «لا إله

إلاالله»، هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي كلمة الإخلاص، تسمى كلمة الإخلاص، وهي مفتاح الجنة، مفتاح الجنة: «لا إله إلا الله»؛ كما في الحديث[1]، فهي كلمة عظيمة.

---

(١) كما في الأثر الذي أخرجه البخاري (٢/ ٧١): قِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ».

وكما في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤١٨)، والطبراني في الدعاء (ص٤٣٥)، والأصبهاني في صفة الجنة (٢/ ٣٨): عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَفَاتِيحُ الجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

ش: قال العماد ابن كثير في هذه الآية: وَكُلُّهُمْ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَيَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ: فَلَمْ يَزَلْ تَعَالَى يُرْسِلُ الرُّسُلَ بِذَلِكَ، مُنْذُ حَدَثَ الشِّرْكُ فِي قَوْمِ نُوحٍ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ نُوحٌ، وَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى أَنْ خَتَمَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي طَبَّقَتْ دَعْوَتُهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَكُلُّهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال العماد ابن كثير في هذه الآية: وَكُلُّهُمْ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللهِ**)، كلهم: يعني الرسل، كل الرسل يدعون إلى عبادة الله، وينهون عن عبادة ما سواه، وليس محمد ﷺ وحده، كل الرسل على هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مُنْذُ حَدَثَ الشِّرْكُ فِي قَوْمِ نُوحٍ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ**)، كان قوم نوح على التوحيد، على ملة أبيهم آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ألف سنة وهم على التوحيد، لم يغيروا ولم يبدلوا، فلما كان في عهد قوم نوح كانوا على التوحيد في الأول، لكن مات علماؤهم في سنة واحدة، فحزنوا عليهم حزنًا شديدًا، وَدّ وَسُوَاع وَيَغُوث وَيَعُوق وَنَسْر علماؤهم ماتوا، حزنوا عليهم حزنًا شديدًا، وفقدوهم، جاءهم الشيطان، استغل هذه الحالة، جاءهم الشيطان في صورة

ناصح، فقال لهم: صوروا صور هؤلاء الذين حزنتم عليهم وفقدتموهم، صوروا صورهم وانصبوها على مجالسهم حتى تتذكروا أحوالهم، وتنشطوا على عبادة الله، جاءهم في صفة ناصح لهم ومشيرًا عليهم، وهو يريد ما وراء ذلك، وهو يعلم أنهم حتى ولو صوروا الصور ونصبوها فلن تعبد ما دام العلماء موجودين، لكنه ينظر إلى المستقبل، لعنه الله!

فقاموا ونصبوا صورهم عن اجتهاد ومحبة للصالحين، ولتذكر أحوالهم، ولم يتمكن الشيطان من أمرهم بعبادتها لوجود العلماء.

فلما مات العلماء، ولم يبق عالم، جاءهم الشيطان، قال لهم: إن آباءكم لم يصوروا هذه الصور إلا ليعبدوها من دون الله، وبها كانوا يسقون المطر. هذه هي الخطوة الثانية له، لعنه الله!

ولما كان ليس هناك علماء ولا أحد ينكر، ساغت هذه الدعوة عندهم فعبدوها من دون الله، وحدث الشرك من ذلك الوقت في الأرض، فأرسل الله رسوله وعبده نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعوهم إلى عبادة الله، وترك عبادة هذه الأصنام، ولكنهم أصروا على عبادتها، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، يعني: لا تطيعوا نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣].

قال ابن عباس: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ العِلْمُ؛

عُبِدَتْ»[(١)]، ولما جاءهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ونهاهم عن ذلك، تواصوا، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾: لا تتركوها، لا تجيبوا هذا الرجل، وهكذا الضلال إذا تمكن، صعب اجتثاثه، ولم يؤمن مع نوح إلا قليل؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، الأكثر عصوه، وأصروا على الكفر، استكبروا استكبارًا؛ كما ذكر الله جَلَّ وَعَلَا هذا في سورة نوح، وهي إلى آخرها في مواقف نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ معهم.

في الأخير لما أنزل الله عليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦]، عند ذلك دعا عليهم، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٦، ٢٧]، فاستجاب الله دعوته، وأنزل الطوفان عليهم فأغرقهم، ولم ينج إلا نوح ومن آمن به في السفينة، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت:١٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ)**، هو أول رسول، أما الأنبياء، فكان قبله أنبياء، آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي، وجاء من بعده أنبياء، لكن الرسل هو أولهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إِلَى أَنْ خَتَمَهُمْ بِمُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، إلى أن ختم الله الرسل بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خاتم المرسلين لا نبي بعده، وكلهم من أولهم إلى آخرهم دعوتهم واحدة، هي الدعوة إلى عبادة الله، وترك عبادة ما سواه،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠). وانظر: تفسير البغوي (٥/ ١٥٨)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٣٠٨)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٥).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، هذه دعوة الرسل كلهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الَّذِي طَبَّقَتْ دَعْوَتُهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ)**، أرسله الله للناس كافة، وكان من قبله يبعثون إلى أممهم خاصة، أما هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله عمم رسالته على الجن والإنس إلى أن تقوم الساعة، لانبي بعده، ولا شريعة بعد شريعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»[1]، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:١٥٨]، ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

فرسالته عامة، وهذا مما فُضِل به على سائر الأنبياء صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد شملت دعوته مشارق الأرض ومغاربها بالدعوة إلى الله، والجهاد على يد أصحابه من بعده، حتى انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبلغ مبلغ الليل والنهار؛ ليظهره على الدين كله؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]، وقد أظهره الله على الدين كله، ولله الحمد!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨، ٣١٢٢)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَكُلُّهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥])، هذا الذي جاءت به الرسل؛ أن عقيدتهم التوحيد والدعوة إليه، والنهي عن الشرك.

وأما الشرائع العملية، فإنها تختلف باختلاف الأمم؛ كل نبي له شريعة، إذا انتهت جاءت شريعة أخرى، إلى أن خُتِمت بشريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستقرت إلى يوم القيامة لا تنسخ؛ لأنها كافية للبشرية، لا يحتاجون معها إلى شريعة، ولا يحتاجون بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى رسول يأتي، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَحْنُ معاشر الأنبياء إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**»[1]، والإخوة لعلات: هم الذين من أمهات مختلفة، أبوهم واحد، وأمهاتهم مختلفة، فعقيدتهم واحدة، وأما شرائعهم العملية؛ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦])، كلهم جاءوا بهذا: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، كل الرسل.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: فَكَيْفَ يَسُوغُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ هَذَا أَنْ يَقُولَ: لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ، فَمَشِيئَةُ اللهِ تَعَالَى الشَّرْعِيَّةُ مَنْفِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَأَمَّا مَشِيئَتُهُ الْكَوْنِيَّةُ، وَهِيَ تَمْكِينُهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَدَرًا، فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ النَّارَ وَأَهْلَهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْكَفَرَةِ، وَهُوَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ بَالِغَةٌ وَحِكْمَةٌ قَاطِعَةٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل:٣٦] انتهى(١).

قلت: وهذه الآية تفسر الآية قبلها، وذلك قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل:٣٦]، تدبر.

ودلت هذه الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل: دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين، وإن اختلفت شريعتهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، وأنه لابد في الإيمان من العمل من القلب والجوارح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَكَيْفَ يَسُوغُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ هَذَا أَنْ يَقُولَ: لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ)، المشركون لما دعاهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو دعتهم الرسل إلى عبادة الله، قالوا: الله راض عنا فيما نفعل، لو لم يكن راضيًا، لنهانا عنه.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٠).

يا سبحان الله! هل الله لم ينهكم عنه؟ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، ولو كان يرضى بعبادة غيره، لما بعث الرسل تنهى عن عبادة غيره، قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٥، ٣٦]، لو كنتم صادقين أن الله يرضى عما أنتم عليه، لما بعث الرسل تنهى عنه وتنكره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَكَيْفَ يَسُوغُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ هَذَا أَنْ يَقُولَ: لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**)، يعني: هو الذي جعلنا نعبد هذه الأشياء، الله قادر على أن يمنعنا، ولم يمنعنا، فدل على أنه يرضى بهذا، هذه مغالطة، لو كان يرضى بهذا، لما بعث الرسل تنهى عنه، ولما أنزل الكتب تنهى عنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَمَشِيئَةَ اللهِ تَعَالَى الشَّرْعِيَّةُ مَنْفِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ**)، يعني: الإرادة، هو قصده الإرادة، المشيئة هي نوع واحد لا تنقسم، المشيئة كونية، لكن الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية، وإرادة شرعية، الله لم يرد منهم الشرك، أراد منهم التوحيد، هذه الإرادة الشرعية.

قوله هذا فيه نظر (مشيئته الشرعية)، المشيئة لا تكون شرعية، المشيئة كونية، لكن الإرادة، وهو يقصد هذا أكيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَأَمَّا مَشِيئَتُهُ الْكَوْنِيَّةُ، وَهِيَ تَمْكِينُهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَدَرًا، فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ النَّارَ وَأَهْلَهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْكَفَرَةِ، وَهُوَ**

لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ)، لا يرضي أنهم يشركون ولا أن يكفروا، ولكن إذا أبوا قبول الخير، وأبوا الدعوة، الله يعاقبهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، خلق النار لهؤلاء المعاندين الذين لا يقبلون دعوة الرسل، وأما من أطاع الرسل، فخلق الله له الجنة، جعل دارين: دارًا للكفرة، ودارًا للمؤمنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَهُ فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ بَالِغَةٌ وَحِكْمَةٌ قَاطِعَةٌ**)، فمن أعرض وتجبر وعاند، فداره النار -والعياذ بالله-، وأما من أطاع واستجاب، فداره الجنة، الله جَلَّ وَعَلَا لا يسوي بين هذا وهذا، ﴿**أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [القلم:٣٥، ٣٦]، ﴿**أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ**﴾ [ص:٢٨]، هذا لا يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلا يدخل الناس كلهم الجنة كافرهم ومؤمنهم، ولا يدخل الناس كلهم النار كافرهم ومؤمنهم، لا، الله حكم عدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ جعل دارين: دارًا لأهل الإيمان، ودارًا للكفرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهُوَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**)، هو لا يرضى الكفر، وإن كان قدَّره، فهو لا يرضى به، فليس كل ما قدره الله يرضى به، ولكنه قدره لحكمة، قدره ليكون عقوبة للمتمردين والمستكبرين والجاحدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَهُ فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ بَالِغَةٌ وَحِكْمَةٌ قَاطِعَةٌ**)، ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأنعام:١٤٩]، هذا في سورة الأنعام.

﴿**لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ**

﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾: ما دليلكم على أن الله رضي الكفر؟ ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٨، ١٤٩]، لكنه لا يهدي إلا من يستحق الهداية، ولا يضل إلا من يستحق الإضلال، وهو المعاند المكابر المستكبر، الذي لا يريد الحق، هذا الله جَلَّ وَعَلَا يحرمه من الهداية عقوبة له، وله دار خاصة، وهي النار -والعياذ بالله-، يقول ابن القيم في النونية(١):

وَسِوَاهُمُ لَا يَصْلُحُونَ لِصَالِحٍ ... كَالشَّوْكِ فَهْوَ عِمَارَةُ النِّيرَانِ

الشوك لا يأكله إلا النار، فهؤلاء شوك البشرية ليس لهم إلا النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا قال: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾** [النحل:٣٦]**)**، ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]، لكنه لحكمته قسمهم إلى مهتدين وضالين؛ حتى يجازي المحسن بإحسانه، ويجازي المسيء بإساءته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودلت هذه الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل: دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين)**، الرسل لم يأتوا ليدعوا إلى توحيد الربوبية؛ أن الله هو الخالق الرزاق، هذا يعترف به الكفرة، يعترفون أن الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت، لكن الله بعث الرسل بالدعوة إلى توحيد الألوهية: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٤٣٣).

لم يقل: (أن أقروا أن الله هو الخالق الرزاق)، هذا يقرون به، لكن بعثهم بتوحيد الألوهية؛ عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾: توحيد الألوهية، هذا الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وهذا هو الذي يخرج من الكفر إلى الإيمان، أما توحيد الربوبية وحده، فإنه لا يخرج من الكفر؛ الكفار يقرون به، وهم في جهنم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودلت هذه الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل: دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين)**، وإن اختلفت شرائعهم العملية، فعبادة الله في كل وقت بما شرعه لكل أمة؛ ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه لابد في الإيمان من العمل من القلب والجوارح)**، الإيمان ليس في القلب فقط، ليس التصديق -كما تقوله الأشاعرة-، بل هو قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وهو مدلول الكتاب والسنة[(١)].

---

(١) وقد نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد من أهل العلم، فقد قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لقد طفت الأمصار، ولقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم كلهم يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٥٨، ٥٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٧، ٤٠٨)، وذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢١٧)، وابن حجر في الفتح (١/ ٤٧). وقال أيضًا: (كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل) اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/ ٨٨٩)، وذكره ابن حجر في الفتح (١/ ٤٧٩). =

فليس الإيمان هو القول باللسان فقط -كما تقوله الكرامية[1]-، وليس الإيمان هو التصديق بالقلب فقط -كما تقوله الأشاعرة-، وليس الإيمان هو القلب والاعتقاد فقط دون العمل -كما تقوله مرجئة الفقهاء-، الإيمان يجمع هذه الأمور: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.

وليس الإيمان هو المعرفة بالقلب -كما تقوله الجهمية-، كلهم مرجئة -والعياذ بالله-، لكن أشدهم الجهمية، يقولون: إذا عرف، ولو لم يعترف، إذا عرف، يكفي، فهو مؤمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه لابد في الإيمان من العمل من القلب والجوارح)**، العمل بالقلب، والعمل باللسان: الذكر والتسبيح والتهليل، وبالجوارح: بالصلاة والصيام والجهاد.

= ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع عن الشافعي، انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٨).
وقال ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ٢٣٨): (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان) اهـ.

(١) هم أتباع محمد بن كَرَّام بفتح الكاف وتشديد الراء، وهو الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه، وكان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد قلب وعمل جوارح، توفي سنة ٢٥٥هـ. انظر: تاريخ دمشق (٥٥/ ١٢٧)، والمنتظم (١٢/ ٩٧)، والسير للذهبي (١١/ ٥٢٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٥)، والأنس الجليل (١/ ٢٩٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٤٧).

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤].

ش: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤])، الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قال: (كتاب التوحيد، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦])، وساق بعد هذه الآية آيات تبين المراد بالتوحيد؛ أنه توحيد الألوهية هو المقصود؛ لأن هناك من الفرق من يفسر التوحيد بأنه توحيد الربوبية؛ إفراد الله بالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، وأما العبادة، فلا يعتبرون هذا من التوحيد، وهذا ضلال -والعياذ بالله-، التوحيد هو العبادة، ليس التوحيد الإقرار بالربوبية؛ هذا أقر به المشركون، ولم يكونوا موحدين؛ لأنهم لم يفردوا الله بالعبادة، ينبغي أن يعرف هذا؛ أن التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، هذا هو التوحيد الذي بعث به الله الرسل، وأنزل به الكتب؛ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

نوح عليه السلام قال لقومه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]، وهود وصالح وشعيب، جميع الأنبياء يقولون لأممهم: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]، لم يقولوا: أقروا أنه هو الرب؛ لأنهم مقرون بهذا، وهذا لا يكفي، فمن جملة هذه الآيات الكريمات هذه الآية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

القضاء يطلق على عدة معان في اللغة(١):

منها: القضاء بمعنى القدر، القضاء والقدر.

ومنها: القضاء بمعنى الإخبار؛ ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ﴾ [الإسراء:٤]، يعني: أخبرناهم بذلك، ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾ [الحجر:٦٦]، أخبر الله نبيه لوطًا عليه السلام أن هذة الأمة التي عصت واستمرت على الشرك وإتيان الذكور أن الله سيقطع دابرهم عند الصباح، ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾، أي: أخبرناه، ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾، وقد أنجز الله وعده، فأهلكهم في الصباح وقت إشراق الشمس، فالقضاء بمعنى الإخبار.

ويأتي القضاء بمعنى الفصل في الخصومات؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [يونس:٩٣]، فصل الخصومات هذا قضاء، وهذا معروف عند الناس القضاء في الخصومات.

---

(١) انظر في معاني القضاء في اللغة: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٨٦- ٤٨٧)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٦٩- ١٧٠)، والصحاح (٦/ ٢٤٦٣- ٢٤٦٤).

وكذلك القضاء بمعنى الفراغ من الشيء؛ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ [فصلت:١٢]؛ يعني: فرغ من خلقهن، قضاهن.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة:١٠]، يعني: فُرِغ من أداء الصلاة، فالقضاء يطلق -أيضًا-، ويراد به الفراغ من الشيء والانتهاء منه.

ويطلق القضاء، ويراد به الأمر، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: أمر، وصى، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

وليس المراد أنه قضى يعني: قدر؛ لأنه لو قدر هذا، لما كفر أحد، ولما أشرك أحد، ولكن معنى قضى: أمر بعبادته؛ فمنهم من امتثل، ومنهم من لم يمتثل، فلو أن الله قضى بمعنى قدر، لما عصاه أحد، ولما أشرك أحد، ولكن قضى هنا بمعنى: أمر ووصى، والأمر قد يفعل وقد لا يفعل، قد لا يفعله إلا القليل والكثير يخالفونه.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، أي: أمر، ووصى.

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، هذا معنى التوحيد، وهو معنى «لا إله إلا الله»، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾: هذا معنى «لا إله»، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: هذا معنى «إلا الله»، ففيها نفي وإثبات؛ نفي العبادة عما سوى الله، وإثباتها لله وحده، وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، هذا هو التوحيد.

فهو يريد بإيراد هذه الآيات أن يبين معنى التوحيد المطلوب، ويرد على من يفسر التوحيد بأنه توحيد الربوبية فقط، لم يجئ أبدًا في الآيات أن الله

أمر أن يقروا بتوحيد الربوبية؛ لأنهم مقرون بهذا، إنما جاء الأمر بأن يفردوه بالعبادة، ويخلصوا له العبادة، هذا هو التوحيد.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، هذا هو الواجب الأول على العباد.

الواجب الثاني على العباد: البر بالوالدين، حق الوالدين يأتي بعد حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مباشرة، مما يدل على عظم حق الوالدين على الولد.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾، أي: وأحسنوا بالوالدين ﴿إِحْسَـٰنًا﴾؛ لأن حقهما يأتي بعد حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والعقوق يأتي بعد الشرك في العظم والخطر، فحق الوالدين عظيم، وتكرر في الآيات أن الله جعله بعد حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، ثم قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٣، ١٤]، فذكر الإحسان إلى الوالدين بعد إفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة، وهذا في كثير من الآيات تجد أن الأمر ببر الوالدين يأتي بعد الأمر بالتوحيد، والنهي عن عقوق الوالدين يأتي بعد النهي عن الشرك، مما يدل على عظم الوالدين.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾، أي: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا.

الإحسان عام، لم يحدده؛ يكون بالقول، ويكون بالفعل، بالقول مثلما يأتي: تلطيف الكلام معهما، ويكون بالفعل؛ خدمتهما، والسعي عليهما، والإنفاق عليهما، إيصال النفع لهما، إعانتهما على العبادة وعلى الخير، فبر الوالدين يكون بالقول، ويكون بالفعل.

ثم قال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾، أي: إن بلغ عندك ﴿ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾؛ لأن حاجتهما إلى البر في هذه الحالة أعظم من حاجتهما إلى البر في وقت قوتهما، إذا عجزا، فقم أنت بخدمتهما، وبتوفير مصالحهما، وتلطف معهما، أدخل السرور عليهما.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾: لأنه بحاجة إلى البر في هذه الحالة.

﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾: الأب والأم.

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: لا تتضجر منهما، ﴿أُفٍّ﴾ كلمة تضجر، بل تلطف معهما في الكلام، ولا تجرح شعورهما بالكلام والزجر ورفع الصوت عليهما.

في الحديث: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ**»(١): الذي يلعن والديه لعنه الله، وقد لا يلعنهما مباشرة، لكن يلعن أبا الرجل فيلعن أباه، ويلعن أم الرجل فيلعن أمه، فيكون متسببًا في لعن والديه؛ ولهذا لما سُئِل: «كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟»، قَالَ: **يَلْعَنُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَلْعَنُ أَبَاهُ، وَيَلْعَنُ أُمَّهُ، فَيَلْعَنُ أُمَّهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (٥١٤١). وأخرجه بنحوه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: **يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ**».

هذا في الكلام؛ ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: تتأفف، فكيف بالضرب؟! هذا تنبيه على ما هو أعلى، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾، فمن باب أولى لا تشتمهما، لا تلعنهما، لاتسبهما، ومن باب أولى لا تضربهما.

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: لا ترفع صوتك على والديك أو أحدهما، اخفض صوتك عندهما؛ إكرامًا له ورفقًا به.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: قولًا طيبًا يسرهما، ويدخل عليهما الفرح والاطمئنان.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: تواضع لهما، ولا تتكبر عليهما، لا تمن عليهما بالبر، تذكر يوم أن ربوك وأنت صغير، وأنت لا تملك شيئًا، ولا تدفع عن نفسك شيئًا، وقد حنوا عليك.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤]: فأنت أحسن إليهما إذا كبرا؛ كما أنهما أحسنا إليك وأنت صغير، الأم حملتك في بطنها، وأرضعتك من ثديها، وربتك في حجرها، وكابدت معك المشقة والسهر، حتى النجاسة من البول والغائط تميطها عنك وتنجيك، تنظفك، وأنت لا تستطيع شيئًا من ذلك، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، هكذا حق الوالد على ولده: الإحسان بالقول وبالفعل، لا سيما عند الكبر والعجز والضعف.

وقد جاء في الحديث: «أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما صَعِدَ المِنْبَرَ، قَالَ: آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ، فقالوا يا رسول الله، على ما أمنت؟، فَقَالَ: **أَتَانِي جِبْرِيلُ،**

فَقَالَ: يا محمد، رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عليك، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ. ثم قال: رَغِمَ أَنْفُ امرىء دَخَلَ عليه شهر رَمَضَانَ، ثم خَرَجَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ. ثم قال: وَرَغِمَ أَنْفُ امرىء أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»[1]، فبر الوالدين يدخل الجنة، وعقوق الوالدين يدخل النار.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ١٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٣٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٠)، وصححه ووافقه الذهبي، من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبخاري في الأدب المفرد (٦٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ش: **قَالَ مُجَاهِدٌ: وَقَضى يَعْنِي: وَصَّى، وَكَذَا قَرَأَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ مَسْعُودٍ، وغيرهم[(١)].**

ولابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ يعني: أمر[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، المعنى: أن تعبدوه وحده دون ما سواه، وهذا معنى لا إله إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ مُجَاهِدٌ: وَقَضى يَعْنِي وَصَّى)،** مجاهد بن جَبْر إمام التابعين، تلميذ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الذي روى عنه التفسير، مجاهد روى التفسير عن ابن عباس ترجمان القرآن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه، هذا مجاهد بن جبر[(٣)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ مُجَاهِدٌ: وَقَضى يَعْنِي وَصَّى)،** يعني: وصى، وليس معناه قضى، يعني: قدّر، حكم وقدّر، بل معناه: وصى وأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكَذَا قَرَأَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وغيرهم)،** قرأ أُبَيُّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قارئ الصحابة المشهور، قرأ هذه الآية بهذا اللفظ: **(وصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)،** وكذلك ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرأها هكذا: **(وصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)،** والقراءات يفسر بعضها بعضًا.

---

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٣٩)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٦٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٣).

(٣) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٣/ ١٤٨)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٧٦)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولابن جرير**)، روى ابن جرير الإمام المفسر محمد بن جرير إمام المفسرين، صاحب التفسير الكبير، فتفسير ابن جرير صار مرجعًا للمفسرين من بعده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولابن جرير عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **وقضى ربك يعني: أمر**)، هكذا فسر ابن عباس؛ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، أي: أمر ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله تعالى:** ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، **المعنى: أن تعبدوه وحده دون ما سواه**)، هذا معنى لا إله إلا الله.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾: هذا نفي، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: هذا إثبات، و«لا إله إلا الله» مكونة من النفي والإثبات، فهذا تفسير التوحيد من القرآن والسنة، لا من الفلاسفة والمتكلمين والمنطقيين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله تعالى:** ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، **المعنى: أن تعبدوه وحده دون ما سواه، وهذا معنى لا إله إلا الله**)، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، هذا نفي وإثبات مثل: لا إله إلا الله.

ش: **قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والنفي المحض ليس توحيدًا، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد.**

وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، أي: وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا، كما قضى بعبادته وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء:٢٣]، أي: ألا تسمعهما قولًا سيئًا، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **والنفي المحض ليس توحيدًا)**، النفي وحده لا يكفي، والإثبات وحده لا يكفي، بل لابد من النفي والإثبات في التوحيد؛ نفي الشرك وإثبات التوحيد لله.

فلو قلت: (الله إله) هذا إثبات فقط، لا يكفي، ولو قلت: (لا إله) هذا نفي، ولا يكفي، لابد من الجمع بين النفي والإثبات؛ «لا إله إلا الله»، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

﴿يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: هذا معنى النفي، والطاغوت: كل ما عُبِد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: هذا معنى الإثبات.

﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾: هي لا إله إلا الله.

فـ«لا إله إلا الله» هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَا﴾ [الفتح:٢٦]، وهي: لا إله إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات)**، وهذا معنى لا إله إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا هو حقيقة التوحيد)**، التوحيد متكون من نفي الشرك وإثبات التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، لم يقتصر على العبادة، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾: هذا نفي الشرك، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: هذا التوحيد.

ولهذا يقول: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، لم يقتصر على قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، بل قال: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾؛ لأن العبادة لاتصح إلا مع التوحيد والإخلاص لله، إذا دخلها الشرك، بطلت، أفسدها الشرك.

من الناس من يعبد الله عبادات كثيرة، وصلاة وصيام، وحج وصدقات، لكنه يقول: «يا علي»، «يا حسين»، «يا عبد القادر»، يدعو الأموات، يستغيث

بهم، هذا مشرك، ولو يصلي الليل والنهار مشرك لا ينفعه ذلك؛ ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، أي: وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا**)، لما أمر بحقه سبحانه، ثنى بحق الوالدين؛ لأن أعظم محسن بعد الله عليك هم الوالدان، وهم أقرب الأقارب إليك.

حتى الوالد المشرك والكافر يجب على ولده أن يبر به، وإن كان يبغضه، لكن حقه لا يسقط عن ولده، فيبر بوالده ولو كان كافرًا، البر واجب بالوالد ولو كان كافرًا؛ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، ثم قال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]، مع أنه مشرك صاحبه في الدنيا معروفًا، أحسن إليه، فكيف بالوالد المسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾** [لقمان:١٤])، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤]، أمر أن يشكر الله أولًا، ثم يشكر الوالدان.

المنعم المطلق هو الله، ثم من بعد الله: الوالد، والشكر له يكون بالقول وبالفعل، بالثناء عليه، وبالإحسان إليه، وبذل المعروف، فهذا الشكر، الشكر يكون بالقول وبالفعل، خلاف الحمد؛ فإنه لا يكون إلا بالقول، أما الشكر فهو أعم؛ يكون بالقول وبالفعل؛ ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾، فدل على أن العمل والفعل يكون شكرًا، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾** [الإسراء:٢٣]**، أي: ألا تسمعهما قولًا سيئًا، حتى ولاالتأفيف)**، ولا التأفيف وهي كلمة: ﴿أُفٍّ﴾، تضجر يعني، لا تظهر لهما التضجر منهما.

ش: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، أَيْ: وَلَا يَصْدُرْ مِنْكَ إِلَيْهِمَا فِعْلٌ قَبِيحٌ؛ كَمَا قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: لَا تَنْفُضْ يَدَكَ عَلَى وَالِدَيْكَ[١].

وَلَمَّا نَهَاهُ عَنِ الْقَوْلِ الْقَبِيحِ وَالْفِعْلِ الْقَبِيحِ، أَمَرَهُ بِالْقَوْلِ الحَسَنِ وَالْفِعْلِ الحَسَنِ، فَقَالَ: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، أَيْ: لَيِّنًا طَيِّبًا بِأَدَبٍ وَتَوْقِيرٍ.

وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، أَيْ: تَوَاضَعْ لَهُمَا، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾، أي: في كبرهما، وعند وفاتهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، أَيْ: وَلَا يَصْدُرْ مِنْكَ إِلَيْهِمَا فِعْلٌ قَبِيحٌ، كَمَا قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: لَا تَنْفُضْ يَدَكَ عَلَى وَالِدَيْكَ)، لا تنفض يدك على والديك من باب العتاب له، والتضجر منه، بل اخفض جناحك له بالتواضع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَمَّا نَهَاهُ عَنِ الْقَوْلِ الْقَبِيحِ وَالْفِعْلِ الْقَبِيحِ، أَمَرَهُ بِالْقَوْلِ الحَسَنِ وَالْفِعْلِ الحَسَنِ)، للوالدين يعني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، أَيْ: تَوَاضَعْ لَهُمَا)، لا تتكبر عليهما، وتقول: الوالد جاهل، وأنا متعلم، لماذا أخضع له؟! لماذا استشيره؟! لماذا آخذ برأيه، وهو جاهل، وأنا متعلم دكتور؟! لا، هو والدك، تواضع له، وألن له القول وأكرمه.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٦٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾، أي: في كبرهما، وعند وفاتهما)، رد عليهما الجميل، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي﴾، كما رحماني في الصغر وعطفا عليَّ، رد عليهما الجميل، أنت ارحمهما، وادع الله أن يرحمهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾)، جزاءًا لهما على ما ربياني وأنا صغير، لا أملك لنفسي ضرًّا ولا نفعًا، ولا أدفع عنها شرًا، ولا أجلب لها خيرًا، مثل فرخ الطير لا تقدر على شيء، من الذي حنا عليك؟ من الذي دافع عنك؟ من الذي غذاك؟ من الذي جلب لك القوت؟ الوالدان؛ الوالد يكد ويكدح، ويعرض نفسه للأخطار من أجل أن يطعمك ويسقيك، والأم تسهر وتتعب من أجل أن تخدمك.

....

ش: وَقَدْ وَرَدَ فِي بِرِّ الْوَالِدَيْنِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: الحَدِيثُ المَرْوِيُّ مِنْ طُرُقٍ عَنْ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ: «أن رَسُولَ اللهِ ﷺ لما صَعِدَ المِنْبَرَ، قَالَ: آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ، فقالوا يا رسول الله، على ما أمنت؟، فَقَالَ: أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يا محمد، رَغِمَ أَنْفُ امرىء ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عليك، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ. ثم قال: رَغِمَ أَنْفُ امرىء دَخَلَ عليهِ شهر رَمَضَانَ، ثم خَرَجَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ. ثم قال: وَرَغِمَ أَنْفُ امرىء أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاهُ الجَنَّةَ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ وَرَدَ فِي بِرِّ الْوَالِدَيْنِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ)، أحاديث صحيحة وكثيرة تحث على بر الوالدين، ووردت أحاديث تنهى عن عقوق الوالدين والإساءة إليهما.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («ثم قال: وَرَغِمَ أَنْفُ امرىء أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاهُ الجَنَّةَ»)، هذا محل الشاهد، ومعنى: رغم أنفه، أي: التصق أنفه بالأرض والرغام؛ إهانة له. الرغام: هو التراب، أرغمه الله، يعني: أهانه، وأرغم أنفه بالتراب؛ إهانة له على قبيح فعله مع والديه، أو إهماله لشهر

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ١٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٣٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٠)، وصححه ووافقه الذهبي، من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبخاري في الأدب المفرد (٦٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رمضان، أو تركه للصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذكره، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، فمن المواطن التي تجب الصلاة عليه: إذا ذُكِر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ»(١). قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: صحيح من هذا الوجه(٢).

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ، قُلْنَا: بَلى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الإِشْراكُ بِاللهِ، وَعُقوقُ الْوالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقالَ: أَلا وَقَوْلُ الزّورِ، أَلا وَشَهادَةُ الزُّورِ. فَما زَالَ يُكَرِّرُها حَتّى قُلْنا: لَيْتَهُ سَكَتَ». رواه البخاري ومسلم(٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ)، إذا لم يبر بوالديه؛ لا يدخل الجنة، «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ لِوَالِدَيْهِ»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٤، ٣٤٦)، ومسلم(٢٥٥١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٤٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرجه بنحوه النسائي في المجتبى (٥٦٧٢)، وفي الكبرى (٥/ ١٧، ١٨، ١٠٤)، وأحمد في مسنده (١١/ ٤٧٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العماد ابن كثير)**، هو اسمه: إسماعيل بن كثير صاحب التفسير، ويكنى أو يلقب بالعماد، عماد الدين، يقال: عماد الدين ابن كثير[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العماد ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **صحيح من هذا الوجه)**، يعني: هذا الحديث صحيح من هذه الطريق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن أبي بكرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ، قُلْنَا: بَلَى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الإِشْراكُ بِاللهِ، وَعُقوقُ الْوالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقالَ: أَلا وَقَوْلُ الزّورِ، أَلَا وَشَهادَةُ الزُّورِ. فَما زَالَ يُكَرِّرُها حَتّى قُلْنا: لَيْتَهُ سَكَتَ)**، الذنوب تنقسم إلى قسمين: صغائر وكبائر، فالكبائر ضابطها: كل ذنب توعد عليه بالنار، أو لُعِن عليه، خُتِم باللعنة، أو توعد عليه بالغضب -غضب الله-، فهو كبيرة من كبائر الذنوب.

وأما الصغائر فهي: ما نُهِيَ عنه، ولم يقترن به ضابط الكبيرة، لم يلعن عليه، ولم يتوعد عليه بالنار، ولا بغضب الله، لكن منهي عنه، والنهي يقتضي التحريم، مخالفة الأمر معصية، فهذه الصغائر، هذا هو تعريف الصغائر[(٢)].

الكبائر تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: كبائر كبيرة، أكبر الكبائر، وتسمى السبع الموبقات، يعني: المهلكات؛ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، أكبرها الشرك.

---

(١) انظر في ترجمته: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٤٧١)، والأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠)، ومعجم المفسرين (١/ ٩٢).

(٢) انظر: منظومة الآداب لابن عبد القوي (ص٤٩٣)، وراجع غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ٢٨٧).

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]، هذه أكبر الكبائر: الزنا -والعياذ بالله-، قتل النفس بغير حق، وأعظمها: الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، والسحر، أكل الربا، قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، كل هذه من أكبر الكبائر، من السبع الموبقات، فهي أعظم الكبائر(١).

فعقوق الوالدين يأتي بعد الشرك بالله، فهو أكبر الكبائر بعد الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلا وَقَوْلُ الزّورِ، أَلا وَشَهَادَةُ الزُّورِ. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ)**، وشهادة الزور من أكبر الكبائر ومن الموبقات، وهي الذي يشهد وهو كاذب، هذه شهادة زور -والعياذ بالله-، وهذه من أكبر الكبائر، لا يشهد الإنسان إلا بما يعلمه.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ [يوسف:٨١].

فلا يشهد الإنسان على شيء إلا وهو يعلمه، أما أن يتبرع بالشهادة، ويشهد للناس وهو كاذب، هذا زور -والعياذ بالله-، هذه شهادة زور، في الحديث: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا شَاهِدُ الزُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى تَجِبَ لَهُ النَّارُ**»(٢).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**».

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ١٩١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٠٩)، وأبو نعيم =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتّى قُلْنا: لَيْتَهُ سَكَتَ)**، غلظ شهادة الزور بأمرين: أولًا: أنه جلس وكان متكئًا، فجلس لما أتى على ذكرها؛ اهتمامًا بالتحذير منها.

وثانيًا: أنه كررها؛ «فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا»: من باب التحذير، حتى أشفق الصحابة عليه، وقالوا: «لَيْتَهُ سَكَتَ»؛ يعني: ليستريح؛ إشفاقًا عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تأثره بذلك.

= في الحلية (٧/ ٢٦٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٨): عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**شَاهِدُ الزُّورِ لَا تَزُولُ قَدَمَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى تَجِبَ لَهُ النَّارُ**».

ش: **وعن عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ». رواه الترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم**[1].

وعن أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: «بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فَقَالَ: نَعَم، الصَّلَاةُ عليهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا». رواه أبو داود، وابن ماجه**[2]**. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعن عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ،وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ)**، فربط سبحانه رضاءه برضا الوالدين، وربط سخطه بسخط الوالدين، فمن أراد أن يرضي الله، فليرض والديه، ومن أراد أن يسخط الله، فليسخط والديه.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٧٢)، والحاكم في مستدركه (٤/ ١٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: « بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فَقَالَ: نَعَمِ، الصَّلَاةُ عليهما)**، الصلاة عليهما: يعني الدعاء؛ تدعو لهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا)**، طلب المغفرة لهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا)**، الوصية، إذا أوصيا بوصية تنفذها، إذا كانت وصية صحيحة وشرعية تنفذها، إذا كان عليهما ديون تسددها عنهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا)**، كذلك من بر الوالدين بعد وفاتهما: أن تصل الرحم المرتبطة بهما كالإخوة والأخوات، وبني الإخوة والأخوات وهكذا، والأخوال والخالات، والأجداد والجدات، هذا من إكرام الوالدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)**، وإكرام صديقهما؛ إذا كان لهما صديق تكرمه؛ لأن هذا يسرهما، وهما أموات.

كان ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يسير في الطريق، فرأى أعرابيًا، فذهب إليه وأركبه على دابته، وألبسه عمامته، قالوا: يا أبا عبد الرحمن! هذا أعرابي يكفيه أقل من هذا! قال: إنه صديق لعمر، فأكرمه هذا الإكرام؛ عملًا بهذا الحديث(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ، إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَا هُوَ =

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

ش: قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّهُ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ عَلَى خَلْقِهِ فِي جَمِيعِ الحَالاتِ، وَهُوَ المُسْتَحِقُّ مِنْهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. انتهى(١).

وهذه الآية هي التي تسمى آية الحقوق العشرة، وفي بعض النسخ المعتمدة من نسخ هذا الكتاب تقديم هذه الآية على آية الأنعام؛ ولهذا قدمتها؛ لمناسبة كلام ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الآتي لآية الأنعام؛ ليكون ذكره بعدها أنسب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦])، مما يبين التوحيد هذه الآية -أيضًا-، وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦] مثل الآية التي قبلها: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

= يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الحِمَارِ، إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، قَالَ: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الحِمَارَ، وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا وَالْعِمَامَةَ، قَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ: بَعْضُ أَصْحَابِهِ غَفَرَ اللهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ» وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ».

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٧).

إنما أراد المصنف أن يكرر هذه الآيات، وإن كانت بمعنى واحد؛ ليبين التوحيد، ويؤكد أنه ليس كما يقولون: هو إفراد الله بالربوبية، بل هو إفراد الله بالعبادة، هذا هو التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦])، لم يقتصر على قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، بل قال: ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾؛ لأن هناك من يعبد الله، لكن يشرك معه غيره في العبادة.

فإذا العبادة دخلها شرك بطلت؛ مثل: الوضوء إذا جاء ناقض، نقض الوضوء، فالشرك مثل نواقض الوضوء، لا يبقى وضوء مع النواقض، كذلك لا يبقى توحيد مع شرك أبدًا، لا يجتمعان.

لأن بعض الناس يقولون: والله، الناس يصلون، ويزكون، ويقرؤون القرآن، ويتعبدون، كيف تكفرونهم؟! نقول: نحن لم نكفرهم، الله هو الذي كفرهم، ما داموا يعبدون غير الله، يعبدون الأضرحة، يستغيثون بالأموات، الله هو الذي كفرهم، وعبادتهم لا تنفعهم مع وجود الشرك فيها، تناقض هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦])، لم يقتصر على قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، بل قال: ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾؛ لأن العبادة لا تصح إلا بترك الشرك، وهذا معنى «لا إله إلا الله»، ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: هذا معنى الإثبات، ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: هذا هو النفي في «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الشارح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، الذي هو الشيخ سليمان بن عبد الله صاحب «تيسير العزيز الحميد»؛ لأن «فتح المجيد» مختصر لـ«تيسير العزيز الحميد».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العماد ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذه الآية: يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّهُ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ عَلَى خَلْقِهِ فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ، وَهُوَ المُسْتَحِقُّ مِنْهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ)**، توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وهو دليل على توحيد الألوهية، فمن أقر بالربوبية ولم يعبد الله، فليس بموحد؛ لأنه ترك النتيجة، أخذ الوسيلة وترك الغاية، وهي توحيد الألوهية.

والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، فما دام أنه ربكم اعبدوه، الرب هو الذي يستحق العبادة، لا الأصنام والأشجار والأحجار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه الآية هي التي تسمى آية الحقوق العشرة)**، ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء:٣٦]، عشرة حقوق، تسمى هذه الآية آية الحقوق العشرة، أولها: حق الله، وآخرها: حق ملك اليمين، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي بعض النسخ المعتمدة من نسخ هذا الكتاب)**، يعني: كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي بعض النسخ المعتمدة من نسخ هذا الكتاب تقديم هذه الآية على آية الأنعام؛ ولهذا قدمتها)**، على آية الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام:١٥١]، في بعض النسخ تقديم هذه الآية: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦] عليها، وفي بعضها العكس؛ تقديم آية الأنعام عليها، فقدمها المصنف هنا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا قدمتها؛ لمناسبة كلام ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **الآتي لآية الأنعام؛ ليكون ذكره بعدها أنسب)**، الأمر سهل يعني، قدمت آية الأنعام أو قدمت آية النساء، الأمر في هذا سهل.

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

ش: قوله رحمه الله: (وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾)، الله ذكر في سورة الأنعام أن أهل الجاهلية يحرمون أشياء أحلها الله، يحرمون على أنفسهم أشياء من الأنعام ومن الأطعمة لم يحرمها الله سبحانه وتعالى، الله جل وعلا قال: لنبيه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾: ليس أنتم الذين تحرمون، الله هو الذي يحرم، أول ما حرم: الشرك: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، فأعظم المحرمات: الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾)، لاحظ! ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: ذكر حق الوالدين بعد حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾)، قتل النفس، الثالث: قتل النفس، وإذا كانت النفس من الأقارب، فقتلها أشد -والعياذ بالله- قتل النفس التي من الأقارب أشد؛ لأن فيها قطيعة رحم، مع كونها قتل نفس محرمة، كبيرة من كبائرة الذنوب، فيها أيضًا قطيعة رحم، الذي يقتل أولاده، أو يقتل أخاه، أو يقتل خاله أو عمه، هذا أشد من الذي يقتل البعيد عنه، وإن كان الكل محرمًا.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾، هل هناك أحد يقتل أولاده؟ نعم، في الجاهلية يقتلون أولادهم لغرضين:

الغرض الأول: خشية الفقر، يقولون: إذا كثر الأولاد، من أين ننفق عليهم؟ فيقتلونهم، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: رزقهم على الله، ليس عليكم، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: ليس عليكم رزقهم، يقتلونهم خشية الفقر.

- وبعضهم يقتل أولاده تقربًا إلى الأصنام، لاحظ! يحبون الأصنام أحب من أولادهم، ولذلك يتقربون إليها؛ كما يتقربون بذبح البهائم يتقربون بذبح الأولاد عبادة الأصنام؛ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام:١٤٠]، ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧].

- وبعضهم يقتل البنات؛ خشية العار، تسمى المَـوْءُودَةُ، هذا في الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾)، الفواحش: المعاصي الكبار التي فحش شرها وإثمها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾)، وقتل النفوس التي حرم الله هذا محرم، كبيرة من كبائر الذنوب.

فالنفوس التي حرم الله: هي نفس المؤمن، ونفس الكافر المعاهد، لا يجوز قتل الكافر المعاهد، هذا غدر في الإسلام ولا يجوز.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»(١)، حتى ولو قتله خطأ؟ لو قتل المعاهد خطأ، فعليه الكفارة والدية؛ ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء:٩٢]، فأوجب فيها ما أوجب في قتل المؤمن خطأ، فلا يجوز قتل الكافر إذا كان معاهدًا أو مستأمنًا، لا يجوز قتله، حرام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾)، ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾؛ يعني: نهاكم عن هذه الأشياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾)، تعقلون عن الله، وتفقهون في دينه، وتعرفون الحكمة والحكم في هذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦، ٦٩١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾)، كذلك مما نهى الله عنه: أكل أموال اليتامى القصر، الذين لا يدافعون عن أنفسهم، فيأتي واحد يستغل صغر هذا اليتيم الذي لا ناصر له إلا الله، فيأكل ماله، هذا من الكبائر.

لاحظ! قال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾، هذا أبلغ من قوله: (ولا تأكلوا)؛ لأنه نهي عن الشيء وعن الأسباب الموصلة إليه.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: إلا بما ينميه لليتيم، ويحفظه لليتيم، فالولي يحسن في مال اليتيم، ويحفظه له، ويتاجر به، ويخرج الزكاة الواجبة فيه، هذا ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾)، حتى يبلغ العقل، يعقل، ويحسن التصرف، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾ [النساء:٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾)، كذلك من المحرمات: بخس المكاييل والموازين، وقد أهلك الله أمة من الأمم -وهم قوم شعيب-؛ لبخسهم المكاييل والموازين، فلما نهاهم عن ذلك، ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ [هود:٨٧]؛ ينكرون على نبي الله أنه أنكر عليهم بخس الموازين والمكاييل؛ يقولون: هذه أموالنا نتصرف فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾)، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾، يعني: بالعدل لا تنقصوا المكيال؛ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾)، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، يعني: لو حصل شيء غير مقصود، لا تؤاخذن عليه، الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، أما أن ينقص المكاييل والموازين، ويتلاعب بأموال الأيتام، ويفعل الفواحش متعمدًا، فهذا -والعياذ بالله- عاصٍ لله، مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، أما لو حصل شيء بغير اختياره، الله جَلَّ وَعَلَا لا يؤاخذه، لكن يجتهد في تجنب المحرمات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾)، كذلك إذا قلتم، قل الحق ولو على نفسك، أو شهدتم اشهدوا بالعدل، لو كان عدوًّا لك لا تجُر عليه، ولا تشهد عليه شهادة زور، حتى الكافر لا تشهد عليه شهادة زور، ولو كان عدوًا لك؛ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾، يعني: بغض الكفار، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]، حتى مع الكفار، فكيف بالمسلمين؟!!

القول العدل: ألا تقول إلا الحق؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا**»(١).

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد في مسنده (٣٥/ ٣٢٧)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٩٤)، والطبراني في الدعاء (ص ٤٧٠): عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «أَمَرَنِي خَلِيلِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ =

﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥]، قل الحق عليك وعلى غيرك، حتى على عدوك لاتظلمه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾)، إذا عاهدتم الكفار، عاهدتم الأعداء أوفوا لهم بالعهد، لا تنقصوه، لا تبخسوه شيئًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾)، ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: هذه الأوامر والنواهي؛ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: تعملون بها؛ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾: تذكرون ما عند الله من الثواب والعقاب، فتمتثلون هذه الأوامر.

هذه تسمى الوصايا العشر في سورة الأنعام، والتي في سورة النساء تسمى الحقوق العشرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾)، الزموا طريق الحق، واتركوا الخلاف، واتركوا التفرق والاختلاف، والنحل الضالة، خذوا طريق الحق، وهو صراط الله جَلَّ وَعَلَا المستقيم، وما سواه من الطرق، فهو ضلال، اتركوها، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

= هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ».

فهذه الآيات الثلاث في سورة الأنعام فيها الوصايا العشر، وهي رد على المشركين الذين حرموا أشياء من بهيمة الأنعام من عند أنفسهم، حرموها للأصنام، حرموا ركوبها والحمل عليها، وحرموا لبنها، وحرموا لحومها؛ لأنها للأصنام -بزعمهم-، كما أنهم حرموا أشياء من الحروث والزروع لأصنامهم.

فالله جَلَّ وَعَلَا أنكر عليهم ذلك، وبين ما هو الحرام، فقال لرسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٤٥]، هذه التي حرمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي هذه الآيات الثلاث يقول الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلۡ﴾: للمشركين، ﴿تَعَالَوۡاْ﴾، أي: هلموا وأقبلوا، ﴿أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾: أتلوه، أقرؤه عليكم وأقصه عليكم؛ لأن التحليل والتحريم حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس من حق المخلوق أن يحلل ويحرم من عنده، إنما هذا حق لله عَزَّ وَجَلَّ.

فمن حرم أو حلل شيئًا من عنده، فإنه زعم أنه شريك لله في التحليل والتحريم، ومن أطاعه وهو يعلم أنه يحل ويحرم من عند نفسه، من أطاعه، فإنه مشرك شرك الطاعة؛ لأنه أطاعه في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، اتخذه شريكًا في التحليل والتحريم؛ ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، أول ما حرم الله عليكم: الشرك، وأنتم تشركون بالله عَزَّوَجَلَّ، أعظم المحرمات هو الشرك؛ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، إلى آخر الآيات.

فالتحليل والتحريم حق لله عَزَّوَجَلَّ، لا يجوز أن أحدًا يحلل ويحرم من عند نفسه، ولا يجوز لأحد أن يطيع من يحرم من عند نفسه أو يحلل من عند نفسه، لا يجوز هذا.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]؛ لأنهم يحللون ويحرمون، ويطيعونهم في هذا، اتخذوهم أربابًا، نسأل الله العافية.

وهذه الآيات الثلاث فيها المحرمات التي ذكرها الله فيها، أولها: الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

ش: قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عبدوا غَيْرَ اللهِ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ، ﴿تَعَالَوْا﴾، أَيْ: هَلُمُّوا وَأَقْبِلُوا: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، أَيْ: أَقُصُّ عَلَيْكُمْ وَأُخْبِرُكُمْ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حَقًّا لَا تَخَرُّصًا، وَلَا ظَنًّا، بَلْ وَحْيًا مِنْهُ وأمرًا من عنده: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وَكَأَنَّ فِي الْكَلَامِ مَحْذُوفًا دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، وَتَقْدِيرُهُ: وَصَّاكُمْ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾؛ ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾. انتهى[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عبدوا غَيْرَ اللهِ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ)، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حَقًّا لَا تَخَرُّصًا، وَلَا ظَنًّا)، كما تفعلون أنتم، تحرمون وتحللون من عند أنفسكم ظنًّا وتخرصًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾)، هذا أول المحرمات، هو أعظم المحرمات: الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، ومع هذا يشركون بالله، ويحرمون الطيبات، ويستحلون الشرك الذي هو أعظم المحرمات.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٩، ٣٦٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَأَنَّ فِي الْكَلَامِ مَحْذُوفًا دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، وَتَقْدِيرُهُ: وَصَّاكُمْ** ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾)، أول شيء: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، وصاكم وأمركم ونهاكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ﴾: بالله عَزَّوَجَلَّ ﴿شَيْـًٔا﴾.

وكلمة ﴿شَيْـًٔا﴾: نكرة في سياق النهي تعم كل شيء[1]، فلا يشرك مع الله أحد، لا ملك، ولا نبي، ولا ولي، ولا قبر، ولا صنم، ولا حجر، ولا شجر، كل شيء لا يشرك مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا ولي من الأولياء، العبادة حق لله لا يشرك معه فيها أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولهذا قال في آخر الآية:** ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾)، وصاكم: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ﴾، تقدير هذا أخذًا من آخر الآية.

---

(١) انظر: روضة الناظر (٢/ ١٣)، والعقد المنظوم في الخصوص والعموم (٢/ ٤١٨)، ومذكرة الشنقيطي (ص ٣٢٣ - ٣٢٤).

ش: قلت: فيكون المعنى: حرم عليكم ما وصاكم بتركه من الإشراك به.

وفي «المغني» لابن هشام في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ سبعة أقوال، أحسنها: هذا الذى ذكره ابن كثير، ويليه: أُبَيِّنُ لكم؛ لئلا تشركوا، فحذفت الجملة من أحدهما، وهي ﴿وَصَّىٰكُم﴾، وحرف الجر وما قبله من الأخرى[(١)].

ولهذا إذا سئلوا عما يقول لهم رسول الله ﷺ، قالوا: يقول: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم؛ كما قال أبو سفيان لهرقل[(٢)].

وهذا هو الذي فهمه أبو سفيان، وغيره من قول رسول الله ﷺ لهم: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»[(٣)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي المغني لابن هشام)، المغني لابن هشام النحوي المعروف، الذي له مؤلفات مفيدة في النحو، وهو كتاب مشهور، «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، وهو كتاب جيد جدًّا يبحث في المركبات والألفاظ.

---

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص ٣٣٠- ٣٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سبق تخريجه (ص٤٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويليه: أُبيِّنُ لكم؛ لئلا تشركوا، فحذفت الجملة من أحدهما، وهي ﴿وَصَّىٰكُم﴾، وحرف الجر وما قبله من الأخرى)**، القرآن يأتي فيه الحذف للاختصار والإيجاز، إذا دل الدليل على المحذوف، فكأنه مذكور.

يقول ابن مالك[1]:

وَحَــذْفُ مَـا يُـعْـلَـمُ جَـائِـزٌ كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ. بَعْدَ: مَنْ عِنْدَكُما؟

إذا كان الشيء معلومًا من السياق، فإنه يحذف من باب الإيجاز والاختصار، وهذا من البلاغة في الكلام.

وَحَــذْفُ مَـا يُـعْـلَـمُ جَـائِـزٌ كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ. بَعْدَ: مَنْ عِنْدَكُما؟

أي: عندنا زيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا إذا سئلوا عما يقول لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**، إذا سئلوا؛ يعني: المشركين، ماذا يقول لكم محمد؟ لأنهم لا يعترفون أنه رسول، إذا سئلوا: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟

وهذا جاء في أسئلة هرقل عظيم الروم، لما سأل أبا سفيان، لما جاءه كتاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى الإسلام، قال: هل في البلد منهم أحد؟ قالوا: نعم، وفدٌ جاءوا للتجارة برئاسة أبي سفيان، قال: أحضروهم، فأحضروهم عنده، وجعل أبا سفيان هو المقدم، وجعل يسأله، وقال: إن

(١) انظر: ألفية ابن مالك (ص ١٨)، وشرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك (ص٨٤)، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١/ ٤٨٥).

أخطأ أو كذب، فردوا عليه، فسألهم عن هذا الرسول، سألهم: ما يأمركم به، أول ما سألهم: ما يأمركم به؟ قال: يقول: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقوله آباؤكم، هذا الذي قاله لهم رسول الله ﷺ: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا إذا سئلوا عما يقول لهم رسول الله ﷺ، قالوا: يقول: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا)**، وهذا هو مقتضى الدين ومقتضى الفطرة، وهذه دعوة الرسل، كل رسول يقول لقومه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٧) من حديث أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي المُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللهِ لَوْلَا الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا القَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ...».

ﭐللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]، اعترف أبو سفيان، وصدقه من معه أن هذا أول ما يأمر به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واتركوا ما يقول آباؤكم)**، لا تقلدوا آباؤكم على الضلال، وتتخذوا آباؤكم من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، أتتركون ما يقوله الله، وتأخذون ما يقوله آباؤكم؟! ﴿حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [المائدة:١٠٤]، هكذا يقولون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا هو الذي فهمه أبو سفيان، وغيره من قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لهم: قولوا: لا اله إلا الله تفلحوا)**، هذا فهمه أبو سفيان من قول الرسول لما دعا قريشًا، لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، صعد الصفا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ونادى: يا معشر قريش، فاجتمعوا، فقال لهم: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»(١).

في الأول، قال: «**يَا عَمِّ إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ.** قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ نَعَمْ وَأَبِيكَ، عَشْرًا، قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، خذها وأبيك، فقط كلمة، خذها ونعطيك عشر زيادة. قال: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**». عند ذلك نفروا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ [ص:٥، ٦](٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٩٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قَالَ: «لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، ابْنُ أَخِيكَ يَشْتِمُ آلِهَتَنَا، يَقُولُ وَيَقُولُ، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ فَانْهَهُ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ، وَكَانَ قُرْبَ =

لاحظ! فهموا معنى «لا إله إلا الله» أنها ترك ما يعبد من دون الله، وهم لا يريدون ذلك.

وكثير من المسلمين اليوم لا يعرفون معنى «لا إله إلا الله»، ولذلك يعبدون القبور والأضرحة، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»، لكن لا يعملون بها، فصار الكفار أحذق منهم وأفهم منهم بـ«لا إله إلا الله».

﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾: هذا فهموه من قوله: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلا الله»، أي: لا معبود بحق إلا الله. فهم قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥].

= أَبِي طَالِبٍ مَوْضِعُ رَجُلٍ، فَخَشِيَ إِنْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَمِّهِ أَنْ يَكُونَ أَرَقَّ لَهُ عَلَيْهِ، فَوَثَبَ، فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ المَجْلِسِ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَجِدْ مَجْلِسًا إِلَّا عِنْدَ الْبَابِ فَجَلَسَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ يَشْكُونَكَ، يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَهُمْ، وَتَقُولُ وَتَقُولُ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: **يَا عَمِّ إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**» قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ نَعَمْ وَأَبِيكَ، عَشْرًا، قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**. قَالَ: فَقَامُوا وَهُمْ يَنْفُضُونَ ثِيَابَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥] قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص:٨]».

....

ش: قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

قال القرطبي: الإحسان إلى الوالدين: برهما، وحفظهما، وصيانتهما، وامتثال أمرهما، وإزالة الرق عنهما، وترك السلطنة عليهما.

و﴿إِحْسَٰنًا﴾: نصب على المصدرية، وناصبه فعل مضمر من لفظه تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

الإملاق: الفقر، أي: لا تئدوا بناتكم خشية العيلة والفقر؛ فإني رازقكم وإياهم، وكان منهم من يفعل ذلك بالذكور خشية الفقر، ذكره القرطبي(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾**)، هذا الأمر الثاني، بعد حق الله حق الوالدين، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾، أي: وأحسنوا بالوالدين ﴿إِحْسَٰنًا﴾ بجميع أنواع الإحسان القولي والعملي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال القرطبي: الإحسان إلى الوالدين: برهما**)، برهما بأنواع البر القولي والفعلي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وحفظهما**)، حفظهما مما يؤذيهما، أو يسبب لهما تلفًا أو نقصًا.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٣٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وامتثال أمرهما**)، وامتثال أمرهما؛ إذا أمرا بشيء يجب على الولد أن يطيعهما إلا في المعصية، إذا أمراه بمعصية، فلا يطعهما، أما ما دام أمرهما بغير معصية، فتجب طاعتهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وإزالة الرق عنهما**)، إزالة الرق عنهما، لو ملك أبويه بإرث أو بسبي، فإنه لا يستمر ملكه عليهما، بل يعتقان عليه؛ لا يجوز للولد أن يملك والده، بل يعتق عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وترك السلطنة عليهما**)، لا يتسلط عليهما، ويترفع عليهما، ويأمرهما وينهاهما، بل يخضع لهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**و﴿إِحْسَـٰنًا﴾: نصب على المصدرية**)، أصله: أحسنوا بالوالدين إحسانًا، فـ﴿إِحْسَـٰنًا﴾: مصدر أحسنوا، منصوب على المصدرية؛ لأنه مفعول مطلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وناصبه فعل مضمر من لفظه تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا**)، وهذا من الإيجاز في القرآن حذف ما يعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾**)، لما أمر بالإحسان إلى الوالدين أمر بالإحسان إلى الأولاد، عامودا النسب: الوالدان والأولاد، فتربي أولادك على الخير، وعلى الطاعة، وعلى الأخلاق الطيبة، وتنفق عليهما وتحسن إليهما، الأولاد لهم عليك حق بعد حق الوالدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾**)، كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم، منهم من

يقتلهم خشية الفقر، ولهذا قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١].

كانوا يقتلونهم خشية الفقر، ويئدون البنات خشية العار، يدفنونهن وهن أحياء، يميتوهن تحت التراب خشية العار؛ لأنها قد تزني، قد تفسد أخلاقها، تجر عارًا على أبيها وقبيلتها.

الغيرة مطلوبة، لكن ليست بهذه الصفة، الغيرة التي معها حماية وتربية ووقاية، هي ليست بالقتل.

وبعضهم يقتل أولاده للأصنام؛ تقربًا للأصنام: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٠]، يقتلونهم للأصنام.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧]، فيقتلونهم لأحد هذه الأغراض، هذا من أمور الجاهلية.

الواجب: تربية الأولاد، والإحسان إليهم، وحفظهم، وحمايتهم.

الآن أكثر الناس لا يقتلونهم، لكن يضيعونهم، لا يربونهم، لا يتعاهدونهم، لا يعلمونهم، يتركونهم كالبهائم؛ يوفرون لهم الطعام والشراب والدراهم والرفاهية، ولا يربونهم، هذه إساءة إلى الأولاد، تضييع للأولاد، المسؤولية على آبائهم، ليسوا بأولاد وفقط، مسؤولية على آباءهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾)، يعني: خشية الفقر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله:** ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾)، الآن يقولون: حددوا النسل؛ خشية أن الأرزاق تضيق، وأن الإنتاج يشح إذا كثر الناس، فيأمرون بتحديد النسل، هذا من سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، الله لا يخلق نفسًا إلا ويقدر لها رزقها، رزقها على الله ليس عليك، والنسل مطلوب، أما الذين يحددون النسل خشية الفقر، ففيهم شبه من الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله:** ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾)، الرزق على الله جَلَّوَعَلَا، هل أنتم رزقتم أنفسكم، الله هو الذي رزقكم، أيضًا هو الذي يرزق الأولاد، فرزقهم على الله ليس عليكم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الإملاق: الفقر، أي: لا تئدوا بناتكم خشية العيلة، والفقر، فإني رازقكم وإياهم**)، هم يئدون بناتهم خشية العار.

ش: وفي الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أي: الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان:٦٨]، الآية[1].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، قال ابن عطية: نهي عام عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي.

و«ظهر»، و«بطن» حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له من الأشياء. انتهى[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أي: الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»)، لاحظ! بدأ بالشرك، أعظم الذنوب: الشرك؛ «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا»: يعني شريكًا، «وَهُوَ خَلَقَكَ».

هذا الند الذي جعلته هذا لم يخلقك، إنما الذي خلقك هو الله، فكيف تشركه مع الله، والله هو الذي خلقك؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟، قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»)، هذا من أعظم الكبائر، فالكبائر تختلف؛ بعضها أشد من بعض:

أكبر الكبائر: الشرك بالله، الشرك بالله هذا أكبر الكبائر.

الثاني: قتل الأولاد؛ خشية الفقر، وهذا قطيعة رحم أيضًا.

الثالث: الزنا؛ أن تزاني حليلة جارك.

ومصداق هذا في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»**)، فقتل النفوس محرم وكبيرة من كبائر الذنوب، قتل النفوس بغير حق من كبائر الذنوب، لكن قتل الأولاد هذا أكبر، أشد القتل -والعياذ بالله- قتل الأولاد، أشد من قتل غيرهم.

وكذلك الزنا فاحشة، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]، ولكن الزنا بحليلة الجار -زوجة الجار- الذي ائتمنك، وصار في جوارك، وتخونه -والعياذ بالله-، وتزني بامرأته، هذه خيانة للأمانة، وإساءة للجوار، هذا أشد الزنا -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾**)، لما نهى عن هذه الجرائم الثلاث القبيحة، عمم النهي عن

الفواحش، كل المعاصي فواحش، والفاحشة: ما تناهى قبحه، فما تناهى قبحه، فهو فاحشة، فحش[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾)**، يعني: وصاكم ألا تقربوا الفواحش وهي المعاصي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن عطية)**، صاحب التفسير المعروف بتفسير ابن عطية، «المحرر الوجيز في كتاب كتاب الله العزيز»، وهو مطبوع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن عطية: نهي عام عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي)**، نهى عن جميع أنواع المعاصي، فالمعاصي فواحش؛ لأنها قبيحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(و«ظهر»، و«بطن» حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له من الأشياء)**، المعاصي يتجنبها المسلم ظاهرًا وباطنًا، لا يتجنبها في الظاهر، وإذا خلا وصار في مكان لا يراه أحد، فإنه يتعاطى المعاصي، لا يجوز هذا، الله رقيب عليه مطلع عليه، لا يخفى عليه، سواء كانت المعاصي ظاهرة ومعلنة، أو كانت المعاصي خفية، المسلم يتجنبها ويبتعد عنها.

انظروا إلى قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما راودته امرأة العزيز؛ ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾: ليس عندهما أحد، ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣].

---

(١) انظر مادة (فحش) في: العين (٣/ ٩٦)، وتهذيب اللغة (٤/ ١١١)، والصحاح (٣/ ١٠١٤)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٧٨)، ولسان العرب (٦/ ٣٢٥).

لم يقل: ليس عندي أحد، أو هذه فرصة سنحت، ثم أتوب فيها بعد، لا، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣]، هذا الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ.

....

ش: وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

في الصحيحين: عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لَا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِلاَّ بِإِحْدى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، المُفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ». رواه البخاري ومسلم[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾)، هذه جريمة عظيمة، وهي أولًا: قتل الأولاد هذا أشد أكبر الكبائر، وقتل النفوس التي حرم الله. فالتي حرم الله هي نفس المؤمن؛ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، أو قتل النفس المعاهدة التي بينها وبين المسلمين عهد أو أمان؛ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦]، من دخل بلاد المسلمين بإذنهم، فله عهد أن يحسنوا إليه، وأن لا يعتدوا عليه ما دام في بلادهم، ولا يقتلونه، والقتل أشد، لا يقال: هذا كافر، ويقتل.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيح: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ سَنَةً**»[(٢)]، وعيد شديد -والعياذ بالله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٠٩).

النفس التي حرم الله: هي نفس المؤمن، ونفس المعاهد من الكفار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله**: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾)، ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾، والحق كما جاء في الحديث: «**النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»، هذا القتل بحق: القصاص أو الرجم بالزنا، أو قتل المرتد عن دينه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**في الصحيحين: عن ابن مسعودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا**: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِلاَّ بِإِحْدى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي**)، الثيب الزاني هذا سبق له أن تزوج زواجًا صحيحًا، من وطئ امرأته بنكاح صحيح ثم زنى هذا ثيب يرجم بالحجارة، أما إن كان لم يتزوج يسمى البكر، هذا يجلد مائة جلدة، ويغرب سنة[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ**)، يعني: القصاص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**)، هذا المرتد -والعياذ بالله-، من ارتد عن دينه، فإنه يستتاب؛ فإن تاب وإلا قُتِل؛ حماية للدين من التلاعب.

بعض المتعالمين الآن والجهال أو المثقفين ثقافة غربية يقولون: لا يجوز قتل المرتد؛ لأن هذا معناه: إكراه على الدين، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٦٤٩): عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّهُ أَمَرَ فِيمَنْ زَنَى، وَلَمْ يُحْصَنْ بِجَلْدِ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبِ عَامٍ**».

نقول: لا إكراه على الدخول في الدين، أما إذا اعترف أنه حق، ودخل فيه ثم ارتد، هذا يقتل؛ حماية للعقيدة، وحفظ العقيدة من الضرورات الخمس.

أما ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾: هذا في البداية، نحن لا نكره أحدًا على أن يدخل في الدين إلا عن رغبة، لو دخل عن غير رغبة، لما صار للدين عنده قيمة، إنما هو وقاية فقط، هذا دين المنافقين -والعياذ بالله-، هو لا يجبر على الدخول، لكن إذا تلاعب بالدين؛ يوم مسلم، ويوم مرتد، هذا يقتل، الدين ليس بألعوبة، وهو اعترف أنه حق، ودخل فيه عن قناعة ثم ارتد، فيجب قتله.

ش: قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. قال ابن عطية: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: إشارة إلى هذه المحرمات، والوصية: الأمر المؤكد المقرر[1].

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، (لعل) للتعليل، أي: إن الله تعالى وصانا بهذه الوصايا؛ لنعقلها عنه، ونعمل بها.

وفي تفسير الطبري الحنفي[2]: ذكر أولًا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأنهم إذا عقلوا، تذكروا، وإذا تذكروا، خافوا واتقوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾)، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، أي: ما ذُكرَ في هذه الآية الأولى ما وصاكم الله به، يعني: أمركم به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن عطية: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: إشارة إلى هذه المحرمات، والوصية: الأمر المؤكد المقرر)، ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: الوصية: هي الأمر المؤكد، ﴿وَصَّىٰكُم﴾، يعني: أمركم أمرًا مؤكدًا أن تمتثلوا هذه الأشياء.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٢).

(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو حامد المَرْوَزي المعروف بابن الطّبري، القاضي الحنفي، المتوفى: ٣٧٣ هـ. انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٨/ ٣٨٤)، والأعلام للزركلي (١/ ١١٥)، ومعجم المفسرين (١/ ٣٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، (لعل) للتعليل، أي: إن الله تعالى وصانا بهذه الوصايا؛ لنعقلها عنه، ونعمل بها)**، لنعقلها يعني: لنفهمها، عقل الآية: فهمها والعمل بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي تفسير الطبري الحنفي)**، غير محمد بن جرير الطبري، هذا غيره؛ لأن ابن جرير ليس بحنفي، ابن جرير المشهور هذا مجتهد، إمام مجتهد مطلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي تفسير الطبري الحنفي: ذكر أولًا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾)**، الآية الأولى ختمها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، والثانية ختمها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، والثالثة ختمها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

قال هذا المفسر: لأن الإنسان إذا عقل تذكر، وإذا تذكر خاف واتقى الله عَزَّوَجَلَّ، هذا من باب التدرج.

....

ش: **وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾. قال ابن عطية: هذا نهي عام عن القرب الذى يعم وجوه التصرف، وفيه سد الذريعة، ثم استثنى ما يحسن، وهو السعي في نمائه.**

قال مجاهد: التي هي أحسن: التجارة فيه[1].

في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾، قال مالك وغيره: هو الرشد، وزوال السفه مع البلوغ، روي نحو هذا عن زيد بن أسلم، والشعبي وربيعة، وغيرهم[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾)، اليتيم: هو من مات أبوه وهو صغير، وهو بحاجة إلى العناية والتربية، وإذا كان له مال يحفظ؛ حتى يكبر ويعقل، فيدفع له ماله، هذا من الإحسان إلى الأيتام.

من الإحسان إليه: حفظ ماله، وتنميته له، وتسليمه له إذا بلغ راشدًا.

وأكل مال اليتيم من الكبائر الموبقة -والعياذ بالله.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: إلا بما له فيه حظ، لا تقربوا لمصلحتكم أنتم، ولكن أقربوه لمصلحة اليتيم بالتنمية والتجارة والحفظ.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾)**، ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾، يعني: يبلغ الحلم، ويكون رشيدًا، ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [النساء:٦]، فيدفع إليه المال بشرطين: البلوغ والرشد؛ قد يكون بالغًا، ولكنه سفيه لا يحسن التصرف، فيحجر عليه، يحفظ ماله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن عطية: هذا نهي عام عن القرب الذي يعم وجوه التصرف)**، هذا نهي عن القرب، فكيف بأكل مال اليتيم؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه سد الذريعة)**، قوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾، هذا سدٌّ للذريعة؛ لا تتخذوا وسيلة لأكل مال اليتيم بالحيل والمكر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم استثنى ما يحسن، وهو السعي في نمائه)**، في نمائه بالتجارة، والتنمية المباحة، وحتى يكثر، وأيضًا إخراج الزكاة عنه؛ لأن وليه يقوم مقامه، ويخرج الزكاة عنه -عن اليتيم-، وهذا من الإحسان إلى اليتيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾، قال مالك وغيره: هو الرشد، وزوال السفه مع البلوغ)**، البلوغ وزوال السفه، أما لو بلغ وهو سفيه، لا يسلم له المال، يحفظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(روي نحو هذا عن زيد بن أسلم، والشعبي وربيعة، وغيرهم)**، هذا في الآية: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [النساء:٦].

﴿بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾، هذه واحدة، ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾: هذا الشرط الثاني.

....

ش: وقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾.

قال ابن كثير: يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ، والإعطاء، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾، أي: من اجتهاد بأداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ الوسع وبذل جهده فلا حرج عليه[1].

وقوله: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾، هذا أمر بالعدل في القول والفعل على القريب والبعيد.

قال الحنفي: العدل في القول في حق الولي والعدو، لا يتغير في الرضى والغضب، بل يكون على الحق، وإن كان ذا قربى، فلا يميل إلى الحبيب والقريب؛ ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾)، وصاكم أن توفوا بالكيل إذا كلتم للناس، وتوفوا الموازين إذا وزنتم، ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [الأعراف:٨٥]، الله أهلك قوم شعيب بسبب الشرك، وبسبب بخس المكاييل والموازين؛ ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين:١-٣]، نسأل الله العافية!

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٤).

فيجب على من يبيع ويشتري، أو من يتعامل مع الناس بالكيل والميزان أن يوفي الكيل والوزن ولا ينقصه، وهذا يشمل ما يكون في الصناديق وما يكون في الأكياس؛ بعض الناس يغش في الصناديق، ويغش في الأكياس، أكياس الأرز أو غيره، هذا من بخس الناس أشياءهم -والعياذ بالله- وأكل أموال الناس بالباطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾)**، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾، يعني: بالعدل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن كثير: يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ، والإعطاء)**، فلا تأخذ منهم أكثر من حقك إلا إذا سمحوا، ولا تبخسهم حقوقهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: من اجتهاد بأداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ الوسع وبذل جهده، فلا حرج عليه)**، يعني: لايشترط مائة بالمائة أنه لا ينقص الكيل والوزن، هذا إذا تعمد، أما إذا كان النقص يسيرًا ولم يتعمده هذا معفو عنه؛ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

أنت اجتهد أن تعطي الناس حقوقهم، وتوفي لهم الكيل والوزن، فلو حصل نقص لم تقصده أنت، فإنك لا تؤاخذ على هذا؛ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾)**، وهذا كما أن تفي للناس بالكيل والوزن تفي لهم بالقول -أيضًا-، لا تبخس

الناس حقوقهم بالسب والشتم، والغيبة والنميمة، والسخرية والاستهزاء بالناس، لاتنقصهم حقوقهم؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين:٢٩، ٣٠]، فلا تتنقص الناس، كما أنك تنقص أموالهم لا تنقص حقوقهم -أيضًا-، وتسخر منهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله**: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾)، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ يشمل الشهادة؛ لا تشهد إلا بالعدل، لا تحف مع أحد لقرابة أو لصداقة، تشهد معه بغير حق شهادة زور -والعياذ بالله-، تنصره، لا، لا يجوز، إذا شهدت اشهد له بالحق، واشهد عليه بالحق، الله جَلَّ وَعَلَا أمر بالعدل في القول والفعل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله**: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾)، ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾: قل الحق ولو على نفسك؛ كما في الحديث: «**قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا**»(١)، قل الحق ولو على صديقك أو على والدك؛ ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥]، فاعدل في الفعل، واعدل في القول أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله**: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾)، إذا تكلمت في أحد، كن عادلًا، لا تمدحه بشيء ليس فيه، ولا تذمه بما فيه، حتى

---

(١) سبق تخريجه (ص٢١١).

لا تذمه بالذي فيه، استر عليه، وإذا كذبت عليه، فهذا أشد، لكن حتى لو لم تكذب عليه، فأنت تستر عليه وتنصحه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾)**، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، لا تحملك القرابة على الحيف معه، الشهادة معه شهادة زور؛ تعديله وتزكيته بغير حق، تصديقه وهو كاذب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، هذا أمر بالعدل في القول، والفعل على القريب، والبعيد)**، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحنفي: العدل في القول في حق الولي، والعدو)**، الولي والعدو، لا تقل: (هذا عدو)، فتكذب عليه، أو تشهد عليه شهادة زور تضره، لا يجوز هذا؛ الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]، ﴿شَنَـَٔانُ﴾: معناه البغض، لا يحملك بغضه على أنك تجحف في حقه، حتى ولو كان كافرًا؛ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]، فالعدل واجب مع القريب والبعيد، ومع الصديق والعدو، ومع المؤمن والكافر، لا يجوز الجور أبدًا، ولا الظلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا يتغير في الرضى والغضب)**، إذا غضبت من أحد، لا يحملك الغضب عليه أنك تضره بالقول وتكذب عليه، أو تشتمه، أو تسبه، أمسك لسانك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل يكون على الحق، وإن كان ذا قربى، فلا يميل إلى الحبيب والقريب)**، فلا تجُر على العدو، ولا تحف مع القريب.

....

ش: **وقوله: ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾.**

قال ابن جرير: وبوصية الله تعالى التي وصاكم بها فأوفوا، وانقادوا لذلك بأن تطيعوه بما أمركم به، ونهاكم عنه، وتعملوا بكتابه، وسنة رسوله ﷺ، وذلك هو الوفاء بعهد الله، وكذا قال غيره.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، أي: تتعظون، وتنتهون عما كنتم فيه[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾)**، الوفاء بالعهود؛ العهد مع ولي الأمر، العهد مع الكفار، العهد بين الناس فيما تعاهدوا عليه، يجب الوفاء؛ ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن جرير: وبوصية الله -تعالى- التي وصاكم بها فأوفوا)**، هذا العهد مع الله، العهد مع الله هذا أول شيء تفي به، العهد مع ولي الأمر تفي به، العهد مع الكفار تفي به، العهد مع إخوانك ومع أصدقائك تفي به، وهكذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن جرير: وبوصية الله تعالى التي وصاكم بها فأوفوا)**، هذا أعظم العهود؛ عهد الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٦٦٦- ٦٦٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وانقادوا لذلك بأن تطيعوه بما أمركم به ونهاكم عنه)**، هذا الوفاء بعهد الله مع الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك هو الوفاء بعهد الله، وكذا قال غيره)**، وليس هذا خاصًّا بالعهد الذي بينك وبين الله، بل العهود الأخرى أيضًا.

••

ش: وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

قال القرطبي: هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم؛ فإنه لما نهى وأمر، حذر عن اتباع غير سبيله على ما بينته الأحاديث الصحيحة، وأقاويل السلف.

﴿وَأَنَّ﴾ في موضع نصب؛ أي: وأتلو أن هذا صراطي. عن الفراء، والكسائي.

قال الفراء: ويجوز أن يكون خفضًا، أي: وصاكم به، وبأن هذا صراطي.

قال: والصراط: الطريق الذي هو دين الإسلام.

﴿مُسۡتَقِيمٗا﴾: نصب على الحال، ومعناه: مستويًا قويمًا لا اعوجاج فيه.

فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرعه، ونهايته الجنة، وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة، نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق، أفضت به إلى النار، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: تميل. انتهى[1].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٣٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾**)، صراط الله: هو دين الإسلام، فتتبع الإسلام الذي شرعه الله لك.

الإسلام: هو ما عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والسلف الصالح، هذا هو صراط الله فاتبعه.

هناك طرق ومذاهب ونحل وحزبيات وبلايا اتركها، كن مع الصراط المستقيم؛ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ لأنك إذا تتبعت السبل الأخرى، تركت سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، إذا اتبعت المناهج الأخرى، تركت منهج الله الذي عليه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يجتمع هذا وهذا؛ أنك تكون مع السبل ومع سبيل الله، لا يجتمعان أبدًا، كن مع سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال القرطبي: هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم**)، هذا ابتلي به كثير من الناس؛ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾: سيعترضك سبل أخرى، شبهات، مذاهب، مناهج، كل ما خالف صراط الله اتركه؛ لأنك إذا ذهبت معه، جذبك عن سبيل الله، على كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، هذه وصية عظيمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإنه لما نهى، وأمر، حذر عن اتباع غير سبيله على ما بينته الأحاديث الصحيحة، وأقاويل السلف**)؛ «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ**

مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»(١)، «قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُول اللهِ؟ قَالَ: **مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**(٢). هذا صراط الله عَزَّوَجَلَّ.

سيحدث مذاهب، سيحدث مناهج، سيحدث أشياء كثيرة، لكن احذروها، والزموا صراط الله المستقيم.

أنت تدعو الله كل صلاة في آخر الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦]، أنت تدعو الله بهذا في كل ركعة، عليك أن تعرف صراط الله ما هو، ثم تلتزمه وتسير عليه، ولا تغتر بما عداه من الأقوال المزخرفة والمناهج المزينة إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الفراء: ويجوز أن يكون خفضًا، أي: وصاكم به)**، هذا بحث لغوي ليس لنا به شأن، المهم السياق.

---

(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن، وله طرق، وورد عن عدد من الصحابة بنحو هذا اللفظ؛ منهم: معاويةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود في السنن (٤٥٩٧)، والطبرانيِّ في الكبير (١٩/ ٣٧٧). وعوفُ بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٧٠). وأنسٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد في المسند (١٩/ ٢٤١)، وأبي يعلى في مسنده (٧/ ١٥٥). وانظر تمام تخريجه في السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٣٧)، والصغير (٢/ ٢٩) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ورُوي نحوُه من حديث أبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المُزَني، وعوف بن مالك، وأبي أُمامة، وجابر بن عبد الله، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.
وصحَّحه البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٣)، والحديث فيه عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم الأفريقي؛ قال الحافظ في التقريب (ص ٣٤٠): (ضعيف في حفظه، وكان رجلًا صالحًا). وانظر: الكامل (٥/ ٤٥٧)، والميزان (٢/ ٥٦١)، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٧٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال: **والصراط: الطريق الذي هو دين الإسلام**)، الصراط في اللغة: هو الطريق، أيّ طريق، لكن المراد به في القرآن: هو الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وشرعه، ونهايته الجنة**)، إذا سلكت هذا الطريق ولم تخرج عنه دخلت الجنة، وهذا الصراط طرفه بأيديكم وطرفه الآخر بيد الله، فإذا أخذته وصلت إلى الله ودخلت الجنة، لكن هذا يحتاج إلى علم، يحتاج إلى عمل، يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى بصيرة، ولكن إذا وُفِق المسلم سهل عليه ذلك كله، والأعمال بالنيات؛ إذا صلحت نية الإنسان وفقه الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: تميل**)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين هذا بالصورة، صوره للصحابة، وصور ما بجنباته من الطرق وحذر منها(1)، انتبهوا!

(١) كما في الحديث الذي أخرجه النسائي في الكبرى (١٠/ ٩٥)، وأحمد (٧/ ٢٠٧، ٤٣٦)، والدارمي (٢٠٨)، وأبو يعلى (٩/ ١٥٨)، والمروزي في السنة (ص٩، ١٠)، والطيالسي (١/ ١٩٧)، والبزار (٥/ ٩٩، ١١٣، ١٣١، ٢٥١)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٨٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٦٣)، والحاكم (٢/ ٢٦١، ٣٤٨)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: **هَذَا سَبِيلُ اللهِ**، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: **هَذِهِ سُبُلٌ** -قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ- **عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾».

....

ش: وروى الإمام أحمد، والنسائي، و الدارمي، و ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، ورواه محمد بن نصر المروزي في كتاب» الاعتصام» بسند صحيح، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَطَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: وَهَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]»[(١)].

وعن مجاهد: ولا تتبعوا السبل، قال: البدع والشبهات[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ورواه محمد بن نصر المروزي في كتاب «الاعتصام»)، الاعتصام يعني: بالكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ قَالَ: وَهَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ)، «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَطَاعَهُمْ قَذَفُوهُ فِيهَا»، كما في الحديث[(٣)].

فهذه السبل عليها دعاة ضلال -والعياذ بالله-، ومغريات أيضًا.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٦٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثُمَّ قَرَأَ**: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣])، تلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية لما صور لهم الصراط المستقيم والسبل بخطوط على الأرض من باب التوضيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وعن مجاهد: ولا تتبعوا السبل، قال: البدع والشبهات**)، هذا من السبل، البدع في الدين، والشبهات التي تترك من أجلها الأدلة إلى الشبهات، هذا من السبل. هذه آيات عظيمة، عظيمة جدًّا.

....

ش: **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ولنذكر في الصراط المستقيم قولًا وجيزًا، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلًا إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله، وجعله موصلًا لعباده إليه، وهو إفراده بالعبادة، وإفراد رسله بالطاعة، فلا يشرك به أحدًا في عبوديته، ولا يشرك برسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أحدًا في طاعته، فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ولنذكر في الصراط المستقيم قولًا وجيزًا)**؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]، هذه من جملة الوصايا العشر، وهي آخرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحقيقته شيء واحد، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلًا إليه)**، هذا هو صراط الله، ﴿صِرَٰطِى﴾: هو الطريق.

الصراط: هو الطريق الذي نصبه الله لعباده؛ ليوصلهم إليه، فمن سار على هذا الصراط وصل إلى الله، ومن خرج عنه هلك؛ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا طريق إليه سواه)**، لا يوصل إلى الله إلا هذا الطريق الذي نصبه الله لعباده، ولهذا قال: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾، ونهى عن اتباع غيره؛

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، والسبل: هي المناهج، والمذاهب التي يتبعها الناس بأنفسهم؛ ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف:٤٠]، وهي كثيرة على حسب الأهواء، وعلى حسب الفرق؛ كل له منهج غير منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن سار مع أحد هذه المناهج هلك أيًا كانت، ومن سار على صراط الله نجا ووصل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً: كُلُّها في النّار إلَّا واحِدَةً**»(١)، «قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **مَن كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(٢).

طريق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس لنا غيره.

ثلاث وسبعين هذا ليس من باب الحصر بل فرق كثيرة، أكثر من هذا، والعدد لا يفيد الحصر، والفرق كثيرة، والمذاهب كثيرة، والمناهج -خصوصًا لما حدثت الجماعات والأحزاب- كثرت، كلها ضلال إلا ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وهذا يحتاج إلى أمرين:

أولًا: يحتاج إلى العلم والمعرفة بهذا الذي كان عليه الرسول وأصحابه.

وثانيًا: يحتاج إلى الصبر؛ لأن الذي يسير عليه سيبتلى من الناس، وسيلقى من الناس أذى، ويلقى من الناس تهديدًا ووعيدًا، لكن يصبر؛ لأنه على الحق، ويكون كالقابض على الجمر؛ كما في الحديث(٣).

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢٦٠) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه)**، طريق النجاة واحد، وأما بقية الطرق، فهي طرق هلاك؛ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، يعني: عن سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله، وجعله موصلًا لعباده إليه وهو إفراده بالعبادة)**، هذا صراط الله: إفراد الله بالعبادة، فمن أفرد الله بالعبادة من جهة العقيدة، وسلم من البدع والمحدثات من جهة الاتباع فقد نجا، من سلم من الشرك، وسلم من البدع نجا، ومن وقع في الشرك أو وقع في البدع هلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو إفراده بالعبادة، وإفراد رسله بالطاعة)**، هذا هو: إفراد بالعبادة، وإفراد رسله بالاتباع والطاعة؛ يتجنب البدع والمخالفات ومناهج الناس المحدثة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا يشرك به أحدًا في عبوديته، ولا يشرك برسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أحدًا في طاعته، فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، هذا طريق النجاة؛ يخلص التوحيد لله، ويخلص الاتباع للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا طريق النجاة، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢]، ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: هذا التوحيد، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: متبع للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢].

....

ش: وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فأي شيء فُسِر به الصراط المستقيم، فهو داخل في هذين الأصلين، ونكتة ذلك أن تحبه بقلبك، وترضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمورًا بحبه، ولا يكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته، فالأول يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، والثاني يحصل بتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، وهذا هو الهدى، ودين الحق، وهو معرفة الحق، والعمل به، وهو معرفة ما بعث الله به رسوله، والقيام به، فقل ما شئت من العبارات التي هذا آخيتها، وقطب رحاها[(١)].

قال: وقال سهل بن عبد الله: «عليكم بِالْأَثَرِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنَّهُ سَيَأْتِي عَنْ قَلِيلٍ زَمَانٌ إِذَا ذَكَرَ إِنْسَانٌ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء به في جميع أحواله، ذَمُّوهُ، وَنَفَرُوا عَنْهُ، وَتَبَرَّءُوا مِنْهُ، وَأَذَلُّوهُ، وَأَهَانُوهُ». اهـ[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله)، معنى شهادة أن لا إله إلا الله: إفراده بالعبادة، ومعنى أن محمدًا رسول الله: إفراده بالاتباع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأي شئ فُسِر به الصراط المستقيم، فهو داخل في هذين الأصلين)، أصلان عظيمان.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٣٩- ٤٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٣٩).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فلا يكون في قلبك موضع إلا معمورًا بحبه)**، حب الله يعني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فالأول يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، والثاني يحصل بتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، وهذا هو الهدى، ودين الحق)**؛ لأن الله قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، الإسلام هو الذي جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو الدين الذي يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا هو الهدى، ودين الحق، وهو معرفة الحق، والعمل به)**، الهدى: هو معرفة الحق، وهو العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح؛ لأن هناك أديان، لكن كلها باطلة، ليس هناك دين حق إلا واحد، دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بالاثنين: بالعلم النافع، والعمل الصالح؛ بالهدى ودين الحق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فقل ما شئت من العبارات التى هذا آخيتها)**، آخيتها يعني: كلها ترجع إليه، الأقوال الصحيحة كلها ترجع إلى هذا، وإن تنوعت العبارات كلها ترجع إلى هذا؛ مثل: الآخية، وهي الحبل الذي يوثق بالأرض في وتد تربط به الدابة، هذه الآخية[1]، فالعبد مربوط بهذه الآخية، وهي دين الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر: العين (٤/ ٣١٩)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٥٢)، والصحاح (٦/ ٢٢٦٥)، ولسان العرب (١٤/ ٢٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال سهل بن عبد الله: «عليكم بِالْأَثَرِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنَّهُ سَيَأْتِي عَنْ قَلِيلٍ زَمَانٌ إِذَا ذَكَرَ إِنْسَانٌ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء به في جميع أحواله، ذَمُّوهُ، وَنَفَرُوا عَنْهُ، وَتَبَرَّءُوا مِنْهُ، وَأَذَلُّوهُ، وَأَهَانُوهُ»)، وقد جاء هذا الزمان الذي خافه سهل، فالذي يتمسك بالسنة يزدرونه ويحتقرونه؛ وهذا رجعي، وهذا متشدد، وهذا ليس بفاهم للحياة، يقولون ما هو أشد من هذا، لكن المسلم يصبر على هذا لا يلتفت إليه، ما دام أنه مقتنع بما هو عليه فليصبر.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «التوحيد» لما ساق هذه الآيات الثلاث التي تتضمن الوصايا العشر، ذكر ما قاله ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حق هذه الآيات وعظمتها، وأنها وصية الله؛ ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥١]، في آخرها يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥١]، فهي وصية الله جَلَّ وَعَلَا، والرسول لا يوصي إلا بما أوصى به الله عَزَّ وَجَلَّ، فهذه الآيات الثلاث هي وصية الله ورسوله.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الَّتِي عليها خَاتَمُهُ، فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالى:** ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ **الآية** [الأنعام:١٥٣]»[١].

ش: قوله: (ابْنُ مَسْعُودٍ) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل -بمعجمة وفاء-، ابن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن. صحابي جليل من السابقين الأولين، وأهل بدر، وأحد، والخندق، وبيعة الرضوان، ومن كبار علماء الصحابة، أمره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الكوفة. ومات سنة اثنتين وثلاثين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]، وهذا الأثر رواه الترمذي وحسنه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني بنحوه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، هو الصحابي الجليل، ابن مسعود الهذلي، من السابقين الأولين إلى الإسلام، وقد شهد المشاهد مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاهد في سبيل الله، وتلقى العلم الغزير عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو عالم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد ولاه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إمارة الكوفة، وصار له فيها تلاميذ أخذوا عنه العلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤١٤)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٤٣) والكبير (١٠/ ٩٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٣٠٨)، وفي إسناده داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، وهو ضعيف.

(٢) انظر في ترجمته: معجم الصحابة للبغوي (٣/ ٤٥٨)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٢٠٥)، وإكمال تهذيب الكمال (٨/ ١٩٧).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الَّتِي عليها خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى:** ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ **الآية** [الأنعام:١٥٣]»)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان في الاحتضار، قال لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: هاتوا لي أكتب لكم كتابًا؛ لا تختلفوا بعدي. الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالوا: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآن في حالة لا ينبغي أن يراجع فيها، حالة حرجة، فأخذوا يتجادلون؛ هل يأتون له بورق وقلم، ويكتب لهم، وهو في هذه الحالة؟ لا يريدون أن يحرجوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الحالة، أخذوا يترددون. ثم قال: قوموا فاخرجوا، فخرجوا من عنده، ولم يكتب لهم شيئًا، فقال بعضهم: يا ليته كتب كتابًا، يا ليت الذين عنده أتوا له بالمطلوب، وكتب لهم كتابًا(١).

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لا، لا تتأسفوا، لستم بحاجة إلى أن الرسول يكتب لكم كتابًا، هذه وصية الله في هذه الآيات؛ ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥١]، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يوصي إلا بما أوصى به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤، ٤٤٣٢، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦)، ومسلم (٢٢) (١٦٣٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قَالَ: **ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ.** قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا. فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: **قُومُوا عَنِّي، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ.** فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ».

فالوصية موجودة في كتاب الله، وليس هناك حاجة إلى أن الرسول ﷺ يكتب وصية؛ لأنه لو كتب لن يكتب إلا بما في كتاب الله، لم يفت شيء إذًا.

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عليها خَاتَمُهُ»؛ لأن من عادة الولاة أنهم إذا كتبوا كتابًا يختمونه؛ يضعون عليه الختم؛ لأجل أن يثبت أنه عنه، ولم يزور عليه.

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عليها خَاتَمُهُ»، يعني: كأن عليها خاتمه، فلم تبدل ولم تغير، فليقرأ هذه الآيات الثلاث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ابن حبيب الهذلي)**، يعني: من قبيلة هذيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أبو عبد الرحمن)**، كنيته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومات سنة اثنتين وثلاثين** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**)**، هذه ترجمته باختصار.

....

ش: وسبب هذا القول -والله أعلم-: ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قَالَ: ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَخْتَلِفُوا بَعْدَهُ، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا. فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: «قُومُوا عَنِّي، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ وَبَيْنَ كِتَابِهِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عليها خَاتَمُهُ». الحديث[1].

وقال بعضهم: (معناه: من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتبت، وخُتِم عليها، فلم تغير ولم تبدل، فليقرأ: (﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ -إلى آخر الآيات)، شبهها بالكتاب الذى كُتِب، ثم خُتِم، فلم يزد فيه، ولم ينقص.

فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يوص إلا بكتاب الله تعالى؛ كما قال فيما رواه مسلم: «وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ: كِتَابَ اللهِ»[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («قَالَ: قُومُوا عَنِّي، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ»)؛ لأنه في حالة حرجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا

(١) سبق تخريجه (ص٢٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ وَبَيْنَ كِتَابِهِ)، يتأسف ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكتب الكتاب.

فابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يريد أن يبين أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي بما أوصى به الله، فكأنه كتب، وأنه لم يفت على الأمة شيء، ما دام كتاب الله بين أيديهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الَّتِي عليهَا خَاتَمُهُ» الحديث)**، يعني: كأن عليها خاتمه، فلينظر إلى هذه الآيات الثلاث التي تتضمن هذه الوصايا العشر.

في الآية الأولى: ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١].

في الآية الثانية: ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢].

في الثالثة: ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(شبهها بالكتاب الذى كُتِب، ثم خُتِم، فلم يزد فيه، ولم ينقص)**؛ لأن من عادة الولاة أنهم يختمون الرسائل بالختم؛ حتى تتوثق، ولا يزاد فيها ولا ينقص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لم يوص إلا بكتاب الله تعالى؛ كما قال فيما رواه مسلم: «وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ: كِتَابَ اللهِ»)**، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ»**، يعني: بعد وفاتي.

«مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا»، ما هو؟ قال: **«كِتَابَ اللهِ»**، إذا تمسكتم به فلن تضلوا.

....

ش: وقد روى عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيكم يُبَايِعُنِي عَلَى هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ؟ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، حَتَّى فَرَغَ مِنْ ثَلاثِ آيَاتٍ»، ثُمَّ قَالَ: «وَمَنْ وَفَّى بِهِنَّ، فَأَجْرُهُ على اللهِ، وَمَنِ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا، فَأَدْرَكَهُ اللهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عُقُوبَتَهُ، وَمَنْ أَخَّرَهُ إِلَى الآخِرَةِ، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ؛ إِنْ شَاءَ أَخَذَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ». رواه ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، ومحمد بن نصر في الاعتصام(١).

قلت: ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يوص أمته إلا بها وصاهم الله -تعالى- على لسانه وفي كتابه الذى أنزله: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، وهذه الآيات وصية الله -تعالى-، ووصية رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («وَمَنْ وَفَّى بِهِنَّ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنِ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا فَأَدْرَكَهُ اللهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عُقُوبَتَهُ، وَمَنْ أَخَّرَهُ إِلَى الآخِرَةِ كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ؛ إِنْ شَاءَ أَخَذَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ»)، إذا أخطأ أو خالف شيئًا من هذه الوصايا

---

(١) أخرجه: ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤١٧)، والحاكم (٢/ ٣٤٨)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦١٥)، وأصل الحديث في البخاري (١٨، ٣٨٩٢، ٦٧٨٤، ٦٨٠١، ٧٢١٣، ٧٤٦٨)، ومسلم (١٧٠٩).

العشر، فإن كان وقع في الشرك، فهذا لا يغفر الله له، ولا طمع له في الجنة، وهو مخلد في النار.

أما إذا كان ما وقع فيه من المخالفات دون الشرك، فهذا تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له؛ لتوحيده وإيمانه.

وإن شاء عذبه؛ إما في الدنيا بالمصائب والعقوبات، وإما في الآخرة بالنار، ولكنه لا يخلد في النار، ولكن يمحص، ما يصيب المؤمن في الدنيا فهو تمحيص؛ ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران:١٤١]، تمحيص، تطهير، وإن دخل النار، فإنه لا يخلد فيها بسبب التوحيد الذي معه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: ولأن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لم يوص أمته)**، قلت: يعني الشارح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي كتابه الذى أنزله: ﴿تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾** [النحل:٨٩])، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في خطبه: «**إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣) (٨٦٧) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلى حِمارٍ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ على عِبادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبادِ عَلى اللهِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبادِ عَلَى اللهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[1].

ش: هذا الحديث في الصحيحين من طرق، وفي بعض رواياته نحو مما ذكره المصنف.

ومعاذ: هو ابن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الرحمن، صحابي مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم، والأحكام، والقرآن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُعَاذُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ»[3]. أي: بخطوة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).
وفي رواية: «فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا» عند البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٢) انظر في ترجمته: معجم الصحابة للبغوي (٥/ ٢٦٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٤٠٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٠٧).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٣)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٠١، ٣٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٨)، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٦)، وتذكرة الحفاظ (١ / ١٩)، والرتوة: الدرجة والمنزلة. انظر: النهاية (٢/ ١٩٥)، ومختار الصحاح (ص ١١٨)، ولسان العرب (١٤/ ٣٠٨)، وتاج العروس (٣٨/ ١٢٤).

قال في القاموس: والرتوة: الخطوة، وشرف من الأرض، وسويعة من الزمان، والدعوة، والقطرة، ورمية بسهم، أو نحو ميل، أو مدى البصر، والراتي: العالم الرباني. انتهى[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ: حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**)، هذا حديث عظيم، ومعاذ بن جبل الأنصاري الصحابي الجليل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كان من أغزر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ علمًا، وكان أعلم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالحلال والحرام، وهو من شباب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولهذا كان قريبًا من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يأخذ عنه ويروي عنه ويتعلم منه.

قال: «**كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **على حِمَارٍ**»، هذا فيه تواضع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه كان يركب الحمار، ويردف معه، ففيه دليل على جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك.

«**فَقَالَ: يَا مُعَاذُ**»، يكلمه، فأجابه: «لبيك يا رسول الله».

«**قَالَ: يَا مُعَاذُ**»، ثلاث مرات، قلت: «لبيك يا رسول الله».

«**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ على اللهِ؟**»، أراد أن يعلمه هذا، ولكن يعلمه عن طريق السؤال والجواب؛ لأن هذا أثبت في الذهن، فالتعليم عن طريق السؤال والجواب أثبت في الذهن، وإلا فالرسول

---

(١) انظر: القاموس المحيط (٤/ ٣٣٢).

يدري أن معاذًا لا يعرف هذا، لكن لم يبدأ به في الأول، قال: حق الله كذا، وحق العباد كذا، بل أتى به عن طريقة السؤال؛ من أجل أن ينتبه.

ولهذا قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، وهذا فيه أن الإنسان لا يتخرص في مسائل العلم، فإذا كان لا يعرف ما سئل عنه، ليس عنده علم، يتوقف ولا يتخرص ويقول: (الله ورسوله أعلم)، يرد العلم إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وإلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، أما بعد وفاته، فالمسلم يقول: (الله أعلم)، ولا يتخرص يتوقف.

«قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، فهذا فيه عدم التعجل بالجواب، والإنسان ليس عنده علم، وليس في هذا عيب، بل يدل هذا على الفضل؛ كونك تتوقف هذا يدل على الفضل والورع، أفضل من الذي يتخرص، ويقول على الله بغير علم، بعض الناس يتحرج أن يقول: (لا أدري)، لا، لا تتحرج من هذا، هذه فضيلة، لا تتحرج من قولك: (لا أدري)؛ يقولون: («لا أدري» نصف العلم، ومن قال: «لا أدري»، فقد أجاب).

«**قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، هذا حق الله على العباد الذي أوجبه عليهم، بعث به رسله، وأنزل به كتبه، وأمرهم به، وهو أول الحقوق.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [النساء:٣٦]، إلى آخر الحقوق العشرة التي في سورة النساء.

فأول الحقوق: هو حق الله، بعده حق الوالدين، وبعد حق الوالدين حق القرابة، وهكذا.

«**حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، لا يكفي أنهم يعبدون الله، وهم يقعون في شيء من الشرك، الشرك يبطل العبادة، لو عبَدَ الله الليل والنهار، وصلى وصام وحج وتصدق، وهو يدعو غير الله، بطل عمله؛ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥، ٦٦]، فالعبادة لا تصح إلا مع التوحيد، وإذا دخلها شرك بطلت؛ كالمتوضي إذا أحدث بطلت طهارته، فكذلك الموحد إذا أشرك بطل توحيده، ولذلك لم يكتف بقوله: أن يعبدوا الله؛ «**حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ**»، لم يكتف بهذا، قال: «**وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، وهذا كما في القرآن: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، لا يكفي أن الإنسان أن يعبد الله، بل لابد أن يتجنب الشرك، والأنبياء يقولون لأممهم: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]. ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون:٢٣].

«**حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ**»: حق أوجبه عليهم، خلقهم من أجله؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، أوجبه عليهم، وخلقهم من أجله، وتكفل بأرزاقهم؛ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات:٥٧، ٥٨]؛ يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا.

«**وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، وهو حق أوجبه على نفسه -سبحانه-، ولم يوجبه عليه أحد، لكن هو أوجبه على نفسه، وإلا ليس هناك أحد يوجب على الله شيئًا، لكن أوجبه هو- سبحانه- على نفسه.

«وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، هذه بشارة عظيمة؛ فمن سلم من الشرك، سلم من العذاب؛ إما سلامة مطلقة، ولا يعذب أبدًا، وإما إن عُذِب وأصيب، فإنه مآله إلى الجنة، ما دام أنه قد عبد الله وحده لا شريك له، إذًا سلم من الشرك.

«وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فلما قالها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرح بها معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، استبشر بها، فقال: «أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟»، يعني: بهذا الخبر السار، «قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»، يعني: يأخذون بالوعد، وينسون الوعيد كالمرجئة، لا، دعهم يخافون؛ من أجل أن يتجنبوا الشرك والذنوب والمعاصي، لا تخبرهم. فدل على جواز كتمان العلم للمصلحة ودفع المضرة؛ لأنه لو أخبرهم، لاتكلوا على هذا الحديث، وتركوا العمل، أو قللوا من العمل، أو تساهلوا في المعاصي، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح -قاعدة[1]؛ «قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»، وهذا فيه جواز كتمان العلم للمصلحة.

وفي الحديث بيان حق الله على عباده، وحق العباد على الله، وما لهم عند الله إذا أدوا حقه: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا، فالله له حق، والعبد له حق؛ كما في هذا الحديث.

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٣/ ٤٦٥)، وإيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك (ص ٨٩)، وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (١/ ٤٨٠).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:

لِلّهِ حَــقٌّ لَا يَـكُــونُ لِـغَـيْـرِهِ ... وَلِـعَـبْـدِهِ حَـقٌّ هُـمَـا حَـقَّـانِ

لَا تَجْعَلُوا الْحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا ... مِـنْ غَـيْـرِ تَـمْـيِـيـزٍ وَلَا فُـرْقَـانِ

الله له حق على عباده، وللعباد حق على الله تفضل به، وأوجبه على نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان إليه المنتهى في العلم، والأحكام، والقرآن** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**)**، كان بحرًا في العلم؛ لما تلقاه من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرسله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن، لما عقد الصلح مع أهل نجران، أرسله إليهم معلمًا، وداعيًا إلى الله، وقاضيًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مُعَاذٌ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ»)**، هذا يدل على فضله، وأنه له فضيلة يسبق بها غيره من العلماء، ويظهر بها يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال في القاموس: والرتوة: الخطوة، وشرف من الأرض، وسويعة من الزمان، والدعوة، والقطرة، ورمية بسهم أو نحو ميل أو مدى البصر)**، تختلف الرتوة في الطول والقصر، لكن المهم أن معاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يسبق العلماء، ويكون أمامهم يوم القيامة.

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٤٧).

....

ش: وقال في النهاية: إنه يتقدم العلماء برتوة؛ أي: برمية سهم. وقيل: بميل، وقيل: مد البصر. وهذه الثلاثة أشبه بمعنى الحديث.

مات سنة ثماني عشرة بالشام، في طاعون عمواس، وقد استخلفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم.

قوله: «كُنْتُ رِدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فيه جواز الإرداف على الدابة، وفضيلة معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: «على حِمارٍ»، في رواية: اسمه عُفَيْرٌ[1].

قلت: أهداه إليه المقوقس صاحب مصر.

وفيه: تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لركوب الحمار، والإرادف عليه؛ خلافًا لما عليه أهل الكبر.

قوله: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»، أخرج السؤال بصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في فهم المتعلم.

وحق الله على العباد، وهو ما يستحقه عليهم، وحق العباد على الله معناه: أنه متحقق لا محالة؛ لأنه وعدهم ذلك؛ جزاء لهم على توحيد ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم:٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال في النهاية: إنه يتقدم العلماء برتوة أي: برمية سهم. وقيل: بميل، وقيل: مد البصر. وهذه الثلاثة أشبه بمعنى الحديث**)؛ لأنه لم يحددها، قال: (رتوة)، ولم يحددها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مات سنة ثماني عشرة بالشام**)، مات في الشام؛ لما بعثه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بعد فتح الشام للقضاء والتعليم والدعوة إلى الله هناك، وأصابه الطاعون الذي جاء على الشام، فمات فيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «كُنْتُ رِدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فيه جواز الإرداف على الدابة، وفضيلة معاذ**)، جواز الإرادف على الدابة، إذا كانت تطيق ذلك، وفيه فضيلة معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ حيث ركب مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رديفه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «على حِمارٍ»، في رواية: اسمه عُفَيْرٌ**)، اسم حمار يعني، ليس لنا شأن بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قلت: أهداه إليه المقوقس صاحب مصر**)، المقوقس لما كتب له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوه إلى الإسلام، لم يرد ردًا سيئًا مثل كسرى، بل إنه أرسل مارية القبطية، أهداها إليه، وأرسل إليه البغلة أو الحمار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه: تواضعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لركوب الحمار، والإرادف عليه، خلافًا لما عليه أهل الكبر**)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتكلف شيئًا، يستعمل الموجود؛ يركب على فرس، يركب على حمار، يركب على بغلة، يركب على بعير، لايتكلف صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعين له مركوبًا خاصًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»، أخرج السؤال بصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقع في النفس)**، ولهذا قالوا: إن التعليم عن طريق السؤال والجواب أثبت، ولهذا لما جاء جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليعلم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أمر دينهم، كان يسأل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجيب، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يستمعون، إلا في وقت قيام الساعة، فقال: **«مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»**[1]، يعني: أنا وأنت كلنا لا نعلم ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحق الله على العباد وهو ما يستحقه عليهم)**، ما أوجبه عليهم، كتبه عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحق العباد على الله معناه: أنه متحقق لا محالة)**، يعني: حق متحقق، لا يخلف الله وعده؛ هو وعد من الله، والله لا يخلف وعده، فصار وعده حقًّا.

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

- -

ش: قال شيخ الإسلام: كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة؛ كما يستحق المخلوق على المخلوق؛ فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق، إلا أنه أخبر بذلك، ووعده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقًا زائدًا على هذا؛ كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

لكن أهل السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه الحق، لم يوجبه عليه مخلوق.

والمعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك.

وهذا الباب غلطت فيه الجبرية القدرية أتباع جهم، والقدرية النافية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام: كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل)**، كون المطيع يستحق على الله الجزاء هذا ليس من باب المعاوضة، وإنما هو تفضل من الله جَلَّ وَعَلَا، وإحسان من الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ليس هو استحقاق مقابلة)**، ليس معاوضة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق)**، المعتزلة- والعياذ بالله- يسيئون الأدب مع الله، يقولون: يجب على الله كذا،

يجب على الله العدل بين الناس، يجب على الله أن يرزق الناس، يوجبون على الله، وهذا من سوء الأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له)**، وهذه -أيضًا- ضلال عظيم، يقولون: إن طاعة العبد باستقلاله هو، الله لم يكتب عليه، ولم يقدر عليه أنه يطيعه، لكنه يفعل هذا بنفسه ابتداءً، ولم يسبق أن الله قدر عليه الطاعة، ولم يقدر عليه الكفر والمعاصي، العبد يخلق فعل نفسه، يقولون: العبد يخلق فعل نفسه، لم يخلق الله فعل العبد، العبد هو الذي خلقه، هذا عندهم، وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له)**، وإنما هم الذين خلقوا الطاعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وغلطوا في ذلك)**، ليس هناك شك أنهم غلطوا وضلوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا الباب غلطت فيه الجبرية القدرية أتباع جهم، والقدرية النافية)**، الفريقان: القدرية الجبرية، والجبرية النافية، وهم المعتزلة الذين ينفون القدر.

والجهمية يغلون في إثبات القدر، حتى يسلبوا العبد الاختيار، ويقولون: العبد ليس له اختيار، بينما المعتزلة يقولون: العبد له اختيار مستقل، فهم على طرفي نقيض-والعياذ بالله!

....

ش: **قوله: «قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، فيه حسن الأدب من المتعلم، وأنه ينبغي لمن سُئل عما لا يعلم أن يقول ذلك، بخلاف أكثر المتكلفين.**

قوله: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، أي: يوحدوه بالعبادة.

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث عرف العبادة بتعريف جامع، فقال(١):

وَعِبَادَةُ الرَّحمنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطبَانِ

وَعَلَيهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ ... مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ

ومَدَارُهُ بالأمرِ أَمْرِ رسُولِهِ ... لَا بِالهَوَى والنَّفسِ وَالشَّيطَانِ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه ينبغي لمن سُئل عما لا يعلم أن يقول ذلك، بخلاف أكثر المتكلفين)**، المتكلفين من طلبة العلم والمتخرصين الذين يقولون على الله بغير علم.

وليس بشرط أنك تجيب على كل سؤال، لا تجب إلا على ما تعلم، وتوقف عما لا تعلم، هذا هو العلم الصحيح، فليس هذا نقص إذا قلت: والله لا أدري، لا أدري، لكن سأراجع، سأسأل، سأنظر، طيب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، أي: يوحدوه**

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٢٥٣).

بالعبادة)، أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، هذا هو التوحيد: هو عبادة الله وحده بدون شرك يخلط معها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَعِبَادَةُ الرَّحمنِ غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطبَانِ)**، هذا تعريف العبادة، أصلها: الحب لله مع الذل لله، فمن أحب شيئًا، ولم يذل له، فليس هذا عبادة؛ مثلما يحب الإنسان زوجته، ويحب أولاده، هذا ليس معه ذل، هذا ليس عبادة، هذا حب طبيعي.

ومن ذل من شخص، وهو لا يحبه، فليس ذلك عبادة -أيضًا-؛ كما يذل الإنسان للجبابرة والطواغيت؛ يخاف من شرهم، وهو لا يحبهم، هذا ليس عبادة، هذا خوف طبيعي.

إنما العبادة هي: الحب مع الذل لله عَزَّوَجَلَّ، هذا تعريف العبادة من حيث الأصل.

ثم قال: (وَعَلَيهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ)؛ الأوامر والنواهي، والطاعات، القربات تدور على هذين الأصلين: غاية الحب وغاية الذل.

(مَا دَارَ)، يعني: الفلك.

(ومَدَارُهُ) بماذا؟ (بالأمرِ): بالشرع.

(ومَدَارُهُ بالأمرِ أَمْرِ رسُولِهِ * لَا بِالهَوَى والنَّفسِ وَالشَّيطَانِ)، فالإنسان لا يعبد الله بتخرصات وبعبادة يخترعها هو، يعبد الله بأمره سبحانه، بما أمر به، فالعبادة مبنية على الأمر من الله جَلَّوَعَلَا.

(وَعِبَادَةُ الرَّحمنِ غَايَةُ حُبِّهِ * مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطبَانِ، وَعلَيهِمَا فلَكُ)؛ لأن الفلك لا يدور إلا مع قطبين، ولذلك الفلك الكوني يدور على قطبين: الفلك الجنوبي الذي هو رأس السرطان، والقطب الشمالي الذي هو الجدي، يدور عليهما الفلك في كواكبه وشمسه وقمره إلى آخره.

....

ش: قوله: «وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، أي: يوحدوه بالعبادة، فلابد من التجرد من الشرك في العبادة، ومن لم يتجرد من الشرك، لم يكن آتيًا بعبادة الله وحده، بل هو مشرك، قد جعل لله ندًّا.

وهذا معنى قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

وفي بعض الآثار الإلهية: «إِنِّي وَالجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي، خَيْرِي إِلَى الْعِبَادِ نَازِلٌ، وشرُّهم إِلَيَّ صَاعِدٌ، أَتَحَبَّبُ إِلَيْهِم بِالنِّعَمِ، وَيَتَبَغَّضُونَ إِلَيَّ بِالمَعَاصِي»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، أي: يوحدوه بالعبادة، فلابد من التجرد من الشرك في العبادة)، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا؛ لأن العبادة لا تصح إلا مع التوحيد، فإن خالطها شرك فليست عبادة، ولا تنفع صاحبها.

فالعبادة مبنية على أصلين: على الإخلاص لله، وعلى المتابعة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا قال:

ومَـــدارُهُ بـالأمـرِ أمْـرِ رسُـولِـهِ لَا بِـالـهَوَى والـنَّفسِ وَالشَّيطَانِ

---

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٩٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣١٠)، والديلمي في مسند الفردوس (٣/ ١٦٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٧٧)، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٣٠١).

وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن لم يتجرد من الشرك لم يكن آتيًا بعبادة الله وحده، بل هو مشرك)**، المشركون يعبدون الله لكن يعبدون معه غيره، ولذلك صاروا مشركين، هم ليسوا لا يعبدون الله، المشركون عندهم عبادة لله؛ يحجون البيت ويطوفون ويسعون، ويتقربون إلى الله، عندهم أنواع من العبادة، لكن يعبدون الأصنام مع هذا، فعبادتهم لله باطلة؛ «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»؛ كما في الحديث(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا معنى قول المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه)**؛ لأن الخصومة في العبادة، الخصومة بين الرسل وأتباعهم في العبادة، الرسل يقولون لهم: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وهم يقولون: لا، نعبد الله، لكن نعبد معه ما نريد من الأصنام والأحجار والأشجار؛ ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، لا نريد أن الإله يكون واحدًا، يريدون عدة آلهة، كل على هواه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي بعض الآثار الإلهية)**، الآثار الإلهية: التي تنسب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أن الله قالها، قال هذا الأثر.

---

(١) انظر: (ص١٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: قوله: «وَحَقَّ الْعِبَادِ على اللهِ، أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

قال الحافظ: اقتصر على نفي الإشراك؛ لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم؛ إذ من كذب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كذب الله، ومن كذب الله، فهو مشرك، وهو مثل قول القائل: ومن توضأ، صحت صلاته؛ أي: مع سائر الشروط. اهـ[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «**وَحَقَّ الْعِبَادِ على اللهِ، أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»)، ما زال الشيخ عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟**»، قد شرح أوله، ووقفنا على هذه الجملة: «**وَحَقَّ الْعِبَادِ على اللهِ، أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

«**وَحَقَّ الْعِبَادِ على اللهِ**»: الله لا يجب عليه حق لأحد، إنما هو حق أوجبه على نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حق العباد على الله: الحق الذي أوجبه على نفسه تفضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، هذه بشرى عظيمة؛ من سلم من الشرك الأكبر؛ بألا يدعو أحدًا مع الله، ولا يذبح لغير الله، ولا ينذر لغير الله، من سلم من الشرك بجميع أنواعه، فإن الله لايعذبه، هذا وعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو لا يخلف وعده، هذا فيه فضل التوحيد.

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٢٢٨).

قد تقول: الحديث فيه: «**لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، ليس فيه التوحيد، نقول: ترك الشرك يلزم منه التوحيد، دلالة اللزوم؛ لأن أنواع الدلالة ثلاثة: دلالة التضمن، دلالة المطابقة، دلالة الالتزام(١).

فمن لا يشرك بالله، فهو موحد لله، ومن وحد الله، ولم يشرك به شيئًا، دخل الجنة بلا شك، ولكن قد يدخلها أول وهلة، ولو كان عنده ذنوب دون الشرك، وقد يعذب بذنوبه التي دون الشرك، ثم يدخل الجنة بعد ذلك، فمآله إلى الجنة.

والحديث فيه وعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه لا يعذب الموحدين، وهذا فيه فضل التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ)**، يعني: ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
(فدلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على جميع المعنى الذي عناه المتكلم.
ودلالة التضمن: دلالة اللفظ على ما هو داخل في ذلك المعنى.
ودلالة الالتزام: دلالة اللفظ على ما هو لازم لذلك المعنى خارج عن مفهوم اللفظ؟
فدلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على جميع هذه الماهية التي عناها المتكلم بلفظه، وهو دلالة على تمام الماهية، وذلك المدلول عليه بالمطابقة هو مقول في جواب ما هو، إذا قيل ما هو بحسب الاسم، وإذا سُئل عما هو المراد بهذا اللفظ، ذُكر مجموع ما دل عليه بالمطابقة، فالمدلول عليه بالتضمن هو جزء هذا المدلول، وهو جزء ماهيته، وهو داخل في ذاته، وأما اللازم لهذا المدلول فهو خارج عن حقيقته، عرض لازم له، فهذا تقسيم معقول ولكنه يعود إلى قصد المتكلم ومراده باللفظ). درء التعارض (١٠/ ١٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال الحافظ: اقتصر على نفي الإشراك؛ لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء)**؛ لأن نفي الإشراك يستدعي نفي التوحيد بالاقتضاء، فهو يقتضي أن من لا يشرك به شيئًا فقد وحد الله، إذا انتفى عنه الشرك ثبت له التوحيد، هذه دلالة الاقتضاء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم)**، وقوله: «**لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»؛ كما أنه يدل على أن من لا يشرك هو موحد بالاقتضاء، فهو يدل على شهادة أن محمدًا رسول الله باللزوم؛ لأن أحدًا لا يؤمن بالله، إلا إذا آمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيلزم من الإيمان بالله الإيمان بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي إثبات رسالة محمد باللزوم، تدل عليها بدلالة اللزوم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إذ من كذب رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فقد كذب الله)**، من كذب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كذب الله؛ لأن الله أخبر أنه رسوله، قال: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ**﴾ [الفتح:٢٩]، أخبر أنه رسوله، من كذب الرسول يلزم من هذا أنه كذب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله قال له: ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف:١٥٨]: أخبرهم أنك رسول الله إليهم جميعًا، فمن لم يؤمن برسالة محمد فإنه لا يؤمن بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومن كذب الله، فهو مشرك)**، من كذب الله فهو مشرك؛ لأنه لابد من شيء يعبده الناس؛ لأنهم في الأصل عبيد، فبنو آدم عبيد، فإذا لم يعبدوا الله عبدوا غيره؛ ولذلك تجدهم يعبدون الأحجار والأشجار

والأصنام والقبور، ويعبدون أشياء تضحك؛ لأنهم مفطورون على العبادة، وهم عبيد، فإذا لم يعبدوا الله، عبدوا غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو مثل قول القائل: ومن توضأ صحت صلاته، أي: مع سائر الشروط)**، هذا كلام الحافظ، مثل قوله: (من توضأ، فقد صحت صلاته)، الوضوء شرط لصحة الصلاة، شروط صحة الصلاة تسعة؛ أحدها: الطهارة بالاغتسال أو بالوضوء، وهو لم يذكر هنا إلا الوضوء، فيلزم منه أنه أتى ببقية الشروط؛ لأنه قال: (صحت صلاته)، والصلاة لا تصح إلا بشروطها.

....

ش: قوله: «أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ»، فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره، وفيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل هذا. قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ»)**، معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما قال له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المقالة: «**وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، فرح بذلك؛ لأن هذه بشارة.

«فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟»؛ لأنه يحب الخير للناس، ألا أخبر الناس -يعني: المسلمين- بهذا؛ حتى يفرحوا مثلي.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»؛ يتوسعون بالذنوب، وتصغر عندهم الذنوب؛ طمعًا في رحمة الله، وهذا فيه رد على المرجئة الذين يعتمدون على الرجاء، ولا يخافون من الله عَزَّ وَجَلَّ.

«**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»: فهذا فيه كتمان العلم للمصلحة، لا تخبرهم، لماذا؟ لئلا يتكلوا على هذا الحديث؛ فيتساهلوا في الذنوب؛ لأنهم يقولون: إذا لم نشرك، فنحن مغفور لنا، يتساهلون في الذنوب، الذنوب خطيرة، لا يتساهل فيها.

وهذا فيه جواز كتمان العلم؛ لأجل المصلحة؛ إذا كان يلزم على نشر هذا العلم محظور، وهو الأمن من مكر الله، والتساهل في الذنوب، فلا يخبرون بذلك.

فأنت لما تأتي للناس في الموعظة أو في الخطبة لا تقتصر على الرجاء وذكر سعة رحمة الله ومغفرة الله، فاذكر إلى جانبها التخويف من النار؛ حتى يكونوا بين الخوف والرجاء، كذلك لا تأتهم بنصوص الوعيد وتقنطهم من رحمة الله، بل تأتي بهذا وهذا؛ حتى يكونوا جامعين بين الخوف والرجاء؛ لا يخافون فقط، ولا يرجون فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ»، فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره)**، فيه استحباب بشارة المسلم بالخبر الذي يسره؛ لأنه «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»؛ كما في الحديث[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل هذا)**، أنهم يفرحون بمثل هذا، فلا يقتصرون على الفرح بالدنيا، بل يفرحون بالجنة، يفرحون برحمة الله، ويفرحون بالخير، وأما الذي لا يفرح إلا بالدنيا، فهذا مذموم؛ ﴿وَفَرِحُوا بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد:٢٦]، فهذا الذي يفرح به حقيقة؛ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن[2]، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨]: خير من الدنيا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قاله المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، قال المصنف في مسائل الباب، الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) (٧١) من حديث أنسٍ بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٠٦- ١٠٨)، وزاد المسير (٢/ ٣٣٥- ٣٣٦)، والقرطبي (٨/ ٣٥٣).

....

ش: قوله: «قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»، أي: يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال.

وفي رواية: «فأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا»، أي: تحرجًا من الإثم[(١)].

قال الوزير أبو المظفر: (لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُهَا إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ يَحْمِلُهُ جَهْلُهُ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ بِتَرْكِ الخِدْمَةِ فِي الطَّاعَةِ، فَأَمَّا الْأَكْيَاسُ الَّذِينَ سَمِعُوا بِمِثْلِ هَذَا، زَادُوا فِي الطَّاعَةِ، وَرَأَوْا أَنَّ زِيَادَةَ النِّعَمِ تَسْتَدْعِي زِيَادَةَ الطَّاعَةِ، فَلَا وَجْهَ لِكِتْمَانِهَا عَنْهُمْ)[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»، أي: يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال)؛ يعتمدوا على الرجاء وطلب الرحمة، وينسون الوعيد، يتساهلون في الذنوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي رواية: «فأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا»، أي: تحرجًا من الإثم)، قد يقول قائل: لماذا أخبر معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بهذا الحديث، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»، لماذا خالف الرسول؟

الجواب: أن معاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يخبرهم في حياته، وإنما أخبر به عند موته؛ لئلا يموت وهو يكتم شيئًا من العلم، تأثمًا: يعني خوفًا من إثم الكتمان.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨).

(٢) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٢٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي رواية: «فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا»، أي: تحرجًا من الإثم)**، بالكتمان يعني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الوزير أبو المظفر)**، الوزير أبو المظفر ابن هُبَيْرَة؛ لأنه وزير للملك في وقته، وهو عالم من أكبر العلماء ومصلح، وله مؤلف وشرح في الجمع بين الصحيح للحميدي، سماه: «الإفصاح عن معاني الصحاح».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الوزير أبو المظفر: لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُهَا إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ يَحْمِلُهُ جَهْلُهُ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ بِتَرْكِ الخِدْمَةِ فِي الطَّاعَةِ)**، هذا جواب آخر؛ كون معاذ كتمها ثم أخبر بها، قال الوزير: كتمها عن الجهال الذين يتساهلون في المعاصي، ويزهدون في الأعمال، ويقولون: ما دام ليس عندنا شرك، نحن مغفور لنا، وأما العلماء، فيخبرهم بذلك؛ لأنهم لا يغترون به، إنما الخوف على الجهال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بِتَرْكِ الخِدْمَةِ فِي الطَّاعَةِ، فَأَمَّا الْأَكْيَاسُ)**، الخدمة في الطاعة: هذه عبارة عند الصوفية، الخدمة، يسمون العبادة: خدمة، وهذا غلط، العبادة لا تسمى خدمة، خدمة لله عَزَّوَجَلَّ؟ لا، لا تسمى خدمة، هذا تساهل من البعض، الأكياس معناه: العقلاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَأَمَّا الْأَكْيَاسُ الَّذِينَ سَمِعُوا بِمِثْلِ هَذَا، زَادُوا فِي الطَّاعَةِ)**، لا يثبطهم مثل هذا الحديث عن الطاعات، بل هذا يزيدهم حرصًا على الطاعات؛ طمعًا في الرحمة والمغفرة.

....

ش: وفي الباب من الفوائد غير ما تقدم: الحث على إخلاص العبادة لله تعالى، وأنها لا تنفع مع الشرك، بل لا تسمى عبادة.

والتنبيه على عظمة حق الوالدين، وتحريم عقوقهما، والتنبيه على عظمة الآيات المحكمات في سورة الأنعام، وجواز كتمان العلم للمصلحة.

قوله: (أَخْرَجَاهُ)، أي: البخاري، ومسلم.

والبخارى هو: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي مولاهم، الحافظ الكبير، صاحب الصحيح، والتاريخ، والأدب المفرد، وغير ذلك من مصنفاته.

روى عن الإمام أحمد بن حنبل، والحميدي، وابن المديني، وطبقتهم، وروى عنه: مسلم، والنسائي، والترمذي، والفربري- رواي الصحيح-، وُلِد سنة أربع وتسعين ومائة، ومات سنة ست وخمسين ومائتين(١).

و مسلم هو: ابن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح، والعلل، والوحدان، وغير ذلك.

روى عن أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبي خيثمة، وابن أبي شيبة، وطبقتهم، وروى عن البخاري صحيحه، وروى عنه الترمذي، وإبراهيم بن

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة (١/ ٢٧١)، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٤٠)، والأعلام للزركلي (٦/ ٣٤).

محمد بن سفيان -راوي الصحيح-، وغيرهما، وُلِد سنة أربع ومائتين، ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور(١) -رحمهما الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الباب من الفوائد غير ما تقدم: الحث على إخلاص العبادة لله تعالى)**، يعني: إخلاصها من الشرك الأكبر والأصغر، تكون خالصة لله؛ لأن الله لا يتقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنها لا تنفع مع الشرك)**، العبادة لا تصح مع الشرك؛ فمن كان يعبد الله ويعبد معه غيره، فعبادته باطلة، لابد من أن يخلص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعبد معه غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل لا تسمى عبادة)**، لا تسمى عبادة؛ لأنها غير صحيحة، العبادة لا تسمى عبادة إلا بشرطين: الإخلاص، والمتابعة لرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإذا خلت من هذين الشرطين أو من أحدهما، فهي عمل فاسد، لا تسمى عبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتنبيه على عظمة حق الوالدين، وتحريم عقوقهما)**، يعني: في حديث معاذ فيه: التنبيه على تحريم عقوق الوالدين؛ لأن عقوق الوالدين يأتي بعد الشرك؛ كما أن البر بهما وحقهما يأتي بعد حق الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتنبيه على عظمة الآيات المحكمات في سورة الأنعام)**، الآيات المحكمات في سورة الأنعام التي مرت بنا، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة (١/ ٣٣٧)، وتاريخ الإسلام (٦/ ٤٣٠)، والأعلام للزركلي (٧/ ٢٢١).

﴿تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام:١٥١]، إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ثلاث الآيات التي فيها الوصايا العشر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وجواز كتمان العلم للمصلحة**)، سبق هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: (أَخْرَجَاهُ)، أي: البخاري، ومسلم**)، أخرجاه، يعني: رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، اللذين هما أصح كتب السنة في الإسلام، وأعلى درجات الصحة: ما اتفقا عليه، فهذا الحديث اتفقا عليه، فهو في أعلى درجات الصحة، ثم بعد ما اتفقا عليه: ما انفرد به البخاري، ثم بعد ما انفرد به البخاري: ما انفرد به مسلم، فهذا هو الترتيب.

والمراد بالبخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري؛ نسبة إلى بخارى في بلاد المشرق.

ومسلم: هو مسلم بن الحجاج القشيري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والبخارى هو: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي مولاهم**)، يعني: ليس من الجعفيين بالنسب، وإنما هو منهم بالولاء؛ لأنه عتيق لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحافظ الكبير، صاحب الصحيح، والتاريخ، والأدب المفرد، وغير ذلك من مصنفاته**)، صاحب المؤلفات العظيمة في الإسلام، وأعظمها: «صحيح البخاري»، وكذلك «كتاب التاريخ»؛ تاريخ الرجال، ليس تاريخ الخوارج، تاريخ رجال الرواية، و«الأدب المفرد»، المفرد من

الصحيح، وهو أقل درجة من الصحيح، يروي فيه بعض الأحاديث التي ليست كما في الصحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(روى عن الإمام أحمد بن حنبل)**، هو من تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، ومسلم -أيضًا- من تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، وأبو داود من تلاميذ الإمام أحمد، والترمذي من تلاميذ الإمام أحمد، كلهم من تلاميذ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروى عنه: مسلم)**، روى عنه، مسلم تلميذ للبخاري أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والنسائي)**، النسائي أبو عبد الرحمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والفربري -رواي الصحيح-)**، الفربري؛ لأن الصحيح له رواة: الإسماعيلي، والفربري، وكريمة -امرأة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(صاحب الصحيح، والعلل، والوحدان، وغير ذلك)**، من الأحاديث، العلل: يعني علل الحديث، والوحدان: يعني ما انفرد بروايته واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(روى عن أحمد بن حنبل)**، هو كذلك من تلاميذ الإمام أحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروى عنه الترمذي)**، روى عنه يعني: عن مسلم.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ؛ لِأَنَّ الْخُصُومَةَ فِيهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ، لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ، فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣].

الرَّابِعَةُ: الْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ الْأُمَّةِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ.

السَّابِعَةُ: الْمَسْأَلَةُ الْكَبِيرَةُ: أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ **الآية** [البقرة:٢٥٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، يعني: في هذا الباب، وفي هذه الأدلة التي ساقها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الجِنِّ وَالْإِنْسِ**)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

الحكمة من خلق الجن والإنس: أن يعبدوا الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ؛ لِأَنَّ الخُصُومَةَ فِيهِ**)، الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ فإذا قيل لك: ما هو التوحيد؟ تقول: هو

إفراد الله بالعبادة؛ لأن الله قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، لم يقل: ليقروا بتوحيد الربوبية، إنما ذكر العبادة، فدل على أن التوحيد المطلوب هو توحيد العبادة.

وأما توحيد الربوبية فهذا كل يقر به، وإن كان علماء الكلام يعتنون بتوحيد الربوبية، يتبعهم في هذا المعتزلة والأشاعرة.

علماء الكلام كلهم عندهم العمدة على توحيد الربوبية، وهذا غلط ولايكفي، لابد من توحيد العبادة؛ من أقر بالربوبية، ولم يقر بتوحيد العبادة، فهو ليس من المسلمين؛ لأنها أقر بها المشركون، أقروا بتوحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ**)، من لم يأت بتوحيد العبادة، لم يخلص العبادة لله، لم يعبد الله، وإن كان يقر بأنه هو الرب، وأنه هو الخالق، وأنه الرزاق، هذا لا يكفي، ولا يدخله في الإسلام؛ لأن هذا شيء موجود عند المشركين، عند أبي جهل وأبي لهب يقرون بتوحيد الربوبية؛ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١]. بل قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]. ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٦، ٨٧]. المشركون يقرون بتوحيد الربوبية، لكنهم لا يعترفون بالألوهية، ولذلك صاروا مشركين كفارًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ، فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ**: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣])، سورة الكافرون

فيها البراءة من دين المشركين؛ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:١، ٢]، هذه براءة من المشركين وعباداتهم ومن معبوداتهم -أيضًا-، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣]، مع أنهم يعبدون الله، لكن لما كانوا يخلطون عبادتهم بالشرك، لم يكونوا عابدين لله؛ ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣]، فعبادتهم لله مع شركهم باطلة، ووجودها كعدمها، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣].

ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾: تأكيد، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٤، ٥]: هذا من باب التأكيد.

وهذه السورة فيها البراءة من الشرك وأهله ومن معبودات المشركين، وليست هي من باب الاختيار؛ أن كل يبقى على ما هو عليه؛ كما يقوله بعض الكتاب اليوم، يقول: فيها أن الإنسان حر؛ كل له عبادته، كل له عقيدته وقناعته، حسب قناعته، هذا باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: الحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ)**، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: هذه الحكمة، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، أقام عليهم الحجة ببعثة الرسل، ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة:١٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ الأُمَّةِ)**، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦]، هذا فيه أن الرسالة عمت الأمم، وليس

هناك أمة إلا وجاءتها الرسالة؛ إما أن الله بعث فيها رسولًا منها، وإما أنها بلغتها دعوة الرسل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ**)، وهو الإسلام، وهو التوحيد، فجميع الرسل موحدون، عابدون لله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: المسْأَلَةُ الْكَبِيرَةُ: أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ**)، انتبهوا! المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تصح إلا بعد الكفر بالطاغوت؛ ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، لم يقل: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ فقط، بل قال: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

فمن يقول: إن الناس أحرار، كل يعبد ما يريد، حسب قناعته، هذا قول باطل، وإلحاد -والعياذ بالله-، هذا إلحاد.

ويقول: الناس يعبدون الله؛ هؤلاء يصلون، ويصومون، ويتصدقون، وأنتم تكفرونهم؛ لأنهم يقولون: «يا علي»، «يا حسين»، «يا عبد القادر»، أتكفرونهم وهم يصلون، وهم يزكون، وهم يجاهدون؟، نقول: نعم، عبادتهم ليست صحيحة، ما دام عندهم شرك، عبادتهم لاتصح ولا تنفع، العبادة لاتصح مع الشرك أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: المسْأَلَةُ الْكَبِيرَةُ: أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ**)، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٦]: لاحظ! قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله.

يقولون: التخلية قبل التحلية، فلابد من أن يخلو من عبادة الطاغوت، ثم يعبدون الله بعد ذلك، من الأهمية هذا.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: إذًا من لم يكفر بالطاغوت، فهو ليس مسلمًا، ليس مستمسكًا بالعروة الوثقى، وإن كان يعبد الله.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ.

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأْنِ ثَلاثِ الآيَاتِ المُحْكَمَاتِ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ [١٥١-١٥٣] عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ: أَوَّلُهَا: النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ.

العَاشِرَةُ: الآيَاتُ المُحْكَمَاتُ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ، وَفِيهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ مَسْأَلَةً، بَدَأَهَا اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢]، **وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ:** ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩]، **وَنَبَّهَنَا اللهُ -سُبْحَانَهُ- عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ المَسَائِلِ بِقَوْلِهِ:** ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ)**، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

والطاغوت: مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد[١].

فالطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حده -كما قال ابن القيم- من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله، وكذلك: من ادعى علم الغيب، وكذلك: من حكم بغير ما أنزل الله؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠]، فكل من حكم بغير ما أنزل الله، فهو طاغوت[٢]، فالقوانين الوضعية والأنظمة البشرية الذي يحكم بها ويعطل

---

(١) انظر: (ص١٥٥).
(٢) انظر: (ص١٦٢).

الشريعة، ويقول: يكفي أن الناس يصلون ويصومون، فالشريعة في المساجد، أما أحوال الناس والمعاملات والسياسيات هذه، لا تدخل فيها الشريعة، هذا كافر، ملحد -والعياذ بالله-، فالشريعة في كل شيء؛ في المساجد، في الشوارع، وفي البر والبحر، وفي كل مكان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأْنِ ثَلاثِ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ [١٥١-١٥٣] عِنْدَ السَّلَفِ**)، الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام:١٥٣]، فالسلف كانوا يعظمون هذه الآيات ويتدارسونها، ويعتنون بها؛ كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ؛ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأْنِ ثَلاثِ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ**)، المحكم من القرآن غير المنسوخ وغير المجمل؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران:٧]، ماذا نعمل؟ نرد المتشابهات على المحكمات؛ فتفسرها وتبينها، لا نأخذ المتشابهات ونترك المحكمات، هذا ضلال؛ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]: المحكم والمتشابه، فيردون المتشابه إلى المحكم، فيفسره ويبينه ويوضحه، وأما أهل الزيغ فيقتصرون على المتشابه؛ ابتغاء الفتة -والعياذ بالله.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٥٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ: أَوَّلُهَا: النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ)، ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

أولها: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

والثانية: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١]، إلى آخرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْعَاشِرَةُ: الْآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَفِيهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ مَسْأَلَةً)، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨]، مثل آيات الأنعام تمامًا.

(وَفِيهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ مَسْأَلَةً)؛ لأن العدد من ثلاثة إلى عشرة يذكر مع المؤنث، ويؤنث مع المذكر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَدَأَهَا اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢])، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، لما نهى عن الشرك، أمر بعبادته؛ ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٢، ٢٣]، لما نهى عن الشرك، أمر بعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩]، هذا ختامها، ﴿فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ﴾: المشرك ليس له إلا جهنم؛ ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: هذا مشرك، ﴿فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩]، والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وختمها بقوله:** ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩])، في أولها نهى عن الشرك، وفي آخرها نهى عن الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونبّهنا الله -سبحانه- على عظم شأن هذه المسائل بقوله:** ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩])، ﴿ذَٰلِكَ﴾، أي: هذه الآيات التي فيها هذه العبر والمواعظ، ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ أيها الرسول ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩]، والحكمة: وضع الشيء في موضعه[1].

---

(١) انظر: منازل السائرين للهروي (ص٧٨)، وجامع المسائل (المجموعة السابعة) لابن تيمية (ص ٣٩٠)، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص٧٣).

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: آيَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّى آيَةَ الْحُقُوقِ الْعَشْرَةِ، بَدَأَهَا اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ اللهِ عَلَيْنَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ الْعِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ لا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: جَوَازُ كِتْمَانِ الْعِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ الْمُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: الْخَوْفُ مِنَ الاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُ الْمَسْؤُولِ عَمَّا لا يَعْلَمُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: آيَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّى آيَةَ الْحُقُوقِ الْعَشْرَةِ**)، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء:٣٦]، ذكر فيها عشرة حقوق:

أولها: حقه سبحانه.

ثانيها: حق الوالدين.

وآخرها: حق ما ملكت أيمانكم من الأرقة والبهائم؛ تحسن إليها.

آيات الأنعام تسمى آيات الوصايا العشر، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم

بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وأما آية سورة النساء، فتسمى آية الحقوق العشرة، أولها: حق الله، وثانيها: حق الوالدين، والثالث: حق الأقارب، والأيتام، والجار إلى آخره، إلى حق المماليك؛ ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء:٣٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَدَأَهَا اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ**: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦])، لم يقل: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فقط، قال: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾؛ لأن العبادة لا تصح إلا مع ترك الشرك، والعبادة إذا كان معها شرك، فهي لا تقبل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيْهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُوْلِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عِنْدَ مَوْتِهِ**)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه أوصى بهذه الآية في سورة الأنعام.

الذين يقولون: إن الرسول لم يوص، ولم يكتب لنا وصية، نقول: تعالوا، هذه وصيته في هذه الآيات؛ لأنه لا يوصي إلا بما أوصى الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ الله يقول: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ اللهِ عَلَيْنَا**)، وأنه أول الحقوق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةَ عَشَرَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ الْعِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ**)؛ أنه ليس للعباد عليه حق حتى يؤدوا حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن لم يؤد حق الله، فليس له حق على الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ**)، مسألة وصية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا قالوا: لو أن الرسول أوصى، لو أن الرسول كتب لنا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: جَوَازُ كِتْمَانِ الْعِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ)**، تمامًا في حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ الْمُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ)**؛ «أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: الْخَوْفُ مِنَ الاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ)**؛ «**لَا تُبَشِّرْهُمْ؛ فَيَتَّكِلُوا**»، يعني: يتكلوا على سعة رحمة الله، وينسون غضب الله وعقوبته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُ الْمَسْؤُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)**، لأن معاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، ولم يتخرص.

الذي يُسأل عن شيء، فإنه يقول: «لا أعلم»، «لا أدري»، وليس عليه في ذلك غضاضة، بل هذا من الفضائل؛ لأن بعض الناس يتحرج أنه يقول: «والله لا أدري»، لابد أن يجيب السائل، ولو كان على خطأ، لا يجوز هذا.

إن كان عندك علم، فأجبه، وإلا فقل: «لا أدري»، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لما سأله جبريل عن الساعة، قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»[(١)].

فمن سئل عن علم وهو لا يدري، يقول: «لا أدري»، فليس في ذلك غضاضة عليه، بعض الناس يريد أن يجاوب عن كل سؤال، ولو ليس عنده علم، هذا غلط؛ لأنه يظن أنه إذا لم يجب، فإنه فيه نقص، وهذا غلط؛ العكس الذي لا يجيب على الشيء الذي لا يعلمه هذا عنده كمال؛ لأنه يخاف من الله عَزَّ وَجَلَّ، يتجنب الكذب على الله وعلى رسوله، هذه مسألة عظيمة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٧١).

الْعِشْرُونَ: جَوازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ.

الحَادِيَةَ وَالعِشْرُوْنَ: تَواضُعُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لِرُكُوبِ الحِمارِ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ.**

الثَّانِيَةَ وَالعِشْرُوْنَ: جَوازُ الإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ.

الثَّالِثَةَ وَالعِشْرُوْنَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ.

الرَّابِعَةَ وَالعِشْرُوْنَ: فَضِيْلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْعِشْرُونَ: جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ**)، لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خص معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك دون غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فمن يُر منه الاستحقاق من الطلبة، يخص بشيء دون غيره؛ من باب التشجيع له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الحَادِيَةَ وَالعِشْرُوْنَ: تَوَاضُعُهُ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لِرُكُوبِ الحِمَارِ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ**)، تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو سيد البشر، سيد الرسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع هذا يركب الحمار، ولا يقتصر على ركوب الخيل أو ركوب الإبل، يركب الحمار، يأخذ الموجود، ولا يتكلف شيئًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا فيه عدم التكلف، تواضع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك من تواضعه: إردافه لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الدابة، هذا من تواضعه، لم يقل: (لا يركب معي أحد)، لا، بل يردف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قولـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ وَالعِشْرُوْنَ: جَوَازُ الإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ**)، إذا كانت تطيـق ذلـك، فلا بـأس، أما إذا كانـت لا تطيق، فـلا يجوز هـذا، تحميلها ما لا تستطيع لا يجوز، هذا تعذيب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ وَالعِشْرُوْنَ: فَضِيْلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)؛ حيث خصه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه المسألة، وأردفه معه على الدابة، ففيه فضيلة معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لماذا؟ لأن معاذًا فاز بالعلم، فاز على الصحابة بالعلم؛ «**وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**»[1]، ففيه فضيلة العلم والعلماء، وأن العالم يكرم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةَ وَالعِشْرُوْنَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ**)، التي هي حق الله على العباد.

انظروا! المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من فقهه أتى بأربعة وعشرين مسألة على هذا الباب.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٠، ٣٧٩١)، وابن ماجه (١٥٤)، وأحمد (٢٠/ ٢٥٢) عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ**».

١ - باب
بَيان فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

ش: بَابُ: بَيَان فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

(بَابُ): خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا.

قلت: ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره هذا.

و(ما): يجوز أن تكون موصولة، والعائد محذوف، أي: وبيان الذي يكفره من الذنوب، ويجوز أن تكون مصدرية، أي: وتكفيره الذنوب، وهذا الثاني أظهر.

قال الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ: بَيَان فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ)، لما ذكر الباب الأول -معنى التوحيد- وبينه، ناسب أن يذكر في هذا الباب فضله؛ ليرغب فيه؛ بعد أن تعرف التوحيد تعرف فضله؛ لأنك إذا عرفت فضله، فإن هذا مما يشجعك على تحقيق التوحيد والعمل به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ: بَيَان فَضْلِ التَّوْحِيدِ): الأعمال الصالحة كلها فيها فضل، ولكن أعلاها وأفضلها التوحيد، وهو رأسها، فله فضل عظيم؛ يخرج الله به المسلم من الشرك إلى الإيمان، ويخرجه من البدع إلى السنة، فهو فن عظيم بين سائر العلوم، ولهذا كانت الأنبياء يبدؤون به في دعوتهم؛ لأنه أساس الدين وأصل الإسلام.

(**وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ**)، أي: وبيان ما يكفره التوحيد من الذنوب، فيه فضل كثير وخير كثير، وأيضًا هو يكفر الله به الذنوب.

فقوله: (**وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ**): «ما» يحتمل أنها موصولة، أي: وبيان الذي يكفره من الذنوب.

ويحتمل أنها مصدرية؛ تؤول وما بعدها بمصدر، أي: وتكفيره للذنوب، والذنوب هي المعاصي والمخالفات، ومن فضل التوحيد أنه يكفرها، وسيأتي في هذا الباب من الأحاديث ما يبين ذلك.

والتكفير: إذا كانت الذنوب من الشرك والكفر، فإنها لا يكفرها إلا التوبة، لا يكفر الشرك إلا التوبة، أما ما دام مقيمًا على الشرك، فإن ذنوبه لاتكفر، ولو فعل ما فعل، ولو فعل من الخير -الصدقات والإحسان والقربات- ما فعل، لا تفيده شيئًا؛ لأنها ليس لها أساس تبنى عليه، وهو التوحيد، فالشرك لا يكفر إلا بالتوبة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، أما الذنوب الصغائر، فإنها تكفر بأشياء كثيرة، مكفرات الصغائر كثيرة، منها:

* التوحيد، أعظمها التوحيد، يكفر الله به الذنوب الصغائر.

* وتكفر الصغائر باجتناب الكبائر؛ كما قال تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ [النساء:٣١].

* وتكفر بالمصائب التي تصيب الإنسان، يكفر الله بها خطاياه؛

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى:٣٠]، يكفر الله بها، حتى الشوكة إذا أصابت المسلم، فهي مما يكفر الله به خطاياه[1].

* تكفر الصغائر بالصلوات الخمس؛ ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود:١١٤]؛ ﴿ ٱلۡحَسَنَٰتِ ﴾: التي هي الصلوات ﴿ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾: التي هي الصغائر.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**»[2].

عرفنا الآن أن الذنوب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: شرك، هذا لا يغفر إلا بالتوبة.

القسم الثاني: صغائر، وهذه تكفر بكثير من المكفرات.

القسم الثالث: الكبائر التي دون الشرك، هذه تحت مشيئة الله؛ إن شاء غفرها، وإن شاء عذب بها بقدرها؛ لأجل أن يمحص المسلم ويطهر، ثم يدخل الجنة بتوحيده، ولا يخلد في النار.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**».

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ: خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا)**، باب، ما إعرابها؟ باب: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا باب فضل التوحيد، هذا ما يقدر به المبتدأ هنا، ولا يصلح أن يكون فضل التوحيد هو المبتدأ، أو باب: فضل التوحيد هو المبتدأ، لابد أن يكون قبله مبتدأ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(و(ما): يجوز أن تكون موصولة، والعائد محذوف)**، بمعنى «الذي»، موصولة، أي: والذي يكفره من الذنوب، والعائد الذي يعود من الصلة إلى الموصول محذوف تقديره: وما يكفر، أصله: وما يكفره من الذنوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويجوز أن تكون مصدرية، أي: وتكفيره الذنوب، وهذا الثاني أظهر)**، أنها مصدرية أظهر، تؤول هي وما بعدها بمصدر، فيقال: وتكفيره الذنوب.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

ش: قال ابن جرير: حدثني المثنى -وساق بسنده- عن الربيع بن أنس، قال: «الْإِيمَانُ: الْإِخْلَاصُ للهِ وَحْدَهُ»(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآية: أَيْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا هُمُ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُهْتَدُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ(٢).

وقال ابن زيد وابن إسحاق: هذا من الله على فصل القضاء بين إبراهيم وقومه(٣).

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية، قَالُوا: فَأَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»(٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢])، لما هدد المشركون إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هددوا بآلهتهم، خوفوه منها، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١١/ ٤٩١).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير(٢/ ١٨٧).
(٣) انظر: تفسير الطبري(٩/ ٣٦٨).
(٤) أخرجه البخاري (٣٢،٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨)، ومسلم (١٢٤).

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٨٠]، أتهددونني بآلهتكم؟ أنا لا أخاف، ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٨٠]: تتركون الشرك، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ [الأنعام:٨٢]: أنتم الأولى بالخوف، أنتم أشركتم بالله، لماذا لا تخافون الله، وأنتم تهددونني بالأصنام، هذا من الانتكاس، أنا لا أخاف الأصنام، أنا أخاف من الله عَزَّوَجَلَّ، مثلما قال قوم هود لهود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾، أي: غير الله، ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾: أنتم وآلهتكم ضروني إن كنتم صادقين، ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٤-٥٦].

هذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال هذه المقالة: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى﴾: الله يعلم كل شيء، أما أنا، فلا يمكن أني أخاف من الأصنام؛ ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٨٠].

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾: كيف أخاف من أصنامكم، وقد أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانًا، لماذا لا تخافون الله؟ أنتم أولى بالخوف مني!

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾: ليس لكم حجة، أنا لي حجة في توحيد الله، عندي براهين، أما أنتم ليس لكم حجة.

كل المشركين ليس لهم حجة إلا شبهات، ليس هناك مشرك عنده حجة؛ لا الذين يعبدون القبور والأضرحة، ولا الذين يعبدون الأصنام، كلهم ليس لهم برهان ولا حجة؛ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]، ليس عندهم إلا شبهات وحكايات وأحاديث مكذوبة وغير ذلك.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: الشرك لم ينزل الله به من سلطان، إنما أنزل السلطان والحجة بالتوحيد، ثم قال: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾؛ أنا وأنتم، أنتم المشركون، وأنا على التوحيد، أي منا يستحق الأمن من الخوف؟ ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨١].

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بينهم؛ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾، يعني: بشرك، المراد بالظلم هنا: الشرك؛ ولهذا أشكلت هذه الآية على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما نزلت، وقالوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»(١)، فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ**» يعني: ليس الشرك المراد به هنا ظلم النفس الذي هو المعاصي.

«أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ» -يعني: لقمان-: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

---

(١) سيأتي تخريجه (ص٣١٥).

الله قال لنبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ ﴾، يعني: دعوت غير الله؛ ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦]، يعني: من المشركين.

الظلم ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ظلم الشرك.

النوع الثاني: ظلم الناس: بأموالهم وأعراضهم ودمائهم.

النوع الثالث: ظلم النفس بالمعاصي.

أما ظلم الشرك، فهذا لا يغفره الله إلا بالتوبة، وأما ظلم الناس، فلا يغفره الله إلا إذا سمحوا لمن ظلمهم، وأما ظلم النفس، فالله يغفره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الله يغفر ظلم النفس بالمعاصي.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾، أي: بشرك، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾: أما الذين لبسوا إيمانهم، وخلطوه توحيدهم بالشرك، فهؤلاء ليس هم أمن من العذاب.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم ﴾: والمراد بالإيمان هنا: التوحيد.

﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾ [الأنعام:٨٢]: الأمن من العذاب قد يكون أمنًا مطلقًا؛ فلا يعذبون أبدًا، وقد يكون أمنًا، يكون مطلق أمن؛ فيعذبون، ولكن لا يخلدون في العذاب، يعذبون بقدر ذنوبهم.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾: الأمن المطلق، أو مطلق الأمن، فالموحد إذا لم يحصل منه شرك أبدًا، فله الأمن المطلق، وهذا يأتي في الباب الذي بعد هذا (من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب)، هذا أمن مطلق.

وقد يكون مطلق أمن، وهو العاصي الذي عنده معاص؛ كبائر دون الشرك فهذه تحت المشيئة، هو له أمن من الخلود في العذاب؛ لأنه ليس مثل المشركين، قد يعذب لكن لا يخلد، وقد يتوب الله عليه ولا يعذب أبدًا.

فدَّلت هذه الآية على أن الذي سلم من الشرك له الأمن؛ إما الأمن المطلق، وإما مطلق الأمن ﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾، أما المشرك فليس له أمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾** [الأنعام:٨٢])، لهم الأمن في الآخرة من العذاب، وهم مهتدون في الدنيا؛ لأنهم على توحيد، وعلى الطريق الصحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن جرير: حدثنى المثنى -وساق بسنده- عن الربيع ابن أنس قال: «الْإِيمَانُ: الْإِخْلَاصُ للهِ وَحْدَهُ»)**، المراد بالإيمان هنا: الإخلاص لله وحده، وهو التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الآية: أَيْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ)**، المراد بالإيمان هنا: التوحيد، إخلاص العبادة لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن زيد، وابن إسحاق: هذا من الله على فصل القضاء بين إبراهيم وقومه)**؛ كما سبق الإشارة إليه، هذه الآية وردت في قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن زيد، وابن إسحاق: هذا من الله على فصل القضاء بين إبراهيم وقومه)**، الله فصل بين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه؛ لما اختصموا:

من هو الذي له الأمن؟ ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام:٨١]، قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام:٨٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية قَالُوا: فَأَيُّنا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟)**، هذا الإشكال الذي حصل عند الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

....

ش: وساقه البخاري بسنده، فقال: حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»(١). وهذا الحديث في الصحيح والمستدرك وغيرهما.

ولأحمد بنحوه عن عبد الله، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، شَقَّ ذَلِكَ على أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ»(٢).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه فسره بالذنب، فيكون المعنى: الأمن من كل عذاب.

وقال الحسن والكلبي: أولئك لهم الأمن في الآخرة، وهم مهتدون في الدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢، ٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨)، ومسلم (١٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٦٨، ٧/ ١٢٩، ٥٢٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إلى قَوْلِ لُقْمانَ لِابْنِهِ:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣])، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فأعظم أنواع الظلم: الشرك، لماذا؟ لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه[1]، فالمشرك وضع العبادة في غير موضعها، موضع العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، المشرك وضعها في غير موضعها، وضعها في الأصنام، وضعها في الأشجار والأحجار، وضعها في القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولأحمد بنحوه عن عبد الله قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، **شَقَّ ذَلِكَ على أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ لأنهم يخافون، يتدبرون القرآن، ويخافون من آيات الوعيد أن تتناولهم، يخافون منها، ليس فقط يقرؤونها ويمشون، إنما يخافون منها.

قوله: (**قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ**)، يعني: ليس الظلم الذي تعنون، الذي هو ظلم الناس.

قوله: (**أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣])، فسمى الشرك: ظلمًا عظيمًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وعن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أنه فسره بالذنب**)، والشرك ذنب؛ ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾: لذنب عظيم.

---

(١) انظر: غريب الحديث لابن قُتَيْبَةَ (٢/ ٨٤)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٧٤، ٢٧٦)، والصحاح (٥/ ١٩٧٧)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٦٨)، ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣).

....

ش: قال شيخ الإسلام: والذي شق عليهم أنهم ظنوا أن الظلم المشروط عدمه هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء، إلا لمن لم يظلم نفسه، فبين لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله، فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بظلم، فإن من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء؛ كما كان من أهل الاصطفاء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ [فاطر:٣٢].

وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧، ٨]، وقد سأل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا؟ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ فَذَلِكَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فلا يحصل الأمن، والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بظلم)، يعني: بشرك.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٧١)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ١٨٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٢٢)، وشعب الإيمان (١٢/ ٢٤٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**في قوله تعالى:** ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر:٣٢])، ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ يعني: اخترنا، ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾، وهم هذه الأمة، والمراد بالكتاب: القرآن العظيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾)، لاحظ! ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر:٣٢]، هذه أقسام هذه الأمة:

الظالم لنفسه: بالذنوب والمعاصي.

والمقتصد: هو الذي سلم من الذنوب، وأدى الواجبات، واقتصر على هذا، هذا مقتصد؛ اقتصر على أداء الواجبات، وترك المحرمات.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾: وهذا أعلى، وهم الذين تجنبوا الشرك، وتجنبوا الذنوب، وعملوا الواجبات، ولم يتركوا منها شيئًا، واحتاطوا حتى تركوا بعض المباحات من أجل الخوف من الذنوب، هؤلاء هم السابقون بالخيرات، هذا يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

هذه الأمة ثلاث درجات، وكلهم في الجنة -ولله الحمد-؛ الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات.

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾: هو بدأ به؛ لئلا ييأس من رحمة الله.

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: لم يظلم نفسه، ليس عنده ذنوب.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر:٣٢، ٣٣]، كلهم، كل الثلاثة، هذه أعظم بشارة في القرآن لأهل الذنوب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب)**، قد يعذب بالصغائر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة:٧، ٨])، لكن الغالب مغفرة الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد يعذب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقد سأل أبو بكر الصديق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فقال: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا؟»)**، لما نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣]، خاف أبو بكر الصديق من هذه الآية، قال: يا رسول الله، نزلت آية لا نطيقها: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣]. يقول: «أَيُّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا؟»، أينا يسلم من السوء، ولو كان صغيرًا؟ بين له أن المراد: ﴿يُجْزَ بِهِ﴾ يعني: في الدنيا، ﴿يُجْزَ بِهِ﴾: في المصائب وفي الأمراض. قال: «**حتى الشوكة يشاكها يغفر الله بها ذنوبه، خطاياه**»، «**أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟**» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**ذَلِكَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ**». انظروا! يخافون، ليسوا مثلنا فقط نمر على الآيات، ونعبر الآيات، هم يخافون من الآية، ويقفون عندها ويسألون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد سأل أبو بكر الصديق** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا؟)**، يعني: ولو كان يسيرًا، ولو كان سوءًا قليلًا، الآية تقول: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا**﴾، أي: سوءًا قليلًا أو كثيرًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟)**، ألست تتعب؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟)**، أليس يصيبك الحزن على المصائب؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟)**، اللَّأْوَاء: يعني الشدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَذَلِكَ مَا تُجْزَوْنَ بِه»)**، هذا مما يكفر الله به عن المؤمن.

....

ش: فبين أن المؤمن الذي إذا مات دخل الجنة قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب.

قال: فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة: الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك، كان له الأمن التام، والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه، كان له الأمن والاهتداء مطلقًا، بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة كما وُعِد بذلك في الآية الأخرى، وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه.

وليس مراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ»، أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام.

فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف، لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام الذي يكونون بهما مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، من غير عذاب يحصل لهم، بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله تعالى عليهم، ولابد لهم من دخول الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فبين أن المؤمن الذي إذا مات دخل الجنة قد يجزى بسيئاته

في الدنيا بالمصائب)، يعجل الله له العقوبة في الدنيا ليمحصه ويخلصه منها؛ حتى يقدم على الله وليس عليه ذنوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة)**، قال يعني: شيخ الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كان له الأمن التام)**، الأمن المطلق، إذا سلم من هذه الأمور كلها له الأمن المطلق، فلا خوف عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه)**، ولذلك يقولون: هناك فرق بين مطلق الأمن، والأمن المطلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس مراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «إنما هو الشرك» أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام)**، قد يكون عليه الأمن الناقص بسبب ذنوبه، لكنه لا يخلد في النار إذا عُذِب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف)**، أهل الكبائر من الموحدين، من أهل التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولابد لهم من دخول الجنة)**، ولو عُذِّبوا، لابد لهم من دخول الجنة، ولو عُذِّبوا بذنوبهم.

....

ش: **وقوله: «إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ»، إن أراد الأكبر، فمقصوده: أن من لم يكن من أهله، فهو آمن مما وُعِد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة.**

وإن كان مراده جنس الشرك، فيقال: ظلم العبد نفسه؛ كبخله لحب المال ببعض الواجب، هو شرك أصغر، وحبه ما يبغضه الله تعالى حتى يقدم هواه على محبة الله، شرك أصغر، ونحو ذلك، فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه؛ ولهذا كان السلف يدخلون الذنب في هذا الشرك بهذا الاعتبار. انتهى ملخصًا[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذا فاته من الأمن، والاهتداء بحسبه)**، بحسبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا كان السلف يدخلون الذنب في هذا الشرك بهذا الاعتبار)**، يدخلون الذنب، وإن لم يكن شركًا، إلا أنه يشمله اسم الشرك؛ لأن من أحب الدنيا وقدمها على طاعة الله، فقد أشرك بالله شركًا أصغر؛ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

فمن قدم هذه المحبوبات الثمانية على ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ، فهو متوعد، وهذا نوع من الشرك، لكنه شرك أصغر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى ملخصًا)**، انتهى كلام شيخ الإسلام ملخصًا، وهو مفيد جدًّا.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٩-٨٢).

....

ش: وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]. قال الصحابة: وَأَيُّنَا -يَا رَسُولَ اللهِ- لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ قَالَ: ذَلِكَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾، فلما أشكل عليهم المراد بالظلم، فظنوا أن ظلم النفس داخل فيه، وأن من ظلم نفسه -أي ظلم كان-، لم يكن آمنًا، ولا مهتديًا، أجابهم -صلوات الله وسلامه عليه- بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك.

وهذا -والله- هو الجواب الذى يشفي العليل، ويروي الغليل، فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذى هو: وضع العبادة في غير موضعها، والأمن والهدى المطلق: هو الأمن في الدنيا والآخرة، والهدى إلى الصراط المستقيم، فالظلم المطلق التام رافع للأمن والهدى المطلق التام، ولا يمنع ذلك أن يكون مطلق الظلم مانعًا من مطلق الأمن ومطلق الهدى، فتأمله، فالمطلق للمطلق، والحصة للحصة. اهـ. ملخصًا(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويروي الغليل)، يعني: العطشان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذى هو: وضع العبادة في غير موضعها)، هذا وجه كونه ظلمًا؛ أنه وضع العبادة في غير موضعها، والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٦٨٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فالظلم المطلق التام رافع للأمن والهدى المطلق التام**)، الظلم المطلق التام رافع للأمن التام، وهو الشرك، يرفع الأمن، المشرك ليس له أمن ابدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فالمطلق للمطلق، والحصة للحصة**)، الأمن ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أمن مطلق: ليس معه عذاب ولا مؤاخذة، وهذا لمن أخلص التوحيد وتجنب الذنوب والمعاصي.

القسم الثاني: مطلق أمن: وهذا يكون للموحد الذي عنده شيء من المعاصي؛ قد يعذب بها، ولكنه مآله إلى الجنة بسبب التوحيد، يعذب بسبب الذنوب، ويدخل الجنة بعد ذلك بسبب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**انتهى ملخصًا**)، انتهى كلام ابن القيم.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ». أَخْرَجَاهُ[(١)].

ش: عُبَادَةُ بْنِ الصَّامِتِ بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون سنة، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية[(٢)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ)، لِمَ خص عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه عبد الله ورسوله، مع أن كل الرسل عبد لله ورسوله؟ خص عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا؛ لأن اليهود والنصارى تطرفوا في حقه؛ فالنصارى جعلوه إلهًا: ﴿ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]، ﴿ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧]، فغلوا فيه، ورفعوه فوق منزلته، واليهود كفروا به، واتهموا أمه بالزنا، وقالوا: ليس له أب، والذي ليس له أب هذا ولد زنا -قبحهم الله-، اتهموا مريم أم عيسى بالزنا، نسأل الله العافية!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) انظر في ترجمة عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ١٩١٩)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨٠٧)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٨).

الله رد عليهم بقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران:٥٩]، آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليس له أب ولا أم، أما عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فله أم، ولكن ليس له أب، والله على كل شيء قدير، يخلق ما يشاء، وبرأ مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم:١٢]، فعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أثر نفخة الملك بأمر الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هذه النفخة تكون منها عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩]: نفخ فيها من روحه، وقال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، ولهذا يقال: عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كلمة الله، كلمة الله لماذا؟ لأنه تكون بهذا الكلمة: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أحد النقباء)، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما هاجر إلى المدينة كون النقباء على قومهم؛ يعني: الرؤساء على قومهم، كل على عشيرته وقبيلته، ومنهم عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بدري مشهور)، يعني: حضر وقعة بدر، مشهور من السابقين الأولين إلى الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مات بالرملة سنة أربع وثلاثين)، يعني: من بلاد الشام.

ش: قوله: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ»، أي: من تكلم بها عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها، باطنًا وظاهرًا، فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها؛ كما قال الله -تعالى-: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

أما النطق بها من غير معرفة بمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه من نفي الشرك، وإخلاص القول والعمل -قول القلب، واللسان، وعمل القلب، والجوارح -، فغير نافع بالإجماع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ»)، شهد: لابد من النطق بها، ولا يكفي النطق، لابد أن يكون عارفًا لمعناها، ولابد أن يكون عاملًا بمقتضاها، لابد من هذه الأمور الثلاثة:

* أن ينطق بها؛ فلا يكفي أن يعتقدها بقلبه.

* أن يعرف معناها؛ لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، لايستحق العبادة إلا الله، يعرف هذا المعنى.

* عاملًا بمقتضاها؛ فيتجنب الشرك، ويخلص التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ(١).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (٣/ ٤١٨، ٤١٩): (وعبارات السلف في (شهد) تدور على الحكم، والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار. وهذه الأقوال كلُّها حقٌّ لا تنافيَ بينها؛ فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبرَه وقولَه، وتتضمن إعلامه وإخبارَه وبيانه؛ فلها أربعُ مراتبَ: =

«**أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»: حتى ولو كان عنده ذنوب أدخله الله الجنة؛ إن كان سالمًا من الذنوب والمعاصي، أدخله الله الجنة بلاحساب ولا عذاب، إن كان عنده ذنوب ومعاصٍ فهو يدخل الجنة، لكن بعد التعذيب، إذا لم يغفر له الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أي: من تكلم بها عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها، باطنًا وظاهرًا**)، لاحظ! بهذه الشروط:

* أن يتكلم بها، ينطق بها.

* أن يكون عالمًا بمعناها؛ فليس مجرد لفظ.

* أن يكون عاملًا بمقتضاها، مخلصًا للتوحيد، متجنبًا للشرك ظاهرًا وباطنًا، لا يكفي أنه يعمل في الظاهر، ويعتقد معناها في الباطن، لابد أن يظهرها، ويعمل بها ظاهرًا وباطنًا: وإلا إذا صار يعمل في الظاهر، وهو على الخلاف في الباطن، هذا النفاق، هذا في الدرك الأسفل من النار، المنافقون يصلون ويصومون، ويجاهدون مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن ليس في قلوبهم إيمان، فهم في الدرك الأسفل من النار، فلا يكفي الظاهر دون الباطن، ولا يكفي الباطن دون الظاهر، لابد منهما.

= **فأول مراتبها**: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها: تكلُّمه بذلك ونطقه به وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها وينطق بها أو يكتبها.

وثالثها: أن يُعلم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له.

ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به. فشهادة الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربعة: علم الله عَزَّوَجَلَّ بذلك، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به) اهـ. باختصار. وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٦٨، ١٦٩)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٤٢، ٤٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾** [محمد:١٩])، اعلم؛ يعني: تعلم معنى «لا إله إلا الله»، ليس فقط تنطق بها، اعلم.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بدأ بالعلم قبل القول والعمل)[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾** [الزخرف:٨٦])، ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾: لاحظ! ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾، يعني: قال: «لا إلـه إلا الله»؛ لأنها كلمة حق، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: بهذا الشرط: يعلمون معناها، ليس مجرد لفظ، ولا يدري ما هو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أما النطق بها من غير معرفة بمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه من نفي الشرك، وإخلاص القول والعمل -قول القلب، واللسان، وعمل القلب، والجـوارح-، فغير نافع بالإجماع)**، مجرد النطق غير نافع بالإجماع؛ حتى يعرف معناها، ويعمل بمقتضاه.

---

(١) قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه في كتاب العلم - باب رقم (١٠): (بابٌ العلمُ قبل القولِ والعملِ ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فبدأ بالعلم). انظر: فتح الباري (١/ ١٦٠).

....

ش: قال في «المفهم على صحيح مسلم»: (باب: لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين، بل لابد من استيقان القلب، هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب المرجئة، القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطل قطعًا). اهـ[١].

وفي هذا الحديث ما يدل على هذا، وهو قوله: «مَنْ شَهِدَ»، فإن الشهادة لاتصح إلا إذا كانت عن علم ويقين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال في «المفهم على صحيح مسلم»)، يعني: شرح لصحيح مسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب: لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين، بل لابد من استيقان القلب)، لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين من غير اعتقاد القلب، ومن غير الجوارح، لابد لهذا أن ينطق بها بلسانه، أن يعلم بمعناها، أن يعمل بما تدل عليه، وهو مقتضاها ظاهرًا وباطنًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب المرجئة)، هذه ترجمة «المفهم على صحيح مسلم».

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٠٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال في «المفهم على صحيح مسلم»: باب: لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين)**، هذا رد على المرجئة الذين يقولون: يكفي التلفظ بها، ولو لم يعرف معناها، ولم يعمل بمقتضاها.

والمرجئة هم الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، مهما عصى لا تضره المعاصي ما دام أنه يؤمن بالله، هذا الإرجاء، ولا يدخل العمل في الإيمان. ولذلك سموا مرجئة؛ لأن الإرجاء هو التأخير، فهم أخروا العمل عن حقيقة الإيمان، وقالوا: ليس العمل من الإيمان؛ عمل أو لم يعمل هو مؤمن.

نقول: لا، ليس بمؤمن، إذا ترك العمل نهائيًا، فليس بمؤمن؛ لا بد من العمل بمقتضاها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأحاديث هذا الباب تدل على فساده)**، على فساد قول المرجئة، كل أحاديث هذا الباب التي سيسوقها المؤلف ليس للمرجئة فيها حجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها)**، هذا مذهب المرجئة الذي يدعون إليه الآن، ويرغبون الناس فيه، هذا مذهب باطل -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق)**، إذا كان العمل بمقتضاها ليس بلازم، هذا فعل المنافقين، ينطقون بها بألسنتهم ولا يعملون بها،

ولا يعتقدونها في قلوبهم، يصيرون إذًا مسلمين ومؤمنين عند المرجئة، إذا نطقوا بالشهادة، صاروا مؤمنين، وإن لم يعملوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطل قطعًا)**، المنافق يقال له: مسلم، ولا يقال له: مؤمن، مسلم فقط؛ لأنه استسلم وصار يعمل بها في الظاهر، ولكنه ليس بمؤمن في قلبه، فلذلك لا يسمى مؤمنًا، هو مسلم في الظاهر فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين)**، عن علم ويقين واعتقاد.

....

ش: **قال النووي: هذا حديث عظيم جليل الموقع، وهو أجمع -أو من أجمع- الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين جميعهم. اهـ**[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال النووي: هذا حديث عظيم جليل الموقع)**، في شرح صحيح مسلم، المشهور الآن عند الناس هو شرح النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال النووي: هذا حديث عظيم جليل الموقع، وهو أجمع -أو من أجمع- الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين جميعهم)**، هذا كلام النووي على حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ».

قال النووي: هذا فيه البراءة من جميع العقائد الكافرة، والملل الباطلة في حق عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بين اليهود والنصارى، فالنصارى غلوا فيه، واليهود جفوا في حقه.

---

(١) انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٢٢٧).

النصارى غلوا فيه؛ بأن جعلوه شريكًا لله، فقالوا: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، أو هو ﴿ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، أو هو الله، فجعلوه إلهًا -والعياذ بالله-، واليهود جفوا فيه، وأنكروا فضله ونبوته ورسالته، بل قالوا -والعياذ بالله-: إنه ولد بغي؛ اتهموا أمه مريم بأنها بغي، لماذا؟ لأنه ليس له أب. قالوا: هذا ولد بغي، وهم يعلمون -قبحهم الله- أنه رسول الله، وأن الله قادر على أن يخلقه بدون أب؛ كما خلق آدم بدون أب ولا أم، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩]، فإذا كان الله خلق آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بلا أم ولا أب، من تراب، فهو قادر على أن يخلق عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من أم بلا أب، من الروح التي نُفخت في مريم بواسطة جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تكون عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١]، ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١]، ذلك أن الله أرسل الملك إليها، فلما رأته فزعت منه؛ ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم:١٨]، خافت أنه يراودها عن نفسها، تظن أنه بشر؛ لأنه جاء في صورة بشر، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ [مريم:١٩-٢١]؛ أن أخلقه بلا أب، ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾، فتم الأمر، وحملت به على أثر النفخة.

ش: ومعنى «لا إله إلا الله»: لا معبود حقٌّ إلا الله، وهو في مواضع من القرآن، ويأتيك في قول البقاعي صريحًا.

قوله: «وَحْـدَهُ» تأكيد للإثبات، «لا شَريكَ لَهُ» تأكيد للنفي. قاله الحافظ(١).

كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٦٥]، أجابوا ردًّا عليه بقولهم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]. فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة، وإثباتها لله وحده لا شريك له، والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا، ويقرره، ويرشد إليه.

قولـه رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومعنـى «لا إلـه إلا الله»: لا معبـود حـقٌّ إلا الله)، «لا إله إلا الله»: نفي وإثبات، معناها: لا معبود حقٌّ إلا الله.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٣٤٥).

أما إذا قلت: (لا معبود إلا الله)، فهذا باطل؛ لأنك جعلت كل المعبودات هي الله، وهذا مذهب وحدة الوجود، فلابد أن تقيد بقول: حق، أو بحق، لا إله بحق، أو لا إله حقٌّ إلا الله.

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: هناك معبودات كثيرة، ولكن الله هو الحق، والبقية هي الباطل، هذا معنى «لا إله إلا الله».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: هذا معنى «إلا الله»، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: هذا هو معنى «لا إله»، معنى النفي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو في مواضع من القرآن)**، في كثير من الآيات جاءت بمعنى: «لا إله إلا الله»؛ كقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]؛ ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: هذا معنى النفي في «لا إله إلا الله»، ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: هذا معنى «إلا الله»، ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَحْدَهُ» تأكيد للإثبات)**، وحده لا شريك له، «وحده»: تأكيد للإثبات؛ إلا الله وحده.

«لا شريك له»: توكيد للنفي؛ لا إله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قاله الحافظ)**، الحافظ ابن حجر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣])، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: هذا «لا إله إلا الله»؛ لا معبود بحق إلا هو الرحمن الرحيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥])، وكل الرسل جاءوا بهذه الكلمة، وهي: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾، كل الرسل جاءوا هذه الكلمة؛ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾، أي: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥])، هذا معنى «لا إله إلا الله»؛ ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: هذا معنى «إلا الله»، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: هذا معنى النفي، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أجابوا ردًا عليه بقولهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠])، فكلامهم هذا يفسر «لا إله إلا الله»، ويدل على أنهم فهموا معناها؛ ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود:٦٢]، فمعنى «لا إله إلا الله»: لا معبود حقٌّ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والقبوريون من هذه الأمة يقولون: «لا إله إلا الله»، ولم ينكروها، يتلفظون بها، ويجهرون بها، ولكنهم لا يعملون بها.

يقولون: «يا عبد القادر»، «يا فلان» -صاحب القبر- أغثني، اقض حاجتي، وما أشبه ذلك، إذًا لا يفهمون معناها، صار المشركون أعرف منهم بمعناها، ولذلك أبوا أن يقولوها.

وأما هؤلاء، فهم يقولونها بالآلاف، ولكن لا يعملون بها، ولا يفهمونها، يظنون أنها مجرد قول ولفظ يقال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾** [الحج:٦٢])، فحصر الحق فيه سبحانه، ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾، وحصر الباطل بمعبودات المشركين، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾، حصر البطلان فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة)**، نفي الإلهية: بمعنى العبادة، الإلهية معناها: العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا، ويقرره، ويرشد إليه)**، كل آيات القرآن إما باللفظ والنص، وإما بالمعنى والمفهوم، كلها جاءت بالتوحيد، أو حقوق التوحيد، أو جزاء من أنكر التوحيد، وجزاء من أتى بالتوحيد، هؤلاء لهم الجنة، ومن أبى التوحيد، فله النار، فكل القرآن في هذا، القرآن كله مملوء بالتوحيد؛ إما نصًّا، وإما مفهومًا، يتبين هذا بالتأمل والتدبر.

ولكن مع الأسف كثير يقرؤون القرآن، ولا يتدبرونه، فيقعون في الشرك وهم يقرؤون القرآن، لا تخلو سورة من ذكر التوحيد، لا تخلو أبدًا، بل هناك سور خالصة بالتوحيد، ويكثر هذا في حزب المفصل الذي هو الحزب الأخير من القرآن، يكثر في الآيات المكية.

....

ش: **فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب، والخضوع، والتذلل رغبًا ورهبًا، وهذا كله لا يستحقه إلا الله -تعالى-؛ كما تقدم في أدلة هذا الباب وما قبله، فمن صرف من ذلك شيئًا لغير الله، فقد جعله ندًا لله، فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب، والخضوع، والتذلل رغبًا ورهبًا)**، جميع أنواع العبادة؛ من محبة، وذل، وخضوع، فجميع أنواع العبادة كلها من معنى «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا كله لا يستحقه إلا الله -تعالى)**، كل أنواع العبادة لا يستحقها إلا الله الخالق، الرزاق، المحيي المميت؛ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٥٤]: هذا توحيد الربوبية، وهو دليل على توحيد الألوهية، فالذي يستحق العبادة هو الخالق الرزاق المحيي المميت؛ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل:٢٠]، لا يخلقون شيئًا.

تحداهم الله أن يخلقوا ذبابًا؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾: أصغر شيء،

وأحقر شيء عند الناس، ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾، ولو أن الذباب تسلط عليهم، لم يستطعيوا التخلص منه؛ ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾؛ ولذلك تجد الناس مهددين بالذباب على ضعفه؛ ينقل لهم الأمراض، يقع في طعامهم وشرابهم، ولا يستطعيون التخلص منه، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن صرف من ذلك شيئًا لغير الله، فقد جعله ندًّا لله)**، من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله، فقد جعله شريكًا لله، ندًّا له؛ يعني: شريكًا له ومساويًا له ومماثلًا له؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، يعدلون به غيره من الأصنام والأشجار والأحجار والأضرحة يعدلون بها ربهم، يسوونها به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل)**، المشرك لا ينفعه قول ولا عمل، مهما عمل من الأعمال الصالحة لم ينفعه ذلك، ومهما قال من الأذكار والتوحيد، ما دام لم يعمل به لا ينفعه ذلك، لابد من النطق باللسان، والعقيدة بالقلب، والعمل بالجوارح، لابد من هذا، والأساس هو عقيدة القلب.

ش: ذكر كلام العلماء في معنى الإله:

قد تقدم كلام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال الوزير أبو المظفر في «الإفصاح»: (قوله: «شهادة أن لا إله إلا الله» يقتضي أن يكون الشاهد عالمًا بأن لا إله إلا الله؛ كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

قال: واسم (الله) مرتفع بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره -سبحانه.

قال: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية، وأثبت الإيجاب لله -تعالى-، كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ذكر كلام العلماء في معنى الإله)، الإله: معناه المعبود، العلماء كل كلامهم يدور على أن الإله هو المعبود، خلاف ما يقرره علماء الكلام؛ أن الإله: هو القادر على الخلق، والرزق، والإحياء والإماتة. لايتعدون توحيد الربوبية، وهذا لا يفيد شيئًا، توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية لايفيد شيئًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ذكر كلام العلماء في معنى الإله)؛ ردًّا على علماء الكلام الذين يقولون: الإله هو القادر على الاختراع والخلق والرزق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الوزير أبو المظفر في الإفصاح)**، «الإفصاح عن معاني الصحاح»، هذا شرح للجمع بين الصحيحين في كتاب اسمه: «الجمع بين الصحيحين»، شرحه الوزير أبو المظفر، الوزير ابن هبيرة، سمي الوزير؛ لأنه وزير لبعض السلاطين، وهو عالم من علماء أهل السنة والجماعة، محقق.

وأفرد منه -من هذا الكتاب- كتاب الفقه، مشى على أبواب الفقه من أولها إلى آخرها في كتابه، كتابه: رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، ذكر فيها المذاهب الأربعة، في كل مسألة تقريبًا يذكر فيها المذاهب الأربعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «شهادة أن لا إله إلا الله» يقتضي أن يكون الشاهد عالمًا بأن لا إله إلا الله)**، لابد من العلم، لا تنطق بها وأنت لا تعلم معناها، هذا لا يفيدك شيئًا، لابد من العلم بمعناها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩])، ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، أي: اعلم معنى هذه الكلمة، واعمل بها، وهذا هو الدين، العلم بـ«لا إله إلا الله»، والعمل بها هو الدين كله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: واسم (الله) مرتفع بعد (إلا))**؛ «إِلَّا اللهُ»، «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، أي: أنه مرفوع، اسم الله جَلَّ وَعَلَا في الإثبات مرفوع: «إِلَّا اللهُ»، لا تقل: «إِلَّا اللهَ»، أو «إِلَّا اللهِ»، لا، قل: «إِلَّا اللهُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من حيث أنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه)**، فهو الذي وجبت له الإلهية، يعني: العبادة، لا يستحقها إلا هو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال في أول سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾: هذا توحيد الألوهية.

ثم استدل عليه بتوحيد الربوبية، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يعني: شركاء، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢]، أنه لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله)**، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: هذا معنى النفي: «لا إله».

﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: هذا هو معنى الإثبات: «إلا الله».

فهذه الآية: ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، هي معنى «لا إله إلا الله» تمامًا؛ نفي وإثبات، كفر وإيمان، كفر بالطاغوت، وإيمان بالله وحده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنك لما نفيت الإلهية، وأثبت الإيجاب لله تعالى كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله)**، والطاغوت: هو كل ما عُبِد من دون الله، فهو طاغوت، إن رضي بذلك أو دعا إليه، أما إذا عُبد وهو لا يرضى، ولا أمر بذلك، فالطاغوت هو الشيطان الذي أمرهم بذلك.

....

ش: **وقال في «البدائع»؛ ردًا لقول من قال: إن المستثنى مخرج من المنفي.**

قال: بل هو مخرج المنفي وحكمه، فلا يكون داخلًا في النفي؛ إذ لو كان كذلك، لم يدخل الرجل في الإسلام بقوله: «لا إله إلا الله»؛ لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى.

وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها له بوصف الاختصاص، فدلالتها على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قولنا: (الله إله)، ولا يستريب أحد في هذا البتة. انتهى بمعناه[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال في «البدائع»**)، بدائع الفوائد لابن القيم، كتاب جليل، جمع فيه ما جاء بخاطره من الفوائد؛ فوائد في التفسير، في الفقه، في اللغة، فوائد عظيمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ردًا لقول من قال: إن المستثنى مخرج من المنفي، قال: بل هو مخرج المنفي، وحكمه**)، النفي في قول: «لا إله إلا الله»، ماذا ينفي؟ ينفي العبودية عن غير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الإسلام بقوله: لا إله إلا الله؛ لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى**)، لأن الاستثناء على قسمين -كما

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٥٨).

هو معلوم-: استثناء متصل، واستثناء منقطع، فـ«لا لإله إلا الله»، النفي فيها من أي النوعين؟ من الاستثناء المنقطع، فقوله: «إلا الله» ليس داخلًا فيما قبله من المستثنى منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عما سوى الله)**، كلمة «لا إله إلا الله» على اختصارها وخفتها على اللسان هي أعظم كلمة كلمة يقولها العبد، إذا عرف معناها، وعمل بمقتضاها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فدلالتها على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قولنا: «الله إله»)**؛ لأن «الله إله» هذه ليس فيها نفي، «الله إله» كلها إثبات، فلا تكفي حتى تقول: «لا إله إلا الله»، فتنفي الألوهية عما سوى الله أولًا، ثم تثبتها لله وحده؛ مثل: ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، النفي أولًا، ثم الإثبات.

مع أن قولنا: «الله إله» صحيح، لكن ليس فيه نفي وإثبات، فيه إثبات فقط.

....

ش: قلت: ولا ريب أنه لم يدخل في المنفي أصلًا؛ لأن المراد من هذه الكلمة إفراده تعالى بالإلهية في قلب الموحد، وقوله، وعمله؛ كما دلت عليه الآيات المحكمات.

كما أخبر عن دعوة رسله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون:٣٢]، فنفوا الإلهية عما سوى الله تعالى، وأثبتوها لله وحده، فإنه تعالى هو المتصف بتفرده بالإلهية أزلًا وأبدًا؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

وأخبر تعالى عن المشركين أنهم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف:٧٠]، أرادوا أن يدخلوه في جملة آلهتهم في العبادة، وأنكروا أن تكون العبادة له وحده، مع معرفتهم أن «لا إله إلا الله» تبطل ذلك.

وتسوية آلهتهم بالله في العبادة هو الشرك الأكبر الذي يوجب الخلود في النار، فالموحد مخالف للمشرك في قوله وفعله ونيته، وهذا ظاهر لا خفاء به بحمد الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قلت: ولا ريب)، هذا كلام الشيخ عبد الرحمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قلت: ولا ريب أنه لم يدخل في المنفي أصلًا؛ لأن المراد من هذه الكلمة إفراده تعالى بالإلهية في قلب الموحد، وقوله، وعمله)، فالله جَلَّ وَعَلَا لا يدخل في المذكورات في النفي -من الأصنام، والأشجار، والأحجار،

والأوثان، والقبور، والأضرحة-، لا يدخل فيها الله، هذه كلها منفيات لوحدها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما أخبر عن دعوة رسله:** ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٣٢])، كل رسول يقول أول ما يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٢٣]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾: ماذا تفيد؟ ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، هذا معنى: «لا إله إلا الله»؛ ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: هذا هو الإثبات، ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: هذا معنى النفي، فهذا هو معنى «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فنفوا الإلهية عما سوى الله تعالى، وأثبتوها لله وحده**)، نفوا، أي: الرسل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإنه تعالى هو المتصف بتفرده بالإلهية أزلًا وأبدًا**)، الإلهية: التي هي العبادة، وليست الألوهية هي الربوبية والخلق والرزق.

أزلًا: يعني في الماضي الذي لا حد له، وأبدًا: المستقبل الذي لا نهاية له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢])، فحصر الباطل فيما يدعى من دون الله، وحصر الحق في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في عبادته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأخبر تعالى عن المشركين أنهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ [الأعراف:٧٠]، أرادوا أن يدخلوه في جملة آلهتهم في العبادة، وأنكروا أن تكون العبادة له وحده)، المشركون لما قال لهم نبيهم: (قولوا: «لا إله إلا الله»)، قالوا: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ [الأعراف:٧٠].

لاحظ! يفهمون معناها، فهموا أن معنى «لا إله إلا الله»: ألا يعبد إلا الله؛ ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.

﴿لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾: هذا معنى الإثبات في «لا إله إلا الله»، ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: هذا معنى النفي في «لا إله إلا الله».

وأنت لو تسأل القبوريين الآن، وفيهم علماء عباد، لو تسألهم عن معنى «لا إله إلا الله»، لا يجيبونك بجواب صحيح؛ لأنهم لا يفهمون معناها، مع الأسف!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأخبر تعالى عن المشركين أنهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ [الأعراف:٧٠]، أرادوا أن يدخلوه في جملة آلهتهم في العبادة)، يقولون: نعبد الله، نعم، نعبد الله، لكن نعبد معه آلهتنا، فهو داخل في المعبودات، لا، ليس كذلك؛ لا يعبد إلا الله، المعبودات هذه باطلة.

وهم يقولون: إن الله من جملة الآلهة، من جملة المعبودات، لا ينكرون الله، لكنهم ينكرون إفراده بالعبادة، ويريدون أن يكون كغيره من الآلهة، العبادة تكون مشتركة بينه وبين الآلهة، هذا مقصودهم.

ولهذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾: دل على أنهم يعبدون الله ويعبدون الآلهة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنكروا أن تكون العبادة له وحده، مع معرفتهم أن «لا إله إلا الله» تبطل ذلك)**، العرب فصحاء يعرفون معنى الكلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتسوية آلهتهم بالله في العبادة هو الشرك الأكبر)**، وهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، يعني: يسوونه بغيره.

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]، يعني: شركاء له في العبادة، يماثلونه في استحقاق العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتسوية آلهتهم بالله في العبادة هو الشرك الأكبر الذي يوجب الخلود في النار)**، فالذي يعبد الله ويعبد غيره معه هذا هو الشرك الأكبر، ولا تنفع عبادة الله مع عبادة المشركين، الله بريء منها.

في الحديث القدسي أن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٣/ ٣٧٧)، وابن ماجه (٤٢٠٢)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٢٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦٧)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٢٤)، والبيهقي في شُعَب الإيمان (٩/ ١٤٣، ١٤٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وأصل الحديث في مسلم (٢٩٨٥): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتسوية آلهتهم بالله في العبادة هو الشرك الأكبر الذي يوجب الخلود في النار)**؛ لأن الشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أصغر، وشرك أكبر، فدعاء غير الله وعبادة غير الله شرك أكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالموحد مخالف للمشرك في قوله وفعله ونيته)**، بلا شك أن المؤمن مخلص لله في قوله وعمله ونيته، وأما المشرك فهو يخلط عبادة الله مع الشرك، ويقول: كلهم سواء، كلهم آلهة، يجعل الله مساويًا للات والعزى ومناة، هم يعبدون الله، عندهم عبادات لله، لكنها باطلة؛ لأنها خلطت مع الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا ظاهر لا خفاء به بحمد الله)** لمن تأمله، والذي لايتأمل لا يدري عنها، يقرأ القرآن، ويزين صوته به ويرتله ويجوده، ويقرأ بالقراءات العشر أو السبع، ولكن لا يفهم القرآن، ما الفائدة؟!

ش: **وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير «لا إله إلا الله»: أي: لا معبود إلا هو[(١)].**

وقال الزمخشري: الإله: من أسماء الأجناس، كالرجل، والفرس، يقع على كل معبود بحق، أو بباطل، ثم غلب على المعبود بحق[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير «لا إله إلا الله»)**، تفسير القرطبي المشهور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير «لا إله إلا الله»: أي: لا معبود إلا هو)**، أي: لا معبود بحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الزمخشري)**، الزمخشري من أئمة المعتزلة، ولكن له تفسير جيد من ناحية البلاغة واللغة؛ لأنه إمام من أئمة اللغة، وأما من ناحية علم المنطق والجدل، فهو ملأ الكتاب بهذه الأشياء، ويحمل على أهل السنة، ويطعن فيهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الزمخشري: الإله: من أسماء الأجناس، كالرجل، والفرس، يقع على كل معبود بحق، أو بباطل)**، هذا كلام صحيح، فالإله: هو المعبود سواء بحق أو بباطل، يسمى إلهًا.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١/ ١٠٣، ٢/ ١٩١، ١٨/ ١٤٠).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (١/ ٦).

....

ش: قال شيخ الإسلام: الْإِلَهَ: هو المعبود المطاع، فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمَأْلُوهُ، وَالْمَأْلُوهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ، وَكَوْنُهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ هُوَ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَحْبُوبَ غَايَةَ الْحُبِّ، الْمَخْضُوعَ لَهُ غَايَةَ الْخُضُوعِ[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الإله هو المحبوب المعبود، الذى تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه، وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده.

ولهذا كانت «لا إله إلا الله» أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صحت، صح بها كل مسألة، وحال، وذوق، وإذا لم يصححها العبد، فالفساد لازم له في علومه وأعماله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال شيخ الإسلام: الْإِلَهَ: هو المعبود المطاع)، الإله: هو المعبود؛ لأن الإلهية معناها: العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الإله هو المحبوب المعبود)، من معاني الإله: المحبوب؛ من الوله، وهي: المحبة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الإله هو المحبوب المعبود الذى تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه، وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده)**، لا تجتمع هذه المعاني الجليلة، إلا في الله وحده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا صحت، صح بها كل مسألة، وحال، وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله)**، إذا فهمها فهمًا صحيحًا، وعمل بها، واعتقدها، صلحت أموره كلها، أما إذا لم يفهمها، أو فهمها ولم يعمل بها، خسر الخسران الذي لا جبران له.

....

ش: وقال ابن القيم: «الإله» هو: الذى تألهه القلوب محبة، وإجلالًا وإنابة، وإكرامًا، وتعظيمًا، وذلًّا، وخضوعًا، وخوفًا، ورجاء، وتوكلا[(١)].

وقال ابن رجب: «الإله» هو: الذى يطاع فلا يعصى؛ هيبة له، وإجلالًا، ومحبة، وخوفًا، ورجاء، وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه، ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا لله عَزَّوَجَلَّ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول «لا إله إلا الله»، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك[(٢)].

وقال البقاعي: «لا إله إلا الله»، أي: انتفى انتفاء عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان، والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف[(٣)].

وقال الطيبي: «الإله» فعّال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله إلاهة، أي: عبد عبادة[(٤)].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٢٨).

(٢) انظر: كلمة الإخلاص (ص٢٣).

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٨/ ٢٣٠).

(٤) انظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٤٢٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن القيم: «الإله» هو: الذى تأله القلوب محبة، وإجلالًا)**، هذا من معانيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن القيم: «الإله» هو: الذى تأله القلوب محبة، وإجلالًا وإنابة، وإكرامًا، وتعظيمًا، وذلًا، وخضوعًا، وخوفًا، ورجاء، وتوكلًا)**، كل أنواع العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن رجب)**، ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إمام جليل، وهو من تلاميذ ابن القيم، وله مؤلفات عظيمة، منها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لكنه لم يكمله، وصل إلى كتاب الجنائز، وهو مطبوع، وفيه علوم جيدة. وله كتاب: «جامع العلوم والحكم شرح الأربعين للنووي»، كتاب حافل بالعلوم والعقائد والأخلاق، كتاب جيد، ولهذا سماه «جامع العلوم والحكم»، وله كتب أخرى؛ «شرح الترمذي»، لكنه ضاع، ولم يوجد إلا «شرح العلل» فقط، «شرح علل الترمذي»، فآخر الكتاب موجود، والأصل ضائع مع الأسف، وله قواعد مشهورة؛ «قواعد ابن رجب» في الفقه، له رسالة: «شرح كلمة الإخلاص»، رسالة صغيرة شرح لـ«لا إله إلا الله»، وهي مطبوعة موجودة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال البقاعي: «لا إله إلا الله»، أي: انتفى انتفاء عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم)**، ولهذا تسمى «لا إله إلا الله» كلمة الإخلاص؛ لأنها تخلص العبادة والدين لله عَزَّوَجَلَّ، وتسمى العروة الوثقى؛ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، يعني: «لا إله إلا الله».

وتسمى كلمة التقوى؛ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، يعني: لا إله إلا الله، ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الطيبي: «الإله» فعال بمعنى مفعول)**، أي: مألوه، فعال: إله، بمعنى مفعول أي: مألوه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الطيبي: «الإله» فعال بمعنى مفعول)**، يعني: على وزن فعّال.

ش: قال الشارح: وهذا كثير في كلام العلماء، وإجماع منهم أن «الإله» هو المعبود خلافًا لما يعتقده عباد القبور، وجهلة المتكلمين من أن معناه هو: الخالق، والقادر على الاختراع، ونحو ذلك، ويظنون أنهم إذا قالوها، فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى، ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله؛ كدعوة الأموات، والاستغاثة بهم في الكربات، والنذر في الملمات، إلى غير ذلك من أنواع العبادات.

وما شعروا أن مشركي العرب وغيرهم يشاركونهم في الإقرار بهذا المعنى، ويعتقدون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩]، فأخبر -تعالى- عنهم أنهم اتخذوا الأولياء من دونه، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، فتبًا لمن كان أبو جهل ورؤوس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله»، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦]، فعرفوا أنها تدل على ترك عبادة معبوداتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الشارح)، الذي هو الشيخ سليمان؛ لأن هذا الكتاب «فتح المجيد» مختصر من شرح الشيخ سليمان: «تيسير العزيز الحميد».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(خلافًا لما يعتقده عباد القبور، وجهلة المتكلمين من أن معناه هو الخالق والقادر على الاختراع)**، عند المتكلمين «الإله»: هو الخالق القادر على الاختراع، وهذا لا يتعدى توحيد الربوبية الذي من اقتصر عليه، لاينفعه؛ المشركون مقرون بتوحيد الربوبية، ولم يدخلهم في الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويظنون أنهم إذا قالوها، فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى)**، ولذلك كتبهم وعقائدهم كلها في تقرير توحيد الربوبية، كل كتب المتكلمين في تقرير توحيد الربوبية، لا تخرج عنه، أقربها التي يسمونها «الجوهرة»، المنظومة التي يسمونها التوحيد كلها في توحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله كدعوة الأموات، والاستغاثة بهم في الكربات، والنذر في الملمات)**، يقولون: ما دام يقر أن الله هو الرب، وهو الخالق، فهو مسلم، ولو عبد القبور، ولو عبد الأضرحة؛ لأن التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية فقط، لا يعرفون شيئًا اسمه توحيد الألوهية الذي جاءت به الرسل، والذي دعا إليه القرآن من أوله إلى آخره، لايعرفون هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما شعروا أن مشركي العرب وغيرهم)**، انتبهوا لهذا، ما شعروا؛ يعني: ما انتبهوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما شعروا أن مشركي العرب وغيرهم يشاركونهم في الإقرار بهذا المعنى)**، توحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويعتقدون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع)**، مشركو العرب في القرآن: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

﴿ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٥]، ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧]، ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون:٨٦، ٨٧]، في آخر سورة المؤمنون، فهم مقرون بهذا.

وفي سورة يونس -أيضًا- يقرون، ذكر الله عنهم أنهم يقرون بتوحيد الربوبية، وينكرون توحيد الألوهية، ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، يسمون الشرك طلب الشفاعة عند الله عَزَّوَجَلَّ، فالأولياء وأصحاب الأضرحة اتخذوهم شفعاء عند الله؛ يعبدونهم، ويذبحون لهم، ويتقربون لهم، ويقولون: من أجل أن يشفعوا لنا عند الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأخبر -تعالى- عنهم أنهم اتخذوا الأولياء من دونه، وقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣])**، يقولون: (نحن لانعتقد أن الأموات والأولياء والصالحين، لا نعتقد أنهم يستقلون بالنفع والضر من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن نحن مذنبون، لنا ذنوب، وهؤلاء صالحون، فنطلب منهم أن يشفعوا لنا عند الله)، لم يقتصروا على هذا، بل يذبحون لهم، وينذرون لهم، ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، فكيف هذا؟ هذا تناقض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتبًا لمن كان أبو جهل ورؤوس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله»)**؛ لأن مشركي قريش -أبو جهل، وأبو لهب، وغيرهم من مشركي قريش-؛ لما قال لهم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**قولوا:**

لا إلـه إلَّا اللهُ»، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥][1]، فهموا أن «لا إله إلا الله» تجعل الإله إلهًا واحدًا، وهم لا يريدون هذا، الآلهة كثيرة، كل له إله؛ ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾: لما قال لهم: «**قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». مثلما قال من قبلهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف:٧٠]، المسار واحد عند المشركين، فالمشركون من العرب الذين بُعِث فيهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرون بتوحيد الربوبية، وينكرون قول: «لا إله إلا الله»؛ لأنها تجعل الآلهة إلهًا واحدًا، وهم لا يريدون هذا؛ ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [ص:٥]، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، لاحظ! فهموا أنهم إذا قالوا: «لا إله إلا الله»، تركوا آلهتهم، ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٦]، يعنون محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتبًا لمن كان أبو جهل ورؤوس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله»)**، عرفوا أن «لا إله إلا الله»: ألا يعبد إلا الله، وهم لا يريدون هذا، يريدون أن يعبدوا الله، ويعبدوا اللات والعزى ومناة وسائر الأصنام، الآلهة كثيرة يقولون، لا يكفي الله وحده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى:** ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦]، **فعرفوا أنها تدل على ترك عبادة معبوداتهم)**، وهؤلاء يقولونها وينطقون بها، ولايدرون أنها تنفي عبادة القبور والأضرحة والأولياء والصالحين، لا يدرون عن هذا.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٧).

....

ش: قلت: ودلالتها على هذا دلالة تضمن، وأن ذلك يقتضي إخلاص العبادة لله، فدلالتها على نفي الإلهية وعبادتها، وإفراد الله تعالى بالعبادة دلالة مطابقة.

فدلت «لا إله إلا الله» على نفي العبادة عن كل ما سوى الله كائنًا ما كان، وإثبات الإلهية لله وحده دون ما سواه، و هذا هو التوحيد الذى دعت إليه الرسل، ودل عليه القرآن من أوله إلى آخره؛ كما قال تعالى عن الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن:١، ٢].

فـ«لا إله إلا الله» لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيًا وإثباتًا، واعتقد ذلك وقبله، وعمل به، وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل، فقد تقدم كلام العلماء أن هذا جهل صرف، فهي حجة عليه بلا ريب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قلت: ودلالتها على هذا دلالة تضمن)؛ لأن أنواع الدلالة ثلاثة[1]:

* دلالة المطابقة، وهي دلالة الشيء على تمام معناه، هذه مطابقة.

* دلالة التضمن: وهي دلالة الشيء على بعض معناه، هذه دلالة تضمن.

---

(١) انظر: (ص٢٨٠).

* ودلالة التزام: وهي دلالة الشيء على شيء خارج عن معناه.

فـ«لا إله إلا الله» دلالتها على التوحيد دلالة التضمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فدلالتها على نفي الإلهية وعبادتها، وإفراد الله تعالى بالعبادة دلالة مطابقة)**، دلالة الشيء على كمال معناه دلالة مطابقة، فهي تجمع بين دلالة التضمن ودلالة المطابقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا هو التوحيد الذى دعت إليه الرسل)**، لم يذكر الله عن الرسل من أولهم وآخرهم أنهم دعوا الناس إلى توحيد الربوبية والإقرار بالخالق؛ كلهم يقرون بهذا، هذا شيء موجود فيهم، إنما دعوهم للألوهية: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودل عليه القرآن من أوله إلى آخره)**، لاحظ! في أول الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٢-٥]، فيها أنواع التوحيد الثلاثة.

في سورة الناس التي هي آخر سورة: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١، ٢]، أنواع التوحيد الثلاثة.

وكذلك بقية السور وبقية القرآن كلها فيها التوحيد، ولكن أين الذي يتفكر؟!! أين الذي يتدبر؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودل عليه القرآن من أوله إلى آخره)**، من أوله إلى آخره، من الفاتحة لسورة الناس كلها في التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى عن الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾** [الجن:١، ٢]**)**، **﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾** [الجن:٣، ٤]، إلى آخر السورة.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجع من الطائف، قام يصلي من الليل، يتلو القرآن، اجتمع الجن عليه، واستمعوا للقرآن، فتعجبوا مما سمعوه، ذهبوا إلى قومهم: **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾** [الأحقاف:٢٩-٣١]، الجن لما سمعوا القرآن، عرفوا أنهم على شرك، وعلى باطل؛ أنهم يدعون مع الله آلهة أخرى؛ **﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾** [الجن:٢-٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فـ«لا إله إلا الله» لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيًا وإثباتًا، واعتقد ذلك، وقبله، وعمل به)**، لها سبعة شروط:

﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]، هذا العلم.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، هذا العلم.

والعمل بمقتضاها، واعتقادها بالقلب، لابد من هذا كله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل، فقد تقدم كلام العلماء أن هذا جهل صرف، فهي حجة عليه بلا ريب)**، يقول كلمة، ولايعرف معناها، يقول: «لا إله إلا الله»، ثم يقول: «يا علي»، «يا حسين»، «يا عبد القادر»، «يا فلان».

ش: فقوله في الحديث: «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» تأكيد وبيان لمضمون معناها، وقد أوضح الله تعالى ذلك، وبينه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين، فما أجهل عباد القبور بحالهم! وما أعظم ما وقعوا فيه! فإن مشركي العرب ونحوهم جحدوا «لا إله إلا الله» لفظًا ومعنى، وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظًا، وجحدوها معنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقوله في الحديث: «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»: تأكيد وبيان لمضمون معناها)، هذا في حديث عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رجع إلى الحديث. وسبق الكلام على الحديث الذي فيه أن: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»(١)، لكن عند قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، ما موقع: «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، من «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؟

يقول: إن «وَحْدَهُ» تأكيد للإثبات؛ «إلا الله وحده» تأكيد للإثبات، «إلا الله وحده».

«لَا شَرِيكَ لَهُ»: تأكيد للنفي؛ «لا إله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد أوضح الله تعالى ذلك، وبينه في قصص الأنبياء، والمرسلين في كتابه المبين)، كل نبي يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥].

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٦).

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، فالدعوة إلى التوحيد وإنكار الشرك هي دعوة جميع الرسل، لابد من هذا، ولابد لأهل الإيمان من ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما أجهل عباد القبور بحالهم!)**، عباد القبور من هذه الأمة الذين يستغيثون بالأموات، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويطوفون بقبورهم، وهم كثيرون -ولا حول ولا قوة إلا بالله- كثيرون في العالم الإسلامي، وكثير من المساجد في غير هذه البلاد -ولله الحمد- لا تخلو من قبور، تبنى على القبور، هذا من الغلو في الأموات، الغلو في الصالحين، وهو شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فمن عبد غير الله، فقد أشرك سواءً كان ما يعبده صنمًا، أو وثنًا، أوحجرًا، أو شجرًا، أو وليًّا من الأولياء، أو صالحًا من الصالحين، فإنه مشرك -وإن كان يدعي الإسلام، ويقول: «لا إله إلا الله»-؛ لأنه لم يحقق هذه الكلمة، فهو يقول: «لا إله إلا الله»، ثم يدعو غير الله، يذبح لغير الله، ينذر لغير الله، يستغيث بغير الله، إذًا أين ذهبت لا إله إلا الله؟! يعني: لفظ باللسان فقط! فعباد القبور من أبلد البهائم، يقولون: «لا إله إلا لله»، ولا يعملون بها، يخالفونها، في حين أن المشركين الأولين أبوا أن يقولوها؛ لأنهم يعلمون أنهم إذا قالوها، تركوا عبادة غير الله، وهم لا يريدون ذلك، فهم أذكى من هؤلاء، فهم تجنبوا التناقض، وأصروا على الشرك وعبادة الأصنام؛ محاماة على دينهم وعلى عبادتهم.

وهؤلاء يقولون: «لا إله إلا الله» بكثرة، بل لهم أوراد في الصباح والمساء بـ«لا إله إلا الله»، ومع ذلك يطوفون بقبور الأولياء والصالحين ويدعونها،

ويستغيثون بالأموات، ويتوسلون بهم... إلى آخره، هذا تناقض مع «لا إله إلا الله»، هذا يدل على غباوتهم، وأنهم لا يأنفون من التناقض.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وما أعظم ما وقعوا فيه!)**، وقعوا في الشرك الأكبر، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»، أين «لا إله إلا الله»؟! وأين معناها ومقتضاها من أفعالهم؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإن مشركي العرب ونحوهم جحدوا «لا إله إلا الله» لفظًا ومعنى)**، لما قال لهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص:٥][1]، فهموها على الفور أنها تنفي عبادة من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فهموها مباشرة؛ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص:٥]، فدل على أن «لا إله إلا الله» تجعل المعبود واحدًا، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتنفي عبادة ما سواه؛ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦].

قبلهم المشركون يقولون لنبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠]، فهم أذكى من هؤلاء الأغبياء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظًا وجحدوها معنى)**، ولا ينفع الإقرار بها لفظًا مع جحود معناها؛ لأنها تصبح لا فائدة فيها.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٧).

....

ش: فتجد أحدهم يقولها، وهو يأله غير الله بأنواع العبادة؛ كالحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والتوكل، والدعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة، بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب، فإن أكثرهم إذا وقع في شدة، أخلص الدعاء لغير الله تعالى، ويعتقدون أنه أسرع فرجًا لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتجد أحدهم يقولها، وهو يأله غير الله بأنواع العبادة)**، يقول: «لا إله إلا الله» بكثرة، لهم أوراد صباحية ومسائية بـ«لاإله إلا الله»، ولا يفهمون معناها، أو يفهمونه ولا يريدون ترك معبوداتهم، فيجمعون بين التناقض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كالحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والتوكل، والدعاء)**، أنواع العبادة يصرفونها لغير الله؛ العبادة القلبية: الحب هذه عبادة قلبية؛ فهم يحبون هؤلاء الأولياء حبًّا شديدًا، وكذا الخوف؛ يخافون منهم، والرجاء؛ يرجونهم، أعمال قلبية يصرفونها لغير الله.

أعمال ظاهرة: من الذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والطواف بما لم يشرعه الله؛ تقربًا إلى الأموات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب)**، العرب يشركون بالله، لكن أبوا أن يقولوا: «لا إله إلا الله»؛ لأنها تنفي معبوداتهم، وهم لا يريدون أن يتركوها، أصروا عليها، وهؤلاء قالوها، ولكن لم يعملوا

بها، ناقضوها بأقوالهم وأفعالهم، فهذه مسبة على المسلمين، تنقص للإسلام، يمثلون المسلمين أنهم يمكن أنهم تسعين في المائة من عدد المسلمين، هذه شماتة -والعياذ بالله.

المشركون والكفار أذكياء يعرفون، يضحكون على هؤلاء، بل إن الدول الكافرة تشجع هؤلاء القبوريين، تساعدهم، وتحثهم على البناء على القبور؛ لأنها تعلم أن هذا ضد دين الإسلام، وهم يحاربون دين الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإن أكثرهم إذا وقع في شدة أخلص الدعاء لغير الله تعالى**)، هم أشد شركًا من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة؛ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧]، فهم يدعون الله إذا أشتد بهم الأمر، تلاطمت بهم الأمواج يخلصون، يقولون: أخلصوا، أخلصوا، فيخلصون الدعاء لله، ويقولون: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢]، وإذا نجوا، فإنهم يتنكرون، وأما هؤلاء القبوريون، فشركهم دائم في الرخاء والشدة، بل شركهم يزيد في الشدة أكثر؛ فإذا وقعوا في خطر أو في أمواج البحر، ينادون الأولياء والصالحين، ويستغيثون بعبد القادر، بفلان، بفلان، بالحسين، ينادونهم وهم في الشدة -والعياذ بالله- أشد من المشركين، هذا أمر خطير جدًّا!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإن أكثرهم**)، يعني: أكثر القبوريين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإن أكثرهم إذا وقع في شدة أخلص الدعاء لغير الله تعالى**)، ولا يذكرون الله في الشدة، لا يذكرون إلا معبوداتهم، فينسون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالبوصيري في قصيدته «البردة» التي فُتِن الناس بها يقول[1]:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوْذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

عند الشدة ليس هناك إلا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نسي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوْذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

يعني: عند الشدة، نسأل الله العافية!

هذا شاعرهم، على لسانهم يتكلم، ويرددون هذه القصيدة في الموالد، ويكتبونها أحسن مما يكتبون المصحف كتابة منمقة، نسأل الله العافية!

وهؤلاء الطواغيت الذين أضلوهم، ويسمونهم المشايخ ورؤساء الطرق يقولون لهم: أنا أنقذت الباخرة الفلانية من الغرق، وهو جالس معهم، أنا أنقذت الباخرة الفلانية من الغرق، وأنتم جالسون لم تدروا، وأنا فعلت وفعلت، ثم إنه يزيد شرهم -والعياذ بالله- وفتنتهم به.

بعضهم يقول: انظروا آثار الماء على كمي من إنجائي للسفينة الفلانية من البحر.

---

(١) انظر: ديوان البوصيري (ص٢٤٨).

....

ش: **بخلاف حال المشركين الأولـين، فإنهم يشركون في الرخاء، وأما في الشدائد، فإنما يخلصون لله وحده؛ كما قال تعالى:** ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

فبهذا يتبين أن مشركي أهل هذه الأزمان أجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بخلاف حال المشركين الأولـين، فإنهم يشركون في الرخاء، وأما في الشدائد فإنما يخلصون لله وحده**)، يروى عن عكرمة بن أبي جهل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما دخل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة، وكان من فرسان المشركين، فر من مكة فرارًا من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأراد أن يركب في السفينة، ركب في السفينة هاربًا، فجاءهم الموج، ووقعوا في شدة، فقالوا: أخلصوا، أخلصوا، قال: ما معنى أخصلوا؟، قالوا: لا تدع إلا الله؛ فإنه لا ينجي من الشدائد إلا الله، فأخصلوا الدعاء لله، قال: هذا الذي فررت منه، هذا الذي فررت منه، أنا لم أفر إلا من إخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ التي يدعو إليها محمد؛ لئن أنجاني الله، لأضعن يدي في يده، فأنجاه الله، فجاء وبايع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١)، وأصبح من قواد الجيوش الإسلامية، واستشهد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) قصة إسلام عكرمة رواها النسائي (٤٠٦٧)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٠٠)، والبيهقي =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥])، ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [يونس:٢٢، ٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فبهذا يتبين أن مشركي أهل هذه الأزمان أجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب، ومن قبلهم**)، والمسؤول عن هذا: هم طلبة العلم والعلماء الذين لا يدعون إلى الله، ولا يذكرون التوحيد، ولا يبينون للناس، يتركونهم على ما هم عليه، هذه مصيبة عظيمة، وهم المسؤولون عنهم يوم القيامة؛ لأنهم كتموا عنهم العلم؛ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٥٩، ١٦٠].

= في السنن الكبرى (٨/ ٣٥٦): عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ، إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَقَالَ: «**اقْتُلُوهُمْ، وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ خَطَلٍ، وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ**»، فَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ خَطَلٍ، فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا، وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ، فَقَتَلَهُ، وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ، فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ، فَقَتَلُوهُ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلِصُوا، فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ، لَا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا، إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ....

فسكوت علمائهم عنهم وتركهم هو الذي أوقعوهم فيما هم فيه، ويحتجون بهم، يقولون: لو كان هذا ممنوعًا، لمنع منه علماؤنا، يحتجون بهذا.

وبعض الدعاة أو كثير من الدعاة الذين يدعون إلى الإسلام لا يذكرون التوحيد، يقولون: لا تنفروا الناس، ادعوهم إلى مكارم الأخلاق، إلى الصلاة، إلى الزكاة، إلى ترك الربا، إلى صلة الأرحام، هذه الأعمال لا تنفع بدون التوحيد، الأساس: التوحيد.

وهذه الأعمال كلها -لو يصلون الليل والنهار، لو يتصدقون بالمليارات- لا تنفعهم مع الشرك أبدًا، فلابد أن يبدأ بالعقيدة وإصلاح العقيدة، والدعوة التي تقوم على غير العقيدة دعوة فاشلة، لا نتيجة لها، ولذلك حتى المؤسسات الدعوية التي ينفق عليها أموال أين آثارها؟! أين آثارها؟! ليس لها آثار الآن، أموال، وميزانيات، لكن ليس لها آثار، الناس على ضلالهم وعلى شركهم، فأين هذه الدعوة؟!! الأفراد الذين قاموا بالدعوة في التاريخ الأول، وهم أفراد وليس معهم أموال، وليس معهم شيء، ماذا أثروا في الأمة؟ ماذا تاب على أيديهم؟

الشيخ محمد بن عبد الوهاب قام بالدعوة، وليس معه إلا مروحته اليدوية؛ يحركها، يمشي على قدميه في الرمضاء في وقت القيظ، ويحرك مروحته، ليس معه غيرها، وانظر ماذا أنتج نتيجة الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، وحسن النية؟!

قبله شيخ الإسلام ابن تيمية، وقبله الأئمة الأربعة، قبله ابن القيم، قبله العلماء الكبار لهم آثار عظيمة في الأمة؛ لأنهم يدعون إلى التوحيد، وينكرون

المنكر، فليست المسألة مسألة وظائف، أو مسألة رواتب، أو مسألة جولات فارغة ليس فيها فائدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فبهذا يتبين أن مشركي أهل هذه الأزمان أجهل بالله، وبتوحيده من مشركي العرب، ومن قبلهم**)، هذا شيء واضح(١).

الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول: (شرك هؤلاء المتأخرين أعظم من شرك الأولين)، يقول: (لأن الأولين لما قيل لهم: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فهموها، وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص:٥]، وهؤلاء لم يفهموها.

والأمر الثاني في هذه المسألة: أن المشركين الأولين يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، أما هؤلاء فشركهم دائم في الرخاء والشدة، بل شركهم في الشدة أشد من حال الرخاء، لكن لو تتكلم بهذا وتدعو إليه، قالوا: أنت تكفيري، أنت متشدد، هذا مذهب الخوارج، مذهب الوهابية هذا، هذا دين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا مقتضي القرآن والسنة، كيف يكون الذي يدعو إليه تكفيريًّا؟!! نعم، الكفار يكفرون، والمشركون يكفرون، فالذي يرتكب شيء من الشرك يكفر، لولا أنهم يكفرون، لما دُعوا إلى الله وبُين لهم، أيقال: على عقيدتهم اتركوهم؛ مثلما يقال الآن؟! التكفير إذا كان بحق فهو حق، ولا ينكره إلا معاند أو جاهل.

---

(١) انظر: كشف الشبهات (ص٣٣).

ش: وقوله: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، أي: وشهد بذلك، وهو معطوف على ما قبله على نية تكرار العامل.

ومعنى العبد هنا: المملوك العابد، أي: أنه مملوك لله -تعالى-، والعبودية الخاصة وصفه؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، أي: وشهد بذلك، وهو معطوف على ما قبله على نية تكرار العامل)**، «وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، مرتبطة بشهادة أن لا إله إلا الله؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله، وجحد رسالة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم تنفعه «لا إله إلا الله»، لابد أن يشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد أن محمدًا رسول الله، فإذا شهد أن لا إله إلا الله، ترك الشرك، وإذا شهد أن محمدًا رسول الله، ترك البدع والمحدثات، وعمل بما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فـ«لا إله إلا الله» تنفي الشرك، و«محمد رسول الله» تنفي البدع والمحدثات، وألا يعبد الله إلا بما شرع، هكذا، ليست بشهادة لسانية فقط.

وقوله: عبده ورسوله، ما موقعها من أشهد أن محمدًا رسول الله، أو أشهد أن محمدًا عبده ورسوله؟

«عَبْدُهُ»: هذا رد على الغلاة الذين يغلون في الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرفعونه فوق منزلته، وهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥)، من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

«**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**»: الله سماه عبدًا؛ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]، من هو عبده؟ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]، من هو؟ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو عبد ليس إلهًا، ولا ربًا.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣]، من هو ﴿عَبْدِنَا﴾؟ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذا شرف له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعبودية الله شرف ورفعة وليست ذلة بل هي رفعة.

«**عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»: هذا رد على الجفاة الذين ينفون رسالة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينتقصون قدره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعبده: رد على الغلاة، رسوله: رد على الجفاة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعنى العبد هنا: المملوك العابد، أي: أنه مملوك لله تعالى، والعبودية الخاصة وصفه)**، مملوك لله، عبدٌ لله، يعبد الله، وهو يفتخر بذلك، يقول: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، فالله وصف الأنبياء بأنهم عبيد، قال عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]، ﴿عَبْدًا شَكُورًا﴾.

ووصف غيره بالعبودية من الأنبياء والمرسلين، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص:١٧]، فالله جَلَّ وَعَلَا يصفهم بالعبودية؛ مدحًا لهم.

قال في أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦])، ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾، يعني: عبده الرسول وغير الرسول، الله يكفي عباده، يرزقهم، يتولاهم، يدبر شؤونهم، يحفظهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦])، ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾، هذا استفهام تقرير، الله كاف عبده.

فإذًا لماذا يذهبون إلى القبور والأضرحة، يطلبون منها الكفاية والنصرة والإعانة، يعني: معناه أن الله لا يكفي عبده، يحتاجون للقبور وغير الله عَزَّوَجَلَّ؟!!

آخر الآية: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر:٣٦]، أي: بالذين يعبدونهم غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يخوفون من يدعوهم إلى الله بانتقام الآلهة الشركية منهم؛ كما هددوا إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما هددوا هودًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ قالوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ﴾ [هود:٥٤-٥٦].

الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر الله عنه ذلك في آخر سورة الأعراف، قال: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٥-١٩٧].

هددوا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما ناظرهم، جادلهم، هددوه بآلهتهم؛ كما ذكر الله في سورة الأنعام، لما هددوه، قال: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، يعني: بشرك، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨١، ٨٢].

....

ش: **فأعلى مراتب العبد: العبودية الخاصة والرسالة؛ فالنبي ﷺ أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين.**

وأما الربوبية والإلهية، فهما حق الله تعالى، لا يشاركه في شيء منهما ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأعلى مراتب العبد: العبودية الخاصة، والرسالة)**، هذه أعلى المراتب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالنبي** ﷺ **أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين)**، العبودية والرسالة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الربوبية والإلهية فهما حق الله تعالى)**، ليس للرسول ولا لغيره حق في الربوبية والألوهية، ولا في العبادة، الرسول ﷺ حقه: الاتباع والاقتداء به، أما العبادة، فهي لله عَزَّوَجَلَّ، وليست لأحد غير الله جَلَّوَعَلَا، ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

لِلَّهِ حَـقٌّ لَا يَـكُـونُ لِـغَـيْـرِهِ ... وَلِـعَـبْـدِهِ حَـقٌّ هُـمَـا حَـقَّـانِ

لَا تَجْعَلُوا الْحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا ... مِـنْ غَـيْـرِ تَـمْـيِـيـزٍ وَلَا فُـرْقَـانِ

لا تجعل حق الله للرسول أو لغيره؛ فتعبده من دون الله، وتستغيث به.

---

(١) سبق عزوه (ص٢٦٨).

....

ش: وقوله: «عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» أتى بهاتين الصفتين، وجمعهما؛ دفعًا للإفراط والتفريط، فإن كثيرًا ممن يدعي أنه من أمته أفرط بالغلو قولًا وفعلًا، وفرط بترك متابعته، واعتمد على الآراء المخالفة لما جاء به، وتعسف في تأويل أخباره وأحكامه بصرفها عن مدلولها، والصدف عن الانقياد لها مع إطراحها، فإن شهادة أن محمدًا عبده ورسوله تقتضي الإيمان به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما عنه زجر، وأن يعظم أمره ونهيه، ولا يقدم عليه قول أحد كائنًا من كان، والواقع اليوم وقبله خلاف ذلك، والله المستعان!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقوله: «عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» أتى بهاتين الصفتين، وجمعهما دفعًا للإفراط والتفريط)**، عبده: دفعًا للإفراط، وهو الغلو. ورسوله: دفعًا للتفريط في حق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتنقصه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإن كثيرًا ممن يدعي أنه من أمته أفرط بالغلو قولًا وفعلًا)**، أفرط في الغلو بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كالذي يقول(١):

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإن كثيرًا ممن يدعي أنه من أمته أفرط بالغلو قولًا وفعلًا، وفرط بترك متابعته)**، أفرط وفرط؛ أفرط: في الغلو به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورفعه فوق منزلته.

---

(١) سبق عزوه (ص٣٧٢).

وفرط في متابعته: لا يتبعه، إنما يتبع هواه، ويتبع قول فلان وعلان، وقول الرسول إن جاز له تبعه، وإن لم يجز له أخذ بغيره، هذه حالة الأشقياء -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واعتمد على الآراء المخالفة لما جاء به، وتعسف في تأويل أخباره، وأحكامه، بصرفها عن مدلولها)**، إذا لم يوافق كلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هواه، صار يؤوله بغير تأويله، ويفسره بغير تفسيره؛ يتبع هواه -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن شهادة أن محمدًا عبده ورسوله تقتضي الإيمان به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما عنه زجر، وأن يعظم أمره ونهيه، ولا يقدم عليه قول أحد كائنًا من كان)**، وألا يعبد الله إلا بما شرع، هذا معناها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والواقع اليوم وقبله خلاف ذلك)**، هذا في حياة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشيخ عبد الرحمن بن حسن يشكو من أهل زمانه، وزاد الشر شرًّا، وتضاعف الخطر، إلا من رحم الله ممن تمسك بدينه، وصبر على الأذى، والازدراء من الناس والتحقير.

....

ش: **وروى الدارمي في مسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُهُ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ، لَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ المِلَّةَ الْمُتَعَوِّجَةَ بِأَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا». قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ كَعْبًا يَقُولُ مِثْلَمَا قَالَ ابْنُ سَلَامٍ**[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وروى الدارمي في مسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)**، عبد الله بن سلام: من أحبار اليهود، ولما قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة مهاجرًا، ذهب لينظر إليه، فلما رآه عرف أنه نبي، لما رأى وجهه، مجرد لما رأى وجه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عرف أنه نبي، وليس بكذاب. قال: «لَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ الْكَذَّابِ»[2]، ثم آمن به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصار

---

(١) أخرجه الدارمي (٦)، وهو في البخاري (٢١٢٥)، من حديث عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عن عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤، ٣٢٥١)، وأحمد (٣٩/ ٢٠١)، والدارمي (١٥٠١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ =

من علماء هذه الأمة، ومن أجلاء صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ لأنه من علماء اليهود، وقرأ التوراة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُهُ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ، لَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ المِلَّةَ المُتَعَوِّجَةَ بِأَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، يَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا**)، هذه صفات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة؛ ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، هذه صفاته في التوراة والإنجيل.

= شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

(١) انظر في ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٦٦٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٢١)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٤١٧)، وإكمال تهذيب الكمال (٧/ ٣٩٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنَّهُ سَمِعَ كَعْبًا)**، كعب الأحبار، هذا أيضًا من أحبار اليهود، من أهل اليمن، ومن أحبار اليهود، منَّ الله عليه بالإسلام، فأسلم في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ كَعْبًا يَقُولُ مِثْلَمَا قَالَ ابْنُ سَلَامٍ)**؛ لأنهم يجدون هذا في التوراة، أوصاف هذا الرسول، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعني: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

ش: قوله: «وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، أي: خلافًا لما يعتقده النصارى؛ أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-؛ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:٩١]، فلابد أن يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله على علم ويقين بأنه مملوك لله، خلقه من أنثى بلا ذكر؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩]، فليس ربًّا ولا إلهًا -سبحان الله عما يشركون!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»)، لماذا خص عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من بين الأنبياء؟ لأن أهل الكتاب اختلفوا فيه؛ فمنهم من فرط في حقه، وهم اليهود وذموه، وحاولوا قتله، ومنهم من غلا فيه، وقال: هو الله، أو ثالث ثلاثة، أو هو ابن الله، النصارى غلو فيه، واليهود جفوا في حقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا جاء في هذا الحديث: «وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ»[١]، ليس ابنًا لله، ولا هو ثالث ثلاثة، وإنما هو عبد ورسول؛ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، هذا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليس ربًّا، وليس ولد بغي؛ كما تقوله اليهود.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٦).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، أي: خلافًا لما يعتقده النصارى أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة)**، هذه مقالاتهم فيه -قبحهم الله!

وليس كل النصارى، فيهم مؤمنون؛ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:١٩٩]، ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣]. إنما هذا في الذين جفوا، وكفروا بعيسى، وكفروا بمحمد -صلى الله عليهما وسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، أي: خلافًا لما يعتقده النصارى أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة)**؛ كما ذكر الله عنهم ذلك في القرآن؛ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:٩١])**، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾: يرد عليهم.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾؛ لأنه ليس بحاجة إلى الولد، هو الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا ليس شبيه؛ لأن الولد شبيه للوالد، فمن يشبه أباه فما ظلم، والله ليس له شبيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس محتاجًا إلى الولد، وليس له شبيه من خلقه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:٩١])، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾، يعني: من أين يكون له ولد؟ ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، يعني: ليس له زوجة، أيأتي له ولد بلا زوجة؟!! محال هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فلابد أن يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله على علم، ويقين بأنه مملوك لله، خلقه من أنثى بلا ذكر**)، خلقه من أنثى بلا ذكر، والله قادر على كل شيء، يخلق ما يشاء؛ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩])، هذا رد على اليهود الذين يقولون: كيف يكون مولود بدون والد، ومعروف أن الولد يخلق من الأب والأم؟ يعني: كأن الله لا يقدر على أن يخلق بدون والد، الله قادر -سبحانه-، الله خلق آدم بدون أم وبدون أب، من تراب، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩]، قال -أيضًا- لعيسى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

....

ش: **قال تعالى:** ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:٢٩، ٣٠].

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٧٢].

ويشهد المؤمن -أيضًا- ببطلان قول أعدائه اليهود: أنه ولد بغي -لعنهم الله -؛ فلا يصح إسلام أحد حتى يتبرأ من قول الطائفتين جميعًا في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ويعتقد ما قاله الله تعالى فيه: أنه عبد الله ورسوله.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال تعالى:** ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾)، لما أنهم استغربوا، لما خرجت إليهم وهي تحمله، استنكروا، استغربوا، قالت: اسألوه، صبي صغير في المهد.

﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم:٢٩، ٣٠]: نطق، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم:٣٠-٣٤]، هذا عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نطق في المهد، هذه معجزة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى:** ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾)، لا أحد يستنكف عن عبادة الله -يعني: يستكبر عنها-، وفي قلبه إيمان.

الكفار نعم، استكبروا عن عبادة الله؛ لأنهم كفار، لكن أهل الإيمان لايمكن، وفيهم الأنبياء، طليعتهم الأنبياء، لا يمكن أن يتكبروا عن عبادة الله.

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾ [النساء:١٧٢]، بل قال: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٣٠]، لم يستنكف أو يستكبر، ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾.

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾، بل ﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: الملائكة عباد لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦، ٢٧]، لا يتكبرون عن عبادة الله مع ما أعطاهم الله من القوة، أعطاهم الله من المعرفة والعلم، هم عباد لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويشهد المؤمن -أيضًا- ببطلان قول أعدائه اليهود: أنه ولد بغي)**، عبد الله ورسوله، عبد الله: رد على النصارى، ورسوله: رد على اليهود الذين أنكروا رسالته، وقالوا: إنه ولد بغي، كيف يكون بلا أب؟!

....

ش: قوله: «وَكَلِمَتُهُ»، إنما سمي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمته؛ لوجوده بقوله تعالى: ﴿كُن﴾؛ كما قاله السلف من المفسرين(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَكَلِمَتُهُ»، إنما سمي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمته؛ لوجوده بقوله تعالى: ﴿كُن﴾)، لا زال الكلام في شرح الحديث: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٍ مِنْهُ»، هذا في حق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخر أنبياء بني إسرائيل. وعيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختص بأنه وُجِد من أم بلا والد، وقد ذكر الله سبحانه قصتها وسيرتها في القرآن؛ أنها بنت عمران شيخ بني إسرائيل وكبيرهم، فلما مات كانت بنته مريم صغيرة، ليس لها كافل، فاختصم بها بنو إسرائيل، كل يريد أن يأخذها ويربيها؛ لمنزلة والدها عندهم، ثم إنهم لجؤوا إلى القرعة، فخرجت القرعة لزكريا زوج خالتها؛ أم يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكفلها زكريا؛ ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾، يعني: يلقون القرعة، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، فالله أطلع نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما جرى بينهم، وهذه معجزة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: ولكن الله أخبره بذلك كأنه حاضر، فخرجت القرعة لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو زوج خالتها أم يحيى بن زكريا، دخلت

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤١٩)، والقرطبي (٦/ ٢٢)، وابن كثير (٢/ ٤٧٧).

في حضانته، وعند خالتها، فلما بلغت اتخذت من دونهم حجابًا، ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم:١٧]، هذا دليل على الحجاب الذي ينكره الآن من ينكره من الغربيين والمستغربين.

﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: يسترها عنهم، وتخلو فيه للعبادة وذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فهي فتاة صالحة تقية نقية، ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾، واعتزلت عنهم، فكان رزقها يأتيها وهي وراء الحجاب، يرزقها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، كل يوم يأتيها رزقها، هذا من كرامات الأولياء، يأتيها رزقها رغدًا بدون طلب؛ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ ﴾ [آل عمران:٣٧].

المحراب: المراد به المصلى، ليس بالمحراب المعروف الآن الذي يكون في الجدار يقف فيه الإمام، لا، المحراب: المصلى الذي يتخذه الإنسان مصلى؛ مثل: محراب داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: مصلاه؛ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ [ص:٢١]، كان داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقوم في مكان يصلي فيه، يسمى بالمحراب.

ومريم كذلك اتخذت مكانًا تعتزل فيه وتعبد ربها ويأتيها الرزق؛ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾: معتزلة عن الناس، ولا يدخل عليها أحد، ومع هذا يأتيها رزقها؛ لأن الله أدره عليها بواسطة ملك من الملائكة، ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾، ماذا كان الجواب؟ ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران:٣٧]، هذه كرامة من كرامات الأولياء.

ثم جاءها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في صورة رجل؛ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، ففزعت من ذلك، وظنت أنه يريدها بسوء، وأنه آدمي وبشر يريدها بسوء، ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾، أي: ألتجئ إلى الله يمنعني منك، ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨]: تذكره بالله عَزَّوَجَلَّ.

فقال لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾: ملك، جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسله الله إليها، ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: لم يمسها زوج، وليست بغي: زانية.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ﴾: هو كذلك؛ أنك لم يمسسك أحد، ولستِ بغيًا، بل أنتِ نزيهة، ومع هذا الله على كل شيء قدير.

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ﴾، أي: كذلك الأمر كما تقولين.

﴿قَالَ رَبُّكِ﴾: هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: يعني أني أخلقه بدون أب، وبدون بغاء، هذا هين على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يعجزه شيء، ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: لا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: أن الله أوجده بدون أب، هذه آية، علامة على قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾: رحمة من الله، عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ رحمة، ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾، نفخ جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيها، فَوُجِد الحمل من آثار النفخة، ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١]، ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢]. على أثر النفخة حملت بنفخة الملك بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، النفخة: روح، من الروح التي خلقها الله، ليست من روح الله جَلَّ وَعَلَا، وإنما هي مخلوقة لله، إضافتها إلى الله إضافة تشريف، فالروح مخلوقة، فحملت على أثر النفخة، ولم يعلم الناس عنها؛ لأنها كانت معتزلة، ولم يعلم الناس عن حملها. فلما وضعته، أصابها الهم، هم من الناس؛ ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم:٢٣]، خافت من لوم الناس، ولاسيما بنو إسرائيل واليهود، اليهود بالذات أعداء لها -والعياذ بالله!

﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾: لا يراها أحد وهي حامل، لكن المشكلة ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ﴾، فعند ذلك أصابها ما أصابها؛ ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾: ناداها المولود من تحتها.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾: نهر عذب، زلال يمشي، وفوقها نخلة فيها تمر، فعندها تمر، وعندها ماء.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾: يعني:

سكوتًا، ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم:٢٢-٢٦]، والسكوت عن الكلام يسمى صيامًا.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾: جاءت الشدة.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: هي ليست كذلك.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: أشارت إلى الحمل، قالت لهم: اسألوا هذا.

﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم:٢٧-٢٩]، فنطق هذا الغلام، ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:٢٩-٣٣].

هذه المواطن الثلاثة هي أخوف ما يكون على الإنسان؛ حينما يخرج إلى الدنيا بالولادة؛ فإنه يخرج غريبًا، ويستوحش عند ذلك، فدعا ربه أن يؤمنه في ذلك الموقف ويسلمه؛ ﴿يَوْمَ وُلِدتُّ﴾.

والموقف الثاني: يوم يموت، إذا مات الإنسان يفزع، وينتقل إلى عالم غير العالم الذي جاء منه، فيصيبه الفزع والخوف، فدعا ربه أن يؤمنه في هذا الموقف؛ ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾.

والموقف الثالث: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾، البعث مفزع وفيه هول عظيم، فالله أمنه في هذه المواقف الثلاثة.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، يقول الله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: هذه حقيقته واضحة.

﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾: ليس بكلام مفترى أو كذب، ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾؛ لأنهم يقولون: (إن عيسى ابن الله).

النصارى يقولون: عيسى ابن الله، واليهود يقولون: هو ولد بغي -والعياذ بالله-، لاحظ! يقولون: ولد بغي، فهم بين طرفي نقيض في شأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾؛ كما تقوله النصارى عن عيسى: (ابن الله)، ﴿أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤، ٣٥].

فعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وُجِد بأمر الله، قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، فلذلك سمي بالكلمة، كلمة الله، عيسى: كلمة الله؛ لأنه وُجِد بالكلمة بدون أب، وُجِد بالكلمة، ولم يوجد من نطفة الأب كغيره، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾، قال لعيسى: ﴿كُن﴾، فكان بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذه الكلمة، فلذلك سمي كلمة الله، «**وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ**»[1].

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٦).

«وَرُوحٍ مِنْهُ»: روح، من الروح المخلوقة لله عَزَّوَجَلَّ، روح خاصة، وإلا كل الناس يكون فيهم روح مخلوقة من خلق الله، لكن عيسى له خاصية أنه وُجِد بدون أب.

ش: قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية: الكلمة التى ألقاها إلى مريم حين قال له: «كن»، فكان عيسى بـ«كن»، وليس عيسى هو «كن»، ولكن كان بـ«كن».

فـ «كن» من الله تعالى قولًا، وليس «كن» مخلوقًا، وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى. انتهى[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَكَلِمَتُهُ»، إنما سمي عيسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **كلمته؛ لوجوده بقوله تعالى:** ﴿كُن﴾)، بهذه الكلمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قاله السلف من المفسرين)**، هذا هو الذي عليه المفسرون؛ أن الكلمة معناها: أن الله قال له: ﴿كُن﴾، فكان بأمر الله بدون أب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية)**، الإمام أحمد له كتاب في الرد الجهمية، مطبوع، كتاب عظيم في الرد على الجهمية وشبهاتهم وضلالاتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الكلمة التى ألقاها إلى مريم حين قال له: «كن»)**؛ لأن الجهمية ينكرون كلام الله، يقولون: الله لا يتكلم، إنما خلق الكلام في جبريل،

---

(١) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص١٢٥ - ١٢٦).

أو في اللوح المحفوظ، أو في محمد، فهو كلام الله بمعنى أنه مخلوق؛ إضافة المخلوق إلى خالقه، تعالى الله عما يقولون!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكان عيسى بـ«كن»، وليس عيسى هو «كن»)**، ليس عيسى هو كلمة «كن»، ولكنه وُجِد بسبب هذه الكلمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فـ«كن» من الله تعالى قولًا)**، «كن» من الله قولًا، لا -كما يقولون- خلقًا خلقه؛ لأن عندهم أن كلام الله مخلوق -قبحهم الله!-، وأن الله لا يتكلم.

إذا كان لا يتكلم، صار مثل عجل بني إسرائيل؛ ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا**﴾ [الأعراف:١٤٨]، فالذي لا يتكلم لا يكون ربًّا، كيف يأمر؟ وكيف ينهى؟ وكيف يخلق، وهو لا يتكلم؟ ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا**﴾ [الأعراف:١٤٨]، الرب يكلم، ويهدي، ويدل الناس، يدبر لهم، هذا الرب.

﴿**أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**﴾ [طه:٨٩]، كيف يكون هذا إلهًا، وهو لا يتكلم، ولا يملك ضرًا ولا نفعًا؟! هذا مثل الحجارة، ومثل الجمادات -تعالى الله عما يقولون!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فـ«كن» من الله تعالى قولًا، وليس «كن» مخلوقًا)**، هذا رد أحمد على الجهمية أن «كن» قولًا من الله، ﴿**قَالَ لَهُۥ كُن**﴾، انظر! الآية: ﴿**قَالَ لَهُۥ كُن**﴾ [آل عمران:٥٩]. لكن إذا أعمى الله الأبصار، وغلب الهوى، فلاحيلة في الإنسان، وهذا واضح في الآية، ﴿**قَالَ لَهُۥ كُن**﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى)**، كذب النصارى في قولهم على الله: (إن عيسى ابن الله)، تعالى الله عما يقولون!

وكذب الجهمية في قولهم: (إن عيسى وُجِد بـ«كن» التي خلقها الله في مريم)، ويقولون: (الله لا يتكلم، ولا يقول: «كن»)، تعالى الله عما يقولون!

....

- -

ش: وقوله: «أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ»، قال ابن كثير: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بأمر ربه عَزَّ وَجَلَّ، فكان عيسى بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، فهو ناشئ عن الكلمة التي قال له: «كن»، فكان، والروح التي أرسل بها: جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ(١).

وقوله: «وَرُوحٌ مِنْهُ» قال أُبَيُّ بن كعب: «عيسى روح من الأرواح التى خلقها الله تعالى، واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢]، بعثه الله إلى مريم، فدخل فيها». رواه عبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهم(٢).

قال الحافظ: ووصفه بأنه منه، المعنى: أنه كائن منه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]، فالمعنى أنه كائن منه؛ كما أن معنى الآية الآخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه، أي: أنه مكون ذلك، وموجده بقدرته وحكمته(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٧).

(٢) أخرجه عبد الله أحمد في المسند (٣٥/ ١٥٥)، والطبري في تفسيره (٥/ ٦٦٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن منده في الرد على الجهمية (ص ٣١)، والآجري في الشريعة (٢/ ٨٥٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/ ٣١٤، ٣١٦، ٤/ ١٤٦)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص ١٤١، برقم٦٦).

(٣) انظر: فتح الباري (٦/ ٤٧٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ»)**، «أَلْقَاهَا»، أي: الملك ألقى الكلمة إلى مريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكان عيسى بإذن الله عَزَّوَجَلَّ)**، لما قال له: «كن»، كان بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعني: وُجِد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهو ناشئ عن الكلمة التي قال له: «كن»، فكان)**، ناشيء عن الكلمة التي قالها الملك بأمر الله، فكان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والروح التي أرسل بها: جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)**، وبالروح التي أرسل بها جبرائيل، فجبرائيل أرسل بالكلمة ألقاها إلى مريم، وأرسل بالروح التي نفخها فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أُبيُّ بن كعب)**، أُبيُّ بن كعب: الصحابي الجليل، أحد حفاظ القرآن في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفسر هذه الآية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أُبيُّ بن كعب: عيسى روح من الأرواح التى خلقها الله تعالى)**؛ لأن الأرواح مخلوقة، وهي من عجائب خلق الله سبحانه، الروح لا تعرف حقيقتها، لا أحد يعرف حقيقة الروح، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥]، حتى الإنسان لا يعرف روحه ما هي، يمشي ويأكل ويشرب ولا يدري، وإذا فصلت منه الروح صار جمادًا، جسمًا هامدًا، إذا نام ذهبت منه الروح، صار -أيضًا- نائمًا، إذا رجعت إليه، تحرك، هذا من عجائب قدرة الله، ولا أحد عرف حقيقة هذه الروح ما هي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾** [الأعراف:١٧٢])، لما خلق الله آدم مسح ظهره واستخرج ذريته مثل أمثال الذر، واستشهدهم على أنفسهم؛ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:١٧٢]، فشهدوا أنه: لا إله إلا الله، وهم في صلب آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، في ظهر آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبي البشر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بعثه الله إلى مريم فدخل فيها)**، الروح دخل في مريم، فحملت به عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(رواه عبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهم)**، هذا الأثر عن أُبَيٍّ بن كعب، هؤلاء هم الذين رووه من الأئمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ)**، الحافظ ابن حجر في شرح البخاري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ: ووصفه بأنه منه، المعنى: أنه كائن منه)**، مثل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]، هل المخلوقات هذه بعضٌ من الله، ﴿مِّنْهُ﴾؛ يعني تبعضية؟ لا، ابتدائية، يعني: ابتداؤها من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكلمة «من» تكون للتبعيض، وتكون للابتداء.

فأنت إذا أرسلت رسالة إلى أحد، وقلت: من فلان بن فلان، هل معناه: أن منك: أن هذه جزء منك؟ لا، معناها: أنها ابتدئت هذه الكلمة، وهذه الرسالة جزء منك، فـ«من» ابتدائية، وليست تبعضية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾**)، فكلمة ﴿ مِّنْهُ ﴾ ليست تبعضية، وإنما هي ابتدائية، يعني: ابتداء هذه الكائنات من الله جَلَّ وَعَلَا.

....

ش: قال شيخ الإسلام: المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنى لا يقوم بنفسه، ولا بغيره من المخلوقات، وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمة به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب، وإذا كان المضاف عينًا قائمة بنفسها -كعيسى وجبرائيل عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وأرواح بني آدم-، امتنع أن تكون صفة لله تعالى؛ لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره، لكن الأعيان المضافة إلى الله على وجهين:

أحدهما: أن تضاف إليه لكونه خلقها، وأبدعها، فهذا شامل لجميع المخلوقات؛ كقولهم: سماء الله، وأرض الله، فجميع المخلوقين عبيد الله، وجميع المال مال الله.

الوجه الثاني: أن يضاف إليه لما خصه به من معنى يحبه، ويأمر به ويرضاه؛ كما خص البيت العتيق بعبادة فيه، لا تكون في غيره، وكما يقال في مال الفيء والخمس: هو مال الله ورسوله.

ومن هذا الوجه: فعباد الله هم الذين عبدوه، وأطاعوا أمره، فهذه إضافة تتضمن ألوهيته، وشرعه، ودينه، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه. اهـ. ملخصًا[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال شيخ الإسلام: المضاف إلى الله -تعالى-)، شيخ الإسلام ابن تيمية، يقول: المضاف إلى الله تعالى على قسمين:

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٦٥- ٢٦٦).

القسم الأول: إضافة صفة إلى الموصوف، وإضافة مخلوق إلى الخالق.

فمثلًا: كلام الله هذه صفة من صفاته؛ كلام الله، رحمة الله، علم الله، كل هذه صفات من صفاته، إضافتها إليه إضافة صفة إلى موصوفها.

القسم الثاني: إضافة مخلوق إلى خالقه، مثل كعبة الله، ناقة الله، هذه إضافة مخلوق إلى الخالق جَلَّ وَعَلَا، إضافة تشريف، يعني: إضافتها إلى الله تشريف وتكريم، فالكعبة بيت الله، مضافة إلى الله إضافة تشريف، وناقة الله التي هي ناقة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه أضيفت إلى الله إضافة تشريف، مخلوقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنى لا يقوم بنفسه، ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمة به)**، المضاف إلى الله إذا كان لا يقوم بنفسه، وإنما هو معنى من المعاني، فهذا صفة.

أما إذا كان يقوم بنفسه -مثل: ناقة الله، بيت الله، عبد الله-، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، فهناك فرق بين إضافة المعاني وإضافة المخلوقات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب)**؛ كما تقوله الجهمية؛ إن إضافة الكلام إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه.

نقول لهم: هل الكلام ذات يستقل بنفسه أو معنى؟ لابد أن يقولوا: إنه معنى، إذًا يقال: هذه صفة من صفات الله، فنخصمهم بمثل هذا.

ولهذا لما قال بشر المريسي عندما تناظر هو وعبد العزيز الكناني في خلق القرآن، فقال بشر: القرآن مخلوق؛ لأن الله قال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣]، يعني: خلقناه. قال له عبد العزيز: إذًا قال: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ

عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [البقرة:٢٢٤]، يعني: لا تخلقوا الله! فـ«جعل» تأتي بمعنى خلق، وتأتي بمعنى آخر، ليس معناها واحدًا[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإذا كان المضاف عينًا قائمة بنفسها -كعيسى وجبرائيل** عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ **وأرواح بني آدم-، امتنع أن تكون صفة لله تعالى)**، وروح عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ روح من أرواح بني آدم، فهي مخلوقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الوجه الثاني: أن يضاف إليه لما خصه به من معنى يحبه، ويأمر به ويرضاه، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره)**، فسمي بيت الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكما يقال في مال الفيء والخمس)**؛ كما يقال عن المال: مال الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن هذا الوجه: فعباد الله هم الذين عبدوه، وأطاعوا أمره، فهذه إضافة تتضمن ألوهيته، وشرعه، ودينه، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه)**، «عباد الله» أضيف العباد إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه، «كلام الله»، إضافة معنى يكون صفة من صفات الله، وليس مخلوقًا.

فهناك فرق بين إضافة الأعيان وإضافة المعاني؛ إضافة المعاني: صفة، إضافة الأعيان هذه إضافة مخلوق إلى خالقه.

---

(١) انظر في مناظرة بشر المريسي وعبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار (ص ٥٩- ٨٨).

ش: قوله: «وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ»، أي: وشهد أن الجنة التى أخبر بها الله تعالى في كتابه أنه أعدها للمتقين حق ثابتة لا شك فيها، وشهد أن النار التى أخبر بها تعالى في كتابه أنه أعدها للكافرين حق كذلك ثابتة؛ كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، وفي الآيتين ونظائرهما دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن؛ خلافًا للمبتدعة، وفيهما الإيمان بالمعاد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ»)**، يعني: وشهد أن الجنة حق، والنار حق؛ لأن هناك من يكذب بالجنة، ويكذب النار، ويقول: (هذا تخييل، هذا خيال، ليس هناك جنة، وليس هناك نار، وإنما يريد أن يرغب الناس، فيذكر لهم الجنة، ويريد أن يخوفهم، فيذكر لهم النار، وإلا ليس هناك جنة، وليس هناك نار)، هكذا يقول الملاحدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ»، أي: وشهد أن الجنة التى أخبر بها الله تعالى في كتابه أنه أعدها للمتقين حق ثابتة لا شك فيها)**؛ أنها جنة محسوسة مخلوقة، ﴿أُعِدَّتۡ﴾ يعني: خلقت، وأوجدت، ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]، فهما مخلوقتان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾)، فالجنة واسعة ﴿عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران:١٣٣]، فالجنة عالية في السماء.

وأما ﴿سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧]؛ النار، فهي في أسفل سافلين.

فالجنة ﴿عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لأنها في العلو، في السماء، أما النار فإنها أسفل سافين، ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ -والعياذ بالله-، تحت الأرض السابعة، يمكن بعض الجهال يقول: إذا صارت الجنة كعرض السموات والأرض، إذًا ليس هناك النار!، النار ليست في السماء، النار في سجين تحت الأرض السابعة، نسأل الله العافية!

ويروى أن إبليس تجادل مع بعض الناس، وقال: العالم خير من العابد، يقول إبليس: العالم أخوف عليَّ من العابد، قال له الرجل: لا، العابد أحسن. فذهب وضربا الباب على عابد من العباد، فخرج إليهما، فقالا له: الله يقول: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾، أين تكون النار؟ قال: ماذا؟! والله لأدري، لا أدري، فتشكك. فذهبا وضربا الباب في قيلولة على العالم، فلما سمع قرع الباب، قال: أقل، فإن الشياطين لا تقيل. قال له: انظر! انظر! أول كلامه. ثم خرج إليهما، فألقى عليه السؤال، قال: لو شاء الله لجعلها في قحف عينك.

انظر الجواب! العالم أحسن من العابد، العالم يجيب بجواب، والعابد يتحير؛ لأنه جاهل، أنا لا يضرني العابد، الذي يضرني هو العالم، ويقف في وجهي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١])، وفي الآية الأخرى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي الآيتين ونظائرهما دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن)، مخلوقتان الآن، ليس فقط تقول: مخلوقتان، متى؟ الآن مخلوقتان، ما الدليل؟ نفس الآيتين: ﴿أُعِدَّتۡ﴾؛ لأن ﴿أُعِدَّتۡ﴾: فعل ماضي، ومعنى ﴿أُعِدَّتۡ﴾ يعني: خُلِقت، هذا من ناحية.

الناحية الثانية: هناك علامات تدل على النار، وعلامات تدل على الجنة في هذه الدنيا، فالريح الطيبة، والروائح الطيبة، والعطورات، والأزهار هذا نموذج مما في الجنة، يذكر بالجنة، والروائح الخبيثة، والحر الشديد، والرمضاء هذا من علامات النار، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**»(١)، جعل الله لها نفسين: نفسًا في الشتاء، وذلك ما يجده الناس من شدة البرد، ونفسًا في الصيف، وذلك ما يجده الناس من شدة الحر(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**».
وأخرجه مسلم (١٨٠) (٦١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (١٨٥) (٧١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا** =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الآيتين ونظائرهما دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، خلافًا للمبتدعة)**، الذين يقولون: ليس هناك جنة ولا نار، هذا من باب التخييل؛ لأجل أن الناس يخافون ويرجون، وهكذا.

وهناك طائفة يقولون: لا، هناك جنة ونار، لكن لم تخلق الآن، تخلق يوم القيامة، ما الذي أدراكم أنها لم تخلق، وأنها تخلق يوم القيامة؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيهما الإيمان بالمعاد)**، وهو البعث، المعاد: البعث.

«**وَالْجَنَّةُ حُقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ**»: هذا فيه الإيمان باليوم الآخر؛ لأن الجنة والنار في اليوم الآخر.

= بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهْوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ».

....

ش: وقوله: «أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَل» هذه الجملة جواب الشرط. وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ شَاءَ»(١).

قال الحافظ: ومعنى قوله: «على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَل»، أي: من صلاح، أو فساد، لكن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة.

ويحتمل أن يكون معنى قوله: «على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَل»: أن يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات. انتهى(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَل»)، «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ»، الجواب ما هو؟ «أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»، هذا جواب «مَنْ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَل»)، قيل: معناه: أنه يكون في الجنة على حسب عمله، ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٦٣]، فأهل الجنة يتفاضلون في المنازل بحسب أعمالهم، فهذا يكون معنى قوله: «على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) انظر: فتح الباري (٦/ ٤٧٥).

وقيل: «على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَل» يعني: ولو كان عنده سيئات وذنوب دون الشرك، فإن الله يدخله الجنة، إذا شهد هذه الشهادة العظيمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَل» هذه الجملة جواب الشرط)**، الذي سبق: «مَنْ شَهِدَ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ شَاءَ»)**، وهذا فيه دليل على أن الجنة لها أبواب، وأنها ثمانية.

والنار لها أبواب مذكورة في القرآن؛ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤]، أما الجنة، فلم يذكر عدد أبوابها، ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣]، فدل على أن لها أبواب، لكن لم يذكر عددها، لكن جاء في الأحاديث: «أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ: ومعنى قوله: «على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَل»، أي: من صلاح، أو فساد، لكن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة)**، وإن كان عندهم سيئات دون الشرك، ولو عُذِبوا في النار، فإنهم يدخلون الجنة؛ إما من أول وهلة، وإما بعد أن يعذبوا ويهذبوا وينقوا من الذنوب.

ش: قال القاضي عياض: ما ورد في حديث عبادة يكون خصوصًا لمن قال ما ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه، فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويوجب له المغفرة والرحمة، ودخول الجنة لأول وهلة[1].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والمقصود: أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفًا لمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا، متصفًا بموجبها، قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته. فهذه الكلمة من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت. انتهى[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويوجب له المغفرة، والرحمة، ودخول الجنة لأول وهلة**)، قد يدخل الجنة في أول وهلة، ولا يعذب، وإن كان عنده ذنوب يغفرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيضًا ترجح حسناته؛ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨].

فالموحد الذي يقول: «لا إله إلا الله» بحق ترجح يوم القيامة بسيئاته، فيدخل الجنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والمقصود: أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفًا لمعناها**)، إذا شهد بها عارفًا بمعناها، ليس

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١/ ٢٢٠).

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٣٣)، والأمثال في القرآن (ص٣٦).

فقط يقولها لفظًا وهو لا يدري معناها، أو يدري ولكن لا يعمل به، لا تنفعه «لا إله إلا الله»، لابد أن يكون عالمًا بمعناها، عاملًا بمقتضاها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(متصفًا بموجبها)**، يعني: ليس يقولها لفظًا فقط، لابد أن يتصف بما تدل عليه من التوحيد وترك الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذه الكلمة من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء)**؛ كما مثلها الله، ضرب لها مثلًا في القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: هي «لا إله إلا الله».

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، يعني: النخلة، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم:٢٤، ٢٥].

فشبه الله كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» بهذه الشجرة الطيبة، وهي النخلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذه الكلمة من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه)**، أصلها ثابت راسخ في قلبه؛ كما أن النخلة أصلها ثابت في الأرض بعروقها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفروعها متصلة بالسماء)**، يعني: بالعلو، ليس بالسماء المبينة، السماء المراد بها العلو، يعني: النخلة ترتفع، ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق:١٠]: مرتفعات، مرتفعات إلى السماء، إلى العلو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهي مخرجة لثمرتها كل وقت)**، هذا شيء معروف من النخلة، «لا إله إلا الله» مثل النخلة تنتج الثواب والجزاء.

ولهما في حديث عتبان: «فإنَّ الله حرَّم على النَّار من قال: «لا إله إلَّا الله»، يبتغي بذلك وجه الله»[١].

ش: قوله: (وَلَهُمَا) أي: البخاري ومسلم في صحيحيهما بكماله، وهذا طرف من حديث طويل أخرجه الشيخان.

و (عِتْبَانَ) -بكسر المهملة، بعدها مثناة فوقية، ثم موحدة-: ابن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري، من بني سالم بن عوف، صحابي مشهور، مات في خلافة معاوية[٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»)، هذا الحديث في فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب؛ «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، فقول: «لا إله إلا الله» يبتغي بها وجه الله هذا هو التوحيد، ويحرمه الله على النار؛ بمعنى أنه لا يدخل النار؛ إما لا يدخلها أبدًا، وإما أنه يدخلها، يعذب فيها بقدر ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة بتوحيده؛ كما هو معروف من العقيدة الصحيحة؛ ردًّا على الخوارج[٣] الذين يكفرون

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٢) انظر في ترجمة عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢٢٢٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٢٣٦)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٥٢٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٥٨).

(٣) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع** =

بالكبائر، وإن لم تكن من الشرك، يكفرون بها، ويخلدون صاحبها في النار -والعياذ بالله!

وهذا الحديث له سبب: ذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زار عتبان بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في منزله، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل عن رجل لم يحضر، لماذا لم يحضر؟ على عادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تفقد أصحابه، فيزور المريض منهم، ويزورهم، فتكلم رجل من الحاضرين في حق هذا الرجل، وصفه بالنفاق، فقال له بعض الحاضرين: «بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَلَيْسَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؟ فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**».

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(قوله: (وَلَهُمَا) أي: البخاري ومسلم في صحيحيهما بكماله)**، «لهما»، إذا قال: «لهما»، فهو يريد البخاري ومسلم، هذه العبارة لا تطلق إلا على البخاري ومسلم.

= صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

ش: وأخرجه البخاري في صحيحه بسنده عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ على الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا. قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى على النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا. فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا»(١).

وساق بسند آخر: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاذِ بْنَ جَبَلٍ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، دَخَلَ الجَنَّةَ. قَالَ: أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا»(٢).

قلت: فتبين بهذا السياق معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنها تتضمن ترك الشرك لمن قالها بصدق ويقين وإخلاص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ على الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ)،

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٩).

وهذا من باب الاهتمام وتأكيدًا لما سيقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ؛ لأجل أن يتنبه له؛ لأهمية ما سيقوله له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالَ: لَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا**)، يعني: يتساهلون بالذنوب التي دون الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قلت: فتبين بهذا السياق معنى شهادة أن لا إله إلا الله**)، انتبهوا! هي ليست بلفظ يقال فقط، وإنما لفظ يقال باللسان، ويعتقد بالقلب، وإلا فالمنافقون يقولون: «لا إله إلا الله» بألسنتهم؛ ويقولون: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون:١]، بألسنتهم، ولا يشهدون بذلك في قلوبهم.

أو يقولها بلسانه، ويعتقدها بقلبه، ولكن لا يتجنب الشرك؛ يعبد القبور والأضرحة، والأولياء والصالحين، وهو يقول: «لا إله إلا الله».

هذا تناقض في قوله وفعله، فلا تنفعه «لا إله إلا الله»؛ لأنه أبطلها بالشرك.

ولهذا قال: «**خالصًا من قلبه**»، فلا يكون -أيضًا- يقولها رياء وسمعة، بل تكون خالصة من قلبه لله عَزَّ وَجَلَّ.

«**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ**»[1]، لابد بهذا الشرط: «**وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣)، من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ**»، بهذا القيد -أيضًا-، لا يقولها رياء وسمعة أو نفاق، بل يبتغي بها وجه الله، فهي مقيدة بقيود، فهي ليست مجرد لفظ يقال وفقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنها تتضمن ترك الشرك لمن قالها بصدق، ويقين، وإخلاص)**، لها سبعة شروط، «لا إله إلا الله» لها سبعة شروط[1]:

علمٌ يَقِيْنٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعَ ... مَحَبَّةٍ وَانقِيَادٍ والقَبول لهَا

زاد الشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيتًا آخر بعدها.

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا ... دونَ الإلهِ مِنَ الأَوْثَانِ قَدْ أُلِهَا

---

(١) انظر في شروط «لا إله إلا الله» معارج القبول (٢/ ٤١٨- ٤١٩)، والمختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد (ص ٣٧٨)، وغاية المريد شرح كتاب التوحيد (ص ٥٤).

....

ش: قال شيخ الإسلام وغيره: في هذا الحديث، ونحوه أنها فيمن قالها ومات عليها؛ كما جاءت مقيدة بقوله: خالصًا من قلبه، غير شاك فيها بصدق، ويقين. فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله تعالى جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا.

فإذا مات على تلك الحال، نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: «لا إله إلا الله»، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة.

وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول: «لا إله إلا الله» يدخل النار، ثم يخرج منها[1]، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم،

---

(١) كما في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٦) (١٩٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ -أَوْ خَرْدَلَةٍ- مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، =

فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال شيخ الإسلام وغيره: في هذا الحديث، ونحوه أنها فيمن قالها ومات عليها**)، فيمن قالها ومات عليها -أيضًا-، أما من قالها في الأول، ثم أشرك بالله، فإنها لا تنفعه «لا إله إلا الله»؛ لأنه أبطلها، والأعمال بالخواتيم؛ من قالها ومات عليها.

ولهذا جاء في الحديث: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(٢)؛ أي: المحتضرين؛ فَإِنَّهُ «**مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن**

= وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ».

(١) كما في الحديث الطويل الذي أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ».

(٢) أخرجه مسلم (٩١٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٣١١٦)، وأحمد (٣٦/ ٤٤٣) من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ذرة)؛ كما في الحديث الصحيح: «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول: لا إله إلا الله يدخل النار، ثم يخرج منها)**، يعني: يدخل النار بذنوبه التي دون الشرك، يعذب بها، ثم يخرج منها إلى الجنة، الموحد لا يخلد في النار ولو دخلها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون، ويسجدون لله)**، ولذلك يخرجون من النار.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٢٢).

ش: لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا، أو عادة، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت، وفي القبور أمثال هؤلاء؛ كما في الحديث: «لا أَدْرِي؛ سمعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَقُلْتُهُ»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال)، هي ليست لفظًا يقولها باللسان، لابد من القيود، وهي الشروط السبعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص)، ولذلك يقع في الشرك، ودعاء الأموات، والاستغاثة بالأولياء والصالحين وغير ذلك، وهو يقول: «لا إله إلا الله»، يتناقض، لا تنفعه «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا، أو عادة)، تقليدًا للناس، لا يقولها معتقدًا لها، يسمع الناس يقولون شيئًا؛ مثلما يقول في القبر: «سمعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَقُلْتُهُ»، ولا يدري معناه، ولا يعرف معناه، هذه مشكلة؛ تقليد بدون علم، وبدون معرفة، لا يصح هذا، خصوصًا في العقيدة، العقيدة ليس فيها تقليد، لابد من اعتقاد، لابد فيها من صدق وإخلاص.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) من حديث أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. وفي الباب من حديث أنس والبراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه)**، أما من يقولها والإيمان في قلبه ولو قليل، ولو كان الإيمان مثقال حبة من خردل، فإن له هذا الوعد الصادق: أن الله يحرمه على النار.

وعوام المسلمين -إن شاء الله- أكثرهم أو كلهم كذلك، في قلوبهم إيمان قليل أو كثير، إنما هذا في الذي يقولها، وليس في قلبه إيمان، إنما يقولها تقليدًا أو عادة فقط؛ «سمعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَقُلْتُهُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وغالب من يفتن عند الموت، وفي القبور أمثال هؤلاء)**، هؤلاء إذا ماتوا، أو عند الموت يفتنون، ينحرفون عن الإسلام، ويموتون على غير الإسلام، أو أنهم في القبور يفتنون؛ إذا سألهم الملك: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ليس عنده جواب، يقول: «ها ها لا أدري، سمعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَقُلْتُهُ».

شٍ: وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد، واقتداء بأمثالهم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]، وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث.

فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام، لم يكن في هذه الحال مصرًا على ذنب أصلًا، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذًا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله.

وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان، وهذا الإخلاص، وهذه التوبة، وهذه المحبة، وهذا اليقين، لا تترك له ذنبًا إلا مُحي عنه كما يمحو الليل النهار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد، واقتداء بأمثالهم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣])، الذي يقولها وليس في قلبه اعتقاد لها هذا لا تنفعه، وأما من يقولها وفي قلبه اعتقاد لها وإيمان ولو قليل، فهو من أهلها كعوام المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإنه إذا قالها بإخلاص، ويقين تام، لم يكن في هذه الحال مصرًا على ذنب أصلًا)، لا يكون مصرًا، أما أنه يذنب؟ نعم يذنب، ولكن لا يصر على الذنب، يتوب منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك)**، يحرم على النار: يعني أن الله يحميه من دخول النار، ويمنعه من دخول النار؛ إما من أول الأمر، ولا يدخلها أبدًا، وإما أنه يدخلها مؤقتًا بقدر ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة بإيمانه وإخلاصه.

....

ش: فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غير مصر على ذنب أصلًا، فيغفر له، ويحرم على النار.

وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات؛ كما في حديث البطاقة(١)، فيحرم على النار، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة)، كما في حديث البطاقة.

---

(١) حديث البطاقة أخرجه: أحمد (١١/ ٥٧٠)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان (١/ ٤٦١)، والحاكم (١/ ٤٦)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٤٨)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ».

حديث البطاقة يأتي، وهو أنه في يوم القيامة يؤتى برجل، فينصب له الميزان، فتوضع حسناته في كفة، وسيئاته في كفة، فترجح السيئات على الحسنات، فيقال له: هل لك من حسنة؟ فيقول: لا. فيقال له: بلى، عندنا لك حسنة، فتخرج بطاقة مكتوبة فيها: لا إله إلا الله؛ أنه قالها في الدنيا بإخلاص، فتوضع مع الحسنات، فترجح الحسنات، وتطيش السيئات، فيدخل الجنة، هذا حديث البطاقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه)**، أهل الجنة درجات؛ بعضهم فوق بعض، يتراءون أهل المنازل العالية؛ كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من تفاضل فيما بينهم في المنازل(١).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (١١) (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

شْ: وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته، ومات مصرًّا على ذلك، فإنه يستوجب النار، وإن قال: «لا إله إلا الله»، وخلص بها من الشرك الأكبر، ولكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعدها بسيئات رجحت على حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصًا، لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص، فأضعفته، وقويت نار الذنوب، حتى أحرقت ذلك.

بخلاف المخلص المستيقن، فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته، ولا يكون مصرًّا على سيئات، فإن مات على ذلك، دخل الجنة.

وإنما يخاف على المخلص أن يأتي بسيئة راجحة، فيضعف إيمانه، فلايقولها بإخلاص ويقين مانع من جميع السيئات، ويخشى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإن سلم من الأكبر، بقي معه من الأصغر، فيضيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك، فيرجح جانب السيئات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته)، هذا لا دخول له في الجنة، ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٣].

ش: فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول «لا إله إلا الله»، فيمتنع الإخلاص بالقلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي، أو النائم، أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق وحلاوة، فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقض ذلك، بل يقولونها من غير يقين وصدق، ويموتون على ذلك، ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة.

وإذا كثرت الذنوب، ثقل على اللسان قولها، وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح، وثقل عليه سماع القرآن، واستبشر بذكر غير الله، واطمأن إلى الباطل، واستحلى الرفث ومخالطة أهل الباطل، وكره مخالطة أهل الحق، فمثل هذا إذا قالها، قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدقه عمله.

قال الحسن: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي، وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، فَمَنْ قَالَ خَيْرًا وَعَمِلَ خَيْرًا، قُبِلَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ خَيْرًا وَعَمِلَ شَرًا، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ»(١)، وقال بكر بن عبد الله المزني: «ما سبقهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكثرة صيام، ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه»(٢).

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٠٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٩٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٥٨).

(٢) ذكره ابن رجب في لطائف المعارف (ص ٢٥٤)، وذكره العراقي في تخريج الإحياء، وقال: رواه الترمذي الحكيم، وقال في النوادر: إنه من قول بكر بن عبد الله المزني. ولم أجده مرفوعًا. انظر: المغني عن حمل الأسفار (ص٣٢)، وكشف الخفاء للعجلوني (٢/ ٢٢٤).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فيصير المتكلم بها كالهاذي، أو النائم، أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق وحلاوة)**، هناك من يتلو القرآن، ويجود القرآن بصوت حسن، ولكنه لا يتجاوز القرآن حنجرته؛ لأنه لا يعمل به، ولا يتدبره، وإنما حرفته التلاوة فقط، هذه مشكلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فمثل هذا إذا قالها، قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدقه عمله)**، كل هذا يحث على أن الإنسان يقول هذه الكلمة بإخلاص، ويقين، وصدق، وعلم بمعناها، وعمل بمقتضاها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال الحسن: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي، وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ»)**، يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ إمام التابعين: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي، وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ»، فلابد في الإيمان من ثلاثة أمور حتى يكون إيمانًا صحيحًا: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، لابد من هذه الثلاثة، إذا فقد واحدًا منها، لم يكن مؤمنًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَمَنْ قَالَ خَيْرًا وَعَمِلَ خَيْرًا قُبِلَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ خَيْرًا وَعَمِلَ شَرًّا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ)**، الذي يقول بلسانه، ويخالف بعمله، لا تقبل منه «لاإله إلا الله»، والذي يعتقدها بقلبه، ولا يقولها بلسانه لا تنفعه -أيضًا-، لابد من النطق بها؛ «من قال: «لا إله إلا الله»»، قال؛ لابد من النطق بها، ولابد من معرفة معناها، ولابد من العمل بمقتضاها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال بكر بن عبد الله المزني: «ما سبقهم أبو بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **بكثرة صيام، ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه**)، أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو أفضل هذه الأمة على الإطلاق، ليس هو بأكثر الناس أو أكثر الصحابة صلاة ولا صيام، ولكنه أثقلهم إيمانًا في قلبه، أثقلهم إيمانًا وتصديقًا في قلبه، ولذلك سمي بالصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ش: فمن قال: «لا إله إلا الله»، ولم يقم بموجبها -بل اكتسب مع ذلك ذنوبًا-، وكان صادقًا في قولها موقنًا بها، لكن له ذنوب أضعفت صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي، فرجحت هذه السيئات على هذه الحسنة، ومات مصرًّا على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق، فإنه إما أن لا يكون مصرًّا على سيئة أصلًا، ويكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها: إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التام المنافيين للسيئات أو لرجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام؛ لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات، فترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات، فترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصًا)، هذا كله من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «لا إله إلا الله»، وأهل «لا إله إلا الله»؛ أنهم ليسوا على درجة واحدة، فلا يقال: إن كل من قال: «لا إله إلا الله» يحرم على النار مطلقًا، بل منهم من يحرم على

النار مطلقًا، ومنهم من يحرم على النار مؤبدًا؛ يعني: لا يؤبد في النار، وإلا هو يدخلها بذنوبه وسيئاته؛ لأن عنده نقص في معنى «لا إله إلا الله».

قد يدخل النار من يقول: «لا إله إلا الله»، وهو مسلم ومؤمن، لكن عنده كبائر دون الشرك، فيدخل بها النار، يعذب بها، ثم يخرج منها إلى الجنة بعد ما شاء الله من تعذيبه.

أو يخرج من النار بشفاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بشفاعة الشافعين؛ لأن المؤمن تنفعه شفاعة الشافعين، أما الكافر والمشرك؛ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

....

ش: وقد ذكر هذا كثير من العلماء كابن القيم، و ابن رجب، وغيرهما.

قلت: وبما قرره شيخ الإسلام تجتمع الأحاديث.

قال: وفي الحديث دليل على أنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد وبالعكس.

وفيه: تحريم النار على أهل التوحيد الكامل.

وفيه: أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصًا لوجه الله تعالى على ما شرعه على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وقد ذكر هذا كثير من العلماء كابن القيم، و ابن رجب، وغيرهما**)، ابن رجب له رسالة في «لا إله إلا الله»، عنوانها: «كلمة الإخلاص».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال: وفي الحديث دليل على أنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد وبالعكس**)، لا يكفي في الإيمان النطق بـ«لا إله إلا الله» من غير اعتقاد لها، والعكس كذلك لا يدخل الإيمان بها في القلب بدون نطق، بل لابد من النطق والاعتقاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفيه: أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصًا لوجه الله تعالى**)، العمل لا ينفع إلا بشرطين كما هو معروف:

الأول: الإخلاص لله من الشرك.

والثاني: العمل على السنة، فلا يكون فيه بدعة، تجنب البدع.

....

ش: (تنبيه) قال القرطبي في «تذكرته»: قوله في الحديث: «من إيمان»، أي: من أعمال الإيمان التي هي من أعمال الجوارح، فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من الإيمان.

والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلناه، ولم يرد مجرد الإيمان -الذي هو التوحيد، ونفي الشركاء، والإخلاص بقول: «لا إله إلا الله»- ما في الحديث نفسه من قوله: «أخرجوا»، ثم بعد ذلك يقبض سبحانه قبضة، فيخرج قومًا لم يعملوا خيرًا قط[1]، يريد بذلك التوحيد المجرد من الأعمال[2]. اهـ. ملخصًا من شرح سنن ابن ماجه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال القرطبي في تذكرته)، كتاب «التذكرة في أمور الآخرة»، كتاب من كتب المواعظ معروف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله في الحديث: «من إيمان»، أي: من أعمال الإيمان التي هي من أعمال الجوارح، فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من الإيمان)، الأعمال الصالحة من الإيمان؛ كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، خلافًا للذين يقولون: إن الإيمان هو قول باللسان، واعتقاد بالقلب فقط.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: التذكرة في أحوال الموتي وأمور الآخرة (ص٧٨٠- ٧٨١).

والعمل بعضهم يقول: إنه شرط، وبعضهم يقول: مكمل، لا، لابد من ثلاثة أمور: نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، لابد من هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولم يرد مجرد الإيمان الذي هو التوحيد، ونفي الشركاء)**، هذا فيه نظر، مجرد الإيمان لا ينفع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيخرج قومًا لم يعملوا خيرًا قط، يريد بذلك التوحيد المجرد من الأعمال)**، لا، التوحيد المجرد من الأعمال لا يكفي.

والقبضة الذين لم يعملوا خيرًا لم يتمكنوا من الأعمال؛ دخلوا إلى الإسلام، وماتوا أو قُتِلوا قبل أن يتمكنوا من العمل.

أما من تمكن من العمل وتركه، فهذا لا يعذر بترك الأعمال؛ قد يكون ترك الصلاة، «**مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ كَفَرَ**»(١)، وقد يكون لم يعمل شيئًا أبدًا، وهو يقدر على عمله، وترك وهو يقدر عليه، هذا لا تنفعه «لا إله إلا الله»؛ لأن «لا إله إلا الله» قول وعمل واعتقاد.

ليس في هذا دليل للمرجئة، يقولون: إنه يدخل الجنة، ولو لم يعمل، فدل على أن العمل ليس شرطًا في الإيمان، أو ليس داخلًا في الإيمان.

نقول: هذا في الذين لم يتمكنوا من العمل، دخلوا في الإسلام، وقُتِلوا أو ماتوا بعد دخولهم في الإسلام مباشرة؛ جمعًا بين الأدلة.

لماذا نأخذ بعض الأدلة، ونترك البعض الآخر؟ نأخذ حديث القبضة هذا، ونترك الأدلة الأخرى التي تدل على أنه لابد من القول مع العمل؟!!!

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٩١)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٦٧٦)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **عَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»، قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ**[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ**)، قال موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كليم الله-: «**يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ**»، هذا فيه دليل على أن الذكر توقيف، لابد أن يدل عليه دليل من الكتاب والسنة؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «**يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ**»، فهذا فيه دليل واضح على أن الذكر كغيره من العبادات توقيف؛ فلا أحد يأتي بأذكار من عنده، أو قلد فيها غيره على غير دليل.

«**عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ**»، وأيضًا دل هذا على أن الذكر دعاء؛ لأنك إذا ذكرت الله فقد دعوته، إذا قلت: «لا إله إلا الله» فقد دعوته، فالذكر دعاء أيضًا.

قال الله جَلَّ وَعَلَا له: «**يَا مُوسَى: قُلْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا**»، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يريد أن يخصه الله بذكر لم يعلمه غيره؛

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩/ ٣٠٧، ٤١٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٨)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧١٠)، والطبراني في الدعاء (١/ ٤٣٥).

لأن نعمة الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كبيرة؛ لأنه كليمه، يكلمه بدون واسطة الملك، يسمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلامه، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يكلم الله عَزَّوَجَلَّ، هذه ليس لها بشر، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أوتي خصيصة لم ينلها غيره، وهي أنه كليم الله، أراد أن يشكر الله على هذه النعمة، فطلب منه أن يعلمه شيئًا يذكره، ويدعوه به، فالله قال له: «يَا مُوسَى: قُلْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»»؛ أي: لم تخصني إذًا بشيء، وهو يريد أن يخصه بشيء دون غيره، فبين الله له فضل هذه الكلمة، وأنه لا يعدلها شيء من الأشياء.

«**لَوْ أَنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي**»، أي: من فيهن، فدل على أن الله في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي**»: يعني السموات وما فيها غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ**»: من فيهن من السكان.

وضعت «**فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَت بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، هذا كما مر في حديث البطاقة؛ لما وضعت في الميزان الذي فيه تسعة وتسعون سجلًّا كلها مملوءة بالسيئات لهذا الرجل، تسعة وتسعون سجلًّا، كل سجل مد البصر، كلها مملوءة بالسيئات، فلما وضعت «لا إله إلا الله» في الكفة الأخرى، مالت بهن بفضل هذه الكلمة العظيمة، التي ليس هناك أسهل منها على اللسان، وأخف منها على اللسان، وأيسر منها على اللسان، هذه الكلمة العظيمة.

«**يَا مُوسَى، لَوْ أَنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ**»، يعني: من فيهن من الملائكة والمخلوقات.

«**غَيْرِي**»، أي: غير الله، فدل على أن الله جَلَّوَعَلَا في السماء.

«**وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ فِي كِفَّةٍ**»: من كفتي الميزان.

«**وَلَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَت بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، هذا يدل على أن هذه الكلمة لا أفضل منها، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يريد شيء أفضل، قال الله: ليس هناك شيء أفضل من هذه الكلمة.

ش: أبو سعيد اسمه: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، وأبوه كذلك، استُصغر أبو سعيد بأحد، وشهد ما بعدها، مات بالمدينة سنة ثلاث، أو أربع، أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين[(١)].

قوله: «أَذْكُرُكَ»، أي: أثني عليك به، «وَأَدْعُوكَ» أي: أسألك به.

قوله: «قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»، فيه أن الذاكر بها يقولها كلها، ولايقتصر على لفظ الجلالة، ولا على «هو»؛ كما يفعله غلاة جهال المتصوفة، فإن ذلك بدعة وضلالة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أبو سعيد اسمه: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، وأبوه كذلك)، أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، هذا معروف اسمه في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

والخدري: نسبة إلى بني خدرة: حي من الأنصار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (استُصغر أبو سعيد بأحد)، هو من شباب الصحابة، ولذلك لما جاء يريد القتال في أحد، لم يأذن له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه كان صغيرًا.

---

(١) انظر في ترجمة أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٢٦٠)، والاستيعاب (٢/ ٦٠٢)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٨٩٥)، وإكمال تهذيب الكمال (٥/ ٢٤٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وشهد ما بعدها)**، قد حضر المغازي كلها إلا وقعة أحد؛ لأنه كان صغيرًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَذْكُرُكَ»، أي: أثني عليك به، «وَأَدْعُوكَ» أي: أسألك به)**، فدل على أن الذكر دعاء، فمن ذكر الله، فهو يدعوه؛ لأن الدعاء على قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، هذا من دعاء العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»، فيه أن الذاكر بها يقولها كلها)**، يقولها كلها، هذا رد على الصوفية -انتبهوا- الذين يقولون: «الله، الله»، «هو، هو، هو»، هذا ذكرهم، لا يقولون: «لا إلا إلا الله».

يقولون: «الله، الله، الله»، «هو، هو، هو»، هذا أخص، الذي يقول: «هو»، هذا أخص من الذي يقول: «الله»، والذي يقول: «الله، الله» أخص من الذي يقول: «لا إلا الله»، ولذلك يسمون أنفسهم الخاصة، أو خاصة الخاصة!! هذا ليس بذكر، الذكر: «لا إله إلا الله».

«لا إله إلا الله»: هذا كلام مفيد؛ مبتدأ وخبر، أما «هو» أو «الله»، هذا ليس مفيدًا، لفظ مفرد لا يفيد شيئًا.

تقول: «الله أكبر»، «تعالى الله»، «ما شاء الله»، هذا ذكر، نعم؛ لأنه كلام مفيد، ليس بكلمة.

يقول ابن مالك[1]:

كَلامُنا لَفظٌ مُفِيدٌ كَاستَقِمْ وَاسْـمٌ وَفِـعْـلٌ ثُـمَّ حَـرْفٌ الكَلِمْ

---

(١) انظر ألفية ابن مالك (ص٩).

كلام مفيد، أما الكلمة التي لا تفيد، هذه لا تسمى كلامًا ولا ذكرًا، ولا تفيد صاحبها.

فقول الله جَلَّوَعَلَا لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**قُلْ: لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ**» هذا يرد على الصوفية الذين يقولون: «هو، هو»، أو يقولون: «الله، الله، الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»، فيه أن الذاكر بها يقولها كلها)**، يقولها كلها كاملة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يقتصر على لفظ الجلالة)**، يقولون: لا نقول: «لا إله إلا الله»؛ لأننا نخاف أن نموت قبل أن نكملها، يقول لهم الشيطان: لا تقل: «لا إله إلا الله»؛ لأنك من الممكن أن تموت وأنت لم تكملها، قل: «الله»، يكفي، أو «هو».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يقتصر على لفظ الجلالة، ولا على «هو»؛ كما يفعله غلاة جهال المتصوفة)**، وهي أذكارهم الآن، أذكار الصوفية هي: «الله، الله»، أو «هو، هو».

....

ش: قوله: «كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا»، ثبت بخط المصنف بالجمع، والذي في الأصول «يقول» بالإفراد؛ مراعاة للفظة «كل».

وهو في المسند من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بلفظ الجمع؛ كما ذكره المصنف على معنى كل.

ومعنى قوله: «كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا» أي: إنما أريد شيئًا تخصني به من بين عموم عبادك.

وفي رواية بعد قوله: «كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبُّ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ».

ولما كان بالناس، بل بالعالم كله من الضرورة إلى «لا إله إلا الله» ما لا نهاية له، كانت من أكثر الأذكار وجودًا، وأيسرها حصولًا، وأعظمها معنى، والعوام والجهال يعدلون عنها إلى الدعوات المبتدعة التي ليست في الكتاب، ولا في السنة.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (قوله: «كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا»، ثبت بخط المصنف بالجمع، والذي في الأصول «يقول» بالإفراد مراعاة للفظة «كل»)، الأمر سهل، هذا بحث لغوي.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (ومعنى قوله: «كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا» أي: إنما أريد شيئًا تخصني به من بين عموم عبادك)، لأن الله خصه بخصيصة لم يعطها لأحد، وهي أنه كليمه، يكلمه بدون واسطة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولما كان بالناس، بل بالعالم كله، من الضرورة إلى «لا إله إلا الله» ما لا نهاية له، كانت من أكثر الأذكار وجودًا، وأيسرها حصولًا، وأعظمها معنى)**، لما كانت كلمة «لا إله إلا الله» أفضل الكلام، أفضل الذكر، وأنها تعدل السماوات والأرض، تثقل في الميزان، لما كانت كذلك، والعالم كله بضرورة إليها؛ لأنها بها قامت السماوات والأرض، لما كانت كذلك، يسرها الله في النطق، فهي يسيرة في النطق، خفيفة على اللسان، مختصرة.

وهي -أيضًا- متيسرة، لا تحتاج إلى تعلم ودراسة، يعني: من حيث النطق بها، ومن حيث طولها، وأنها تحتاج إلى وقت، لا، هي كلمة خفيفة، يقولها الإنسان بالثواني لا بالدقائق، مع عظمها ومكانتها يسرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولو أن الإنسان نطق بها مئات المرات، لم يأخذ ذلك عليه وقتًا، ولم يكلفه جهدًا مع فضلها وعظمها، فهي أيسر الكلام وأثقل الكلام في الميزان، وهي أعظم الكلام فائدة.

ولهذا قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لما قال له ربه: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ، يَقُولُونَ هَذَا»، كلهم يقولون: «لا إله إلا الله»، فدل على أنها كلمة عالمية، ليست مختصة بمذهب من المذاهب، أو بطائفة من الطوائف، كلهم يقولون هذه الكلمة؛ إما اضطرارًا أو اختيارًا.

لا أحد يعتقد في العالم أن هناك إلهًا يساوي الله جَلَّ وَعَلَا، يقولون: «آلهة»، لكن يعترفون أن هذه الآلهة قاصرة، وأن الكمال لله عَزَّ وَجَلَّ، كمال الألوهية لله عَزَّ وَجَلَّ، والآلهة التي غير الله كلها قاصرة، هم يعرفون هذا.

ولهذا يقول المشركون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٣]، فهم يعرفون عظمة الله، وأنهم بحاجة إلى ما يقربهم إليه، ولم يعلموا أن ما يقربهم إليه هو طاعته وعبادته، وليس ما يقربهم إليه الوسائط من الخلق أو الشفعاء من الخلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأيسرها حصولًا، وأعظمها معنى)**، أيسرها حصولًا، وأسهلها على اللسان، وأعظم الأذكار معنى، فهي تتكون من نفي وإثبات.

فـ«لا إله»: هذه تبطل جميع الآلهة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«إلا الله»: تثبت الإلهية لله وحده.

فأنت إذا قلتها أبطلت جميع المعبودات من دون الله، وأثبتها لله، ولم يكلفك ذلك شيئًا من حيث الوقت، ومن حيث النطق أنها لا تحتاج إلى جهد وإلى مشقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والعوام، والجهال يعدلون عنها إلى الدعوات المبتدعة التى ليست في الكتاب، ولا في السنة)**، العوام: الذين هم الجهال، والمبتدعة: الذين يحدثون في الدين ما ليس منه وفي الأذكار ما ليس منها، يذكرون الله بغيرها من أنواع الذكر المخترعة التي لا تفيدهم شيئًا، فكيف يعدلون عن هذه الكلمة العظيمة الشريفة، ويذكرون الله بأذكار مبتدعة اخترعوها هم، هذا من الحرمان.

ش: قوله: «وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي» هو بالنصب عطف على السموات، أي: لو أن السموات السبع ومن فيهن من العمار غير الله -تعالى-، والأرضين السبع ومن فيهن وضعوا في كفة الميزان، و«لا إله إلا الله» في الكفة الأخرى، مالت بهن «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي» هو بالنصب عطف على السموات)**، «لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ»، السماوات: اسم «أن»، منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المونث السالم.

«**وَعَامِرَهُنَّ**»: معطوف على السموات، السموات منصوبة، «**وَعَامِرَهُنَّ**»: معطوف على السماوات، والمعطوف على المنصوب منصوب، ولكن ظهرت عليه الفتحة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أي: لو أن السموات السبع ومن فيهن من العمار غير الله تعالى)**، فدل هذا على أن الله في السماء، فهو استثنى نفسه من «عَامِرَهُنَّ»: عامر السماء، دل على أنه في السماء -سبحانه- في العلو، ليس في السماء المبنية، وإنما هو في السماء بمعنى العلو، انتبهوا لهذا، فالسماء لا تقله -سبحانه- ولا تظله، وإنما معنى «في السماء» أي: في العلو.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والأرضين السبع ومن فيهن)**، ودل هذا على أن الأرضين سبع مثلما أن السموات سبع؛ كما قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ [الطلاق:١٢]، يعني: سبع.

وفي الحديث: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(١)، فهذا دليل على أن الأرضين سبع، وكل أرض لها سكان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وضعوا في كفة الميزان، و«لا إله إلا الله» في الكفة الأخرى، مالت بهن «لا إله إلا الله»)**؛ لأنها كلمة حق، كلمة توحيد، كلمة صدق وإخلاص، فلذلك تثقل بهذه المخلوقات العظيمة الثقيلة.

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠)، من حديث سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ش: وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لابنه عند موته: «آمُرُكَ بلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لابنه عند موته: «آمُرُكَ بلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، هذا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أول الرسل؛ لما حضرته الوفاة قال لابنه المؤمن، غير ابنه الكافر الذي أبى أن يركب معه، ذاك غرق مع الكفار -والعياذ بالله-؛ ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود:٤٣]، هلك مع الكفار.

أما هذا، فهو ابنه المؤمن الصالح، أوصاه بـ«لا إله إلا الله»، وذكر له ما في هذا الحديث: «لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ»، فتوارد الحديثان بمعنى واحد.

---

(١) أخرجه أحمد (١١/ ١٥٠- ١٥١)، والطبراني في الدعاء (ص٤٨٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٢٠): رواه كله أحمد، ورواه الطبراني ورجال أحمد ثقات. والحاكم (١/ ١١٢)، وقال: (صحيح الإسناد).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**، عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن نوحًا** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **قال لابنه عند موته: «آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»)**، يوصي ابنه بهذه الكلمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)**، وهذا كما في حديث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي مر بنا قريبًا، ثم في جملة أخرى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)**، حلقة مبهمة؛ يعني: حلقة صلبة مبهمة قصمتها «لا إله إلا الله»؛ لقوة «لا إله إلا الله»، ولذلك «لا إله إلا الله» تحرق الذنوب، تحرق الشرك، تحرق الذنوب، وتقصمها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)**؛ لقوة معناها.

....

ش: قوله: «فِي كِفَّةٍ» -هو بكسر الكاف، وتشديد الفاء-، أي: كفة الميزان.

قوله: «مَالَت بِهِنَّ» أي: رجحت؛ وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك، وتوحيد الله الذي هو أفضل الأعمال، وأساس الملة والدين.

فمن قالها بإخلاص ويقين، وعمل بمقتضاها، ولوازمها، وحقوقها، واستقام على ذلك، فهذه الحسنة لا يوازنها شيء، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف:١٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فِي كِفَّةٍ» -هو بكسر الكاف، وتشديد الفاء-، أي: كفة الميزان)**، كفة الميزان الذي توزن به الأشياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن قالها بإخلاص ويقين، وعمل بمقتضاها، ولوازمها، وحقوقها، واستقام على ذلك، فهذه الحسنة لا يوازنها شيء)**، حسنة التوحيد لا يوازنها شيء من الأعمال الأخرى، هي أثقل شيء من الأعمال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف:١٣])**، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾، يعني: ليس لنا ربٌّ سواه، والمراد بالرب هنا: الإله، يطلق الرب، ويراد به الإله، ويطلق الإله، ويراد به الرب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: أعلنوا هذا، قالوا، ليس يعتقدون ولا ينطقون، ﴿قَالُواْ﴾، بألسنتهم ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: ليس لنا رب سواه.

ولا يكفي النطق أيضًا، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف:١٣]: استقاموا على هذه الكلمة، عملوا بمعناها، وأخلصوا العبادة لله، وليس المراد النطق بها فقط، المراد: العمل بها؛ بإخلاص التوحيد والأعمال لله عَزَّوَجَلَّ.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت:٣٠]: ملائكة الرحمة عند الموت يعني: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ﴾ عند الموت، تحضرهم ملائكة الرحمة تبشرهم وتطمئنهم في قدومهم على الله؛ لأن هذا موقف رهيب، الموت موقف رهيب؛ الإنسان لا يدري أين سيذهب، إلى الجنة أو إلى النار، فهو موقف رهيب.

أيضًا يشاهد أشياء لم يعتدها، ويرى أشياء لا نراها نحن؛ لأنه انتقل إلى دار أخرى من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، الموقف صعب جدًّا، موقف الموت.

تأتيهم الملائكة في هذه الحالة تطمئنهم، وتبشرهم حتى يفرحوا ويطمئنوا، ويفرحوا بلقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ﴾: مما أنتم مقبلون عليه.

﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: على ما تركتم في الدنيا، لا تندموا على ما تركتم في الدنيا، ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾.

ثم الكلمة الثالثة: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، كيف يكون فرحهم عند ذلك؟! نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنّه وكرمه!

﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾: نحن كنا معكم في الحياة الدنيا؛ نثبتكم على الإيمان ونحفظكم، ونساعدكم على الطاعة.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: يكونون معهم -أيضًا- يصاحبونهم، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد:٢٣،٢٤]، تصحبهم الملائكة؛ ملائكة الرحمة، ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾.

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا﴾، أي: في الآخرة.

﴿مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت:٣١]: يعني ما تطلبون، كل شيء تطلبونه في الجنة حاضر.

﴿ نُزُلٗا﴾: النزل هو الضيافة، ﴿ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴾، ﴿ نُزُلٗا﴾، أي: ضيافة من الله، ﴿مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴾ [فصلت:٣٢].

هذا الذي يلقاه أهل «لا إله إلا الله» عند الموت والانتقال إلى الدار الآخرة.

فقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ [فصلت:٣٠] هو معنى «لا إله إلا الله» تمامًا.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾: هذا رد على المنافقين الذين يقولون: «لا إله إلا الله» بألسنتهم، ولكنهم يخالفونها بعقيدتهم، فهم لا يؤمنون بالتوحيد، ولا يؤمنون بالله، إنما يقولونها من أجل أن يعيشوا مع المسلمين، ويأمنوا على دمائهم وأموالهم.

وكذلكم يقولها من يشرك بالله في دعاء الأموات والأولياء والصالحين، والذبح، والنذر، والاستغاثة، والاستعانة بالأموات، وهم يقولون: «لا إله إلا الله».

إذًا لم يستقيموا عليها، فهؤلاء من جنس المشركين الأولين الذين أبوا أن يقولوها، لاحظ ! سواهم الله بالذين أبوا أن يقولوها؛ لما لم يعملوا بها، فليست مجرد نطق باللسان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾)، فمفهومه أن من لا يستقيم عليها ليس من أهلها، ولا يجد هذا الفضل العظيم.

ش: ودل الحديث على أن «لا إله إلا الله» أفضل الذكر؛ كحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». رواه أحمد، والترمذي(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ودل الحديث على أن «لا إله إلا الله» أفضل الذكر)؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من ربه أن يعلمه أفضل الذكر.

فالله قال له: «لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرَضِينَ...»، إلى آخره، «كَانَتْ فِي كِفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ فِي كِفَّةٍ»، دل على أنها أفضل الذكر.

وفي الحديث الآخر: «خَيْرُ الدُّعَاءِ: دُعَاءُ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»؛ لأن الله علمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لما قال: علمني شيئًا أذكرك، وأدعوك به، علمه هذه الكلمة، فدل على أنها أفضل الذكر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»)، فخير ما

---

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٥٤٨)، والترمذي (٣٥٨٥).

قاله رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخير ما قاله النبيون من قبله هذه الكلمة: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير»**، فهي خير الكلام.

....

ش: وعنه -أيضًا- مرفوعًا: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي على رؤوس الخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدَّ الْبَصَرِ. ثُمَّ يُقَالُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيُقَالُ: بَلَى، إِنَّ لك عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ». رواه الترمذي، وحسنه. والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعنه -أيضًا- مرفوعًا: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي»)، هذا حديث البطاقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي على رؤوس الخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًا)، يصاح به: يعني ينادى يوم القيامة على رؤوس الخلائق، ينادى: يا فلان بن فلان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًا)، أي: دفترًا، السجل: هو الدفتر.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٢٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدَّ الْبَصَرِ**)، ليس بدفتر صغير، كل سجل مدَّ البصر، إلى أن ينتهي البصر، يصل إلى السماء، ترى النجوم بالبصر، فمد البصر بعيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟**)، بطاقة صغيرة، وهذه سجلات تسع وتسعون، كل سجل مد البصر، وهذه بطاقة صغيرة، ماذا تفعل؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ**)؛ لأنه قالها، نطق بها عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها، معتقدًا لها، مات عليها، على التوحيد، فهذا مصيره يوم القيامة.

....

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض.

قال: وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات، فلايعذب، ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض)**، بحسب ما في القلوب من اليقين والصدق والعلم.

ليس في هذا الحديث متمسك للمرجئة الذين يقولون: ليست الأعمال من الإيمان، ولو أن الإنسان لا يعمل، إذا قال: «لا إله إلا الله»، هذا الحديث يدل على أنه في الجنة. لا -يا أخي-، لا يؤخذ بحديث واحد وتترك الأحاديث الأخرى، يجمع بين الأحاديث، لا يؤخذ حديث ويترك غيره، هذا يتمسك بالمتشابه، المتشابه لا يعمل به وحده، وإنما يرجع إلى الأدلة الأخرى ويجمع بينهم. دلت الأدلة الأخرى على أنه لا يكفي النطق بها، بل لابد من العمل والاستقامة؛ ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [الأحقاف:١٣].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٠).

وسيأتي «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ**»[١]، أما من يقولها، وهو لا يكفر بما يعبد من دون الله، يقول: كله سواء، الناس أحرار، وكل له عقيدته، وهو يقول: هم على صواب، هذه قناعتهم، يقول بعضهم الآن هذا، وهذا أبطل من مذهب المرجئة، -أعوذ بالله- هذا إلحاد، لابد من الاستقامة والإخلاص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض)**، ولهذا قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما سبقهم أبو بكر بصلاة ولا صيام، ولكنه شيء وقر في قلبه»[٢]. اليقين الذي في قلب أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يصل إليه أحد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه)**؛ لأنه لم يحقق معناها، كثير ممن يقولها له بطاقة، لكنه يدخل النار؛ لأنه لم يحقق «لا إله إلا الله».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣)، من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) سبق تخريجه (ص٤٣٢).

ش: قوله: (رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان، وَالْحَاكِمُ)، ابن حبان اسمه: محمد بن حبان - بكسر المهملة، وتشديد الموحدة - ابن أحمد بن حبان بن معاذ، أبو حاتم التميمي البستي، الحافظ صاحب التصانيف كالصحيح، والتاريخ، والضعفاء، والثقات وغير ذلك.

قال الحاكم: كان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال، مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بمدينة بست بالمهملة(١).

وأما الحاكم فاسمه: محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، أبو عبد الله الحافظ، ويعرف بابن البيع، وُلِد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وصنف التصانيف، كالمستدرك، وتاريخ نيسابور، وغيرهما، ومات سنة خمس وأربعمائة(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ابن أحمد بن حبان بن معاذ، أبو حاتم التميمي البستي، الحافظ صاحب التصانيف كالصحيح، والتاريخ، والضعفاء، والثقات وغير ذلك)، إمام من أئمة الحديث الكبار.

---

(١) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٨/ ٧٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٣١)، وطبقات الشافعيين (١/ ٢٩٠).

(٢) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٩/ ٨٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٥)، والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب (١/ ٧٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الحاكم فاسمه: محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، أبوعبد الله الحافظ، ويعرف بابن البيع)**، صاحب المستدرك على الصحيحين.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ -وَحَسَّنَهُ- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١).

ش: ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الجملة الأخيرة من الحديث، وقد رواه الترمذي بتمامه، فقال: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي ...» الحديث.

ش: الترمذي اسمه: محمد بن عيسى بن سَورة -بفتح المهملة- بن موسى بن الضحاك السلمي، أبو عيسى، صاحب الجامع، وأحد الحفاظ، كان ضرير البصر، روى عن قتيبة، وهناد، والبخاري، وخلق. مات سنة تسع وسبعين ومائتين(٢).

وأنس هو: ابن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خدمه عشر سنين، وقال له: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَدْخِلْهُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣١٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، ويشهد له ما في صحيح مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٦/ ٦١٧)، وإكمال تهذيب الكمال (١٠/ ٣٠٥)، والأعلام للزركلي (٦/ ٣٢٢).

الجَنَّةَ»[١]، مات سنة اثنتين وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة[٢].

والحديث قد رواه الإمام أحمد، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمعناه، وهذا لفظه: «وَمَنْ عَمِلَ قُرَابَ الأَرْضِ خَطِيئَةً، ثُمَّ لَقِيَنِي لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَهَا مَغْفِرَةً»، ورواه مسلم، وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِلتِّرْمِذِيِّ -وَحَسَّنَهُ- عَنْ أَنَسٍ)، انتهى من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربه أن يعلمه دعاء وذكرًا يذكره به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ إنّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)، «لَوْ أَتَيْتَنِي»: هذا جزء من حديث أطول من هذا، لكن المصنف أخذ محل الشاهد.

«لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا»، يعني: ملء الأرض خطايا.

«ثُمّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»، هذا كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، هذا وعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه يغفر الذنوب التي دون الشرك،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٧٩، ٦٣٨١)، ومسلم (٢٤٨٠، ٢٤٨١).

(٢) انظر في ترجمته: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٢٣١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٠٩)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١٠٥٧)، وإكمال تهذيب الكمال (٢/ ٢٧٩).

يغفرها لمن يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد يعذبه بها، لكنه لا يخلد في النار، بل يخرج منها ويدخل الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ**: «**قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)، هذا من الأحاديث القدسية.

الحديث القدسي: هو ما كان لفظه ومعناه من الله جَلَّ وَعَلَا.

وأما الحديث النبوي: فهو ما كان معناه من الله، ولفظه من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا يسمى الحديث النبوي، والحديث القدسي، هو ما كان لفظه ومعناه من الله؛ فهو كلام الله يرويه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي»**)، الذنوب مهما عظمت، إذا استغفر العبد ربه، فإن الله يغفرها جميعًا؛ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

ثم قال: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر:٥٤]، أنيبوا: توبوا إليه وارجعوا إليه، فيغفر لكم ذنوبكم كلها؛ فالاستغفار لا يبقى معه ذنب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي**)، لَوْ أَتَيْتَنِي: هذه الجملة التي ساقها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) انظر الكليات لأبي البقاء (ص٧٢٢)، والوسيط في علوم ومصطلح الحديث (٢١٥-٢١٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كان ضرير البصر)**، يعني: كان كفيفًا، مكفوف البصر، ومع هذا حاز هذه المنزلة العظيمة في الحديث حفظًا من صدره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(روى عن قتيبة، وهناد، والبخاري، وخلق)**، وهو من تلاميذ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال له: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ»)**، ولذلك صار من أكثر الناس أموالًا وأولادًا، وأطول الناس عمرًا، هو أطول الصحابة عمرًا ببركة دعوة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما عند الله له خير من هذا؛ **«وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ»**.

وأبوه مالك، هذا -والعياذ بالله لما قدم النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، نفر إلى الشام، ومات بالشام كافرًا مشركًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحديث قد رواه الإمام أحمد، من حديث أبي ذر بمعناه، وهذا لفظه: «وَمَنْ عَمِلَ قُرَابَ الْأَرْضِ خَطِيئَةً، ثُمَّ لَقِيَنِي لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَهَا مَغْفِرَةً»)**، هذا لفظ رواية أحمد.

....

ش: قوله: «لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ» -بضم القاف، وقيل: بكسرها، والضم أشهر-، وهو ملؤها، أو ما يقارب ملئها.

قوله: «ثُمّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا»: شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله، صغيره وكبيره.

ولا يسلم من ذلك إلا من سلم الله -تعالى-، وذلك هو القلب السليم؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩].

قال ابن رجب: من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا، لقيه الله بقرابها مغفرة.

إلى أن قال: فإن كمل توحيد العبد، وإخلاصه لله -تعالى- فيه، وقام بشروطه بقلبه، ولسانه، وجوارحه، أو بقلبه، ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية.

فمن تحقق لكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوى الله تعالى محبة وتعظيمًا، وإجلالًا، ومهابة، وخشية، وتوكلًا، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها، وإن كانت مثل زبد البحر. انتهى ملخصًا[1].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٤١٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩])، سليم من الشرك؛ من الاعتقادات الباطلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإن كمل توحيد العبد، وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه، ولسانه، وجوارحه، أو بقلبه، ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية**)، هذا يكون لمن حقق التوحيد، فيدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، إن سلم من هذه الآفات، وأخلص التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**انتهى ملخصًا**)، يعني: كلام ابن رجب، ابن رجب له رسالة في فضل كلمة الإخلاص.

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الحديث: ويعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك.

ولو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئًا البتة ربه بقراب الأرض خطايا، أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده، فإن التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ لأنه يتضمن من محبة الله، وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه ما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة، والدافع لها قوي. انتهى[(١)].

وفي هذا الحديث: كثرة ثواب التوحيد، وسعة كرم الله، وجوده ورحمته، والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين، وهي الفسوق، ويقولون: ليس بمؤمن ولا كافر، ويخلد في النار.

والصواب قول أهل السنة: أنه لا يسلب عنه اسم الإيمان، ولا يعطاه على الإطلاق، بل يقال: هو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وعلى هذا يدل الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده)، إنما هذا لمن كمل توحيده، وهو الذي حقق التوحيد.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٦٣-٦٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين، وهي الفسوق، ويقولون: ليس بمؤمن ولا كافر، ويخلد في النار**)، هذا الحديث فيه رد على الطائفتين: طائفة الخوارج، والمعتزلة.

الخوارج يكفرون بالذنوب الكبائر، ولو كانت دون الشرك، يكفرون بها -والعياذ بالله-، هذا غلو أهلكهم وأضلهم، فهذا مذهب الخوارج.

الحديث يرد عليهم؛ أنه إذا سلم من الشرك، فإنه يرجى له مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ ولا يكفر.

ورد على المعتزلة، فالمعتزلة يقولون: هو في المنزلة بين المنزلتين؛ ليس بمؤمن ولا بكافر، فإذا مات ولم يتب فهو مخلد في النار؛ كما تقوله الخوارج.

ليس هناك منزلة بين المنزلتين، ليس هناك أحد ليس بمؤمن ولا كافر، لابد إما أن يكون مؤمنًا، وإما أن يكون كافرًا؛ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾[التغابن:٢]، ولم يقل: ومنكم من هو بين ذلك.

هذا اخترعوه من عند أنفسهم، وهو قول باطل، وهذا من أصول عقيدة المعتزلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والصواب قول أهل السنة**)، ليس قول الخوارج، ولا قول المعتزلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والصواب قول أهل السنة: أنه لا يسلب عنه اسم الإيمان، ولا يعطاه على الإطلاق**)، الإيمان على قسمين: إيمان مطلق كامل، وإيمان فيه نقص.

فهو لا يسلب اسم الإيمان بموجب الذنوب التي دون الشرك؛ كما تسلبه الخوارج، وتخرجه من الإسلام، ولكنه لا يعطى الإيمان الكامل؛ كما تقوله المرجئة.

المرجئة يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان؛ لأن الأعمال عندهم ليست من الإيمان، ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، هذا من مقالهم؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهذا حق أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، لكن لا يضر مع الإيمان معصية هذا غلط، بل يضر، المعاصي تضر، ولا يقال: إنه ما دام أنه مؤمن لا تضره المعاصي، هذا قول باطل، وهو قول المرجئة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والصواب قول أهل السنة: أنه لا يسلب عنه اسم الإيمان)**؛ كما تقوله الخوارج.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يعطاه على الإطلاق)**؛ كما تقوله المرجئة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل يقال: هو مؤمن عاص)**، مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن عاص، يقال هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته)**، كلها ألفاظ صحيحة: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، مؤمن ناقص الإيمان -أيضًا-، لا بأس عاص، فهو مؤمن، لكنه ليس إيمانًا كاملًا، هو ناقص الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعلى هذا يدل الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة)**، الجمع بين آيات الوعد وآيات الوعيد هو مذهب أهل السنة، وأما أخذ آيات الوعيد فقط هذا مذهب الخوارج، أو أخذ آيات الوعد فقط هذا قول المرجئة.

....

ش: وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْتُهِيَ بِهِ إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهى، فَأُعْطِيَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ» رواه مسلم(١).

قال ابن كثير في تفسيره: وأخرج الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦]، قَالَ: قَالَ رَبُّكُمْ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَلَا يُجْعَلْ مَعِي إِلَهٌ، فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِي إِلَهًا، كَانَ أَهْلًا أَنْ أَغْفِرَ لَهُ»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: «قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦]، قَالَ: قَالَ رَبُّكُمْ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَلَا يُجْعَلْ مَعِي إِلَهٌ، فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِي إِلَهًا كَانَ أَهْلًا أَنْ أَغْفِرَ لَهُ»)، ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦]: أهل أن يتقى، ومن اتقاه غفر له.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٤). والحديث أخرجه أحمد (١٩/ ٤٣٠)، والترمذي (٣٣٢٨)، وابن ماجه (٤٢٩٩)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣١٧)، وأبو يعلى (٦/ ٦٦)، والحاكم (٢/ ٥٥٢)، وقال: (صحيح الإسناد).

ش: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة، فإنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان، تبين لك معنى قول: «لا إله إلا الله»، وتبين لك خطأ المغرورين).

وفيه: أن الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إله إلا الله»، والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

وفيه: إثبات الصفات؛ خلافًا للمعطلة.

وفيه: أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[1]، أن ترك الشرك ليس قولها باللسان. انتهى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني في مسائل كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة)، وما هي الخمس؟

«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ»[2]، هذه خمس، تأملها!

---

(١) سبق تخريجه (ص٤١٧).
(٢) سبق تخريجه (ص٣٢٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنك إذا جمعت بينه، وبين حديث عتبان)**، حديث عتبان ما هو؟ «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»: ليس بلفظ فقط؛ يبتغي بها وجه الله، مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تبين لك خطأ المغرورين)** الذين يقولون: من قال: «لا إله إلا الله» وفقط، هذا في الجنة، ولو يعمل ما يعمل، لا، «لا إله إلا الله» لها قيود جاءت في الأحاديث الأخرى، ولا يجوز لنا أن نأخذ بحديث ونترك الأحاديث التي تفسره وتقيده، لابد أن يجمع بين الأدلة، ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا**﴾ [آل عمران:٧]، فيردون المتشابه إلى المحكم، فيتبين الصواب.

أما أهل الزيغ، فيأخذون المتشابه، ويتركون المحكم، نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتبين لك خطأ المغرورين)**؛ أن «لا إله إلا الله» ليست مجرد لفظ يقولها، بل لابد من تقييدها بالأحاديث الأخرى؛ حتى يحصل على جوابها الذي وعد الله به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أن الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إله إلا الله»)**، هذا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -كليم الله- خفي عليه فضلها، ولذلك الله جَلَّوَعَلَا نبهه إلى هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه)**، كثير ممن يقولها لا يحصل على هذا الأجر العظيم، يخف ميزانه يوم القيامة، لا ترجح له «لا إله إلا الله»؛ لأنه لم يحققها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه إثبات الصفات؛ خلافًا للمعطلة**)، من أين أخذ هذا؟ من قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، والعلو، في قوله: «**وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه إثبات الصفات؛ خلافًا للمعطلة**)، خلافًا للمعطلة الذين ينفونها، ينفون العلو، ينفون إثبات الوجه لله، وإثبات اليدين لله، ينفون صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ فرارًا من التشبيه بزعمهم؛ لأنهم لم يفرقوا بين صفات الله وصفات خلقه، فيظنون أن وجه الله مثل وجه المخلوق، أو أن يد الله مثل يد المخلوق، لا يفرقون بينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»، أن ترك الشرك ليس قولها باللسان**)، لم يقل: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، وسكت، بل قال: «**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، بهذا القيد: الإخلاص.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: سَعَةُ فَضْلِ اللهِ.

الثَّانِيَةُ: كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللهِ.

الثَّالِثَةُ: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ: (٨٢) الَّتِي فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

الْخَامِسَةُ: تَأَمُّلُ الْخَمْسِ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، يعني: في الباب الذي انتهينا منه، وهو باب: فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: سَعَةُ فَضْلِ اللهِ**)؛ أن من لا يشرك به شيئًا، فإن الله يغفر له الذنوب؛ «**لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[١]، وأن التوحيد يحرم الموحد على النار؛ «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللهِ**)، كثرة ثواب التوحيد عند الله؛ كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[٢]، فهذا فيه كثرة فضل التوحيد، وأنه يعدل السماوات والأرض ومن فيهن غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٦٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٤٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ**)، مع فضله فإنه يكفر الذنوب؛ «**لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ: (٨٢) الَّتِي فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ**)، تفسير آية الأنعام، وهي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾؛ يعني: لم يخلطوا إيمانهم بشرك.

﴿**أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام:٨٢]: الأمن في الدنيا والآخرة، وهم مهتدون في الدنيا، وآمنون في الآخرة، فأي فضل أعظم من هذا؟!

﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾، يعني: لم يخلطوه بشرك؛ لأن الشرك يبطل الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: تَأَمُّلُ الخَمْسِ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ**)، وهي: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ**»[2]، هذه هي الخمس اللواتي التي في حديث عبادة:

«**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**»: هذه واحدة.

«**وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»: هذه هي الثانية.

«**وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**»: هذه هي الثالثة. والرابعة: «**وَالْجَنَّةُ حَقٌّ**». والخامسة: «**وَالنَّارُ حَقٌّ**».

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٦٥).
(٢) سبق تخريجه (ص٣٢٦).

السَّادِسَةُ: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ، وَمَا بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، و تَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ الْمَغْرُورِينَ.

السَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الْأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

التَّاسِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ.

العَاشِرَةُ: النَّصُّ عَلَى أَنَّ الْأَرَضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَوَاتِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ، وَمَا بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، و تَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ الْمَغْرُورِينَ**)، إذا جمعت بين حديث عبادة بن الصامت، وبين حديث عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أن: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، ليس مجرد قول، بل: «**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، قيدها بهذا القيد، فأنت تقيد الحديث الذي قبله، حديث عبادة تقيده بحديث عتبان، ولا تأخذ الحديث المطلق تستدل به، بل لابد أن تحمله على المقيد، هذه طريقة أهل السنة والجماعة، بخلاف الذين في قلوبهم زيغ؛ فإنهم يأخذون المتشابه، ويتركون المحكم، وأما الراسخون في العلم، فإنهم يجمعون بينهما، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، فلا تأخذ بحديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتترك حديث عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، بهذا القيد يتبين لك خطأ المغرورين الذين يقولون: إن من قال:

«لا إله إلا الله» -مجرد لفظ- أنه يحصل على النجاة، هي ليست بمجرد لفظ، لابد من تقييدها بالأدلة الأخرى: «**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[1]؛ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**» بهذه القيود وغيرها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ**)، وهو قوله: «**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، بهذا الشرط، لم يقتصر على قوله: «**حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، بل قيده بقوله: «**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، فلا تأخذ صدر الحديث وتلغي آخره، هذه طريقة أهل الضلال والملبسين على الناس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الْأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)، لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لما قال له الله: «**يَا مُوسَى قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا**»، فهو لم يعرف هذا الفضل الذي فيها حتى بينه له، فإذا كان العلماء والأنبياء يحتاجون إلى بيان فضل «لا إله إلا الله»، فكيف بغيرهم؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ**)، هي ترجح بالسماوات السبع ومن فيهن غير الله، والأرضين السبع ومن فيهن، ترجح بها، ومع هذا قد يكون من يقولها

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**».

يخف ميزانه يوم القيامة، ويدخل النار، ترجح سيئاته على حسناته، فيدخل النار، وهو يقول: «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العَاشِرَةُ: النَّصُّ عَلَى أَنَّ الْأَرَضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَوَاتِ)**؛ لأن الحديث نص على أن الأرضين سبع: «**وَالْأَرَضِينَ السَّبْعُ وَعَامِرُهُنَّ**».

«**وَعَامِرُهُنَّ**»، يعني: من المخلوقات، سكان الطبقات السبع من الأرض.

ففيه: أن الأرضين سبع طباق، وإن كانت في بعض الآيات لم يبين الأرض، السماوات والأرض هكذا، فهذا يبين.

وفي القرآن -أيضًا-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]، يعني: سبع، فدل على أن الأرضين سبع.

وفي الحديث أيضًا: «**مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(١).

فدل على أن الأرضين سبع، وأن كل طبقة فيها سكان، وعامرون لها بالسكنى والعمل.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥٠).

الْحادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، خِلَافًا لِلأَشْعَرِيَّةِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: أَنَّكَ إِذا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ، عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»، أَنَّهُ تَرْكُ الشِّرْكِ، لَيْسَ قَوْلَها بِاللِّسَانِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا**)، يعني: الأرضين السبع لهن عمارٌ، كل طبقة لها عمار من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، خِلَافًا لِلأَشْعَرِيَّةِ**)؛ لأنه قال: «**لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ**»، فدل على أنه في السماء، في العلو، وهذه من أعظم الصفات، وهذا عليه أدلة كثيرة؛ العلو: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، وعليه أدلة.

صنف الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا مستقلًّا سماه: «العلو للعلي الغفار»، وهو مطبوع، ذكر فيه الأدلة كلها، ومع هذا الأشاعرة ينفون العلو، ويقولون: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] يعني: استولى، ليس ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ يعني: علا وارتفع، لا، يعني: استولى؛ إذًا هو يستولي على الطبقة السفلي من الأرض -أيضًا-، كلمة أنه ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: بمعنى استولى، الاستيلاء لا يختص بالعرش، كل المخلوقات الله جَلَّوَعَلَا مستول عليها، هذا باطل، فهم يثبتون علو القدر وعلو القهر فقط، ولا يثبتون علو الذات.

والأشاعرة هم الذين ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان في الأول على مذهب المعتزلة، ثم انتقل منه، تاب منه، وانتقل إلى مذهب

الكُلابية، ثم انتقل من مذهب الكلابية إلى مذهب الإمام أحمد في آخر حياته، وهذا مذكور في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»، وكتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، مذكور رجوعه والتزامه بمذهب الإمام أحمد في إثبات الصفات، لكن بقي أتباعه ينتسبون إليه، وهم على مذهب الكلابية، وليسوا على مذهبه، فانتسابهم إليه غير صحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ، عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»، أَنَّ تَرْكَ الشِّرْكِ، لَيْسَ قَوْلَهَا بِاللِّسَانِ)**، **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ»**[1]، بهذا الشرط، **«كَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ»**.

أما من يقول: لا، الناس أحرار في عقائدهم، وكل له قناعته، ولا يلزم أنه يأخذ مذهب الآخرين، نقول له: لا تأخذ مذهب أحد، خذ بالأدلة من الكتاب والسنة، هي مذهب أهل السنة والجماعة، خذ بها.

يقول: كل له حريته في العقيدة، وكل له قناعته، وكلهم يدخلون الجنة؛ لأنهم اجتهدوا في هذا، وعملوا بما توصل إليه، نقول له: هذا ليس بمسألة اجتهاد، العقيدة ليست بمحل اجتهاد، العقيدة محل تسليم للأدلة، ولو خالفت هواك، وخالفت عقائد مشايخك أو من قبلهم.

فالعقيدة ليست باجتهاد، الاجتهاد في مسائل الفقه؛ العقيدة توقيفية -كما يقولون-، والعبادات توقيفية.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٢٠).

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَأَمُّلُ الْجمْعِ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَى، وَمُحَمَّدٍ عَبْدَيِ اللَّهِ، وَرَسُولَيْهِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللَّهِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ قَوْلِهِ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ.

الْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الْوَجْهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَأَمُّلُ الجَمْعِ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَى، وَمُحَمَّدٍ عَبْدَيِّ اللهِ، وَرَسُولَيْهِ)، حتى تعرف الرد على الغلاة الذين غلوا في عيسى، وقالوا: إنه ابن الله، أو هو الله، أو ثالث ثلاثة.

وترد على الذين غلوا في محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصرفوا له أنواعًا من العبادة، قالوا[1]:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ

كل شيء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقولون: الله خلق السماوات والأرض من أجل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هكذا يقولون، هذا من الغلو -والعياذ بالله-،

(١) سبق عزوه (ص٣٧٢).

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]، عبده ورسوله، فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد ورسول، وليس له من الملك والتدبير والخلق شيء، هذا لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ففيها رد على الذين غلوا في عيسى، ورد على الذين غلوا في محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتى يقولوا: إنه لم يخلق من الطين، إنما خُلِق من النور، محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نور، مخلوق من النور، وهذا كذب وافتراء؛ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر، البشر خُلِقوا من الطين، أصلهم من الطين؛ يعني: مما خُلِق منه أبوهم آدم، ثم هم خُلِقوا من ماء مهين، خُلِق من ماء، من المني، فمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كغيره من البشر، فهذا غلو في محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنهم من يقول: محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يمت، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يمت، وهو يأتي ويحضر عند المجالس، ويحضر في المولد، لم يمت، يقولون: لم يمت، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، ويقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]؛ الأنبياء وغيرهم، لماذا يختص محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه لا يموت من دون البشر؟!! هذا من الغلو -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللهِ)**؛ لأنه خُلِق من كلمة بدون أب، ﴿قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩]، خُلِق بالكلمة، وليس هو الكلمة، وإنما خُلِق بالكلمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ)**، كذلك «**وَرُوحٌ مِنْهُ**»، يعني: روح مخلوقة، فعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ روح مخلوقة، و«منه»: هذه ليست

تبعضية، وإنما هي بيانية، الروح من الله جَلَّوَعَلَا، من خلقه؛ مثل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣]، ﴿مِّنْهُ ﴾، فـ﴿مِّنْهُ ﴾: هذه ابتدائية ليست تبعضية، لو قلنا: إنها تبعضية، لصارت كل المخلوقات أجزاء من الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا مذهب وحدة الوجود -والعياذ بالله-، فيجب معرفة هذه الأمور الخفية والغامضة؛ لئلا يقع الإنسان وينزلق فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ)**، «**وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ**»[1]: أن من اعترف أن الجنة حق، واعترف أن النار حق، فإنه ينال هذا الفضل العظيم، قال الله جَلَّوَعَلَا في الجنة: ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقال في النار: ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [البقرة:٢٤]، فهي مخلوقة وموجودة؛ لأن هناك من الملاحدة من يقول: لا، هذا تخييل، الجنة والنار، والبعث والحساب هذا تخييل؛ لأجل أن الناس يتعظون، فهي من الكذب للمصلحة، تعالى الله عن ذلك!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ قَوْلِهِ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»)**، «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»: فيها وجهان:

الأول: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»: أن منزلته في الجنة تكون بحسب عمله؛ لأن أهل الجنة يتفاضلون بسبب أعمالهم، ليسوا بمنزلة واحدة.

والقول الثاني: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»: ولو عنده ذنوب -وهذا هو الذي يكون شاهدًا للباب-؛ أن يدخله الله الجنة، وإن كان عنده ذنوب دون الشرك، فإنه موعود بدخول الجنة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ**)، «**لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ**»، ففي هذا رد على المعتزلة الذين يقولون: (إن الميزان معنوي ليس حقيقيًّا، إنما هو كناية عن العدل يوم القيامة)، عدل؟! فهل العدل له كفتان؟! هذا ميزان حقيقي له كفتان، ولا يعلم كيفيته إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنحن نثبته، ولا نقول: (هذا كناية عن العدل)، بل هو ميزان حقيقي توزن به الأعمال، وله كفتان؛ توضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الْوَجْهِ**)، «**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، ما هو المراد بوجه الله؟ الإخلاص، المراد بذلك الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البَقَرَة:١١٢]، يعني: أخلص عمله لله عَزَّ وَجَلَّ.

لعلكم فهمتم هذه المسائل من هذا الباب؛ لأنها عظيمة، والمسائل هي فقه الباب.

٢ - بَابُ
مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

ش: قوله: (بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ)، أي: ولا عذاب.

قلت: تحقيقه: تخليصه، وتصفيته من شوائب الشرك، والبدع، والمعاصي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ، دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ)، هذا باب أعلى من الذي قبله، الباب الذي قبله: (باب فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب)، فمن سلم من الشرك، فهو موحد، لكن تحقيق التوحيد هذا أعلى من الموحد، وأفضل من الموحد؛ لأن المؤمنين درجات عند الله؛ ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٣]، فهم درجات، بعضهم أفضل من بعض، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة:١٠]، السابقون: هؤلاء أعلى الدرجات، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة:١٠، ١١]، هؤلاء أعلى الدرجات، ثم يليهم أصحاب اليمين، ثم يليهم الظالم لنفسه؛ المؤمن الموحد الذي عنده ذنوب ومعاص؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:٣٢].

فهم ليسوا على درجة واحدة، بل بعضهم أعلى من بعض، وكلهم في الجنة؛ الظالم لنفسه، والمقتصد، والذي أعلى منه، وهم المقربون: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ

ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة:١٠-١٢]، أفضل من الأبرار، والأبرار أفضل من الظالم لنفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**، تحقيق التوحيد: تصفيته من شوائب الشرك الأكبر والأصغر، ومن شوائب الذنوب والبدع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**، «بَابُ»، أو «بَابٌ»، (بَابٌ: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ)، أو تقول: (بَابُ) بالإضافة، كله سواء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، أي: ولا عذاب)**، من حقق التوحيد -هذا أعلى الدرجات-، دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب؛ لأن المؤمنين يوم القيامة يحاسبون:

* منهم من لا يحاسب: وهم السابقون المقربون، هؤلاء لا يحاسبون، يدخلون الجنة بلا حساب.

* ومنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، وهو العرض.

* ومنهم من يشدد عليه الحساب؛ كما في الحديث: «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ**»(١)، وإن لم يخلد في النار يعذب، موعود بالعذاب وإن لم يخلد فيها.

وأما الكفار، فلا يحاسبون محاسبة من له أعمال صالحة وتوحيد، إنما يقررون بأعمالهم، ويقرون على أعمالهم؛ لأنهم لا حسنات لهم حتى يحاسبوا، يقررون بأعمالهم، ثم يؤمر بهم إلى النار -والعياذ بالله!

---

(١) أخرجه البخاري -واللفظ له- (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

فالمؤمنون على هذه الدرجات؛ منهم من لا يحاسب، يدخل الجنة بلا حساب، وهو الذي حقق التوحيد[١].

* ومنهم من: ﴿يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:٨، ٩]، وهو العرض.

* ومنهم من يناقش الحساب، وهذا معرض للعذاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: تحقيقه: تخليصه، وتصفيته من شوائب الشرك، والبدع، والمعاصي)**، لاحظ! تصفيته، تخليصه من شوائب الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع المحدثات، والمعاصي.

من سلم من هذه الأمور، فقد حقق التوحيد، وصار من السابقين المقربين، ولكن قل من يصل إلى هذه الدرجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: تحقيقه: تخليصه، وتصفيته من شوائب الشرك، والبدع، والمعاصي)**، لا يكون عنده شرك لا أكبر ولا أصغر، ولا عنده بدع، بل هو عامل بالسنة، وليس عنده معاص -أيضًا-؛ لا كبائر ولا صغائر.

---

(١) كما في الحديث أخرجه البخاري [(٥٧٠٥، ٥٧٥٢ مطولًا)، و (٣٤١٠، ٦٤٧٢، ٦٥٤١ مختصرًا]، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: «... **انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**...».

قَالَ اللهِ تَعَالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠].

ش: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠])، **وصف إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد.**

الأولى: أنه كان أمة، أي: قدوة وإمامًا، معلمًا للخير، وما ذاك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين اللذين تنال بهما الإمامة في الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ اللهِ تَعَالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠])، إمام المخلصين للتوحيد هو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أُمر نبينا باتباعه؛ كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ اللهِ تَعَالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠])، ﴿كَانَ أُمَّةً ﴾، يعني: قدوة، «الأُمَّة» تطلق، ويراد بها القدوة والإمام، وتطلق ويراد بها -أيضًا-: الجماعة من الناس، وتطلق ويراد بها الفترة من الزمن، ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف:٤٥][1].

فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ موحد، كيف يكون واحد أمة، والأمة هي الجماعة؟

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٥٠)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٥٠)، والصحاح (٥/ ١٨٦٤)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٧-٢٨).

نقول: ليست الأمة هي بمعنى الواحد، الأمة: بمعنى قدوة وإمام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾)، ﴿قَانِتًا﴾، يعني: مدوامًا على العبادة، يدوام على عبادة الله وطاعته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿حَنِيفًا﴾): مقبلًا على الله، معرضًا عن غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾)، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: يتبرأ من المشركين، حتى إنه تبرأ من أبيه، هذه ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي أُمرنا باتباعها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وصف إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **بهذه الصفات)**، هذه الصفات الأربع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التي هي الغاية في تحقيق التوحيد)**، بلا شك أن من استكملها، حقق التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأولى: أنه كان أمة، أي: قدوة وإمامًا، معلمًا للخير، وما ذاك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين)**، عنده اليقين الذي لا يخالطه شك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة:٢٦٠]، عنده الاطمئنان، ليس عنده شكوك أبدًا، هذه صفة من صفاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مقام الصبر واليقين)**؛ صبر على الابتلاء والامتحان، حتى ألقي في النار وصبر، وثبت على التوحيد والعقيدة وإنكار الشرك.

مع أن النار هي أشد شيء في هذه الدنيا -والعياذ بالله-، ومع هذا صبر عليها، ألقي فيها، فلما ألقي فيها، قال الله جَلَّ وَعَلَا لها: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]؛ نتيجة الصبر، صبر على هذا.

أين هذا الذي إذا أراد أن يلقيه واحد في النار، هل سيصبر؟ الله أعلم، الله أعلم من يصبر.

واليقين: هو في أعلى اليقين، ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة:٢٦٠]، هو مؤمن، ولكنه يريد أعلى من الإيمان، يريد الطمأنينة؛ ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة:٢٦٠]، فالعلم، علم اليقين، وحق اليقين، وعين اليقين، ثلاث مراتب، هو يريد عين اليقين، وحق اليقين، وعلم اليقين[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مقام الصبر واليقين اللذين تنال بهما الإمامة في الدين)**؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، جمعوا بين الصبر واليقين.

---

(١) انظر: الزهد والورع والعبادة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧٧)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٦٤٥)، والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص١٩١-١٩٢).

....

ش: الثانية: قوله: ﴿قَانِتًا﴾، قال شيخ الإسلام: القنوت دوام الطاعة، والمصلي إذا طال قيامه، أو ركوعه، أو سجوده، فهو قانت(١)، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]. انتهى ملخصًا(٢).

الثالثة: أنه كان حنيفًا.

قلت: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحنيف: المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه. انتهى(٣).

الرابعة: أنه ما كان من المشركين، أي: لصحة إخلاصه، وكمال صدقه، وبعده عن الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال شيخ الإسلام: القنوت دوام الطاعة)، القنوت دوام الطاعة، والثبات عليها، ويطلق القنوت، ويراد به ترك الكلام في الصلاة؛ «أُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنْ الْكَلَامِ»(٤): هذا في الصلاة، فالسكوت يسمى قنوتًا.

---

(١) انظر: العين (٥/ ١٢٩)، والصحاح (١/ ٢٦١)، وتهذيب اللغة (٩/ ٦٥)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣١).

(٢) انظر: جامع الرسائل لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٥).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ١٧٤).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٢٠٠، ٤٥٣٤)، ومسلم -واللفظ له- (٥٣٩) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨] فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ».

وكذلك القنوت: هو دعاء الوتر، يسمى قنوتًا، الدعاء الذي يقال في الوتر يسمى قنوتًا.

والقنوت -أيضًا-: الانقياد، وهذا يكون للمؤمن والكافر، ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة:١١٦]، المؤمن والكافر، يعني: منقادون لقضائه وقدره، وما يجريه الله عليهم، ذليلون كلهم، حتى أكبر الكفار وأعتاهم هو ذليل لقضاء الله وقدره؛ ينفذ فيه رغمًا عليه، ولا يمتنع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمصلي إذا طال قيامه، أو ركوعه، أو سجوده فهو قانت)**، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر:٩].

فالقنوت: يطلق أيضًا على طول الصلاة، وطول القيام في الصلاة(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩])**، قالوا: هذه الآية تنطبق على أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه كان طويل القيام في الليل(٢)، حتى إنه روي أنه قرأ القرآن في ركعة واحدة؛ لطول القيام(٣).

---

(١) انظر في معاني القنوت: العين (٥/ ١٢٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٨)، وتهذيب اللغة (٩/ ٦٥)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣١).

(٢) انظر: حلية الأولياء (١/ ٥٥- ٥٦)، والتبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٣٥)، وصفة الصفوة (١/ ١١٥).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٤٥٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦): عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «قَامَ بَعْدَ الْعِشَاءِ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ، لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا». وانظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٨٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى ملخصًا)**، انتهى كلام شيخ الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الحنيف: المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه)**، هذا هو الحنيف، والحنيفية: ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرابعة: أنه ما كان من المشركين)**، متبرئًا من المشركين؛ حتى من أقرب الناس إليه، وهو أبوه.

....

ش: **قلت: يوضح هذا قوله تعالى:** ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]، **أي: على دينه من إخوانه المرسلين، قاله ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤]. **وذكر تعالى عن خليله** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **أنه قال لأبيه آزر:** ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾، **إلى قوله:** ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٨، ٤٩]. **فهذا هو تحقيق التوحيد، وهو البراءة من الشرك وأهله، واعتزالهم، والكفر بهم، وعداوتهم، وبغضهم. فالله المستعان.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: يوضح هذا قوله تعالى:** ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]، **أي: على دينه من إخوانه المرسلين)**، هذا معنى: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]؛ أن يتبرأ من المشركين، ولا يقول: كلهم لهم قناعاتهم، ولهم حرياتهم في العقيدة؛ كما يقوله الجهال والملاحدة اليوم.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣١٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾)، ﴿أَبَدًا﴾، لاحظ! ﴿أَبَدًا﴾، يعني: لن نحبكم إلى أن تؤمنوا بالله، ما دمتم على غير الإيمان بالله، فنحن أعداؤكم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾)، إبراهيم وعد أباه؛ لما حاول معه في أن يدخل في التوحيد والإيمان، أبى، ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم:٤٦]، عند ذلك: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم:٤٧]، ليس بسلام تحية هذا، لا يجوز أن يسلم على الكافر، لكن هذا سلام متاركة؛ يعني: ترك.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥]، هذه متاركة، ليست بتحية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾)؛ لأنه وعده بذلك، وهو أوفى الناس بالوعد، وقال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء:٨٦]، عاتبه الله على ذلك، ورجع عن ذلك؛ ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة:٤]، هذه لا تقتدون به فيها؛ لأنها خطأ وقع فيه، وتاب منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾)، هذا يقوله إبراهيم ومن معه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وذكر تعالى عن خليله** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **أنه قال لأبيه آزر:** ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى﴾، **إلى قوله:** ﴿فَلَمَّا

ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٨، ٤٩])، لما اعتزلهم، وهم من أقرب الناس إليه، فصار وحيدًا في الناس، عوضه الله عَزَّوَجَلَّ، ووهب له الذرية؛ ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٩]، عوضه الله عَزَّوَجَلَّ، ومن ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذا هو تحقيق التوحيد، وهو البراءة من الشرك، وأهله)**، لا تحقق التوحيد إلا إذا تبرأت من الشرك ومن المشركين.

سمعنا من يقول: نحن نتبرأ من الشرك، لكن لا نتبرأ من المشركين، يا سبحان الله! يقول: لا، هؤلاء رجال، وبنو آدم، ولا نتبرأ منهم، نتبرأ من شركهم وعقيدتهم فقط، نقول: لا يكفي هذا؛ تبرأ من الشرك ومن المشركين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذا هو تحقيق التوحيد، وهو البراءة من الشرك، وأهله، واعتزالهم)**، لا تجلس معهم، ولذلك وجبت الهجرة، وهي الانتقال من بلد الكفر إلى بلاد الإسلام فرارًا بالدين[(١)]، لا تقعد معهم وأنت تقدر على الهجرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالله المستعان)**، الله المستعان، هذه صفات عظيمة، قل من يتصف بها.

---

(١) انظر الهجرة في اللغة في: النهاية في غريب الأثر (٥/ ٢٤٣)، ولسان العرب (٥/ ٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص٢٨٨).
وانظر الهجرة في الشرع في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٩٢)، والكافي (١/ ١٨٧)، والمغني (٩/ ٢٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٤)، وفتح الباري (١/ ١٦)، وفتح القدير (١/ ٢١٨).

....

ش: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾؛ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين.

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾: لا للملوك، ولا للتجار المترفين، ﴿حَنِيفًا﴾: لا يميل يمينًا، ولا شمالًا؛ كفعل العلماء المفتونين، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: خلافًا لمن كثر سوادهم، وزعم أنه من المسلمين. اهـ[1].

وقد روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: على الإسلام، ولم يك في زمانه أحد على الإسلام غيره[2].

قلت: ولا منافاة بين هذا، وبين ما تقدم من أنه كان إمامًا يقتدى به في الخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية)، قال المصنف: يعني الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾؛ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين)، أنت إذا حققت التوحيد، وإن كنت وحدك، فإنك مع أمة، تمشي مع أمة؛ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

---

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب -كتاب فضائل القرآن والتفسير- (٢/ ١٨١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٣٠٦).

وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩].

أما إذا لم تحقق التوحيد، فصر مع المبتدعة، ومع المشركين، ومع أهل النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾: **لا للملوك، ولا للتجار المترفين**)، ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾: مخلص؛ يعني: مخلص لله، لا للملوك وملكهم وأبهتهم، ولا للتجار وأموالهم، إنما هو قانت لله وحده، ذليل لله وحده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ حَنِيفًا ﴾ **لا يميل يمينًا ولا شمالًا؛ كفعل العلماء المفتونين**)، حنيف، ينظر تلقاء وجهه على طريقه، ولا يلتفت يمنيًا وشمالًا مثل بعض العلماء الذين يلتفتون إلى الأطماع، وإلى مصاحبة الملوك، ومصاحبة الأغنياء، هو لا يلتفت إلا إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لا يلتفت إلى مخلوق مهما كان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾: **خلافًا لمن كثر سوادهم، وزعم أنه من المسلمين**)، خلافًا لمن كثر سواد المشركين وسكن معهم وخالطهم، ويظن أنه على حق، وهذا ليس على حق، بل يجب عليهم مفارقتهم، حتى وإن كان في بلدهم لا يجلس معهم، مع أن الواجب أنه يهاجر، لكن حتى هو مع كونه في بلدهم لا يصادقهم ولا يخالطهم، بل يبتعد عنهم؛ ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾: **خلافًا لمن كثر سوادهم، وزعم أنه من المسلمين**)، يعني: يقعد معهم ويخالطهم ويصادقهم، ويزعم أنه من

المسلمين، لو كان صادقًا في إسلامه، لصار مع المسلمين، لا يصير مع الكفار، فكونه يميل إليهم، ويرغب في الجلوس معهم، والضحك معهم، فهذا دليل على أنه يحبهم، وأنه لا ينكر عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **في قوله:** ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾: **على الإسلام، ولم يك في زمانه أحد على الإسلام غيره)**، كان واحدًا في زمانه؛ لأنه بين عباد الكواكب، حتى أبوه كان يصنع الأصنام، ويبيعها على الناس، فلم يكن معه أحد، بل هو بين قوم يعبدون الكواكب -النمرود وأتباعه-، ولذلك ناظرهم ليقنعهم، ولكن لم يقتنعوا أيضًا؛ ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾، يعني: بزعمهم، ﴿ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ ﴾، يعني: غابت، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٧٨]، وقبلها يقول: ﴿ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الأنعام:٧٦، ٧٧].

فهو يريد مناظرتهم، ولكن لم يقتنعوا بهذا، وأَجَّجوا النار، وألقوه فيها، وصبر على هذا حتى هاجر، ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ [العنكبوت:٢٦]، هاجر إلى أرض الشام من أرض بابل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهاجر بإسماعيل وأمه إلى مكة المكرمة عند البيت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: ولا منافاة بين هذا، وبين ما تقدم من أنه كان إمامًا يقتدى به في الخير)**، يقتدى به فيما بعد، فالذين يأتون من بعده يقتدون به.

قَوْله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون٥٧-٥٩].

ش: وصف المؤمنين السابقين إلى الجنة، فأثنى عليهم بالصفات التي أعظمها أنهم بربهم لا يشركون، ولما كان المرء قد يعرض له ما يقدح في إسلامه من شرك جلي أو خفي، نفى ذلك عنهم، وهذا هو تحقيق التوحيد، الذي حسنت بهم أعمالهم، وكملت، ونفعتهم.

قلت: قوله: (حسنت، وكملت) هذا باعتبار سلامتهم من الشرك الأصغر، وأما الشرك الأكبر، فلا يقال في تركه ذلك، فتدبر، ولو قال الشارح: صحت، لكان أقوم.

قال ابن كثير: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾، أي: لا يعبدون مع الله غيره، بل يوحدونه، ويعلمون أنه لا إله إلا الله، أحد صمد، لم يتخذ صاحبة، ولا ولدًا، وأنه لا نظير له[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَوْله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون٥٧-٥٩])، هذه الآية الكريمة ذكرها الشيخ في (باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب)؛ لأن هذه الآية ذكر الله فيها صفات هؤلاء.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٨٠).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧]: يخافون الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿مُّشْفِقُونَ﴾، يعني: يخافون الله عَزَّوَجَلَّ خوفًا شديدًا.

﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: يخافون على أنفسهم من العذاب، لا يأمنون، ولا يزكون أنفسهم، هذ صفة ﴿ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

الصفة الثانية: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٥٨]: يؤمنون بالقرآن إيمانًا كاملًا، لا يعتريه شك أنه كلام الله، وأنه متضمن للعقيدة الصحيحة، وأنه محذر من الشرك الذي يضاد التوحيد، وأنه كاف للأمة في عقيدتها، وفي معاملاتها، وفي أخلاقها، وفي جميع ما تحتاج إليه، فالقرآن كاف؛ لأنه كلام رب العالمين، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾، فليس هناك كتاب قبله يكذبه، ولا بعده كتاب يكذبه، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾، ثم قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]: الذي تكلم به وأنزله هو الله جَلَّوَعَلَا، والله كامل في جميع أسمائه وصفاته، وكلامه من صفاته، فيكون كاملًا لا انتقاض عليه، ولا مدخل عليه، ولا نقص فيه، صالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة.

فهم يؤمنون بهذا القرآن، بألفاظه ومعانيه، ويعملون به، ويستقيمون عليه، ويستدلون به، ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

الصفة الثالثة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٩]، لا يشركون به سبحانه، لا يشركون به شيئا مطلقًا؛ لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من الأولياء والصالحين، ولا من الأشجار والأحجار والأصنام،

ولا من القبور والأضرحة، فهم لا يشركون بالله شيئًا، وهذا هو تحقيق التوحيد، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾.

الصفة الرابعة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾: من الأعمال الصالحة العظيمة، ثم لا يعجبون بأنفسهم، بل ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠]: يعملون الأعمال الصالحة، ويخافون ألا تقبل منهم؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات الأربع فقد حقق التوحيد، ويكون من الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وصف المؤمنين السابقين إلى الجنة، فأثنى عليهم بالصفات التي أعظمها أنهم بربهم لا يشركون)**، وهذا هو تحقيق التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولما كان المرء قد يعرض له ما يقدح في إسلامه من شرك جلي أو خفي، نفى ذلك عنهم، وهذا هو تحقيق التوحيد)**، ﴿لَا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٩]، نفى عنهم الشرك بجميع أنواعه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: قوله)**، يعني: قول الشارح الشيخ سليمان، (قلت) هذا كلام المختصر المهذب الشيخ عبد الرحمن بن حسن صاحب فتح المجيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولو قال الشارح: صحت، لكان أقوم)**، بدل (كملت)، الظاهر ليس هناك فرق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال ابن كثير**: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾ **أي: لا يعبدون مع الله غيره، بل يوحدونه**)، يعني: يخلصون التوحيد لله إخلاصًا كاملًا، هذا معنى: ﴿ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويعلمون أنه لا إله إلا الله، أحد صمد، لم يتخذ صاحبة، ولا ولدًا، وأنه لا نظير له**)؛ أنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ واحد أحد فرد صمد، هذا كما في سورة الإخلاص؛ ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ [الإخلاص:٣]: ليس له بداية ولا نهاية، وليس له ولد؛ كما تقوله النصارى في عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: إنه ابن الله)، ولا كما تقوله مشركو العرب: إن الملائكة بنات الله، الله ليس له ولد؛ لا من البنين ولا من البنات.

وانظروا! إن مشركي العرب يكرهون البنات، ويئدون البنات، ويدفونهن كراهية وهن أحياء تحت التراب، وينسبون البنات إلى الله، ينسبون إلى الله ما يكرهون، هذا من العجائب؛ ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ [النحل:٥٧]: يشتهون الذكور، الأبناء، ينسبونهم لأنفسهم، وأما البنات يكرهونها ويقتلونها، ومع هذا ينسبونها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ. قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. ثُمَّ نَهَضَ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ. ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري [(٥٧٠٥ ، ٥٧٥٢ مطولًا)، و (٣٤١٠، ٦٤٧٢، ٦٥٤١ مختصرًا]، ومسلم (٢٢٠)، والترمذي (٢٤٤٨)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٩٦).

ش: هكذا أورده المصنف غير معزو، وقد رواه البخاري مختصرًا ومطولًا، ومسلم، واللفظ له، والترمذي، والنسائي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ**)، حصين بن عبد الرحمن: هذا أحد التابعين.

وسعيد بن جبير: من أعلام وأئمة التابعين رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من تلاميذ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ووقع في فتنة ابن الأشعث، والخروج على عبد الملك، فقتله الحجاج في فتنة ابن الأشعث، وهو إمام جليل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِى انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا**)ـ يسأل أصحابه الجلساء الذين عنده: (أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِى انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟) يعني: الشهاب الذي ترمى به الشياطين حفظًا للسماء من استراق السمع، والكوكب لا ينقض نفسه، ولكن ينقض منه شظية أو شهاب، فيحرق الشيطان الذي يحاول استراق السمع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَقُلْتُ: أَنَا**)، قال حصين: أنا رأيته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ**)، خشي على نفسه من الرياء، خشي أن يظن الحاضرون أنه يتهجد، فرأى الكوكب الذي انقض، فدفع عن نفسه هذا؛ لأنه لا يزكي نفسه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَكِنِّي لُدِغْتُ**)، يعني: أنه سهر، ورأى الكوكب لأنه لدغته ذات سموم، لدغته عقرب، أفرغت فيها سمها فآلمته، ولم ينم تلك الليلة، والحاصل من هذا: الخوف من الرياء.

انظر! تحقيقهم للتوحيد: خاف من الرياء؛ أن الناس يظنون أنه قائم يصلي، وإنما هو ملدوغ، ليس هو من الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟**)، العادة أن الذي يلدغ يتعالج، يتعاطى شيئًا يبرئه من السم، وهذا شيء لا بأس به، الإنسان يتداوى، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَدَاوَوْا وَلَا تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»(١)، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»(٢).

فالتداوي لا يقدح في التوحيد، ولا يقدح في العقيدة -والحمد لله-، ولا ينقص التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ**)، يعني: طلبت من يرقيني؛ لأن من علاج اللدغة: الرقية، وتبرأ بإذن الله؛ كما رقى الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ سيد القوم الذي نزلوا عليه، ولُدِغ، عندما طلبوا من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أحدًا يرقي، فقالوا لهم: نرقي، ولكن أنتم لم تضيفونا، فلا نرقي إلا بجعل -يعني: بأجرة-، فأعطوهم قطعيًا من الغنم. ذهب واحد من الصحابة، وقرأ الفاتحة على اللديغ، فبرأ كأن لم يكن به شيء، «فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ»، أخذوا القطيع، وقدموا به على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: لا تتصرفوا فيه إلا بعد أن تستشيروا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٥٠، ٧/ ٣٨، ٢٧١، ٣٠١)، وابن ماجه (٣٤٣٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»(١)، **«اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»**(٢)، يريد أن يطيب خواطرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لتطمئن نفوسهم أن هذا شيء حلال.

فيجوز للراقي أن يأخذ على الرقية؛ كما يجوز للمدرس -مدرس القرآن- أن يأخذ مقابل التدريس شيئًا؛ ليقتات به هو وأولاده، لا بأس بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرُّوا بِمَاءٍ، فِيهِمْ لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَاءِ، فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ، إِنَّ فِي المَاءِ رَجُلًا لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ عَلَى شَاءٍ، فَبَرَأَ، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللهِ أَجْرًا، حَتَّى قَدِمُوا المَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللهِ أَجْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»**.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: **«وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟»**، ثُمَّ قَالَ: **«قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا»**، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ)**، هو لم ينكر عليه الرقية، أنكر عليه طلب من يرقيه، فكونك تطلب الرقية، هذا مكروه؛ لأن فيه حاجة إلى الناس، أما إذا رقيت نفسك، أو جاء واحد ورقاك هو، ولم تطلب منه، فلا بأس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ على ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ)**، يسأله عن الدليل، أنت ارتقيت، لكن ما الدليل على جواز ما فعلت؟ وهكذا السلف الصالح لا يعملون إلا بدليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الأَسْلَمِيِّ)**، الصحابي الجليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ)**، يعني: لا رقية أنفع من الرقية من العين -إصابة العين-، والعين حق، أَوْ حُمَةٍ: وهي اللدغة.

فحصين بن عبد الرحمن أخذ بهذا الحديث، فطلب من يرقيه، ووجه المؤاخذة: أنه طلب من يرقيه؛ كما يأتي أنهم لا يسترقون؛ لأن طلب الرقية من الغير فيه احتياج إلى الناس، فكون الإنسان يستغني بنفسه، ولا يسأل أحدًا شيئًا، هذا من تحقيق التوحيد، هو جائز أنك تطلب من يرقيك، لكن من تحقيق التوحيد أن تستغني عن الناس، انظر دقة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ)**، لا رقية، يعني: أنفع من العين والحمة، ليست محصورة على

العين والحمة، الرقية من جميع الأمراض، ولكن أنفع الرقى: الرقية من هذين الدائين: العين، أو الحمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهى إلى مَا سَمِعَ**)، لما ذكر له الدليل، قَالَ: (أَحْسَنَ مَنِ انْتَهى إلى مَا سَمِعَ)، ولكنه أرشده إلى أن يستغني عن الناس، فصوبه على فعله، وأنه استدل بالحديث على طلب الرقية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ**)، ولكن؛ يعني: عندي حديث أحوط من هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا)؛ لأن سعيد بن جبير من تلاميذ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنَّهُ قَالَ**: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ**»)، عرضت الأمم على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من كرامته ومعجزاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عرضت عليه عرضًا حقيقيًّا، رآها.

«**فَرَأَيْتُ النبي وَمَعَهُ الرَّهْطُ**»، الرهط: يعني جماعة قليلين، الرهط: من التسعة إلى الثلاثة، انظر! ليس معه أحد من الأمة إلا ثلاثة إلى تسعة.

«**وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»، وهذا أقل، هذا لم يتبعه من قومه إلا رجل واحد أو رجلان، بل النبي وليس معه أحد، لم يتبعه أحد من قومه، فهذا فيه دليل على أنه لا يستدل بالكثرة، وإنما يستدل بمن هو على الحق، ولو كان واحدًا.

«**إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ**»، بعد ذلك عُرِض عليه سواد عظيم، ناس كثيرين غطوا الأفق.

«**فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي**»، ظن أن هذه الجماعة الكبيرة أمته؛ لأنه يرجو أن يكون أكثر الرسل أتباعًا، يرجو أن يكون أكثرهم تابعًا.

«**فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ**»، وهذا فيه فضل موسى صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنه تبعه ناس كثيرون من بني إسرائيل.

«**فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ**»، هذه أمتك، سواد عظيم آخر، فقيل للرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، هذا محل الشاهد.

قوله: (**ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ**)، يقول ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا: نهض النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ودخل منزله، ولم يبين لهم من هم هؤلاء السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب -هذه منزلة عظيمة-، فأخذوا يتوقعون، كل يتوقع، بعضهم قال: لعلهم الصحابة، لعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأن الصحابة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ هم أفضل الأمة، قال آخرون: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا، ذكروا أشياء من هذه الاجتهادات، هذا من حرصهم على الخير؛ ليعرفوا هؤلاء السبعين ألفًا؛ حتى يقتدوا بهم.

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: (**فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ**)؛ من هم؟ هؤلاء شأنهم عظيم، الصحابة يحرصون على الخير، ويريدون مثل هذا لهم.

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: (**فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ** صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، لأن الصحابة هم أفضل الأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ**)، يعني: أنهم لم يسبق أنهم أشركوا بالله شيئًا، أسلموا وتابوا، ولكن كانوا في الأول مشركين، والذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئًا يرون أنهم هم أكمل، وفي الواقع أن المشركين إذا تابوا وأصلحوا، لايضرهم ما مضى، ولا ينقص من فضلهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَخَرَجَ عليهِمْ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَأَخْبَرُوهُ**)، أخبروه بما حصل منهم من البحث عن هؤلاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»**)، هؤلاء هم السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

«**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ**»، يعني: لا يطلبون من الناس أن يرقوهم، بل يستغنون بالله عَزَّوَجَلَّ؛ إما أن يرقوا أنفسهم هم، وإما أن يسمحوا لمن يريد أن يرقيهم، أما أنهم يطلبون من الناس؟ لا، هذا من باب الكمال، وإلا هو جائز أنك تطلب أن واحدًا يرقيك، ولكن الأولى تركه.

«**وَلَا يَكْتَوُونَ**»، الكي المعروف؛ لأن الكي تعذيب بالنار، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره الكي، الكي جائز ومباح، ولكن لما فيه من مس النار كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرهه، فالكي مكروه، وليس حرامًا.

«**وَلَا يَتَطَيَّرُونَ**»: لا يتشاءمون، ويأملون الشر بالطير، ويتشاءمون بها في طيرانها، وفي نوعها، وفي اتجاهاتها كما في الجاهلية، هذا شرك، الطيرة شرك؛

لأنه اعتقاد بالمخلوق أنه يضره، «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»؛ كما في الحديث[(١)].

فهؤلاء تركوا المكروه وهو الاسترقاء والكي، وتركوا المحرم وهو الطيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ**)، انظر! حرص الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«قَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ»**)، هذا من علامات نبوءته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أخبر أن هذا الرجل من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وقد تحقق ذلك، فقد استشهد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حرب طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة، ثم إن الله هدى طليحة وتاب، لكن عكاشة قُتِل في الجهاد في سبيل الله شهيدًا، والشهيد يكون في الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»**)، هذا إخبار من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تحقق في أن عكاشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قُتِل في سبيل الله شهيدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»**)، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم أن هذا الرجل ليس من السبعين ألفًا، ولكن لم يصدمه، ويقول: لا، لست منهم، بل قال: «**سَبَقَكَ بِهَا**

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عُكَّاشَةُ»، هذا من حسن أخلاقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلطفه مع الناس، وأيضًا خشي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقوم غيره -أيضًا-، وغيره، وغيره، ويتكاثر الطلب عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هكذا أورده المصنف غير معزو)**، غير معزو لمن خرجه من الحفاظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد رواه البخاري مختصرًا ومطولًا، ومسلم، واللفظ له، والترمذي، والنسائي)**، إذا صار الحديث صحيحًا، ليس بلازم العزو، من أشكل عليه، يراجع ويجده، يبحث عنه.

....

ش: قوله: (عن حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) هو: السلمي، أبو الهذيل الكوفي، ثقة، مات سنة ست وثلاثين ومائة، وله ثلاث وتسعون سنة(١).

وسعيد بن جبير: هو الإمام الفقيه من جلة أصحاب ابن عباس، روايته عن عائشة، وأبي موسى مرسلة، وهو كوفي، مولى لبني أسد، قُتِل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين(٢).

قوله: «انْقَضَّ» -هو بالقاف، والضاد المعجمة-، أي: سقط.

و «الْبَارِحَةَ» هو: أقرب ليلة مضت.

قال أبو العباس ثعلب: يقال قبل الزوال: رأيت الليلة، وبعد الزوال: رأيت البارحة، وكذا قال غيره، وهي مشتقة من برح، إذا زال(٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (و «الْبَارِحَةَ» هو: أقرب ليلة مضت)، البارحة: ما يلي الليلة أو اليوم الذي أنت فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو العباس ثعلب)، أبو العباس ثعلب: هذا من أئمة اللغة، مشهور.

---

(١) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (ص ١٧٩)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٦/ ٥١٩)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٦٣٣)، وميزان الاعتدال في نقد الرجال (١/ ٥٥١).

(٢) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (ص ١٣٣)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١١٠٠)، وإكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥/ ٢٦٧).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٥/ ٢١، ١٥/ ٣١٩)، والصحاح (١/ ٣٥٥)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٣٩)، والمحكم لابن سيده (٣/ ٣٢٥).

....

ش: قوله: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ» قال في «مغني اللبيب»: «أَمَا» بالفتح، والتخفيف على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف استفتاح بمنزلة ألا، فإذا وقعت «أن» بعدها كسرت.

الثاني: أن تكون بمعنى حقًّا، أو أحق.

وقال آخرون: هي كلمتان: الهمزة للاستفهام، و«ما»: اسم بمعنى شيء، أي: أذلك الشيء حق؟ فالمعنى أحق هذا؟ وهو الصواب، و«ما» نُصِب على الظرفية، وهذه تفتح «أن» بعدها. انتهى[1].

والأنسب هنا هو الوجه الأول، والقائل هو حصين، خاف أن يظن الحاضرون أنه رآه، وهو يصلي، فنفى عن نفسه إيهام العبادة، وهذا يدل على فضل السلف، وحرصهم على الإخلاص، وبعدهم عن الرياء والتزين بما ليس فيهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال في مغني اللبيب)، يعني: المبرد؛ قال المبرد -وهو من أئمة اللغة- في «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، وهو كتاب مشهور في اللغة العربية.

---

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص٧٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أحدهما: أن تكون حرف استفتاح بمنزلة ألا، فإذا وقعت «أن» بعدها كسرت)**، «أَمَا إِنِّي»، مثل: ألا، حرف استفتاح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثاني: أن تكون بمعنى حقًّا، أو أحق)**، هذا بحث لغوي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال آخرون: هي كلمتان: الهمزة للاستفهام، و«ما»: اسم بمعنى شيء، أي: أذلك الشيء حق؟)**، هذا بحث لغوي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو الصواب، و«ما» نُصِب على الظرفية، وهذه تفتح «أن» بعدها. انتهى)**، هذا كلام المبرد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والقائل هو حصين، خاف أن يظن الحاضرون أنه رآه، وهو يصلي)**، خاف على نفسه من الرياء، وأن يمدح بها لم يفعل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فنفى عن نفسه إيهام العبادة)**، إيهام الناس أنه يصلي، أنه في عبادة.

ش: وقوله: «وَلَكِنِّي لُدِغْتُ» -بضم أوله، وكسر ثانيه-، قال أهل اللغة: يقال: لدغته العقرب وذوات السموم، إذا أصابته بسمها، وذلك بأن تأبره بشوكتها[١].

قوله: «قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ» لفظ مسلم «استرقيت»، أي: طلبت من يرقيني.

قوله: «فَمَا حَمَلَكَ على ذَلِكَ؟»، فيه طلب الحجة على صحة المذهب.

قوله: (حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ) اسمه: عامر بن شراحيل الهمداني، ولد في خلافة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو من ثقات التابعين، وفقهائهم، مات سنة ثلاث ومائة[٢].

قوله: (عَنْ بُرَيْدَةَ) -بضم أوله، وفتح ثانيه- تصغير بردة، ابن الحصيب - بضم الحاء، وفتح الصاد المهملتين - ابن الحارث الأسلمي، صحابي شهير. مات سنة ثلاث وستين. قاله ابن سعد[٣].

---

(١) انظر: الصحاح (٤/ ٣٢٥)، وكفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية (ص١٤٦)، وتفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص١٦٠)، وتحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح (ص٣٧٩).

(٢) انظر في ترجمته: أخبار القضاة (٢/ ٤١٣)، ومشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (ص ١٦٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٤/ ٢٨)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٧٠).

(٣) انظر: الطبقات لابن سعد (٧/ ٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أهل اللغة: يقال: لدغته العقرب وذوات السموم، إذا أصابته بسمها، وذلك بأن تأبره بشوكتها)**، العقرب تصيب بشوكتها، الشولة التي خلفها فيها إبرة، ترونها إبرة تدافع عن نفسها بها، إذا خشيت من أحد، لدغته، وأما الثعبان، فإنها تلدغ بسنها، تكون معبأة بالسم، تفرغ السم في اللديغ -والعياذ بالله-، تدافع عن نفسها -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ» لفظ مسلم «استرقيت»، أي: طلبت من يرقيني)**، يعني: طلبت من يرقيني، كله واحد: ارتقيت: يعني طلبت، أو استرقيت، المعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَمَا حَمَلَكَ على ذَلِكَ؟» فيه طلب الحجة على صحة المذهب)**، ما دليلك على جواز الاسترقاء، وطلب الرقية من الناس، ما دليلك؟ لأنهم لا يعملون إلا بدليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ) اسمه: عامر بن شراحيل الهمداني)**، الشعبي اسمه عامر بن شراحيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قاله ابن سعد)**، قاله ابن سعد صاحب الطبقات التي فيها تراجم الرواة وسيرهم.

ش: قوله: «لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»، وقد رواه أحمد، وابن ماجه عنه مرفوعًا[(١)]، ورواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن عمران بن حصين به مرفوعًا[(٢)]، قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات.

والعين هي: إصابة العائن غيره بعينه.

والحمة -بضم المهملة وتخفيف الميم- سم العقرب، وشبهها.

قال الخطابي: (ومعنى الحديث: لا رقية أشفى، وأولى من رقية العين والحمة، وقد رقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٣)]، ورُقِي[(٤)])[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦١- ٢٦٢)، وابن ماجه (٣٥١٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣٣/ ١٣٩، ١٥٧، ٢١٢)، وأبو دواد (٣٨٨٤)، والترمذي (٢٠٥٧).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٥١) (٢١٩٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا».

وكما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٥٠) (٢١٩٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي».

وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**».

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢١٨٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ».

(٥) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٦٠٦)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٦٢)، والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٠/ ٢١٨).

ابن ماجه بالهاء، ليس بالتاء؛ لأن بعضهم يغلط ويقول: (ابن ماجة)، ابن ماجه بالهاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد رواه أحمد، وابن ماجه عنه مرفوعًا)**، عن بريدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات)**، قال الهيثمي: هذا صاحب كتاب الزوائد.

والهيثمي خلاف الهيتمي، هذا من علماء مكة شافعي، ابن حجر الهيتمي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والعين هي: إصابة العائن غيره بعينه)**، إصابة العائن غيره بعينه، إذا نظر إليه أصيب، وهذا من آيات الله عَزَّوَجَلَّ؛ حيث إن بعض النظر مسموم يصيب من وقع عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الخطابي)**، الخطابي أبو سليمان الإمام الجليل شارح الترمذي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الخطابي: ومعنى الحديث: لا رقية أشفى، وأولى من رقية العين)**، يعني: ليس مقصورًا على الرقية من العين والحمة، لكن الرقية من العين والحمة هي أنفع الرقى، مثلما لو تقول: لا عالم إلا زيد، ليس معناه أنه ليس هناك علماء غيره، يعني: لا عالم أقوى من علم زيد، أو ما أشبه ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد رقى النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ورُقِي)**، رقى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، ورُقِي، رقاه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما سُحِر، الرقية جائزة، إنما الكلام على أنك تطلب من الناس الرقية، والأولى أنك تستغني عنهم.

....

ش: قوله: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهى إلى مَا سَمِعَ» أي: من أخذ بما بلغه، وعمل به، فقد أحسن، بخلاف من يعمل بجهل، أو لا يعمل بما يعلم، فإنه مسيء آثم، وفيه: فضيلة علم السلف، وحسن أدبهم.

قوله: «وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ» هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعا له، فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[1]، فكان كذلك، مات بالطائف سنة ثمان وستين[2].

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه: عمق علم السلف؛ لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا، فعُلِم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهى إلى مَا سَمِعَ» أي: من أخذ بما بلغه، وعمل به، فقد أحسن)، تأخذ بما بلغك من الدليل، هذا قد أحسنت، ولو لم تعلم الدليل الثاني، أنت إلى ما سمعت، وتكون مصيبًا إلى أن يبلغك دليل آخر أولى منه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بخلاف من يعمل بجهل)، بخلاف من يعمل بغير دليل، وإنما باجتهاده وظنه وتخرصه، هذا لا يجوز، العمل لا يجوز إلا بالدليل.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٥، ٢٤٤- ٥/ ٦٥، ١٦٠، ٢١٥)، وابن حبان (١٥/ ٥٣١)، وابن راهويه (٤/ ٢٣٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٣)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٣٧، ٢٦٣- ١١/ ١١٠، ٢١٣-١٢/ ٧٠).

(٢) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار (ص ٢٨)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٦٩٩)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٦٥٨)، وإكمال تهذيب الكمال (٨/ ١٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو لا يعمل بما يعلم)**، أو يعمل بأحاديث ضعيفة أو مكذوبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنه مسيء آثم)**، الذي يعمل بغير دليل مسيء آثم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: فضيلة علم السلف، وحسن أدبهم)**؛ أنهم يتبعون الدليل، وأنهم يتخاطبون بلطف فيما بينهم، ولا يحتقر بعضهم بعضًا أو يجهل بعضهم بعضًا، فهذا الحديث فيه أدب السلف فيما بينهم في محاوراتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ»)**، أنت أحسنت، عملت بالدليل الذي عرفت، ولكن أنا عندي حديث آخر أولى منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(دعا له، فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، فكان كذلك)**، وكان كذلك أن الله فقهه في الدين، فهو أفقه الصحابة، ولذلك يقال له: حبر الأمة.

وأيضًا علمه الله تفسير القرآن، امتاز به عن غيره، وصار يسمى ترجمان القرآن ببركة دعوة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مات بالطائف سنة ثمان وستين)**، مات بالطائف؛ لأنه استوطن الطائف في آخر حياته، ومات بها، ودُفِن بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه)**، قال المصنف: الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (فيه)، أي: في الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيه: عمق علم السلف؛ لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا)**، ولكن إذا كان هناك أولى

من الدليل الذي مع من تخاطبه تبينه له، وإن كان هو مصيبًا فيما عمل في حد علمه، ولكن إذا كان عندك زيادة علم، فبلغه بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وفيه: عمق علم السلف؛ لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع)**، أثنى عليه، قال: أحسنت، أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولم يقل له: أخطأت، وهناك حديث أصح من هذا، أحسن من هذا، وأنت أخطأت، لم يقل له هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فعُلِم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني)**، لكن الثاني أولى منه، الذي عمله حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جائز، ولكن هناك ما هو أفضل منه.

....

ش: قوله: «عُرِضَتْ علي الأُمَمُ»، في الترمذي، والنسائي من رواية عَبْثَر ابن القاسم، عن حصين بن عبد الرحمن، أن ذلك كان ليلة الإسراء.

قال الحافظ: فإن كان ذلك محفوظًا، كان فيه قوة لمن ذهب إلى تعدد الإسراء، وأنه وقع بالمدينة أيضًا[1]. قلت: وفي هذا نظر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «عُرِضَتْ علي الأُمَمُ»، في الترمذي، والنسائي من رواية عَبْثَر بن القاسم، عن حصين بن عبد الرحمن، أن ذلك كان ليلة الإسراء)**، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عُرِضَتْ علي الأُمَمُ»**، في أي وقت حصل هذا؟

جاء في هذه الرواية أنها ليلة الإسراء؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال فيها: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:١]، وهذا من آيات الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ: فإن كان ذلك محفوظًا، كان فيه قوة لمن ذهب إلى تعدد الإسراء)**، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن كان ذلك محفوظًا أنه كان في ليلة الإسراء فهذا يدل على تعدد الإسراء، والمسألة فيها خلاف ضعيف، والصحيح أن الإسراء إنما حصل مرة واحدة ولم يتعدد، لكن لما كثرت الروايات مع أن الحادثة واحدة، بعضهم حمل هذا على تعدد الإسراء،

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٠٧).

وليس الأمر كذلك؛ الإسراء لم يتعدد، إنما هو ليلة واحدة، ولكن الجواب الصحيح: أنه لابد من ترجيح بين الراويات، فيؤخذ بالرواية الراجحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه وقع بالمدينة أيضًا)**، لم يقع في المدينة، ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء:١]، قبل الهجرة، فكيف يقع في المدينة؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وفي هذا نظر)**، يقول الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه نظر أن الإسراء تعدد، وأنه حصل في المدينة.

....

ش: قوله: «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ»، والذي في صحيح مسلم: الرهيط بالتصغير لا غير، وهم الجماعة دون العشرة، قاله النووي(١).

قوله: «وَالنبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنبي لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»، فيه الرد على من احتج بالكثرة.

وقوله: «إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ» المراد به هنا: الشخص الذى يرى من بعيد(٢).

قوله: «فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي»؛ لأن الأشخاص التي تُرى في الأفق لا يدرك منها إلا الصورة.

وفي صحيح مسلم: «وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الأُفُقِ الآخَرِ»(٣)، ولم يذكره المصنف، فلعله سقط في الأصل الذى نقل الحديث منه. والله أعلم.

قوله: «فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ»، أي: موسى بن عمران، كليم الرحمن، وقومه: أتباعه على دينه من بني إسرائيل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ»، والذي في صحيح مسلم: الرهيط بالتصغير لا غير)، والرهط: هو ما بين الثلاثة إلى التسعة، هذا هو الرهط، يعني: نبي لم يتبعه إلا هذا العدد.

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٩٣- ٩٤).

(٢) انظر: العين (٧/ ٢٨١)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٤١)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢٤)، والصحاح (٢/ ٤٩٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣٧٤) (٢٢٠)، ولفظه: «... فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ ...».

والرهيط تصغير يدل على القلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالنبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ»)**، هذا أقل من الرهط، ليس معه إلا رجل، يعني: لم يتبعه من قومه إلا رجل أو رجلان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«وَالنبي لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»)**، وهذا آخر قلة الأتباع، ليس معه أحد، هناك أنبياء لم يتبعهم أحد من أممهم مع أنهم بلغوا رسالات ربهم، دعوا إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالنبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنبي لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»، فيه الرد على من احتج بالكثرة)**، فيه الرد على من احتج بالكثرة، والكثرة ليست حجة؛ لأن الكثرة يكونون على الضلال في الأكثر؛ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، فليست الكثرة دليلًا على الحق، الحق يكون مع من أخذ بالدليل من الكتاب والسنة، ولو كان واحدًا، وهو الجماعة، يسمى جماعة -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ»)**، رُفِعَ: على الأفق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ» المراد به هنا: الشخص الذى يُرى من بعيد)**، السواد: هو الشخص الذي يُرى من بعيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي»)**، لكثرتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي»؛ لأن الأشخاص التي تُرى في الأفق لا يدرك منها إلا الصورة)**؛ لأنه قال: ظننت؛ لأن الذي يُرى من بعيد لا يجزم به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ»)**، هذا فيه دليل على فضل موسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه تبعه الكثير من بني إسرائيل؛ لأن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أنبياء بني إسرائيل، وقد خلص الله به بني إسرائيل من ظلم فرعون وبطشه، خلصهم الله بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ» أي: موسى بن عمران، كليم الرحمن)**، موسى بن عمران: كليم الرحمن؛ لأن الله يكلمه مباشرة من غير واسطة الملك؛ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، هذا من اختصاص موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ أن الله يكلمه، ويسمع موسى كلامه وخطابه بدون واسطة الملك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقومه: أتباعه على دينه من بني إسرائيل)**، أتباع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كلهم من بني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

....

- -

ش: قوله: «فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، أي: لتحقيقهم التوحيد.

وفي رواية ابن فضيل: «ويدخل الجنة من هؤلاء من أمتك سبعون ألفًا»(١).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين أنهم: «تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا»)، فأكثر الأنبياء أتباعًا هو رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن بعده موسى -عليهما الصلاة والسلام.

كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ»، يعني: معجزة، «وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ»، وهو القرآن، فمعجزة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكبرى والخالدة: هي القرآن الذي أعجز الجن والإنس؛ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، وكيف يأتون بمثله، وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ؟! لا يستطيعون ذلك.

---

(١) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥/ ٢٦٥)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨١١، ٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

قال ﷺ: «**فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)؛ لأن معجزته متميزة وباقية، معجزة الرسول ﷺ باقية -وهي القرآن- إلى أن تقوم الساعة، وأما معجزات الأنبياء، فإنها تنتهي بوقتها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»**)، هذا محل الشاهد: من حقق التوحيد دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، هذا هو الشاهد من الحديث: «**وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»، وغيرهم يحاسبون؛ فمنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، ومنهم من يناقش الحساب؛ «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ**»(٢)، ولكنه لا يخلد في النار، يعذب فيها مدة، ثم يخرج منها بإذن الله، فيدخل الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي حديث أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **في الصحيحين أنهم: «تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»**)، لشرفهم وكرامتهم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا فيه فضل تحقيق التوحيد.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) سبق تخريجه (ص٤٩٠).

ش: وروى الإمام أحمد، والبيهقي في حديث أبي هريرة: «**فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي** عَزَّوَجَلَّ، **فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**»(١).

قال الحافظ: وسنده جيد(٢).

قوله: «**ثُمَّ نَهَضَ**»، أي: قام.

قوله: «**فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ**»، هذا من العام الذي أريد به الخصوص، أي: جملة الحاضرين.

خاض -بالخاء، والضاد المعجمتين-، وفي هذا إباحة المناظرة والمباحثة في نصوص الشرع على وجه الاستفادة، وبيان الحق، وفيه عمق علم السلف؛ لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل، وفيه حرصهم على الخير، ذكره المصنف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وروى الإمام أحمد، والبيهقي في حديث أبي هريرة: «**فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي** عَزَّوَجَلَّ **فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**»)، يعني: طلبت منه الزيادة من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب من أمتي؛ لحرصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفع هذه الأمة، فزاده الله عَزَّوَجَلَّ.

هذا دليل على أن من يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ليسوا محصورين في سبعين ألفًا.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٢، ١٤/ ٣٢٦)، والبيهقي في البعث والنشور (ص ٢٤٤).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٤١٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ: وسنده جيد)**، الحافظ ابن حجر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «ثُمَّ نَهَضَ» أي: قام)**، ثم لما قال هذا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبين من هؤلاء السبعون ألفًا، فنهض، يعني: قام من مجلسه، ودخل في منزله، وبقي الصحابة يتوقعون من هم هؤلاء السبعون ألفًا؛ لحرصهم على الخير، وكل أتى برأيه، إلا أن خرج عليهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَخَاضَ النَّاسُ في أُولَئِكَ»، هذا من العام الذي أريد به الخصوص، أي: جملة الحاضرين)**، قوله: «النَّاسُ»، «الناس» كلمة عامة تعم كل الناس، لكن المراد بهم الحاضرون في هذا المجلس، فهو عموم يراد به الخصوص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(خاض -بالخاء، والضاد المعجمتين-)**، يعني: بحثوا، خاضوا يعني: بحثوا؛ لحرصهم على الخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا إباحة المناظرة، والمباحثة في نصوص الشرع على وجه الاستفادة، وبيان الحق)**، في هذا الحث على تأمل نصوص الشرع والاستفادة منها، وأنه لا يكفي أنها تمر فقط، لابد من البحث فيها، والاستفادة منها، والعمل بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا إباحة المناظرة والمباحثة في نصوص الشرع على وجه الاستفادة، وبيان الحق)**، لا على وجه التعنت والشك، فهناك من يتعنت على النصوص، ويشكك فيها، هذا لا يسمى مناظرة، ولا يسمى بحثًا، هذا يسمى اعتراضًا على الوحي، وما أكثر من يفعلون هذا الآن في نصوص الكتاب والسنة؛ ليخضعوها لآرائهم وأفكارهم!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه عمق علم السلف؛ لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل)**، وفيه عمق علم السلف؛ لأنهم فهموا أنهم لم ينالوا هذه المرتبة إلا بعمل، فما هو هذا العمل من أجل أن يعملوا مثلهم، هذا من حرصهم على الخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذكره المصنف)**، ذكره المصنف في مسائل هذا الباب.

....

ش: **قوله: «فَقَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ»، هكذا ثبت في الصحيحين، وهو كذلك في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسند أحمد[1].**

وفي رواية لمسلم: «لَا يَرْقُونَ»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هذه الزيادة وهم من الراوي، لم يقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَرْقُونَ»، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سئل على الرقى: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»[3]، وقال: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا»[4].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «**فَقَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ**»)، يعني: لا يطلبون من يرقيهم، بل هم يرقون أنفسهم، أو يسمحون لمن يرقيهم بدون سؤال؛ لأن طلب الرقية فيه حاجة إلى الخلق، فهم استغنوا عن الخلق، وترفعوا عن السؤال؛ استغناء بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا لقوة إيمانهم، ولتحقيقهم للتوحيد؛ لأن سؤال الناس ينقص التوحيد، والاستغناء عنهم يكمل التوحيد.

هناك رواية: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ**»، وهذه غلط كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذه غلط، الرواية الصحيحة: «**لَا يَسْتَرْقُونَ**»، أما «**لَا يَرْقُونَ**»،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٢، ٦/ ٣٥٤، ٣٧٠، ٧/ ٣٥٩، ٣٣/ ١٤٣، ١٨٠، ١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٧٤) (٢٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩٩) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذه غلط؛ لأن الرسول ﷺ رقى، ورُقِي ﷺ، وأمر بالرقية؛ لأنها من نفع المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ» هكذا ثبت في الصحيحين)**، «**لَا يَسْتَرْقُونَ**»، هذه الرواية الثابتة، أما رواية: «**لَا يَرْقُونَ**» هذه غير صحيحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال النبي** ﷺ **وقد سئل على الرقى: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»)**، فقوله: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**» فيه بذل الرقية للمحتاج إليها بدون سؤال؛ لأنها من نفع المسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا»)**، قال ﷺ للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ**»؛ لينظر فيها ما هو الصحيح، وما هو غير الصحيح منها، «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا**»، فالرقية من الكتاب والسنة، والمتضمنة لدعاء الله عَزَّ وَجَلَّ لا بأس بها، هذا من النفع، ومن العبادة لله.

....

ش: قال: وأيضًا فقد رقى جبريل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١]، و رقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه[٢].

قال: والفرق بين الراقي والمسترقي: أن المسترقي سائل مستعط، ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن.

قال: وإنما المراد وصف السبعين ألفًا بتمام التوكل، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يكويهم)[٣]. وكذا قال ابن القيم[٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال: وأيضًا فقد رقى جبريل النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، فدل على أن بذل الرقية للمريض مطلوب، وهو فعل خير، وإحسان إلى الناس؛ أن الإنسان يرقي المصاب لو رآه، ولو لم يسأله.

وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُحِر، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِر، سحره اليهود، وأثر فيه السحر، فصار يخيل إليه أنه فعل الشيء، ولم يكن فعله، لكن هذا لم يؤثر على الوحي وعلى بلاغ الرسالة، لم يؤثر؛ لأنه

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٢٣).
(٢) سبق تخريجه (ص٥٢٣).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٨٢، ٣٢٨)، والمستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٧).
(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٩٥).

معصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما هذا نوع من المرض، والأنبياء يمرضون؛ يأتي عليهم ما يأتي على البشر من المرض وغير ذلك من الآفات؛ لأنهم بشر.

فلما أثر السحر في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ورقاه، فشفاه الله، وأخبره بمكان السحر المخفي، فأرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من استخرجه، ثم أمر به فأحرقه، فهذا مما يعالج به السحر؛ أنه يعالج بالرقية الشرعية.

ثانيًا: إذا عُثِرَ عليه فإنه يحرق، وهذا من أسباب الشفاء منه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(و رقى النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أصحابه)**، ورقى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فبذل الرقية معروف، فهذا من فعل المعروف والإحسان دون سؤال من المريض.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال: والفرق بين الراقي والمسترقي: أن المسترقي سائل مستعط، ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن)**، الفرق بينهما -الراقي والمسترقي-: المسترقي الذي يطلب الرقية هذا به حاجة إلى الناس، وأما الراقي، فهو محسن إلى الناس، ولا يسألهم شيئًا، هذا فرق بينهما.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال: والفرق بين الراقي والمسترقي: أن المسترقي سائل مستعط، ملتفت إلى غير الله بقلبه)**، محتاج إلى المخلوقين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال: وإنما المراد وصف السبعين ألفًا)**، هذا كله كلام شيخ الإسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال: وإنما المراد وصف السبعين ألفًا بتمام التوكل، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يكويهم)**، تمام التوكل: أنهم يطلبون

حوائجهم من الله، ولا يطلبونها من المخلوقين، ويشكون ما أصابهم إلى الله؛ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]، فهم يكونون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يسألون المخلوقين، ولا يشكون ما أصابهم إلى المخلوقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذا قال ابن القيم)**، مثل كلام شيخه، وابن القيم ذكر هذا في «زاد المعاد» في باب الطب(١).

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٧٦- ٤٧٨).

ش: قوله: «وَلَا يَكْتَوُونَ»، أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم؛ كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم؛ استسلامًا للقضاء، وتلذذًا بالبلاء.

قلت: والظاهر أن قوله: «وَلَا يَكْتَوُونَ» أعم من أن يسألوا ذلك، أو يُفعل بهم ذلك باختيارهم.

أما الكي في نفسه، فجائز؛ كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ طَبِيبًا، فَقَطَعَ لَهُ عِرْقًا، وَكَوَاهُ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَلَا يَكْتَوُونَ» أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم)، أما أن الإنسان يكوي نفسه إذا احتاج إلى ذلك، فلا بأس.

لكن: «وَلَا يَكْتَوُونَ»: لا يطلبون أحدًا؛ مثل: «وَلَا يَسْتَرْقُونَ»، لا يطلبون من أحد أن يكويهم؛ لأن هذا فيه حاجة إلى الناس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَلَا يَكْتَوُونَ»، أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم)، لم يقل: لا يكوون، قال: «وَلَا يَكْتَوُونَ»، يعني: لا يسألون من يكويهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم)، في الحالتين لا يسألون الناس، لا في الرقية ولا في الكي.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(استسلامًا للقضاء، وتلذذًا بالبلاء)**، إذا قوي إيمان الإنسان وصبر، وفوض أمره إلى الله، ودعا الله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو تحقيق التوحيد، من أنه لا يحتاج إلى الناس، وإن كان هذا جائزًا، لكن تركه أولى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أما الكي في نفسه، فجائز)**، الكي جائز، وهو علاج، لكن آخر الطب الكي، يعني: اجعله آخر شيء؛ لما فيه من التعذيب بالنار، وإلا فهو جائز، وهو علاج -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **«أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **بَعَثَ إِلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ طَبِيبًا، فَقَطَعَ لَهُ عِرْقًا، وَكَوَاهُ»)**، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما مرض أُبَيُّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعث إليه طبيبًا ليعالجه، فقطع عرقًا يؤلمه وكواه، يعني: حسمه بالكي، فدل هذا على أن الكي جائز عند الحاجة إليه، وهو -أيضًا- علاج وطب، لكن إذا وافق مكانه، وكان الكاوي حاذقًا للكي النافع، ويعرف حدوده.

ش: وفي صحيح البخارى عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّهُ كُوِيَ مِنْ ذَاتِ الجَنْبِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَيٌّ»[(١)].

وروى الترمذي وغيره عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَوَى أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنَ الشَّوْكَةِ»[(٢)].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةِ نَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ»[(٣)].

وفي لفظ: «وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ»[(٤)].

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (وفي صحيح البخارى عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّهُ كُوِيَ مِنْ ذَاتِ الجَنْبِ»)، يعني: أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كُوِيَ من ذات الجنب، من المرض الذي يسمى التصاق الرئة بالجنب، فيكوونها بإذن الله وتنطلق.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: («وَالنَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَيٌّ»)، وأقره على ذلك.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ»)، يعني: هذه أنفس أنواع العلاج، ليست هذه محصورًا عليها الشفاء، بل فيها وفي غيرها، ولكن هذه أحسن شيء.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧١٩، ٥٧٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٥٠)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٤٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٧، ٤/ ٤٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٥٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٠، ٥٦٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٨٣، ٥٦٩٧، ٥٧٠٢، ٥٧٠٤)، ومسلم (٢٢٠٥).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَرْبَةِ عَسَلٍ**»، والعسل كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ**﴾ [النحل:٦٩].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ**»، الحجامة طب نبوي، وقد احتجم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي مفيدة، لكن لها ضوابط، ولها وقت مناسب، ولها ناس يعرفونها، يعرفون وقتها، ويعرفون كيف يحجمون.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكَيَّةِ نَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ**»، لما فيه من التعذيب، ولهذا يقول الناس في المثل: آخر الطب: الكي.

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع: أحدها: فعله. والثاني: عدم محبته. والثالث: الثناء على من تركه. والرابع: النهي عنه. ولا تعارض بينها -بحمد الله-، فإن فعله له يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه، فيدل على أن تركه أولى، وأفضل، وأما النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكراهة**[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع)**، هذا في «زاد المعاد»، وفي كتاب «الطب النبوي» لابن القيم، وهو مأخوذ من «زاد المعاد».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أحدها: فعله)**، فعل الكي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا تعارض بينها -بحمد الله-، فإن فعله له يدل على جوازه)**، وإن كان لا يرغب فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعدم محبته له لا يدل على المنع منه)**، يعني: أنه خلاف الأولى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الثناء على تاركه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل)**؛ للسلامة من التعذيب والنار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكراهة)**، النهي للكراهة، وليس للتحريم؛ بدليل أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أقر الكي.

---

(١) انظر: زاد المعاد (٤/ ٦٠).

....

ش: **قوله: «وَلَا يَتَطَيَّرُونَ»، أي: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها، وسيأتي -إن شاء الله تعالى- بيان الطيرة، وما يتعلق بها في بابها.**

قوله: «وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، ذكر الأصل الجامع الذى تفرعت عنه هذه الأفعال والخصال، وهو: التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، الذي هو نهاية تحقيق التوحيد، الذي يثمر كل مقام شريف؛ من المحبة، والرجاء، والخوف، والرضا به ربًّا وإلهًا، والرضا بقضائه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَلَا يَتَطَيَّرُونَ»)**، الطيرة شرك، فهم تركوا المكروه، وهو الكي، والاسترقاء: الطلب من الناس، وتركوا الشرك، وهو التطير والتشاؤم بالأشياء، وأنها تصيب الإنسان إذا اعتقد فيها، وهي من فعل الجاهلية، كانوا يتطيرون، يعني: يتشاءمون بالطيور في طيرانها، واتجاهاتها، وأنواعها؛ كانوا يتشاءمون بالبومة، ويظنون أنها تدل على الموت، وأنها إذا وقعت على بيت أحد، فإنه سيموت، كل هذه من خرافات الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسيأتي -إن شاء الله تعالى- بيان الطيرة)**، في باب الطيرة، لها باب خاص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما يتعلق بها في بابها)**، من هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»)**، يتركون هذه الأشياء؛ توكلًا على الله، تركوا المكروه، وتركوا المحرم، وتركوا سؤال الناس.

يعني: تركوا ثلاثة أشياء: تركوا سؤال الناس، وتركوا المكروه وهو الكي، وتركوا المحرم وهو الطيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، ذكر الأصل الجامع الذى تفرعت عنه هذه الأفعال والخصال)**، يعني: تركوا هذه الأشياء؛ توكلًا على الله عَزَّوَجَلَّ، واستغناء بالله عن الناس، وعن هذه الأشياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو: التوكل على الله)**، والتوكل على الله من أعظم أنواع العبادة؛ ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

تفويض الأمور إلى الله، والاعتماد على الله هذا من التوحيد، التوكل على المخلوق هذا من الشرك، من توكل على شيء وُكِلَ إليه، ومن توكل على الله كفاه، ومن توكل على مخلوق، فقد توكل على ضعيف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه)**، يعني: على الله.

....

ش: واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلًا؛ فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري، لا انفكاك لأحد عنه، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، أي: كافيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلًا)، انتبهوا! فعل الأسباب المباحة مأمور به، لكن لا يعتمد عليها، يفعل الأسباب ويتخذها، لكن لا يعتمد عليها، ويظن أنها تغنيه عن الله عَزَّوَجَلَّ، بل يفعلها ويتوكل على الله، فيجمع بين التوكل على الله، وفعل السبب، فلا يقول: أنا متوكل على الله، ويترك الأسباب، هذا لم يقل به أحد من أهل العلم، ولا يقول: أنا اعتمد على الأسباب، وهي تكفي، ولا أتوكل على الله، هذا شرك -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري)، والله جَلَّ وَعَلَا أمر باتخاذ الأسباب؛ ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١]، هذا من فعل الأسباب: أخذ الحذر.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأخذ بالأسباب، كان يلبس الدروع في الغزوات، هذا من فعل الأسباب، كان يعد الأسلحة؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]، فإعداد العدة هذا من اتخاذ الأسباب النافعة، فلا يقال:

نحن مسلمون، ومتوكلون على الله، ولا أحد سيهاجمنا، ولا أحد يقدر علينا، لا، لايقولون هذا، بل يتخذون الأسباب النافعة، ويتوكلون على الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه)**، الفطرة تميل إلى الأخذ بالأسباب، الفطرة والشرع أيضًا؛ الله أمر باتخاذ الأسباب، والإنسان مفطور على اتخاذ الأسباب.

حتى البهائم، البهائم تتخذ الأسباب؛ «**تَغْدُو خِمَاصًا**»[1]، هي لا تقعد في العش، أو تموت جوعًا، لا، بل تغدو، تطلب الرزق، هذا من السبب، الله فطرها على هذا، والبهائم والدواب وكل مخلوق مفطور على اتخاذ الأسباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب)**، بل التوكل هو من الأسباب، التوكل على الله من الأسباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، أي: كافيه)**، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، يعني: كافيه، يكفيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع أخذ الأسباب، لا يقتصر على التوكل على الله، مع أخذ الأسباب.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣٨٩) عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**».

....

ش: وإنما المراد: أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها؛ توكلًا على الله تعالى، كالاكتواء، والاسترقاء، فتركهم له لكونه سببًا مكروهًا، لا سيما والمريض يتشبث -فيما يظنه سببًا لشفائه - بخيط العنكبوت.

وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه، فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعًا؛ لما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلاَّ وَأَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإنما المراد: أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها)**، يتركون الأمور المكروهة؛ مثل: سؤال الناس الرقية، والكي، والأشياء، والكي أيضًا مكروه، ويتركون الأشياء المحرمة وهي الطيرة.

لا يأتي لنا واحد، ويقول: هذا يدل على أن الأسباب لا تنفع ولا تتخذ؛ لأن هؤلاء يعتمدون على الله، ويتوكلون على الله، نقول: لا، أنت غلطان، لم يتركوا الأسباب، إنما تركوا المكروه والحرام؛ تركوا المكروه وهو: سؤال الناس والكي، والحرام، وهو: الطيرة، وهذه ليست أسبابًا نافعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإنما المراد: أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها؛ توكلًا على الله تعالى)**، ترفعًا عنها، واحتياطًا لدينهم؛ لأن الإنسان إذا باشر المكروه، ربما يجره إلى الحرام -أيضًا- والتساهل.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٨)، ومسلم (٢٢٠٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كالاكتواء، والاسترقاء، فتركهم له لكونه سببًا مكروهًا**)، لكونه سببًا مكروهًا، أما السبب المباح الذي لا كراهة فيه، فهذا مأمور باتخاذه، وهو من الدين، والله أمر بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لا سيما والمريض يتشبث -فيما يظنه سببًا لشفائه- بخيط العنكبوت**)، العادة أن المريض يتلمس كل دواء، وكل شيء، ولو كان محرمًا أو مكروهًا، لكن هؤلاء الذين حققوا التوحيد مع مرضهم ومع حاجتهم تركوا هذه الأشياء المكروهة؛ استغناء بالأشياء الطيبة، والتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه**)، من الأسباب التداوي؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَدَاوُوا، وَلَا تَتَدَاوُوا بِحَرَامٍ**»[(١)]، وفي الحديث الموقوف: «**إِنَّ اللهَ** جَلَّ وَعَلَا **لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُم فِيْمَا حَرَّم عَلَيْكُم**»[(٢)]، فالتداوي بالأسباب النافعة الطيبة هذا من التوحيد، ومن فعل الأسباب المباحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه، فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعًا**)، فلا بأس أن تأخذ الأدوية، وتذهب للطبيب للفحص، هذا من فعل الأسباب المباحة.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل الطبيب لأبي بن كعب ليعالجه، فالتداوي بالطب المباح لا بأس به، ولا ينافي التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه مما خلقه الله لنفع الناس.

---

(١) سبق تخريجه (ص٥١٠).

(٢) علقه البخاري في صحيحه: (بَابُ شَرَابِ الحَلْوَاءِ وَالعَسَلِ) (٧/ ١١٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إلاَّ وَأَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»)، في الصحيحين أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً**»، يعني: مرضًا، «**إلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً**»، هذا من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن هذا الدواء: «**عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»، إذا وافق الدواء الداء، شُفِي المريض بإذن الله.

ولذلك الأدوية منبثة في النباتات، والمواد المخلوقة، وتتخذ الأدوية من أين تتخذ؟ تتخذ من هذه المخلوقات، ومن هذه النباتات والأشجار.

....

ش: وعن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ عِنْدَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَتِ الأَعْرَابُ، فقالوا: يا رَسُولَ اللهِ، أَنَتَدَاوَى؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللهِ، تَدَاوَوْا؛ فإن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لم يَضَعْ دَاءً إلا وَضَعَ له شِفَاءً غير دَاءٍ وَاحِدٍ، قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الهَرَمُ». رواه أحمد(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع ألم الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها.

بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله تعالى مقتضية لمسبباتها قدرًا، وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجز ينافي التوكل الذى حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا(٢).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عِبَادَ اللهِ، تَدَاوَوْا؛ فإن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لم يَضَعْ دَاءً إلا وَضَعَ له شِفَاءً غير دَاءٍ وَاحِدٍ، قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الهَرَمُ»، الهرم ليس له

(١) أخرجه أحمد (٣٠/ ٣٩٨)، وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨).

(٢) انظر: زاد المعاد (٤/ ١٤-١٥).

دواء، لاتكبر وأنت لا تريد، لكن الكبر ليس باختيار الإنسان، ولا يعالج، ليس له علاج.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب، والمسببات**)، إثبات الأسباب النافعة، والمسببات هي النتائج التي تترتب عليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وإبطال قول من أنكرها**)، هناك من الجهلة من ينكر الأسباب، ويقول: الأمر بيد الله، الأسباب ليس لها سند، هذا جهل -والعياذ بالله-، الأسباب جعلها الله أسبابًا نافعة في أيدي العباد؛ رحمة بهم، لاينكر الأسباب النافعة إلا إنسان جاهل، هذا من جهالات الصوفية ونحوهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل**)، التداوي لا ينافي التوكل؛ لأن الله أمر بهما جميعًا؛ أمر بالتداوي، وأمر بالتوكل، فيجمع المسلم بينهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما لا ينافيه دفع ألم الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها**)، كما أن الجوع يعالج بالأكل، والعطش يعالج بالشراب، لا يقول الإنسان: والله أنا لن آكل، ومتوكل على الله، أنا لن أشرب، هذا من الجهل؛ لأن الذي خلقك خلق لك الطعام، وخلق لك الشراب، وأباحهما لك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل**)، ولهذا قالوا: ترك الأسباب قدح في الشريعة، والاعتماد على الأسباب شرك، فلا يترك

الأسباب، ولا يعتمد عليها، بل يتخذها ويعتمد على الله في حصول نتائجها، وهي معينة، تعينك على العبادة، وعلى التوحيد، وعلى الطاعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما يقدح في الأمر، والحكمة)**، الحكمة الإلهية يعني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل)**، هذا غلط، الله لم يأمر بترك الأسباب، بل أمر باتخاذ الأسباب النافعة، فالأخذ بها طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ، وهو من التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن تركها عجز ينافي التوكل الذى حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه)**، فالذي يترك قيام الليل، ويقول: أنا سأدخل الجنة لو لم أصل بالليل، إن كان الله قدر ذلك سأدخل الجنة، الله يقدر، لكن بناءً على الأسباب، يقدر الأشياء بناء على أسبابها، هناك أقدار مرتبة على الأسباب، إن فُعِلت حصلت النتيجة، وإن لم تفعل فلا، هذا عجز.

كون الإنسان ينام كل الليل، ولا يصلي، هذا عجز، لا يسمى توكلًا، هذا يسمى بالعجز، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ**»[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن تركها عجز ينافي التوكل الذى حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه)**، هناك أشياء مرتبة على أسبابها؛ إن وُجِدت الأسباب، وُجِدت المسببات بإذن الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٣، ٦٣٦٧)، ومسلم (٢٧٠٦) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لا تقل: أنا لن أتزوج، وإن كان الله قدر ليِّ الذرية، سيكون ليِّ ذرية، ولو لم أتزوج، نقول: هذا جهل وغلط، الله جعل الزواج سببًا للإنجاب، فإذا تركت السبب، تعطل المسبب.

أيضًا هناك من إذا قيل له: لماذا لا تربي أولادك؟ لماذا لا تأمرهم بالصلاة؟

قال: (الهداية بيد الله)، نعم الهداية بيد الله، لكن افعل السبب للهداية، أما الإهمال، فليس معه هداية، معه ضياع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا)، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لا تجعلوا عجزكم توكلًا»: تترك الأسباب، وتقول: أنا متوكل على الله، الله لم يأمرك بهذا.

ش: وقد اختلف العلماء في التداوي: هل هو مباح، وتركه أفضل، أو مستحب، أو واجب؟

فالمشهور عند أحمد: الأول؛ لهذا الحديث وما في معناه.

والمشهور عند الشافعية: الثاني، حتى ذكر النووي في شرح مسلم: أنه مذهبهم، ومذهب جمهور السلف، وعامة الخلف[١].

واختاره الوزير أبو المظفر، قال: ومذهب أبي حنيفة أنه مؤكد حتى يداني به الوجوب، قال: ومذهب مالك أنه يستوي فعله وتركه، فإنه قال: لا بأس بالتداوي، ولا بأس بتركه[٢].

وقال شيخ الاسلام: ليس بواجب عند جماهير الأئمة، وإنما أوجبه طائفة قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد[٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد اختلف العلماء في التداوي هل هو مباح، وتركه أفضل، أو مستحب، أو واجب؟)، هو مباح بلا شك، ولكن هل هو واجب أو مستحب أو مباح، يعني: ثلاثة أقوال؛ قيل: إنه مباح فقط، وقيل: إنه مستحب، وقيل: إنه واجب، وعلى كل حال فهو سبب جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، جعله سببًا للشفاء بإذن الله.

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٩١).
(٢) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٣٤٩).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٦٩).

فعند الحنابلة يباح التداوي، ولا ينافي التوكل، فهو مباح عند الحنابلة، وعند غيرهم على قولين: مستحب أو واجب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فالمشهور عند أحمد: الأول**)، وهو المذهب أنه مباح، ولهذا يقول في متن الزاد وغيره: (يباح التداوي اتفاقًا)[1]، ولا ينافي التوكل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فالمشهور عند أحمد: الأول لهذا الحديث وما في معناه**)؛ أنه مباح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والمشهور عند الشافعية: الثاني**)؛ أنه مستحب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**واختاره الوزير أبو المظفر، قال: ومذهب أبي حنيفة أنه مؤكد حتى يداني به الوجوب**)، أبو حنيفة يرى أن التداوي واجب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال: ومذهب مالك أنه يستوي فعله وتركه**)، أنه مباح يعني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإنه قال: لا بأس بالتداوي، ولا بأس بتركه**)، فيكون هذا متفقًا مع مذهب الإمام أحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال شيخ الاسلام: ليس بواجب عند جماهير الأئمة**)، يعني: التداوي.

---

(١) انظر: الروض المربع شرح زاد المستقنع (ص١٧٢).

ش: وقوله: «فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ» -هو بضم العين، وتشديد الكاف-، ومحصن -بكسر الميم، وسكون الحاء، وفتح الصاد المهملتين-، ابن حرثان -بضم المهملة، وسكون الراء بعدها مثلثة- الأسدي، من بني أسد بن خزيمة. كان من السابقين إلى الإسلام، ومن أجمل الرجال، هاجر، وشهد بدرًا، وقاتل فيها، واستشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد بيد طليحة الأسدي سنة اثنتي عشرة[1]، ثم أسلم طليحة بعد ذلك، وجاهد الفرس يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، واستشهد في وقعة الجسر المشهورة[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ»)، لما ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث السابق الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وبينهم لأصحابه، قام عكاشة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حرصه على الخير، فقال: «يَا رَسُوْلَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ». فهذا فيه حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الخير إذا سمعوا ذكره، وفيه معجزة من معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أخبر أن هذا الرجل سيكون من هؤلاء السبعين

---

(١) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار (ص٣٦)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢٢٣٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٨٠)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٤).

(٢) انظر في ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٧٣)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١٢٦)، والأعلام للزركلي (٣/ ٢٣٠).

ألفًا، وقد ختم الله له بالشهادة مع ما سبق له من الأعمال الجليلة من الجهاد في سبيل الله، والسبق إلى الإسلام، فانطبق عليه ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنه يكون من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

وفيه: طلب الدعاء من أهل الخير؛ أن المسلم يطلب من إخوانه الطيبين وأهل الخير أن يدعوا له، وهذا يكون في حق الحي الحاضر، فلايطلب من الميت الدعاء، الحاضر: فلا يطلب من الغائب الدعاء.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، فاستشهد في حروب الردة بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصلت الردة في بعض العرب؛ فمنهم من منع الزكاة، ومنهم من صدق المتنبئين الكذبة، ومن المتنبئين: طليحة الأسدي، ادعى النبوة، فقاتله أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع المرتدين، وكان القائد في ذلك خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقُتِلَ عكاشة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستشهد في هذه الحرب، فتبين فيه معجزة من معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أخبر أنه منهم، وتحقق ذلك له ذلك بالشهادة في سبيل الله.

وأما طليحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه تاب بعد ذلك، تاب من ادعاء النبوة، وجاهد في سبيل الله، وقاتل مع سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وقعة القادسية، واستشهد فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه كان صحابيًّا، ثم حصل منه ما حصل، ثم تاب إلى ربه، والصحيح أن الصحابي إذا تاب إلى الله مما حصل منه، مما يقتضي ردته، ثم تاب أنه يرجع له فضل الصحبة، فقُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيدًا في سبيل الله في حروب الفرس، خُتِم له بخير.

ش: وقوله: «فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ». وللبخاري في رواية: « فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ».

وفيه: طلب الدعاء من الفاضل.

قوله: «ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ»، ذكر مبهمًا، ولا حاجة بنا إلى البحث عن اسمه.

قوله: «فقَالَ: سَبقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

قال القرطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة، فلذلك لم يجبه؛ إذ لو أجابه، لجاز أن يطلب ذلك كل من كان حاضرًا، فيتسلسل الأمر، فسد الباب بقوله ذلك. انتهى[(١)].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه استعمال المعاريض، وحسن خلقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وللبخاري في رواية: «فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»)، دعا له؛ إما أنه أخبر أنه منهم، وإما أنه دعا له، وإخبار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق وصدق، ودعاؤه -أيضًا- مستجاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فقَالَ: سَبقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»)، قام رجل آخر بعد عكاشة، فقال: «ادْعُ اللهَ أَنْ يَجعَلَنِي مِنهُمْ»، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يواجهه بلفظ يكرهه، بل قال: «سَبقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»؛ لأن هذا الرجل ليس في مستوى

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٦٩).

عكاشة بن محصن، أو أن الله اطلع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا الرجل لا يكون منهم، لكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يواجهه بلفظ يكرهه، بل قال له: «**سَبَقَكَ بِهَا**»، أي: بهذا الطلب، «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»، فسكت الرجل.

ففيه: حسن الأدب مع المخاطبين، وعدم مواجهتهم بما يكرهون من الألفاظ النابية، وهذا خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال القرطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة)**، يعني: ليس عنده أهلية، مثلما كان عند عكاشة، ولكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل: أنت لا تستحقها، أنت لست كذلك، بل جاء بكلمة حصل بها المقصود، ولم تجرح المخاطب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلذلك لم يجبه، إذ لو أجابه، لجاز أن يطلب ذلك كل من كان حاضرًا)**، وهذا -أيضًا- من المحاذير: أنه لو دعا لهذا الرجل، انفتح الباب للحاضرين كلهم، وليس كل الحاضرين على مستوى عكاشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيتسلسل الأمر، فسد الباب بقوله ذلك، انتهى)**، انتهى كلام القرطبي، شارح صحيح مسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه استعمال المعاريض، وحسن خلقه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، قال المؤلف -الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب- في مسائله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه استعمال المعاذير، يعني: حسن الخطاب مع المخاطبين، وأنك لا تواجه الشخص بكلام يجرحه.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى تَحْقِيقِه.

الثَّالِثَةُ: ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

الرَّابِعَةُ: ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ.

الْخَامِسَةُ: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالْكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، في هذا الباب مسائل، يعني: يستفاد من هذه النصوص المسائل الآتية، وهذه عادة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يعقب الباب بمسائل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ**)، معرفة رواتب الناس في التوحيد، فالمرتبة الأولى: عكاشة بن محصن، وأيضًا قبله السبعين ألفًا مرتبتهم عالية.

وفيه: أن الناس يتفاضلون في التوحيد، فهناك من هو موحد، وهناك من هو محقق للتوحيد، وهو أفضل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ؟**)، فسره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**هُمُ الَّذِيْنَ لَا يَسْتَرْقُوْنَ، وَلَا يَكْتَوُوْنَ، وَلَا يَتَطَيَّرُوْنَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ**»، فهذا معنى تحقيق التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)، ثناء الله على خليله إبراهيم بصفات، منها: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النَّحل:١٢٠].

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾، يعني: قدوة في الخير.

﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾: مداومًا على العبادة.

﴿ حَنِيفًا ﴾: معرضًا عن الباطل، مقبلًا على الحق.

﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: فيه البراءة من المشركين، ومن دينهم، ولا يتم التوحيد إلا بالبراءة من الشرك وأهله.

بعض الناس يقول: أنا ليس ليِّ شأن، أنا استقيم في نفسي، ولا أبغض الناس، لا أبغض الكفار والمشركين، ليس ليِّ شأن بهم، ويقولون: الكراهة هذه لا تصلح؛ كره الآخر يقولون هكذا الآن.

فنقول: لابد من كراهية الباطل، وأهل الباطل، وإلا فإنه لا يتحقق فيك أنك من أهل التوحيد؛ الذي لا يتبرأ من الشرك وأهله، لا يتحقق فيه أنه من أهل التوحيد؛ لأنه لا يفرق بين الحق والباطل، لابد من التفريق، الفرقان لابد.

فمن أصول الدين: الولاء والبراء؛ الولاء: محبة أولياء الله، والبراء: بغض أعداء الله، لابد من هذا، وهذا متكرر في كتاب الله، وفي سنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن يجحد هذا، فإنه منكر لأصل من أصول الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ)**، سلامتهم من الشرك؛ ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ [الأنعام:٨٢]، والظلم: هو الشرك.

فهؤلاء السبعون ألفًا، أو كل من اتصف بصفاتهم أنهم سلموا من الشرك، هذا أعظم شيء، السلامة من الشرك هذا أعظم شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْخَامِسَةُ: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالْكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ)، ترك الرقية، وهي مباحة، لكن طلبها من الناس فيه حاجة إلى الناس، وسؤال الناس، كونك تستغني عن الناس هذا من تحقيق التوحيد.

وترك الكي -أيضًا- وإن كان جائزًا، لكن تركه أحسن، وهو من تحقيق التوحيد؛ لأنه فيه تعذيب بالنار.

فهم تركوا هذين الأمرين المكروهين كراهة تنزيه، وتركوا الطيرة، وهي الشرك.

السَّادِسَةُ: كَوْنُ الْجَامِعِ لِتِلْكَ الْخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ.

السَّابِعَةُ: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ.

الثَّامِنَةُ: حِرْصُهُمْ عَلَى الْخَيْرِ.

التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْكَمِّيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ.

الْعَاشِرَةُ: فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: عَرْضُ الْأُمَمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: كَوْنُ الجَامِعِ لِتِلْكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ**)، «**هُمُ الَّذِيْنَ لَا يَسْتَرْقُوْنَ، وَلَا يَكْتَوُوْنَ، وَلَا يَتَطَيَّرُوْنَ**»، ثم قال: «**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ**»: يعتمدون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وليس في هذا ترك الأسباب المنافعة، هم لم يتركوا الأسباب النافعة، إنما تركوا مكروهًا أو محرمًا؛ تركوا المكروه، وهو الاسترقاء؛ لما فيه من الذلة والحاجة للناس، وتركوا الكي؛ لما فيه من التعذيب، تركوا المكروه، وتركوا -أيضًا- المحرم، وهو الطيرة، فهذا هو تحقيق التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: كَوْنُ الجَامِعِ لِتِلْكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ**)، التوكل، فترك المكروهات، وترك المحرمات هذا يزيد التوكل على الله.

أنت إذا سألت الناس، نقص توكلك على الله عَزَّ وَجَلَّ، أما من استغنى عن الناس، فقد كمل توكله على الله، ليس معناه أنك تترك الأسباب المباحة التي ليس فيها تحريم ولا كراهية، هذا لا يجوز، لا يجوز أن نترك الأسباب،

ونقول: نحن متوكلون على الله، نعم، لابد من التوكل على الله، ولابد مع ذلك من اتخاذ الأسباب المباحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ**)، عمق علم الصحابة؛ حيث فهموا أن هؤلاء السبعين ألفًا لم يحصلوا على هذه المرتبة -دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب- إلا بعمل، فما هو العمل؟ ولذلك صاروا يتحرون؛ من هم هؤلاء؟ ما هي أعمالهم التي استحقوا بها هذه المرتبة العليا، وأنهم لم ينالوا هذه المرتبة بغير عمل؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: حِرْصُهُمْ عَلَى الخَيْرِ**)، حرصهم على الخير، لم يمر عليهم هذا الحديث وسكتوا، بل صاروا يبحثون من هم؛ من أجل أن يقوموا بهذه الأعمال؛ ليلحقوا بهم؛ لأن هذا ليس محصورًا في السبعين ألفًا، كل من عمل أعمالهم صار معهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْكَمِّيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ**)؛ «**رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ**»: كثير، هذا فيه كثرة أتباع هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكثرة أمته.

وهذا يؤخذ من هذا الحديث: «**رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيْلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ؛ وَمَعَهُمْ سَبْعُوْنَ أَلْفًا**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْكَمِّيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ**)، بالكمية: وهي الكثرة، وبالكيفية: أنهم «**لَا يَسْتَرْقُوْنَ، وَلَا يَكْتَوُوْنَ، وَلَا يَتَطَيَّرُوْنَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**العَاشِرَةُ: فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)؛ لأنهم يلون أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكثرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: عَرْضُ الْأُمَمِ عَلَيْهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، عرض الأمم عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو حي على قيد الحياة، هذا من خصائصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضائله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَة عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا**)، كل أمة تحشر وحدها مع نبيها، سواء أطاعوه أو خالفوه، يحشرون مع أنبيائهم، يأتون هم وأنبياؤهم، فمنهم من لا يأتي بأحد؛ لأنه لم يستجب له أحد، ومنهم من يأتي بالرجل والرجلين، ومنهم يأتي بالرهط، فهذا دليل على أن الكثرة لا حجة فيها، إذا كانت هذه الكثرة على الباطل.

ولا ينقص هذا من أجر الأنبياء الذين لم يستجب لهم، لا ينقص من قدرهم، ولا من جهادهم ومجهودهم؛ فنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ حتى قيل له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦]، وإلا فهو يدعوهم، ولم ييأس من هدايتهم.

الثَّالثَة عَشْرَة: قِلَّةُ منْ اسْتجَابَ لِلأَنْبِيَاءِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: ثَمَرَةُ هَذَا الْعِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاغْتِرَارِ بِالْكَثْرَةِ، وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي الْقِلَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ لِقَوْلِهِ: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا»، فَعُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِيَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قِلَّةُ مَنْ اسْتَجَابَ لِلأَنْبِيَاءِ**)، رأى النبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ومعه الرهط، والنبي وليس معه أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ**)، من لم يجبه أحد من أمته، يأتي وحده ليس معه أحد، إنما يأتي مع الأنبياء من استجاب لهم، أما من لم يستجب لهم، فإنهم يكونون مع الكفار من أهل النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: ثَمَرَةُ هَذَا الْعِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاغْتِرَارِ بِالْكَثْرَةِ، وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي الْقِلَّةِ**)، ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، فالأنبياء منهم من لم يستجب له أحد، ومنهم من استجاب له عدد قليل، والأكثر على خلافه، فلا يحتج بالكثرة إلا إذا كانت على حق، ولا يزهد في القلة إذا كانت على حق، لا يزهد في القلة إذا كانت القلة هي التي على الحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالحُمَةِ)**، الرخصة بالرقية من العين، يعني: من إصابة العين، فالمصاب بالعين يرقى بالآيات القرآنية، والدعوات النبوية.

وأيضًا: يستغسل له من العائن، يتوضأ العائن، ويؤخذ ماء وضوئه، فيصب على من أصابته العين، أو يستغسل شيء من ثيابه وملابسه الموالية لجسمه، فيصب الغسالة على المصاب بالعين، فيشفى بإذن الله، فهذا من علاج العين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالحُمَةِ)**، من العين، والحمة: وهي اللدغة، لدغة ذوات السموم ترقى وتشفى؛ لأن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لما رقوا اللديغ، قام كأنما نشط من عقال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ لِقَوْلِهِ: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا»، فَعُلِمَ أَنَّ الحَدِيثَ الْأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِيَ)**، فالذي ارتقى، طلب الرقية، هذا فعل شيئًا جائزًا، ولكن هناك من هو أحسن، وهو عدم سؤال الرقية من الناس.

أما كونك ترقي نفسك أو يرقيك أحد بدون سؤال، فهذا جائز ولا كراهة فيه.

وفي هذه المسألة: أن الإنسان يعمل بما علمه، حتى إذا جاءه ما يزيد على علمه انتقل إليه، وإلا فالإنسان يعمل بما علم من الحق، ولا يترك ما علمه من الحق إذا لم يعلم ما هو أفضل منه؛ «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ»، ولا يمنع هذا أنه يطلب العلم ويتزود، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

العِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِيضِ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: حُسْنُ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ**)، فهم فهموا أن هؤلاء السبعين ألفًا لم يحصلوا على مرتبتهم إلا بخصال إيمانية راقية، فلا يمدح الإنسان بما ليس فيه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ**)، عَلَمٌ: يعني معجزة من معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والعلم: هو العلامة الدالة على الشيء[1]، منه: قوله تعالى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ [الزخرف:٦١]، وفي قراءة: (**وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ**)[2]، يعني: نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان من أشراط الساعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**العِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)؛ حيث صار من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

---

(١) انظر مادة (علم) في: العين (٢/ ١٥٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٥٢)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٠٩)، ولسان العرب (١٢/ ٤١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٦٣٢)، وقال القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٠٥): (وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك «وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ» بفتح العين واللام، أي: أمارة).

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم على فضيلة، وأهل مرتبة عالية، هم أفضل القرون، ولكن هم يتفاضلون فيما بينهم؛ فبعضهم أفضل من بعض.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِيضِ**)، استعمال المعاريض وعدم التصريح بما يكرهه المخاطب، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل له: (لست منهم، أو لست أهلًا لذلك)، بل قال له: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»، فسدَّ الباب عليه بأسلوب لا يجرح الشخص، ولا ييئسه من رحمة الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: حُسْنُ خُلُقِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، في أنه لم يخاطب الرجل بما يكرهه، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة:٨٣]، ﴿**وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**﴾ [الإسراء:٥٣].

كم صارت المسائل؟ اثنتان وعشرون مسألة، افهموها.

٣- بابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

ش: قال ابن كثير: أخبر تعالى أنه: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده. انتهى[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ: الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ**)، الإنسان إذا هداه الله للتوحيد، وعرف التوحيد وتمسك به، فإنه لا يأمن على نفسه ولا يكمل نفسه، بل يخاف من الشرك، ويدعو الله أن يوفقه للإخلاص، وأن يعيذه من الشرك.

فكم من موحد انتكس وأشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؟! خصوصًا مع كثرة البدع والشركيات، ودعاة الضلال والأهواء -أيضًا-؛ فالإنسان يخاف ما دام على قيد الحياة، ولا يكمل نفسه أبدًا.

(الخوف من الشرك): لما بين معنى التوحيد في الباب الأول، وبين فضل التوحيد في الثاني، وبين فضل تحقيق التوحيد في الباب الثالث، الباب الرابع: قال: (الخوف من الشرك).

مع هذه الفضائل، ومع هذه المراتب العالية لا تأمن على نفسك من الشرك؛ تزكي نفسك، وتقول: أنا ليس عليَّ خطر، هناك الآن هناك من

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٥).

يقول: لا تدرسوا التوحيد؛ الناس عرفوا التوحيد، وهم مسلمون، وليسوا على خطر من الشرك، يا سبحان الله! من يؤمنهم من الشرك؛ إذا لم يتعلموا التوحيد، ويعرفوه ربما أنهم يقعون في الشرك، لا يكفي أن الإنسان يقول: أنا مسلم، أنا موحد، بل يزداد.

النبي ﷺ على مع ما أعطاه الله من العلم أمره الله أن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، الله لم يطلب الزيادة إلا من العلم، لم يطلب الزيادة من الدنيا ومن النتجارة، وإنما طالب الزيادة من العلم؛ لأن الإنسان بحاجة إلى العلم مهما كان علمه، فهو يحتاج إلى زيادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ: الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ**)، هذا فيه رد على هؤلاء المغرورين أو المغرر بهم على الأصح، الذين يقولون: لا تدرسوا التوحيد، ليس الناس بحاجة إليه، الناس مسلمون، الناس موحدون، فليسوا بحاجة إلى تدريس التوحيد، يا أخي! لو عرفت من التوحيد شيئًا، تجهل أشياء كثيرة، أنت بحاجة إلى زيادة علم في التوحيد، هذا من ناحية.

الناحية الثانية: لابد أن تخاف على نفسك من الإنحراف، من الشرك، فهذا لا يأمن منه أحد إلا مغرور، المغرور يأمن منه، ويقول: نحن لسنا بحاجة إلى التوحيد، نحن مسلمون، وعقيدتنا التوحيد، ولسنا بحاجة إلى أن ندرس التوحيد ومقررات التوحيد، ولسنا بحاجة إلى الدعوة إلى الله، هذا المسلم يُدعى إلى الله؛ لأن عنده نقصًا، عنده فهمًا خاطئًا، عنده أمورًا يحتاج إلى الدعوة إلى الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨])، هذه الآية فيها الخوف من الشرك.

إذا كان الله مع سعة مغفرته لا يغفر للمشرك، أفلا يخاف الإنسان من الشرك الذي هو خطره: أن الله لا يغفره؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾: من الذنوب والمعاصي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال ابن كثير: أخبر تعالى أنه:** ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]. **أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك)**، من مات على الشرك، فهو خالد مخلد في النار، ولا تناله الرحمة، ولا تناله المغفرة، فكيف لا يخاف من هذا؟!

إذا لم تتعلم ما هو الشرك، فإنك تقع فيه، ولو أنك جاهل، لو وقعت فيه وأنت جاهل؛ لأنك مفرط ومهمل، فإذا كان هذا خطر الشرك، فيجب أن نتعلم ما هو الشرك.

بعضهم يقول: علموهم التوحيد، ولا تعلموهم الشرك، لا يصح هذا، إذا علمتهم التوحيد، علمهم ضد التوحيد؛ لئلا يقعوا فيه، وهو الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال ابن كثير: أخبر تعالى أنه:** ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]. **أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك)**، ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾، أي شرك من أنواع الشرك لا يغفره الله، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النِّسَاءِ:٣٦]، أي: لا يشرك مع الله أحدًا؛ لا ملك ولا نبي ولا ولي ولا حجر ولا شجر، لا يشرك مع الله أحدًا أبدًا.

ولا يتساهل في الشرك، ويقال: هذا سهل، هذا شرك أصغر، لايتساهل في الشرك الأصغر؛ لأن الشرك الأصغر يجر إلى الشرك الأكبر.

فلابد من معرفة الشرك وتفاصيله؛ حتى يتجنبه الإنسان، لا يدرس التوحيد فقط، بل يدرس التوحيد، ويدرس ما هو الشرك الذي يضاد التوحيد أو ينقصه.

حتى الشرك الأصغر، الآية تعم الشرك الأصغر؛ أن الله لا يغفره، بل لابد أن يعذب به، ولكن صاحبه لا يخلد في النار مثلما يخلد صاحب الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨])، ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾: ما دون الشرك، ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾: فهو تحت المشيئة.

من سلم من الشرك، ولكن عنده ذنوب كبائر؛ كالزنا والسرقة وشرب الخمر، وغير ذلك، فهو على خطر؛ لأن الله قال: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، لم يقل: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾، وسكت، بل قال: ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾: هذا راجع إلى مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأهل التوحيد الذين عندهم ذنوب كبائر دون الشرك على خطر أن يعذبهم الله عَزَّوَجَلَّ بشركهم ولا يغفر لهم؛ لأنه قال: ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾، قيده بالمشيئة، فعصاة الموحدين تحت مشيئة الله؛ إن شاء الله غفر لهم، وإن شاء عذبهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، **أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده. انتهى**)، انتهى: يعني: كلام ابن كثير.

....

ش: **فتبين بهذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب؛ لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، وما دونه من الذنوب، فهو داخل تحت المشيئة؛ إن شاء غفره لمن لقيه به، وإن شاء عذبه به. وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله؛ لأنه أقبح القبيح، وأظلم الظلم، وتنقص لرب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فتبين بهذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب**)، أن الشرك أعظم الذنوب؛ حيث إنه لا يدخل في مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ، مع أن الله غفور رحيم.

المشرك لا تناله مغفرة الله، فدل على أن ذنبه أعظم الذنوب، فأعظم المحرمات: الشرك، وأعظم الواجبات: التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه**)، لا يغفره لمن لم يتب منه، مات وهو عليه، أما من تاب، تاب الله عليه، من تاب قبل موته من الشرك، وأخلص التوحيد لله، فإن الله يتوب عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وما دونه من الذنوب، فهو داخل تحت المشيئة**)، أما ما دون الشرك، ولو كان من الكبائر، فإنه داخل تحت مشيئة الله؛ إن شاء غفره لصاحبه، وإن شاء عذب به، ولكنه لا يخلد في النار، يعذب فيها فترة، وقد تطول الفترة، ثم يخرج من النار إلى الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك)**؛ لأنه لايغفره الله لمن مات عليه، وهو مخلد في النار، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢].

وكذلك فيه الخوف من الكبائر؛ لأن الله قال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، لم يقل: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، بل قال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، فقد تعذب بهذه الكبائر في النار، تلبث فيها مدة طويلة، فلا تتساهل في المعاصي التي دون الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله)**، وإذا خافه، لا يكفي أنك تخافه، لابد أن تتعلم ما هو الشرك، تعرف ما هو الشرك؛ من أجل أن تتجنبه، وإلا إذا جهلته، فقد تقع فيه وأنت لاتدري، لا سيما وأن دعاة الضلال ودعاة الشرك كثيرون الآن، فيخشى أن يصطادوك عن جهل منك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأنه أقبح القبيح)**، ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لُقمَان:١٣]، فهو أعظم الظلم.

الظلم ثلاثة أنواع: ظلم الشرك، وظلم الناس، وظلم العبد لنفسه بالمعاصي.

* فظلم الشرك لا يغفره الله.

* وظلم العباد لا يغفره الله، إلا إذا المظلومون سمحوا لمن ظلمهم.

* وأما ظلم العبد لنفسه، فإن الله يغفره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، المعاصي التي دون الشرك تحت المشيئة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأنه أقبح القبيح، وأظلم الظلم، وتنقص لرب العالمين)**؛ لأنه أقبح القبيح: أعظم الذنوب وأقبحها: الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، هذه واحدة.

والثانية: أظلم الظلم؛ ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

وتنقص لرب العالمين؛ المشرك تنقص رب العالمين؛ حيث سوى به غيره من خلقه، فهذا تنقص لرب العالمين؛ حيث سوى الله بخلقه؛ ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨].

أهل النار يقولون هذا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ﴾، يعني: في الدنيا، ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يقولون للأصنام والمعبودات التي معهم في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨]، فالمشرك يسوي غير الله بالله عَزَّوَجَلَّ، فيتخذه إلهًا مع الله؛ ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، يعدلون بالله غيره، أي: يسوون به غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وصرف خالص حقه لغيره)**، وهذا ظلم، صرف حق الله -وهو العبادة- لغيره من المخلوقات هذا هو الظلم -والعياذ بالله!

الظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعدل غيره به)**، سوّى الشجر والحجر بالله، سوّى المخلوق الضعيف بالله عَزَّوَجَلَّ، فأشركه مع الله، هل هذا إلا منتهى التنقص لله عَزَّوَجَلَّ؛ حيث تسوي الناقص بالكامل، تنقص الخالق بالمخلوق، تنقص

القوي الذي لا يغالب بالضعيف، هذا تنقص لله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، فالمشرك لم يقدر الله حق قدره؛ لأنه سوّى معه غيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١])، ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، في أول سورة الأنعام.

ش: ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، مناف له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته والذل له، والانقياد لأوامره، الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك. فمتى خلا منه، خرب، وقامت القيامة؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ». رواه مسلم(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر)، والمقصود بالخلق والأمر هو الشرع، هو التوحيد؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، لم يخلقهم ليعبُدوا معه، أو ليسووا به في حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، خلقهم ليعبدوه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر)، والأمر هو الشرع، الله حرم الشرك في أدلة كثيرة من القرآن والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مناف له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين)، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته، والذل له)، كل هذه المعاني في الشرك -والعياذ بالله!

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك)**، والله خلق الخلق ليعبدوه، وأنزل القرآن والسنة والوحي على الأنبياء، أنزل ذلك؛ لأجل أن يعبدوه، ويبين لهم ما هي العبادة، وما هو الشرك، يبين لهم هذه الأمور، لم يتركهم يجهلون.

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]، لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله، لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن، فلا تصلح السماوات والأرض إلا بالتوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمتى خلا منه، خرب، وقامت القيامة)**، كما في الحديث: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ»**(١).

يُنسى التوحيد، تنسى العبادة، فتقوم عليهم الساعة؛ **«إِنَّ مِنْ شَرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْمَسَاجِدَ عَلَى الْقُبُوْرِ»**(٢)، شرار الناس هؤلاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ»)**؛ لأنه يرفع القرآن في آخر الزمان، يرفع الإيمان من القلوب، ولا يبقى إلا أهل الكفر، فتقوم عليهم الساعة؛ لأن الأرض لا تبقى، والحياة لا تبقى إلا ببقاء التوحيد.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٩٤، ٧/ ٢٠٩، ٣٦٠)، والبزار في مسنده (٥/ ١٨٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦)، وابن حبان (١٥/ ٢٦٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ش: ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق -تعالى وتقدس- في خصائص الإلهية؛ من ملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، الذى يوجب تعلق الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، وأنواع العبادة كلها بالله تعالى وحده.

فمن علق ذلك بمخلوق، فقد شبهه بالخالق، وجعل من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، شبيهًا بمن له الحمد كله، وله الخلق كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده الخير كله، فَأَزِمَّةُ الأمور كلها بيده سبحانه، ومرجعها إليه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لامانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمة، فلا ممسك لها، وما يمسك، فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم. فأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق - تعالى وتقدس- في خصائص الإلهية)، تسوية، وتشبيه، وتمثيل، يمثل المخلوق بالخالق، يشبه المخلوق بالخالق، يسوى المخلوق بالخالق، كل هذه المعاني في الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الذى يوجب تعلق الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، وأنواع العبادة كلها بالله تعالى وحده)، فالمشركون انصرفوا عن الله إلى المخلوقين، ولذلك لا تجد هؤلاء المشركين يتجهون إلى المساجد، وإنما يتجهون إلى المشاهد والقبور، يبكون عندها، ويعكفون عندها، ولا يذهبون

إلى المساجد إلا نادرًا، وأيضًا لا يكون لهم خشوع في المساجد، وبكاء في المساجد، إنما يحصل هذا عند القبور، نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن علق ذلك بمخلوق، فقد شبهه بالخالق، وجعل من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، شبيهًا بمن له الحمد كله، وله الخلق كله، وله الملك كله)**، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان:٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(شبيهًا بمن له الحمد كله، وله الخلق كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله)**، ولهذا تقول: الحمد لله، كل الحمد لله عَزَّوَجَلَّ، (ال) للاستغراق، كل الحمد لله سبحانه، ملكًا واستحقاقًا، لا يستحقه غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الذي إذا فتح للناس رحمة، فلا ممسك لها، وما يمسك، فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم)**، كل هذه المعاني موجودة في الشرك، وفي المشرك، كلها موجودة، وما هو أكثر منها أيضًا.

....

ش: ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم، والإجلال، والخشية، والدعاء، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والتوبة، والاستعانة، وغاية الحب مع غاية الذل، كل ذلك يجب عقلًا، وشرعًا، وفطرة أن يكون لله وحده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه)**، فإن الإله الحقيقي: هو المعبود بحق؛ لكماله من جميع الوجوه، فالله جَلَّ وَعَلَا ذو الألوهية، والكمال المطلق له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما من كان فيه نقص، فإنه لا يستحق العبادة كالأصنام والأشجار والأحجار، والأولياء والصالحين، وجميع الخلق؛ لأنهم عندهم نقص كثير، فلا يستحقون العبادة، أما العبادة للإله الكامل من كل الوجوه، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا لما ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق السماوات والأرض، وخلق الناس في كل آية يقول: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٠]؛ هل أحد من معبوداتكم بلغت هذه المنزلة، هل خلقت شيئًا من هذا الكون؟ تحدي لهم، تعجيز لهم، لم يجيبوا عن هذا.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، السؤال مفتوح، ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ يستحق العبادة ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾؟ لم يجيبوا عن هذا؛ لأنهم يعجزون عن هذا، ويعرفون أن آلهتهم ناقصة، وقاصرة، وأنها فقيرة ومحتاجة.

فالغني الذي له الكمال المطلق، والقدرة التامة، والصفات العظيمة، والأسماء والصفات هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، فكيف يلحق الناقص بالكامل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!!

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، أخيرًا قال: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل:٦٤]، تحداهم أن يأتوا ببرهان، ليس عندهم إلا شبهات، ليس عندهم أدلة، عندهم شبهات، حكايات، ليس عندهم برهان.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أن مع الله آلهة.

ولهذا في الجحيم يوم القيامة، إذا دخلوا النار هم وأصنامهم وآلهتهم، قالوا لآلهتهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ:٩٧، ٩٨]، عرفوا أنهم استحقوا هذا العذاب بسبب أنهم سووا غير الله بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده)**؛ أن تكون العبادة للإله الكامل من كل الوجوه، الغني عما سواه، وكل ما سواه مفتقر إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتعظيم، والإجلال، والخشية، والدعاء، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والتوبة، والاستعانة)**، جميع أنواع العبادة، يجب أن تكون

العبادة بجميع أنواعها لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه الإله الكامل الذي يستحق العبادة، وأما ما عداه، فلا يستحق العبادة؛ لأنه ناقص ومخلوق وضعيف ومحتاج.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وغاية الحب مع غاية الذل)**، العبادة لها تعريفان: تعريف مجمل، وهي: غاية الحب مع غاية الذل؛ ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

وَعِبَادَةُ الرَّحمنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطبَانِ
وَعَلَيهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ ... مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ
ومَدَارُهُ بالأمرِ أَمْرِ رسُولِهِ ... لَا بِالهَوَى والنَّفسِ وَالشَّيطَانِ

فالعبادة إنما تكون بمتابعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليست بالبدع والمحدثات.

ومَدَارُهُ بالأمرِ أَمْرِ رسُولِهِ ... لَا بِالهَوَى والنَّفسِ وَالشَّيطَانِ

هذا تعريف العبادة.

وأما تعريفها المفصل، فكما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة العبودية: أن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة[2].

وكلها تدور على غاية الحب مع غاية الذل، فمن أحب شيئًا ولم يذل له، لم يكن عابدًا له؛ فأنت تحب المال، وتحب الزوجة، وتحب الأولاد، لكنك لا تذل لهم، ليست هذه عبادة، هذه محبة طبيعية.

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٢٥٣).
(٢) انظر: (رسالة العبودية) ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

وكذلك من ذل لشي وهو لا يحبه، فليست هذه عبادة؛ فالناس يذلون للجبابرة والطغاة والملوك الظلمة، يذلون لهم، لكنهم لا يحبونهم، فهو ذل ليس معه حب؛ كما أن الطرف الثاني حب ليس معه ذل، وليس هذا في العبادة، العبادة: هو إذا اجتمع غاية الحب مع غاية الذل، وهذا لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كل ذلك يجب عقلًا، وشرعًا، وفطرة أن يكون لله وحده)**، بلا شك عقلًا، وشرعًا، وفطرة، لا يكون إلا الله، فمن عبد غير الله، فقد خالف العقل، وخالف الشرع، وخالف الفطرة.

ش: ويمتنع عقلًا، وشرعًا، وفطرة أن يكون لغيره، فمن فعل شيئًا من ذلك لغيره، فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له، ولا مثل له، ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله.

فلهذه الأمور وغيرها أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة. هذا معنى كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(1).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمن فعل شيئًا من ذلك لغيره، فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له، ولا مثل له، ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه، وأبطله**)، الله جَلَّ وَعَلَا نفى عن نفسه التمثيل؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، هذا نفي، ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾: هذا استفهام بمعنى النفي، لا سمي له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]: إنه لا ند له يساويه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فلهذه الأمور وغيرها أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة**)، أخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك؛ لأنه اقبح الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، فالمشرك إذا لم يتب إلى الله، لا مطمع له في المغفرة.

---

(١) انظر: الجواب الكافي (ص ١٣٦).

الله جَلَّ وَعَلَا واسع المغفرة، ولكنها لا تسع المشرك أبدًا، محروم من المغفرة، إذا مات على الشرك الأكبر، فلا مطمع له في مغفرة الله ورحمته، ولا مطمع له في الجنة؛ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، المراد بالظالمين هنا: المشركون؛ لأن الشرك أعظم الظلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلهذه الأمور وغيرها أخبر** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة)**، مع أنه أخبر عن نفسه أنه واسع المغفرة؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢]، ومع هذا لم تسع رحمته -على سعتها- لم تسع المشرك الشرك الأكبر.

ش: وفي الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار.

ولا يجوز أن يحمل قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾على التائب؛ فإن التائب من الشرك مغفور له؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، فهنا عمَّ وأطلق؛ لأن المراد به التائب، وهناك خص وعلق؛ لأن المراد به من لم يتب. هذا ملخص قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين: بأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وليسوا عندهم بمؤمنين، ولا كفار)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾: هذا فيه رد على المرجئة الذين يعتمدون على المغفرة فقط والرحمة فقط، وينسون أن الله شديد العقاب، أن الله لا يغفر الشرك، ينسون هذا.

وفيها رد على الخوارج والمعتزلة الذين يتشددون في الذنوب، ويكفرون بالكبائر التي دون الشرك، ولهذا قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، هذا فيه رد على الخوارج وعلى المتشددين؛ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار**)، المعتزلة تلاميذ للخوارج، لكنهم قالوا بالمنزلة بين المنزلتين، وهذه لا أصل لها لا عقلًا ولا شرعًا.

ليس هناك منزلة بين المنزلتين، ليس هناك أحد ليس بمؤمن ولا بكافر، لابد إما أن يكون مؤمنًا، وإما أن يكون كافرًا، ليس هناك منزلة بين المنزلتين، فهم على مذهب الخوارج.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولا يجوز أن يحمل قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ على التائب؛ فإن التائب من الشرك مغفور له**)، التوبة تجب ما قبلها من الشرك وغيره، فقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، يعني: من الذنوب، ولو لم يتب منها، إذا شاء الله؛ تحت المشيئة، لم يطلق، وقال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، بل قال ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، فرد هذا للمشيئة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]**)، ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر:٥٤]، ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾ يعني: توبوا، بالتوبة يغفر الله للمشرك إذا تاب ولغيره.

وإنما المراد بقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، يعني: وإن لم يتب، إذا كان ذنبه دون الشرك، فإنه تحت مشيئة الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فهنا عمَّ وأطلق؛ لأن المراد به التائب**)، ولذلك في الآية التي بعدها: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤]، دل على أنه لابد من التوبة، إذا كان الذنب من الشرك الأكبر، فلابد من التوبة، أما إذا كان الذنب دون الشرك الأكبر، فإن الله يغفره إذا شاء.

وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

ش: قوله: (وَقَالَ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

الصنم: ما كان منحوتًا على صورة، والوثن: ما كان موضوعًا على غير ذلك. ذكره الطبري عن مجاهد[1].

قلت: وقد يسمى الصنم وثنًا؛ كما قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧].

ويقال: إن الوثن أعم -وهو قوي-، فالأصنام أوثان؛ كما أن القبور أوثان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥])، هذا باب الخوف من الشرك، الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في دعائه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾، يعني: مكة، ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، السبب: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦]، الإنسان يخشى على نفسه إذا كثر الشر في المجتمع، أن يصيبه هذا الشر، ولهذا الخليل لما رأى كثرة الشرك والمشركين، خاف على نفسه، ولم يزك نفسه مع ما له من المقام العظيم في التوحيد؛ فهو

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٤٦).

الذي كسر الأصنام بيده، وهو الذي صبر على التعذيب بالنار، أُلقي في النار بسبب إنكاره للشرك وتحطيمه للأصنام؛ ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:٦٨]، مع هذا خاف على نفسه، كيف نحن نزكي أنفسنا، ولانخاف من الشرك؟! لا سيما إذا كثر في الناس، كثر في البلد، فإن هذا يجتر البقية، ولهذا قال: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ ﴾، يعني: الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٣٦].

فإذا كان الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خاف على نفسه من الشرك، فكيف بنا نحن، ولا نخاف على أنفسنا من الشرك، ولا نحذر منه، ولا نتعلم ما هو الشرك؛ حتى نتجنبه؟!!

الكثير لا يعرفون ما هو الشرك، إذا قلت له: الشرك ما هو؟ قال: الشرك: عبادة الأصنام فقط، الشرك أعم من هذا؛ كل ما عُبِد من دون الله من صنم، أو ولي، أو صالح، أو حي أو ميت، من عُبِد من دون الله، فإن هذا هو الشرك، وصرف العبادة لغيره.

الشرك: هو عبادة غير الله على وجه العموم.

وبعضهم يقول: الشرك: هو الشرك في الربوبية؛ أن تعتقد أن أحدًا يخلق، ويرزق، ويدبر مع الله، لا، ليس هذا هو الشرك، الشرك: أن تصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو الشرك؛ ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ ﴾ [الجن:١٨]، دعاء؛ ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا

تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، كلمة: ﴿أَحَدًا﴾: نكرة في سياق النهي، تعم كل أحد، كل شيء: الملائكة، والأنبياء والرسل، والأولياء والصالحين، لا يعبدون مع الله عَزَّوَجَلَّ، الأشجار والأحجار والأصنام، والقبور لا تعبد مع الله عَزَّوَجَلَّ، كلها داخلة في قوله: ﴿أَحَدًا﴾، كائنًا من كان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ الخَلِيلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥])، الخليل: هو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأن الله اتخذه خليلًا.

والخليل: هو من بلغ أعلى درجات المحبة.

الخلة: هي أعلى درجات المحبة، فالله يحب إبراهيم أعلى درجات المحبة، ولهذا اتخذه الله خليلًا. وليس في الخلق خليل لله إلا إبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-، فمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليل الله، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[1].

والخلة لا تقبل الاشتراك؛ لا تكون خليلًا لله، وخليلًا لغيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ الخَلِيلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥])، ﴿وَبَنِيَّ﴾: هذا فيه الدعاء للذرية، لم يقتصر على نفسه، بل دعا لذريته.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الصنم: ما كان منحوتًا على صورة، والوثن: ما كان موضوعًا على غير ذلك. ذكره الطبري عن مجاهد)**، الصنم: ما كان على صورة إنسان أو حيوان من ذوات الأرواح، هذا في اللغة، والوثن: على غير صورة؛ كالشجر، والحجر، والقبور، والأضرحة، هذه أوثان، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[(١)]، فالوثن أعم من الصنم؛ يشمل المصور وغير المصور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والوثن: ما كان موضوعًا على غير ذلك)**، على غير صورة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذكره الطبري عن مجاهد)**، الطبري الذي هو ابن جبرير الطبري في تفسيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وقد يسمى الصنم وثنًا، كما قال الخليل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧])، مع أنهم يعبدون صورًا وتماثيل، فهو سماها أوثانًا، فالوثن أعم من الصنم.

---

(١) أخرجه الإمام مالك مرسلا في الموطأ (٨٥) (١/ ١٧٢)، من حديث عطاء بن يسار.

....

ش: قوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، أي: اجعلني وبنيّ في جانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها.

وقد استجاب الله تعالى دعاءه، وجعل بنيه أنبياء، وجنبهم عبادة الأصنام.

وقد بين ما يوجب الخوف من ذلك بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، فإنه هو الواقع في كل زمان، فإذا عرف الإنسان أن كثيرًا وقعوا في الشرك الأكبر، وضلوا بعبادة الأصنام، أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقع فيه الكثير من الشرك الذي لا يغفره الله.

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم(١). فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه من العلم بالله، وبما بعث به رسوله من توحيده، والنهي عن الشرك به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد استجاب الله تعالى دعاءه، وجعل بنيه أنبياء، وجنبهم عبادة الأصنام)، جعل الأنبياء من بعده كلهم من ذريته، كلهم من بني إسحاق، أنبياء بني إسرائيل كلهم من ذرية إسرائيل الذي هو يعقوب بن إسحاق إلا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فإنه من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من ذرية إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وأما بقية أنبياء بني إسرائيل، فهم

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٩).

من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، جعل الله الأنبياء كلهم؛ محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأنبياء بني إسرائيل كلهم من ذرية إبراهيم عليه السلام؛ ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

قوله رحمه الله: (وقد بين ما يوجب الخوف من ذلك)، الخوف، لماذا خاف إبراهيم؟ لما كثرت عبادة الأصنام، خشي أن تدركه؛ لأن الفتن إذا كثرت، فإنها تدرك الناس، عليهم منها خطر.

والإنسان لا يزكي نفسه أبدًا؛ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن(١)، يخاف من الله عز وجل، ولا يثق من نفسه، أو يعتقد أنه في منجى وفي معزل، لا، هو في خطر، ما دام على قيد الحياة، فهو على خطر.

قوله رحمه الله: (وقد بين ما يوجب الخوف من ذلك بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾)، الأصنام أضلت كثيرًا من الناس، أضلتهم يعني: صرفتهم عن الحق وعن الهدى، فافتتنوا بها، الأصنام لما كثرت فتنتهم، فهو خاف على نفسه، ولا يزكي أحد نفسه، بل يخاف من الفتنة، ويبتعد عن الفتنة، ويتعوذ بالله من الفتن.

قوله رحمه الله: (فإنه هو الواقع في كل زمان)، الواقع: الإضلال، إضلال المعبودات من دون الله، إضلالها للناس، لا سيما إذا حكي حولها حكايات

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٦٥٤) عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

وقصص، ومنامات وأحلام، والناس يطمعون في الأشياء، يقولون: هذا يقضي لك حاجتك، هذا يجيب لك مقصودك، الناس يطمعون في هذه الأشياء، يريدون منها؛ هذا الميت يقضي حوائجك، هذا الميت يتوسط بينك وبين الله في قضاء حوائجك، الناس يطمعون في هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا عرف الإنسان أن كثيرًا وقعوا في الشرك الأكبر، وضلوا بعبادة الأصنام، أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقع فيه الكثير من الشرك الذي لا يغفره الله)**، فهم لهم عقول، كثير من الناس لهم عقول، ولكن ضلت عقولهم -والعياذ بالله-، ولم تنفعهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟)**، إذا كان إبراهيم خاف على نفسه من الابتلاء بعبادة الأصنام لما كثرت، فمن الذي يأمن بعد إبراهيم أن يصيبه ذلك، وهو لم يبلغ منزلة إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا قريبًا منها؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به)**، هناك من يقول: المسلمون لا يخافون من الشرك؛ لأنهم مسلمون، كم انحرف من المسلمين! وكم ضل من المسلمين! فالإنسان لا يأمن على نفسه من الفتن، ولا يزكي نفسه، بل يخاف أن يجرفه ما جرف غيره.

ولذلك يستعيذ بالله من الفتن، ويبتعد عنها، ولا يأمن على نفسه أن يقع فيها، لاسيما إذا كان جاهلًا لا يعرف الشرك، ويزين له الشرك على أنه توسل، على أنه وسيلة إلى الله، على أنه وسائط بيننا وبين الله، يزين له هذا، فيقع في الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه من العلم بالله، وبما بعث به رسوله من توحيده، والنهي عن الشرك به)، أما من كان يعرف الشرك، ويعرف أسبابه، فالغالب أنه يسلم، لكن إذا كان يجهل الشرك، فالشيطان يزينه له، شياطين الإنس دعاة الضلال يزينونه له، فيقع فيه بسبب جهله.

فمن هنا يجب على المسلم أن يتعلم التوحيد، ويتعلم ضده وهو الشرك؛ لأن الله قرن بينهما في آيات كثيرة؛ ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، لم يقل: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، وسكت، بل قال: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾؛ لأن العبادة لا تصح مع الشرك.

بعضهم يقول: ما دام أن الإنسان يصلي ويصوم، ويقول: «لا إله إلا الله»، فلا يضره التوسل بالأولياء والصالحين وما أشبه ذلك، ويقولون: هذا جاهل، ويعذر بالجهل، وما أشبه ذلك من الكلام الباطل، الشرك لا يتساهل فيه أبدًا، نقول: وإن قال: «لا إله إلا الله»، وإن صلى، وإن صام، إذا دعا غير الله، فإنه نقض «لا إله إلا الله»، فـ«لا إله إلا الله» لها نواقض، ليس فقط يقولها ويكفي هذا، لها نواقض تنقضها من الشرك والبدع والمحدثات، فيتجنب نواقض «لا إله إلا الله».

والصلاة تبطل، لو صلى الليل والنهار، إذا دعا إلى غير الله، ولجأ إلى غير الله، بطلت صلاته، فليس مجرد الصلاة ضمانًا، وقول «لا إله إلا الله» ليس ضمانًا حتى يلتزم بمقتضى ذلك، ويثبت عليه، إما بلسانه وإما ببدنه، وهو لا يتجنب ما يضاد التوحيد، فإنه لا عبرة بكلامه، ولا عبرة بصلاته ولا بعبادته.

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه، «فقال: الرياء»[(١)].

ش: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ ما أَخَافُ عليكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، فسُئلَ عَنْهُ، «فقال: الرِّياءُ»).

أورد المصنف هذا الحديث مختصرًا غير معزو، وقد رواه الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ ما أَخَافُ عليكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، فسُئلَ عَنْهُ، «فَقَالَ: الرِّياءُ»)، الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر، وهو عبادة غير الله بأي نوع من أنواع العبادة، هذا شرك أكبر. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]:

والشِّرْكَ فَاحْذرهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ ... ذَا القِسْمُ لَيْسَ بقابلِ الغُفْرَانِ
وَهْوَ اتخاذُ النِّدِّ للرحْمنِ أيًّا ... كَان مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إنْسَانِ
يَدْعُوهُ أو يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ ... ويُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدَّيَّانِ

فهذا هو الشرك الأكبر.

والثاني: الشرك الأصغر، الشرك الأصغر يكون باللسان، ويكون بالقلب، يكون ظاهرًا، ويكون خفيًّا.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٩/ ٣٩، ٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ١٥٤) من حديث محمود بن لبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٥٣) من طريق محمود ابن لبيد عن رافع بن خديج عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٦٣).

الذي باللسان مثل قول: «لولا الله وأنت»، «ما شاء الله وشئت»، وما أشبه ذلك.

وأما الذي في القلب، فمثل الرياء؛ أن الإنسان يبرز أعماله ليمدحه الناس، ويثنوا عليه، فيصلي ويطيل الصلاة من أجل أن يثنوا عليه، ويتصدق من أجل أن يُمدح وغير ذلك، فهذا شرك خفي في القلوب، لا يعلمه إلا الله، وأما الأول -وهو الشرك في الألفاظ-، فهذا شرك ظاهر، فيتجنب المسلم الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

المسلم المحقق يبعد أن يشرك الشرك الأكبر، يبعد هذا، ولا يمتنع، لكن يبعد، لكن الشرك الخفي يخاف على الإنسان، ولو كان من أتقى الناس، ولهذا خافه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صحابته من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، خافه عليهم.

قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، فسئل عنه، قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُومُ الرَّجُلُ، فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ**»، هذا رياء، وهذا شرك، وإن كان أصغر، فإنه يبطل العبادة، فالرياء إذا داخل الأعمال، بطلت، يبطل العمل الذي داخله.

الشرك الأكبر يبطل جميع الأعمال، أما الرياء، فيبطل العمل الذي وقع فيه فقط، ولا يبطل بقية الأعمال، لكنه خطير، ولأنه يجر إلى الشرك الأكبر، هو خطير جدًّا، لا يتساهل الإنسان فيه.

قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»؛ لأنهم كانوا يتذاكرون الدجال، وخطر الدجال، ويخافون منه؛ لما

أخبرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خافوا، وجعلوا يتحدثون فيه فيما بينهم، فخرج عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**».

وهو خطير جدًّا، لا يتساهل الإنسان، لا يقل: هذا شرك أصغر لا يضر -إن شاء الله، لا، يضر، الشرك لا يغفره الله وإن كان أصغر، لا يغفره الله إلا بالتوبة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ ما أَخَافُ عليكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»**)، يعني: أخوف -عندي- عليكم من الدجال الذي تتذاكرون فيه.

ش: وهذا لفظ أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث عن يزيد -يعني: ابن الهاد-، عن عمرو، عن محمود بن لبيد؛ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن أَخْوَفَ ما أَخَافُ عليكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قالوا: وما الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمُ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!».

قال المنذري: ومحمود بن لبيد رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يصح له منه سماع فيما أرى[1].

وذكر ابن أبي حاتم أن البخاري قال: (له صحبة)[2]، ورجحه ابن عبد البر[3]، والحافظ[4].

وقد رواه الطبراني بأسانيد جيدة عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج. مات محمود سنة ست وتسعين، وقيل: سنة سبع وتسعين، وله تسع وتسعون سنة[5].

(١) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري (١/ ٣٤).
(٢) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٨/ ٢٨٩).
(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٧٩).
(٤) انظر: تقريب التهذيب (ص ٥٢٢).
(٥) انظر في ترجمته: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٥٢٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٧٨- ١٣٧٩)، ومعجم الصحابة للبغوي (٥/ ٤٢٧)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١١٦٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المنذري: ومحمود بن لبيد رأى النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ولم يصح له منه سماع فيما أرى)**، إذا كان محمود بن لبيد لم يسمع من الرسول، فإنه سمعه من الصحابة، فيكون هذا من مراسيل الصحابة، والصحابي لا يرسل إلا عن صحابي مثله.

ش: قوله: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، هذا من شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته، ورحمته، ورأفته بهم، فلا خير إلا دلهم عليهم، وأمرهم به، ولا شر إلا بينه لهم، وأخبرهم به، ونهاهم عنه؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما صح عنه: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ...» الحديث(١).

فإذا كان الشرك الأصغر مخوفًا على أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كمال علمهم، وقوة إيمانهم، فكيف لا يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب؟! خصوصًا إذا عرف أن أكثر علماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقر به المشركون، وما عرفوا معنى الإلهية التي نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سوى الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ». هذا من شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته، ورحمته، ورأفته بهم)، وهذا فيه مطابقة الحديث للترجمة، الترجمة: (باب الخوف من الشرك)، والحديث فيه: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، ففيه الخوف من الشرك الأصغر، وهو الرياء، فما بالك بالشرك الأكبر -والعياذ بالله؟!!

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فيما صح عنه: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ..... الحديث»)**، «**وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجب عليه أن يبلغ أمته؛ وأن يحذرهم من الشر، وأن يرغبهم في الخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا كان الشرك الأصغر مخوفًا على أصحاب رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مع كمال علمهم، وقوة إيمانهم، فكيف لا يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب؟!)**، هذا وجه مطابقة الترجمة؛ إذا كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خافه على صحابته من المهاجرين والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، مع جلالة قدرهم وعلو مكانتهم، فمن دونهم من باب أولى يخاف عليه من الشرك الأكبر والأصغر، لكن الأكبر يبعد أن من عرف التوحيد ودرسه، وعرف الشرك، فيبعد أن يقع فيه، لكن الشرك الأصغر يسهل على كثير من الناس، ويدخل عليهم من حيث لا يشعرون أو يشعرون، يتساهلون فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكيف لا يخافه وما فوقه)**، وما فوقه من الشرك الأكبر، والترجمة عامة، (باب الخوف من الشرك)؛ يعني: الشرك الأكبر والأصغر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(خصوصًا إذا عرف أن أكثر علماء الأمصار اليوم)**، اليوم، يعني: في وقت الشارح عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إذا كان العلماء لا يعرفون التوحيد، ولا يعرفون الشرك، فكيف بغيرهم!!

وأيضًا هم يعبدون القبور والأضرحة؛ البدوي إلى آخره من الأضرحة التي عندهم، وهم علماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقر به المشركون)**، وهو توحيد الربوبية، لا يعرفون من الشرك، إلا ما عرفه المشركون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما عرفوا معنى الإلهية التى نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سوى الله)**، يقصرون الشرك على الشرك في الربوبية، ولا يكون الشرك هو عبادة غير الله، ولذلك يدعون الموتى، ويتضرعون إليهم، ويعتكفون عند قبورهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، وهم علماء، فكيف بالعوام!!!

ش: وأخرج أبو يعلى، وابن المنذر، عن حذيفة بن اليمان، عن أبي بكر، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ مَا دُعِيَ مَعَ اللهِ؟ قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» الحديث[١].

وفيه: أن تقول: «أعطاني الله، وفلان»، والند أن يقول الإنسان: «لولا فلان قتلني فلان». انتهى من الدر[٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن أبي بكر، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»)، يعني الشرك الأصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ مَا دُعِيَ مَعَ اللهِ؟ قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ)، يعني: هذا الشرك الأكبر، لكن هناك الشرك الأصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه: أن تقول: «أعطاني الله وفلان»)، «أعطاني الله وفلان»، هذا الشرك في اللفظ؛ لأنك جمعت بين الله وفلان بالواو التي تقتضي

(١) أخرجه أبو يعلى (١/ ٦٠)، وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور (٤/ ٦٣١)، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس؛ كما في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٤)، وله شاهد في المسند من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٢/ ٣٨٣)، ومن حديث معقل بن يسار، عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦).

(٢) انظر: الدر المنثور (٤/ ٦٣١).

التشريك والجمع، كان الواجب أن تقول: أعطاني الله، ثم فلان، «ثم»، تجعل فلانًا بعد الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تجعله مع الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والند أن يقول الإنسان: «لولا فلان، قتلني فلان»)**، لا يقول: لولا الله، بل: لولا فلان، لقتلني فلان، ولا يقول: لولا الله منعه مني، لقتلني، أو ما أشبه ذلك، والواجب أن يعلق قلبه بالله، لا يعلقه بالمخلوق، لولا الكلب، لأتانا اللصوص، لولا كذا وكذا، لولا -مثلًا- السائق حاذق لهلكنا في البحر، لانقلبت السيارة، سقطت الطائرة، يسندون هذا إلى حذق المخلوق، ولا يقولون: لولا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نعم، لا بأس أن تقول: لولا الله، ثم فلان، لكن أن تقول: لولا الله وفلان، أو لولا فلان بدون أن تذكر الله، هذه مشكلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى من الدر)**، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، وهو كتاب جيد ومطبوع.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو من دُونِ اللهِ نِدًّا، دَخَلَ النَّارَ». رَوَاهُ البُخَارِي(١).

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الند: الشبيه، يقال: فلان ند فلان، ونديده، أي: مثله، وشبيهه. انتهى(٢).

قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

قوله: «من مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو من دُونِ اللهِ نِدًّا»، أي: يجعل لله ندًا في العبادة يدعوه، ويسأله، ويستغيث به، دخل النار.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٣):

والشِرْكَ فَاحْذرهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ ... ذَا القِسْمُ لَيْسَ بقابلِ الغُفْرَانِ
وَهْوَ اتخاذُ النِّدِّ للرحْمنِ أيًا ... كَان مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إنْسَانِ
يَدْعُوهُ أو يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ ... ويُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدَّيَّانِ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُوْنِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ »**)، هذا الحديث: «من مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو من دُونِ اللهِ نِدًا، دخل النَّارَ»:

«مَنْ مَاتَ»: على الشرك الأكبر.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).
(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٩).
(٣) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٦٣).

«يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا»: يعني شريكًا، الند: هو الشريك والمثيل.

«دَخَلَ النَّارَ»: وهذا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، وكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء:٤٨]، فمن مات على الشرك، فإنه لا يحصل على المغفرة، بل هو محروم منها؛ لأن ذنبه أعظم الذنوب، وهو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

فهذا فيه خطر الشرك، وخطر سوء الخاتمة، وأن المسلم يحذر من الشرك، ولن يحذره إلا إذا عرف ما هو الشرك حتى يتجنبه، ويعرف التوحيد ما المراد به؛ حتى يلتزمه. وأن يسأل الله حسن الخاتمة، الإنسان لا يضمن لنفسه أنه يموت على التوحيد، ولا يضمن لنفسه أنه يدخل الجنة، ولكنه يحسن العمل، ويحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُوْنِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»)**، فهذا فيه -كما ذكرنا- فيه خطورة الشرك، وفيه أن المشرك آيس من رحمة الله ومغفرة الله، إذا مات على الشرك.

فيه: الخوف من سوء الخاتمة، وأن المسلم يسأل الله أن يحسن خاتمته، وأن يتوفاه على الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الند: الشبيه، يقال: فلان ند فلان، ونديده، أي: مثله، وشبيهه)**، الند هو الشريك والمثيل، فمن أشرك بالله، فقد جعل لله شريكًا، وجعل له مثيلًا من خلقه مساويًا له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢])، لما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ توحيد الألوهية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، هذا توحيد الألوهية، ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾، هذا توحيد الألوهية.

ثم ذكر دليله وبرهانه، وهو توحيد الربوبية: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢]، هذه أفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي لا يفعلها غيره، ومن كان كذلك، فهو المستحق للعبادة، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ﴾، إذا علمتم هذا، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، أي: شركاء له من خلقه، ممن لا يخلق ولا يرزق ولا ينزل الغيث، ولا، ولا إلى آخره.

قال: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: تعلمون أنه لا يقدر على هذه الأشياء إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتى المشركون يعرفون أنه لا يقدر على هذه الأشياء؛ خلق السماوات والأرض، وإنزال المطر، وإنبات النبات، يعلمون أن هذا لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، فالله جَلَّ وَعَلَا هو القادر على كل شيء، وأما ما عداه فلا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه، فالمستحق للعبادة هو الله جَلَّ وَعَلَا، وأما من عُبِد من غيره، فهو غير مستحق للعبادة، ولذلك صار الشرك ظلمًا عظيمًا؛ ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، فهو ظلم؛ لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، وإعطاؤها لغير مستحقها، هذا هو الظلم، أعظم الظلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «مَن مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو من دُونِ اللهِ نِدًّا)، من دون الله، يعني: غير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والشِرْكَ فَاحْذره): وأعظمه الشرك الظاهر؛ لأن هناك شركًا ظاهرًا وشركًا خفيًّا لا يعلمه إلا الله، فهو يعلم ما في القلوب.

وأما الظاهر، فيظهر من خضوع الإنسان للأصنام، والقبور، والأضرحة، هذا ظاهر، كل يراه، هذا القسم، وهو الشرك الأكبر لَيْسَ بقابلِ الغُفْرَانِ، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النِّسَاء:٤٨].

ما هذا الشرك الذي لا يقبل المغفرة؟ (وَهْوَ اتخاذُ النِّدِّ)، يعني: الشريك.

وَهْـوَ اتـخـاذُ الـنِّـدِّ لـلـرحْـمنِ أيًّا ... كَـان مِـنْ حَـجَـرٍ وَمِـنْ إنْـسَـانِ

فالشرك ليس هو عبادة الأصنام فقط، حتى عبادة الأولياء والصالحين، والملائكة، والجن والإنس، هو شرك أكبر، ليس الشرك مقصورًا على عبادة الأصنام -كما يقوله الجهال-، الشرك يعم كل من دُعِي من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: الشجر والحجر، والقبور والأضرحة، والأولياء والصالحين، والملائكة، والأنبياء، كله شرك؛ (أيًّا كَان مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إنْسَانِ).

يَـدْعُـوهُ أو يَـرْجُـوهُ ثُـمَّ يَخافُهُ ... ويُـحِـبُّـهُ كَـمَـحَـبَّـةِ الـدَّيَّـانِ

الشرك في المحبة، الشرك في الدعاء؛ أن يدعو غير الله، الشرك في الرجاء؛ أن يرجو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ش: واعلم أن اتخاذ الند على قسمين:

الأول: أن يجعله لله شريكًا في أنواع العبادة، أو بعضها -كما تقدم-، وهو شرك أكبر.

والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر؛ كقول الرجل: «ما شاء الله وشئت»، و«لولا الله وأنت»، وكيسير الرياء.

فقد ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال له رجل: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قَالَ: أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟! بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ». رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والبخاري في (الأدب المفرد)، والنسائي، وابن ماجه[1]. وقد تقدم حكمه في (باب فضل التوحيد).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الأول: أن يجعله لله شريكًا في أنواع العبادة، أو بعضها -كما تقدم-، وهو شرك أكبر)**، الشرك في العبادة شرك أكبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر؛ كقول الرجل: «ما شاء الله وشئت»، و«لولا الله وأنت»، وكيسير الرياء)**، هذا بيان الشرك الأكبر والشرك الأصغر؛ الشرك نوعان:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٣٩)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٤٠، ٦/ ٧٤)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٣٦٢)، وابن ماجه (٢١١٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٠٧)، وفيه: «**أجعلتني للهِ عَدْلًا...**». وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٧٤)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٩) وفيه: «**جَعَلْتَ للهِ نِدًّا...**».

النوع الأول: شرك أكبر ليس بقابل الغفران.

النوع الثاني: شرك أصغر، ويكون في الألفاظ، ويكون في النيات -في القلب-، وهو الشرك الخفي.

الذي في الألفاظ مثل: «لولا الله وأنت»، «ما شاء الله وشئت»، «لولا كذا، لم أحصل على كذا»، كل هذا شرك أصغر، وهو شرك في اللفظ، ولو لم يعتقده بقلبه شرك في اللفظ، لا يجوز هذا اللفظ؛ فتقول: «لولا الله ثم أنت»، «ما شاء الله، ثم شئت».

قال رجل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»**، فَقَالَ له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟! قُلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»**؛ لأنه شرك بين الله وبين المخلوق في المشيئة؛ حيث جمع بينهما بالعطف بالواو، والواو تقتضي الجمع.

وأما «ثم»، فهي تقتضي الترتيب بأن تكون مشيئة العبد بعد مشيئة الله؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التَّكْوِير:٢٩]، فتأتي بـ«ثم»؛ «ما شاء الله ثم شئت»، «لولا الله ثم أنت»، تأتي بـ«ثم»؛ لأجل أن تخلص من هذا، أو تقول: «ما شاء الله وحده»، أو «لولا الله وحده»، هذا هو التوحيد؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة:٢٢]؛ أنه لا ند له.

قال ابن عباس: (هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا، لَأَتَانَا اللُّصُوصُ!)(١)؛ يعني: يعلق على السبب، الكلب يحرس ويطرد اللصوص، فلا تجعل الكلب الذي طرد اللصوص عنك دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٩٦).

فالكلب إنما هو سبب، والأسباب لا تنفع إلا إذا شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نفعها، فالأمر معلق بالله عَزَّوَجَلَّ.

وقول الرجل: «لولا الله وأنت»، وما أشبه هذا من الألفاظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر؛ كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وكيسير الرياء**)، والشرك الأصغر قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر في الألفاظ.

القسم الثاني: شرك خفي بالنيات؛ مثل: يسير الرياء، هذا شرك، فإذا رأيت أحدًا، وأردت منه أن يمدحك في عبادتك، وأن يثني عليك، فهذا شرك يبطل هذا العمل الذي وقع فيه.

وقال: (يسير الرياء)؛ لأن الكثير هذا شرك أكبر؛ مثل: رياء المنافقين؛ ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، فرياء المنافقين شرك أكبر، وأما رياء المؤمن إذا حصل منه شيء، فهو شرك أصغر.

....

ش: وفيه: بيان أن دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي، كطلب الشفاعة من الأموات، فإنها ملك لله -تعالى-، وبيده، ليس بيد غيره منها شيء، وهو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن لاقى الله بالإخلاص والتوحيد من أهل الكبائر-كما يأتي تقريره في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه: بيان أن دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي، كطلب الشفاعة من الأموات، فإنها ملك لله -تعالى-، وبيده، ليس بيد غيره منها شيء**)، المخلوق يشفع، لكن بعد إذن الله، لا يشفع ابتداء؛ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فالله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ورضائه عن المشفوع فيه، الشفاعة لها شرطان:

الشرط الأول: أن يأذن الله بها: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [النَّحْلِ:٥٠].

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد؛ ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، والله لا يرتضي إلا أهل التوحيد.

أما المشرك والكافر، فلا تنفعهم الشفاعة؛ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، إنما هذا في حق المؤمن العاصي إذا شفع له أخوه بإذن الله؛ بأن دعا له بالمغفرة، الشفاعة هي الدعاء، الدعاء شفاعة، إذا دعوت لأحد، فقد شفعت له.

والله أذن لنا أن ندعو لإخواننا، أذن لنا بذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: بيان أن دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي)**، دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كمغفرة الذنوب، وإدخال الجنة، وغير ذلك، هذا لا يقدر عليه إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كطلب الشفاعة من الأموات، فإنها ملك لله -تعالى-، وبيده، ليس بيد غيره منها شيء)**، فالذين يطلبون الشفاعة من الأموات أنكر الله عليهم بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، الله أنكر عليهم ذلك؛ فالعبادة حق لله، لا يجوز أن تصرف للأولياء والصالحين؛ لأجل أن يشفعوا لك عند الله، لا، لن يشفعوا لك؛ لأنك أشركت، والمشرك لا يقبل فيه شفاعة، وفي هذا قال في ختام الآية: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، سمى هذا شركًا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، يكونون شفعاء عند الله؛ ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾: يقربون فقط، وهذا هو معنى الشفاعة، مع أنهم أقروا أنهم يعبدونهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، والله أنكر عليهم، وقال في ختام الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]، فهذا كذب وكفر.

والله جَلَّ وَعَلَا أنكر عليهم في القرآن، وهم يقولون: نحن لا نعتقد أنهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون، وإنما فقط من أجل الوساطة، نتوسط بهم

عند الله، ويصرفون لهم من العبادة؛ يذبحون لهم، ينذرون لهم، يسجدون لهم عند قبورهم، ويعكفون عند قبورهم؛ تقربًا إليهم، وإذا سُئِلوا، قالوا: نحن نعرف أنهم خلق، وأنهم ضعفاء، وأنهم لا يخلقون، ولكن هؤلاء صالحون، ونريد أنهم يشفعون لنا عند الله عَزَّوَجَلَّ، هل الله أذن لكم بذلك؟! هل شرع لكم ذلك؟! لا، لم يشرع الله هذا، الله جَلَّوَعَلَا بابه مفتوح الليل والنهار، ادعوه مباشرة، اطلب منه ما تريد، لماذا تبحث وتأتي بواحد من الناس يشفع لك عند الله، الله قريب مجيب، ويحب الدعاء سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، حكم عليه بالكفر، وتوعده بأن حسابه وجزاءه عند ربه، هذا وعيد، فهذا لا يجوز أبدًا.

الشرك باسم التوسل لا يجوز، لو سميته بأي اسم هو شرك، لا يغيره تسميتك إياه بالتوسل، أو بطلب الشفاعة، لا يغير الشرك، فالأسماء لا تغير الحقائق أبدًا، لو تقول لهم: هذا شرك، قالوا: لا، ليس هذا بشرك، هذا توسل، هذا شرك، لو سميته توسل، لا يتغير، أنت تذبح له، وتنذر له، وتدعوه، وتقول: هذا توسل؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن لاقى الله بالإخلاص، والتوحيد من أهل الكبائر)**، فيمن لاقى الله، يعني: مات على التوحيد، لكن عنده ذنوب استحق بها العذاب، فيدعو الله له أن ينجيه الله من العذاب، وأن ينجيه من النار، وهو مذنب من أهل التوحيد، هذا يقبل الله

الشفاعة فيه بهذين الشرطين: أن يأذن الله، وأن يكون المشفوع فيه ممن يرضى الله قوله وعمله.

ولذلك الناس في المحشر إذا طال عليهم الوقوف، واشتد بهم الكرب، وطال عليهم الزمان، يذهبون إلى أولي العزم من الأنبياء: إلى آدم، إلى نوح، إلى إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى، إلى محمد عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويقولون: (اشفعوا لنا عند الله أن يريحنا من الموقف، وأن يحاسبنا؛ نرتاح من الموقف)، كل الأنبياء يعتذرون، كلهم يعتذرون لصعوبة الموقف عند الله جَلَّ وَعَلَا، إلا نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يقول: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**»، ثم يذهب، ويسجد بين يدي ربه، ويدعوه، ويتضرع إليه، ولا يزال ساجدًا بين يدي ربه حتى يقال له: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[1]، فأذن الله له بالشفاعة، فشفع في الناس بأن يريحهم الله من الموقف، ويحاسبهم، وهذا هو المقام المحمود الذي قال الله جَلَّ وَعَلَا فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، الشفاعة عامة في كل الخلق، وهي الشفاعة ليس بدخول الجنة، الشفاعة في انصرافهم من المحشر وحسابهم، وكل يذهب إلى منزله في الجنة أو في النار؛ لأن المحشر شديد ضنك وحر، وزمن طويل ﴿مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:٤، ٥].

فهذه الشفاعة اختص بها نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن كما ترون لم يشفع إلا بعد الإذن، بعد أن حصل على الإذن من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) حديث الشفاعة سبق تخريجه (ص٤٢٢).

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لقي الله لا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شيئًا، دَخَلَ النَّارَ»[١].

ش: جابر هو: ابن عبد الله بن عمرو بن حرام -بمهملتين- الأنصاري، ثم السلمي -بفتحتين-، صحابي جليل هو وأبوه، ولأبيه مناقب مشهورة رضي الله عنهما، مات بالمدينة بعد السبعين، وقد كف بصره، وله أربع وتسعون سنة[٢].

قوله رحمه الله: (**عَنْ جَابِرٍ** رضي الله عنه **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صلى الله عليه وسلم **قَالَ**: «**من لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ**)، يعني: يوم القيامة، «**دَخَلَ الْجَنَّةَ**»: إذا سلم من الشرك، دخل الجنة؛ إما من أول وهلة ولا يعذب، وإما بأن يعذب في النار بقدر ذنوبه، ثم يخرج من النار ويدخل الجنة، فالموحد مآله إلى الجنة؛ إما ابتداءًا، وإما بعد تعذيبه بالنار، لا يخلد في النار؛ «**من لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، هذا وعد من الله سبحانه وتعالى، ودخوله الجنة -كما ذكرنا- إما أن يكون بلا عذاب، وإما أن يكون بعد العذاب ودخوله النار، ثم يخرج منها بعد ذلك، ويدخل الجنة، فهو إنما يأمن من الخلود من النار، وقد يأمن من دخولها بذنوبه.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣).

(٢) انظر في ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢١٩)، ومعجم الصحابة للبغوي (١/ ٤٣٨)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٧٩٧)، وإكمال تهذيب الكمال (٣/ ١٣١).

«**وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شيئًا، دَخَلَ النَّارَ**»، انظر! «**يُشْرِكُ بِهِ شيئًا**»، أي: شيء، «**يُشْرِكُ بِهِ شيئًا**»: صنمًا، شجرًا، حجرًا، قبرًا، إنسانًا، وليًّا، أي شيء، كلمة عامة هذه.

«**وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شيئًا، دَخَلَ النَّارَ**»، ودخوله النار مؤبد؛ لأنه ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾، يعني: المشركين، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]: ينصرونهم من دون الله.

فهذا فيه خطر الشرك، وفيه فضل التوحيد؛ «**من لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، هذا فضل التوحيد، «**وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شيئًا، دَخَلَ النَّارَ**»، هذا خطر الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(صحابي جليل هو وأبوه)**، هو وأبوه جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو من خيار الصحابة، وأبوه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من خيار الصحابة، أبوه قُتِلَ شهيدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في وقعة أُحُد، عبد الله بن حرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ في وقعة أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مات بالمدينة بعد السبعين)**، مات، يعني: جابرًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: قوله: «من لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا».

قال القرطبي: أي: لم يتخذ معه شريكًا في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة، ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من مات على ذلك، فلابد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب، والمحنة، وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة، ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذاب، ولا تصرم آماد[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال القرطبي**)، القرطبي الذي شرح صحيح مسلم، وهو غير القرطبي المفسر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «من لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا»**)، يشرك به شيئًا معناه: أن يتخذ معه شريكًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «من لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا». قال القرطبي: أي: لم يتخذ معه شريكًا في الإلهية**)، في الإلهية، يعني: في العبادة، وفي الخلق: هذا في الربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من مات على ذلك فلابد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة**)، بسبب ذنوبه.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٩٠).

....

ش: وقال النووي: أما دخول المشرك النار، فهو على عمومه، فيدخلها، ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي، والنصراني، وبين عبدة الأوثان، وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام، وبين من انتسب إليها ثم حُكِمَ بكفره بجحده ما يكفر بجحده، وغير ذلك. وأما دخول من مات غير مشرك الجنة، فهو مقطوع له به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها، دخل الجنة أولًا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها، فهو تحت المشيئة، فإن عفا الله عنه، دخل الجنة أولًا، وإلا عُذِّب في النار، ثم أُخرج من النار، وأُدخل الجنة[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال النووي)**، كلام القرطبي انتهى، والنووي -أيضًا- شرح صحيح مسلم، وهو الشرح المتداول الآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أما دخول المشرك النار، فهو على عمومه)**، يعني: لا يدخل الجنة أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي، والنصراني، وبين عبدة الأوثان، وسائر الكفرة)**، كل من أشرك بالله -سواء من أهل الكتاب أو غيرهم- حكمهم سواء مخلدون في النار.

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٩٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره)**، الكافر عنادًا، أو الكافر بغير عناد، يعني: مجتهد، وظن أن هذا صحيح، ووجد عليه الناس وقلدهم، لا يجوز هذا، فالعقيدة لا يجوز التقليد فيها أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا بين من خالف ملة الإسلام، وبين من انتسب إليها، ثم حُكِمَ بكفره بجحده ما يكفر بجحده، وغير ذلك)**، يعني: لا فرق بين من أشرك بالله في العبادة، أو بين من ارتد عن الإسلام، ولا بين المشرك الكتابي أو غير الكتابي، كلٌّ مشرك، ليس هناك فرق بين أنه من أهل الكتاب، أنه كان مسلمًا ثم ارتد، لا فرق في هذا، كلهم سواء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما دخول من مات غير مشرك الجنة، فهو مقطوع له به)**، دخول الجنة مقطوع له به، لكن قد يدخلها بدون عذاب، وقد يدخلها بعدما يعذب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها، فهو تحت المشيئة)**؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فالذي عنده كبائر دون الشرك تحت المشيئة، أما مات بعدما تاب منها فإنها لا تضره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن عفا الله عنه، دخل الجنة أولًا، وإلا عُذِب في النار، ثم أُخرج من النار، وأُدخل الجنة)**، يعني: مآله إلى الجنة؛ إما ابتداء، وإما بعد تعذيبه.

....

ش: وقال غيره: اقتصر على نفي الشرك؛ لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء، واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم؛ إذ من كذب رسل الله، فقد كذب الله، ومن كذب الله، فهو مشرك، وهو كقولك: من توضأ، صحت صلاته. أي: مع سائر الشروط.

فالمراد: من مات حال كونه مؤمنًا بجميع ما يجب الإيمان به إجمالًا في الإجمالي، وتفصيلًا في التفصيلي. انتهى[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال غيره**)، وقال غيره: يعني غير النووي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال غيره: اقتصر على نفي الشرك؛ لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء، واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم**)، ومن مات لا يشرك بالله شيئًا، دخل الجنة، ومن مات يشرك به، يدعو لله ندًّا، دخل النار، فالعبرة بالخاتمة؛ أن تكون على الشرك أو على التوحيد، العبرة بالخاتمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال غيره: اقتصر على نفي الشرك**)، لا يشرك بالله شيئًا؛ لأن الذي لا يشرك بالله شيئًا يلزم منه أنه آمن بالرسل، وآمن بالكتب، يلزم منه هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهو كقولك: من توضأ صحت صلاته. أي: مع سائر الشروط**)، مع سائر شروط صحة الصلاة، هذا يعني من باب الاستقصاء، وليس بلازم هذا.

---

(١) هذا كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١/ ٢٢٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الْخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الرِّيَاءَ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ.

الْخَامِسَةُ: قُرْبُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، يعني: في هذا الباب، وما ورد فيه من النصوص، فيه مسائل تستنبط من هذه النصوص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ**)، إذا كان الشرك بهذه الخطورة؛ أن من مات عليه دخل النار، فهو خطير جدًّا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّ الرِّيَاءَ مِنَ الشِّرْكِ**)، أن الرياء من الشرك، الشرك الخفي، فإذا صلى أو تصدق يريد مدح الناس، فقد اتخذهم شركاء مع الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا يعتبر من الشرك، لكنه شرك أصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثالثة: أَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ**).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ**)، الشرك الأصغر يخاف على الصالحين، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خافه على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أما الشرك الأكبر، فيبعد أن المؤمن والمسلم والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يبعد أنهم يقعون فيه؛ لما عندهم من العلم، ولما عندهم من العمل، ولما عندهم من العقيدة، أما الشرك الخفي، فهذا يقع من الصالحين، ويقع من الصحابة،

ولذلك خافه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم؛ ليحذرهم منه، ففيه خطورة الشرك الأصغر، لا نتساهل فيه، ونقول: هذا أصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: قُرْبُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ)**، قرب الجنة والنار؛ ليس بينك وبين الجنة والنار إلا أن تموت؛ إما أن تكون من أهل الجنة، وإما أن تكون من أهل النار، والموت لا تدري في أي لحظة.

وهذا جاء في الحديث: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»(١)، لا تقل: أنا لا أزال شابًّا، أنا باق من عمري، لا تدري في أي لحظة، فإذا مت؛ إما أن تكون إلى الجنة؛ لأنه قال: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُوْنِ اللهِ نِدًّا، دَخَلَ النَّارَ، وَمَنْ مَاتَ وَهْوَ لَا يَدْعُو لِلهِ نِدًّا، دَخَلَ الجَنَّةَ**»، فعلق الأمر بالموت، والموت قريب، فالجنة قريبة، والنار قريبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السَّادسةُ: الْجمْعُ بيْن قُرْبهما في حديث واحد.

السَّابعةُ: أنَّهُ من لقيهُ لا يُشْرِكُ به شيْئًا، دخل الْجنَّة، ومنْ لقيهُ يُشْرِكُ به شيْئًا، دخل النَّار، ولوْ كان منْ أعْبد النَّاس.

الثَّامنةُ: الْمسْألةُ الْعظيمةُ: سُؤالُ الْخليل لهُ ولبنيه وقاية عبادة الْأصْنام.

التَّاسعةُ: اعْتبارُهُ بحال الْأكْثر لقوْله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦].

العاشرةُ: فيه تفْسيرُ «لا إله إلَّا اللّه»؛ كما ذكرهُ الْبُخاريُّ.

الْحاديةَ عشْرةَ: فضيلةُ منْ سلم من الشِّرْك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّادِسَةُ: الجَمْعُ بيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مَنْ لَقِيَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ)، ولو كان من أعبد الناس في حياته، إذا خُتِم له بالشرك، بطل عمله كله، ففيه الخوف من سوء الخاتمة، ولا يغتر بصلاحه وعلمه وتقواه، بل يسأل الله حسن الخاتمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: المَسْأَلَةُ الْعَظِيمَةُ: سُؤَالُ الخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ)، الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٥، ٣٦]، فلم يأمن على نفسه مع قدمه في التوحيد، وجهاده في التوحيد، وبلائه، وما جرى عليه من المحن في التوحيد خاف على نفسه من الشرك؛ لأن الشرك انتشر، وكثر

في الناس، والفتنة إذا جاءت تعم، إلا من وقاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا فيه الفقه العظيم من الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(التَّاسِعَةُ: اِعْتِبَارُهُ بِحَالِ الْأَكْثَرِ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦])**، اعتبار الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لحال الأكثر: ﴿إِنَّهُنَّ﴾، أي: الأصنام، ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦]، فإذا كثرت الفتنة يخاف منها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(العَاشِرَةُ: فِيهِ تَفْسِيرُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ كَمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ)**، فيه تفسير: **«مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُوْنِ اللهِ نِدًّا، دَخَلَ النَّارَ، وَمَنْ مَاتَ وَهْوَ لَا يَدْعُو لِلهِ نِدًّا، دَخَلَ الجَنَّةَ»، «مَنْ لَقِيَ اللهَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، دَخَلَ النَّارَ، وَمَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْجَنَّةِ»**، «لا إله إلا الله» تتضمن هذا؛ «لا إله»: هذا فيه نفي الشرك، «إلا الله»: هذا فيه إثبات التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ)**، يدخل الجنة، وهذه سعادة لا يعدلها سعادة، إذا دخل الجنة فقد سعد؛ ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥].

٤- بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَه إِلَّا اللَّهُ

ش: قوله: (بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، لما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ التوحيد وفضله، وما يوجب الخوف من ضده، نبه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة؛ كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم.

كما قال الحسن البصري لما تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين. هذا خليفة الله[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، الدعاء يعني: الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنها أول ما يبدأ بها في الدعوة.

ومناسبة هذا الباب لما قبله؛ لأنه لما ذكر تعريف التوحيد، وذكر في الباب الذي بعده فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، ذكر بعده: تحقيق التوحيد، (باب: من حقق التوحيد)، وذكر بعده: (باب الخوف من الشرك).

إذًا يكون من قرأ هذه الأبواب صار عنده علمٌ في هذا الباب من هذه الأبواب التي مرَّ عليها، فلابد أن يؤدي الواجب الذي عليه؛ بأن يدعو

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٥٠٧)، وعبد الرزاق في تفسيره (٣/ ١٥٥).

غيره إلى التوحيد، فإنه قد تأهل حينئذ للدعوة، ولا يجوز له أن يسكت وهو يرى الناس على الشرك وعبادة غير الله، وهو يعلم أنهم على ضلال، وأنهم ليسوا على شيء، فيسكت ويتركهم، هذا من كتمان العلم، والله توعد الذين يكتمون العلم بأنه لعنهم، ولعنتهم الملائكة؛ ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٥٩، ١٦٠]، فلا يليق بالعلماء وطلبة العلم الآن أن يسكتوا عن المسلمين، وهم يرون الشرك الظاهر فيهم، لا يسعهم ذلك، بل يجب عليهم البيان والدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلذلك عقد هذا الباب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن هذه الكلمة هي كلمة الإخلاص، كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، فهي كلمة عظيمة فيها نفي الشرك، وإثبات التوحيد، وهي كلمة مختصرة، قليلة الألفاظ، عظيمة المعاني، هي أساس الدين كله، فلا يصح الدين ولا العبادات، ولاالقرب ولا الطاعات، إلا إذا تحققت «لا إله إلا الله»، وبُنِيت عليها، وإلا فإنها تكون هباء منثورًا مهما كثرت وتنوعت، إذا لم تؤسس على كلمة «لا إله إلا الله»، فإنها تكون ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨]، تكون هباء منثورًا، فلذلك يجب الاهتمام بهذه الكلمة العظيمة؛ نطقًا، واعتقادًا، وعملًا بمقتضاها؛ فإنها هي أصل الدين، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، فهي كلمة عظيمة يجب الدعوة إليها وبيانها للناس، وأنها ليست مجرد لفظ يقال، وإنما هي لفظ ومعنى ومقتضى، لابد من هذا، ولا يتحقق الدين ولا يصح إلا بها، وتحقيقها هي شهادة أن لا إله إلا الله،

والشهادة هي النطق والإعلان بهذه الكلمة، وبيان معناها ومقتضاها؛ حتى تكون نافعة لقائلها.

أما مجرد اللفظ بدون معرفة معناها، أو مع عدم العمل بمقتضاها، وإن كان يعرف معناها، فإنها لا تنفعه «لا إله إلا الله»؛ كما يأتي في هذا الباب، وفي غيره إلى آخر كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لما ذكر المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **التوحيد، وفضله، وما يوجب الخوف من ضده، نبه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه)**، أن يقتصر على نفسه، يقول: أنا -الحمد لله- أنا عرفت التوحيد، واستقمت عليه، ولست بمسؤول عن الناس، بل بعضهم يزيد شرًّا، ويقول: كل له عقيدته، حرية الاعتقاد، وما أشبه ذلك من الكلمات الباطلة، ليس هناك حرية في الاعتقاد، أنت عبدٌ لله عَزَّوَجَلَّ، لست حرًّا من العبادة، لست حرًّا من عبادة الله، أنت حر من عبادة غير الله، وأما عبادة الله، فأنت مخلوق لها؛ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، فليس هناك حرية في الاعتقاد؛ تعتقد ما تشاء، لا، هذا لا يقوله مسلم، لايقول: ليس لي شأن بالناس وعقائدهم، أنا إذا صلحت في نفسي، ليس ليِّ شأن بهم. نقول: عليك، والمسؤولية عليك أعظم من مسؤولية الجاهل، أنت الآن عرفت وتعلمت، فالمسؤولية عليك أعظم، والواجب عليك أكبر، فلا يجوز لك السكوت، بيّن للناس حسب استطاعتك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لما ذكر المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **التوحيد، وفضله، وما يوجب الخوف من ضده)**، ضده: الشرك، والخوف من الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل يجب عليه أن يدعو إلى الله -تعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة)**، يجب عليه؛ ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾: هذه سبيل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف:١٠٨]، الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ هي سبيل الرسول، سبيل أتباعه إلى يوم القيامة، ليس بسبيلهم السكوت، وترك الناس على باطلهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة)**، بالحكمة: وهي وضع الشيء في موضعه، وذلك في البداية تدعو إلى الله بالحكمة؛ تبين للناس الصحيح، تبين للناس الحق، للجهال الذين لايعرفون ذلك، تعلمهم هذا، هذه الحكمة.

والموعظة الحسنة: إذا دعوت وبينت، ورأيت تكاسلًا من المدعو، وعدم مبادرة، فإنك تعظه؛ تقول له: أنت عرفت، فيجب عليك العمل والمبادرة بالعمل، إذا قال: فيما بعد، نقول: لا، ليس فيما بعد؛ من الممكن أن تموت وأنت على هذا، فتدخل النار، متى فيما بعد؟! ليس الأمر بيدك، فبادر بالدعوة إلى الله، وامتثل ما عرفت من التوحيد، امتثل.

يقول: أنا لا أقدر، أنا في بلد كذا وكذا، نقول: لا، ليست المسألة أنك تجامل الناس، قم بما أوجبه الله عليك، أنت لست مثل الجهال الآن، لست مثلهم. فإن تجاوز الأمر، وصار يجادل، ويصحح ما عليه هو وغيره من المشركين والعصاة، لابد أن تجادله، وتبطل شبهاته، تبينها له ولغيره؛ أن هذا باطل، هذا جدال، لكن يكون بالتي هي أحسن، لا يكون جدالًا بالعنف والتنفير، والكلمات النابية، بل يكون جدالًا بالتي هي أحسن.

فإن حصل منه تجاوز على الداعية، واعتدى عليه، فإن الداعية يصبر على ذلك؛ ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧]، فإن أراد الداعية أن ينتقم لنفسه، فعليه بالعدل، ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ ﴾: فالصبر أحسن، لكن إن كان ولابد من الانتصار من المعتدي، فليكن بالعدل؛ لا تتجاوز حقك؛ ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل:١٢٦]، فهذه الآية العظيمة فيها بيان منهج الدعوة، ونحن نأخذ منهج الدعوة من القرآن والسنة -سيرة الرسول صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-، لا نأخذها من مناهج الفرق والأحزاب التي تضع لأنفسها مناهج من عندها، وتلزم أتباعها بها، ويبايعون عليها. لا، ليس عندنا إلا الكتاب والسنة، على منهج الكتاب والسنة، الله رسم لنا المنهج في هذه الآية وفي غيرها، فلا نأخذ منهجنا من مصطلحات الناس ومستحسنات الناس والفرق والأحزاب.

وقد بين ذلك الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ عند تفسير هذه الآية: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، بين هذه الخطوات التي يمشي عليها الداعية.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(كما قال الحسن البصري لما تلا هذه الآية: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣]، فقال: هذا حبيب الله)**، الذي ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣] هو حبيب الله، يحبه الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا ولي الله)**، ولي الله، هذا هو ولي الله على الحقيقة، ليس بولي الله من تدعى له الولاية، وهو من السحرة، أو من الكهان، أو من الكذابين والمشعوذين، ويقولون: هذه من الكرامات، وهذا ولي، نقول: لا، هذا ولي الشيطان، هذا من أولياء الشيطان، ليس من أولياء الرحمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا صفوة الله)**، اختيار الله، الصفوة: يعني الاختيار، الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾، فهو صفوة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا خيرة الله)**، هو خير العلماء، أحسن العلماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا أحب أهل الأرض إلى الله)**، حبيب الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته)**، أجاب الله في دعوته أولًا؛ عرف التوحيد، وعمل به، هذه هي الإجابة، ثم دعا غيره إليه من باب تبليغ الحق للناس، وبيان الحق للناس؛ لأنه يحب لهم ما يحب لنفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعمل صالحًا في إجابته)**، عمل صالحًا؛ لا يدعو الناس وينسى نفسه، بل لابد أن ينفذ ما يقول، ويعمل بما يقول؛ حتى يكون صادقًا في دعوته؛ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٤٤]، لابد أن يبدأ بنفسه، يكون قدوة بفعله قبل أن يتكلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعمل صالحًا في إجابته، وقال إنني من المسلمين)**، ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، يعني: أسلمت ديني، وأسلمت عقيدتي، وأسلمت عملي لله جَلَّ وَعَلَا لا لغيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا خليفة الله)، لأن الله استخلف الأنبياء وأتباع الأنبياء، استخلفهم في الأرض؛ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، وهو آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو إلى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦].

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

ش: قال أبو جعفر ابن جرير: يَقُولُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدَّعْوَةُ الَّتِي أَدْعُو إِلَيْهَا، وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ. ﴿سَبِيلِىٓ﴾ وَطَرِيقَتِي وَدَعْوَتِي ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بِذَلِكَ وَيَقِينِ عِلْمٍ مِنِّي بِهِ. ﴿أَنَا۠﴾ وَمَنْ يَدْعُو إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَيْضًا ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ وَصَدَّقَنِي وَآمَنَ بِي.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾، يَقُولُ لَهُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ-: وَقُلْ تَنْزِيهًا للهِ تَعَالَى، وَتَعْظِيمًا لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، أَوْ مَعْبُودٌ سِوَاهُ فِي سُلْطَانِهِ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، يَقُولُ: وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، لَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا هُمْ مِنِّي. انتهى[١].

قال في «شرح المنازل»: يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم، وهي البصيرة التى تكون نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخصيصة التى اُختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء[٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٨٧).
(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٥١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨])، يقول الله لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُلْ ﴾ للناس: ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾: هذا منهجي، اشرحه للناس وبينه، ما هو؟

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾: سبيلي ومنهجي أنني أدعو إلى الله.

﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾، يعني: على علم. فيشترط في الداعية: أن يكون ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾، يعني: على علم، لا يدعو وهو جاهل؛ لأن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح؛ يحلل ويحرم بدون علم، إذا سُئِل أجاب بغير الصواب، فلا يصلح الجاهل للدعوة، لابد أن يتعلم أولًا ثم يدعو، فالدعوة تحتاج إلى أهلية قبل أن يباشرها الإنسان ليكون ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف:١٠٨])، ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾، فإنهم يدعون إلى الله على بصيرة، الذين اتبعوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعون إلى الله على بصيرة، أما من دعا وهو على جهل، فليس على طريقة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾): هذا تنزيه لله عَزَّ وَجَلَّ عن كل نقص وعيب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨])، براءة من المشركين، لابد من البراءة من المشركين، فالذي يدعو إلى التوحيد لابد أن يتبرأ من الشرك وأهله، لا يقول: لا، هذه حرية العقيدة، وكل على عقيدته، ولا تنفروا الناس، ولا، ولا، هذا كلام باطل مخالف لمنهج الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل تتبرأ من الشرك، وتتبرأ من المشركين فلا تحبهم، ولا تناصرهم على شركهم، بل تتبرأ منهم ومن دينهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال أبو جعفر ابن جرير: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٌ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ﴾ **يَا مُحَمَّدُ** ﴿هَٰذِهِۦ﴾ **الدَّعْوَةُ الَّتِي أَدْعُو إِلَيْهَا، وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ**)، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، لاحظ! ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: لا يدعو إلى حزب وإلى جماعة، بل يدعو إلى الله، ولا يدعو إلى نفسه، وتعظيم نفسه، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

أما الذي يدعو لأجل أن يعظم وأن يجل، فهذا لا يدعو إلى الله، إنما يدعو إلى نفسه؛ كما قال الشيخ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ **بِذَلِكَ وَيَقِينِ عِلْمٍ مِنِّي بِهِ**)، عن يقين علم، ليس عن جهل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿أَنَا۠﴾ **وَمَنِ يَدْعُو إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَيْضًا** ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ **وَصَدَّقَنِي وَآمَنَ بِي**)، فكل من دعا إلى الله على بصيرة، فهو من أتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابد أن يكونوا على طريقته في الدعوة، ومنهجه في الدعوة، لا يكونون ممن يتبعون الأحزاب ومشايخ الطرق، وكل يتبع شيخه، لا، المتبوع هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو المتبوع، ومن عداه؛ إن اتبع الرسول فإنه يقتدى به، أما من خالف الرسول، فإنه لا يلتفت إليه ولا يعبأ به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ **يَقُولُ لَهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَقُلْ تَنْزِيهًا للهِ تَعَالَى، وَتَعْظِيمًا لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، أَوْ مَعْبُودٌ سِوَاهُ فِي سُلْطَانِهِ**)، ليس له شريك في ملكه، وليس له شريك في عبادته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾، **يَقُولُ: وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، لَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا هُمْ مِنِّي**)، لا نقول: اتركوا الكراهية، يسمونها كراهية الآن، يسمون الولاء والبراء في الله يسمونه كراهية. نعم، لابد من الكراهية، لابد أن تكره الباطل وأهل الباطل، إذا كنت لا تكره الباطل وأهل الباطل، فليس لك دين، ولا تميز بين الحق والباطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**انتهى**)، انتهى كلام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال في «شرح المنازل»**)، «شرح المنازل» لابن القيم، «مدارج السالكين شرح منازل السائرين»، لشيخ الإسلام الهروي، شرحه الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين»، وتعقب ما فيه من التصوف، تعقبه وبينه، وأخذ ما فيه من الخير وبينه، فهو كتاب نفيس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم، وهي البصيرة**)، يكون عندك علم، ليس بعلم قليل، بل بصيرة.

والبصيرة: هي أعلى درجات العلم؛ من أجل أن تكون دعوتك موافقة لمنهج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتكون على استعداد للجدال إذا جادلك أحد، تكون على استعداد لمجادلته، ودحض شبهاته، وتكون على استعداد لإجابة من يسألك عن مسائل العلم، لابد من هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهي البصيرة التى تكون نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر)**؛ لأن بصيرة العلم هي نور القلب، فهي بصر القلب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه هي الخصيصة التى اُختص بها الصحابة عن سائر الأمة)**، الصحابة امتازوا على غيرهم من قرون الأمة، فهم خير القرون؛ «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي**»[1]، لماذا؟ لأنهم تعلموا من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من المصدر الصافي، فصاروا خير القرون في علمهم وعملهم وفي جهادهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥)، من حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ش: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف:١٠٨]، أي: أَنَا وَأَتْبَاعِي عَلَى بَصِيرَةٍ.

وَقِيلَ: ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ عَطْفٌ عَلَى المَرْفُوعِ بِـ﴿ أَدْعُوٓاْ ﴾، أي: أَنَا أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَمَنِ اتَّبَعَنِي كَذَلِكَ يَدْعُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى عَلَى بَصِيرَةٍ.

وَعَلَى الْقَوْلَيْنِ: فَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَتْبَاعَهُ هُمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ الدَّاعِينَ إِلَى اللهِ تَعَالَى. وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَى الحَقِيقَةِ وَالمُوَافَقَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَى الِانْتِسَابِ وَالدَّعْوَى[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف:١٠٨]، أي: أَنَا وَأَتْبَاعِي عَلَى بَصِيرَةٍ)، ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾، أنا وأتباعي ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾: ندعو على بصيرة لا على جهل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَلَى الْقَوْلَيْنِ)، القولان لا يختلفان، بعضهم مثل بعض.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَلَى الْقَوْلَيْنِ: فَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَتْبَاعَهُ هُمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ)، أتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحقيقة هم أهل العلم والدعوة، هم أتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٥١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَى الحَقِيقَةِ وَالمُوَافَقَةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَى الانْتِسَابِ وَالدَّعْوَى)**، من لم يكن على بصيرة، وهو ينتسب إلى الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإن انتسابه لا يكون صحيحًا؛ لأنه يعتقد أشياء أو يعمل أشياء، وهي ليست موافقة لهدي الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال المصنف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الآية مسائل:

(الأولى: فيها التنبيه على الإخلاص): أن الداعية يجب أن يخلص لله نيته في الدعوة، لا يدعو لنفسه وتعظيم نفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه)**، ولا يدعو إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: أن البصيرة من الفرائض)**؛ أن البصيرة واجبة؛ لأنه قال: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾، فهي واجبة، العلم واجب في الدعوة، فيجب على الإنسان أن يتعلم قبل أن يدعو؛ ليكون على بصيرة.

أما أنه عنده غيرة، أو عنده محبة للخير، هذا لا يكفي، لابد أن يكون عنده علم يميز به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: أن من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله تعالى عن المسبة)**، فالتوحيد فيه تنزيه لله عن الشرك، ولذلك التوحيد هو أعلى منازل الدين ومقامات الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله)**، ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾، يعني: ننزه الله عن الشرك؛ أن يكون له شريك؛ لأن الشرك مسبة لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومنها: إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم، ولو لم يشرك**)، هذا كلام الشيخ، هذه المسائل أخذها الشيخ من هذه المسائل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومنها: إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم، ولو لم يشرك**)، لا يصير منهم ولو لم يشرك، يقول: أنا ليس لي شأن بهم، أنا لست مشركًا، وشركهم عليهم، نقول: لا، لابد أنك تبتعد عنهم، وتنعزل عنهم، ولاتركن إليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**انتهى**)، أي: كلام الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

....

ش: وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] الآية: (ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو، فإنه إما: أن يكون طالبًا للحق، محبًّا له، مؤثرًا له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال.

وإما: أن يكون مشتغلًا بضد الحق، لكن لو عرفه آثره، واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

وإما: أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع، وإلا أُنتقل معه إلى الجلاد إن أمكن). انتهى[1].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والفرق بين حب الإمامة والدعوة إلى الله وحب الرياسة: هُوَ الْفرق بَين تَعْظِيم أَمر الله، والنصح لَهُ، وتعظيم النَّفس وَالسَّعْي فِي حظها؛ فَإِن الناصح لله الْمُحب لَهُ يحب أَن يطاع ربه، فَلَا يعْصى، وَأَن تكون كَلمته هِيَ الْعليا، وَأَن يكون الدّين كُله لله، وَأَن يكون الْعباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه. فقد نَاصح الله فِي عبوديته، وناصح خلقه فِي الدعْوَة إِلَى الله، فَهُوَ يحب الْإِمَامَة فِي الدّين، بل يسْأَل ربه أَن يَجعله لِلْمُتقين إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ المتقون؛ كَمَا اقْتدى هُوَ بالمتقين.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٨٦٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إما: أن يكون طالبًا للحق، محبًّا له، مؤثرًا له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة)**، إما أن يكون جاهلًا، ولو عرف الحق لأخذه، هذا يدعى بالحكمة والرفق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يحتاج إلى موعظة وجدال)**؛ لأنه يريد الخير، هو يريد الخير لكن يجهله، فيبين له الخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإما: أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع، وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن)**، مثلما ذكر ابن كثير مما نقلته لكم عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَن يكون الدّين كُله لله، وَأَن يكون الْعباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه)**، الذي يدعو إلى الله يريد الخير للناس، بعدما أراده لنفسه يريده للناس أيضًا، وهذا هو النصح؛ **«الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ»**[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقد نَاصح الله فِي عبوديته، وناصح خلقه فِي الدعْوَة إِلَى الله، فَهُوَ يحب الْإِمَامَة فِي الدّين)**، يحب الإمامة في الدين، لا يحب التعظيم، إنما يحب الإمامة في الدين؛ يكون قدوة في الخير، يحب هذا، لا يحبه لأجل تعظيم نفسه، إنما يحبه ليكون قدوة في الخير، فيحصل على أجر من اتبعه؛ **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ»**[2].

وفي دعاء عباد الرحمن: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، يعني: قدوة في الخير.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ش: فَإِذا أحب هَذَا العَبْد الدَّاعِي إِلَى الله أَن يكون فِي أَعين النَّاس جَلِيلًا، وَفِي قُلُوبهم مهيبًا، وإليهم حبيبًا، وَأَن يكون فيهم مُطَاعًا لكَي يأتموا بِهِ، ويقتفوا أثر الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على يَدَيْهِ، لم يضرّهُ ذَلِك، بل يحمد عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ دَاع إِلَى الله يحب أَن يطاع ويعبد ويوحد، فَهُوَ يحب مَا يكون عونًا على ذَلِك موصلا إِلَيْهِ.

وَلِهَذَا ذكر سُبْحَانَهُ عباده الَّذين اختصهم لنَفسِهِ، وَأثْنى عَلَيْهِم فِي تَنْزِيله، وَأحسن جزاءهم يَوْم لِقَائِه، فَذكرهمْ بِأَحْسَن أَعْمَالهم وأوصافهم، ثمَّ قَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان:٧٤]، فَسَأَلُوهُ أَن يقر أَعينهم بِطَاعَة أَزوَاجهم وذرياتهم لَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَن يسر قُلُوبهم بِاتِّبَاع الْمُتَّقِينَ لَهُم على طَاعَته وعبوديته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِذا أحب هَذَا العَبْد الدَّاعِي إِلَى الله أَن يكون فِي أَعين النَّاس جَلِيلًا، وَفِي قُلُوبهم مهيبًا، وإليهم حبيبًا، وَأَن يكون فيهم مُطَاعًا لكَي يأتموا بِهِ، ويقتفوا أثر الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على يَدَيْهِ، لم يضرّهُ ذَلِك)، لم يضره إذا أحب أن يكون إمامًا، لا يضره هذا إذا كان قصده الخير والقدوة الحسنة، والدعوة إلى الله، لا يضره هذا، إنما إذا كان قصده تعظيم نفسه، وأن يكون له مكانة عند الناس، فهذا يدعو إلى نفسه، ولا يدعو إلى الله؛ كما قال الشيخ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَهُوَ يحب مَا يكون عونًا على ذَلِك موصلا إِلَيْهِ**)، يحب هذه المنزلة العظيمة؛ رغبة في الخير، لا رغبة في الجاه والمكانة.

كونك قدوة في الخير أو تكون في الشر، أيهما أحسن؟ أن تكون قدوة في الخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثمَّ قَالَ**: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان:٧٤])، هذا في آخر سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣]، ذكر أوصافهم إلى أن قال عنهم: إنهم يدعون ربهم، ويقولون: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾؛ أن يكونوا قدوة في الخير، ولا يكونوا قدوة في الشر.

ش: فإن الإمَام والمؤتم متعاونان على طاعته، وَإنَّمَا سَألُوهُ مَا يعاونون بِهِ المُتَّقِينَ على مرضاته وطاعته، وَهُوَ دعوتهم إِلَى الله بِالْإِمَامَةِ فِي الدّين الَّتِي أساسها الصَّبْر وَالْيَقِين؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، فسؤالهم أن يجعلهم أَئِمَّة لِلْمُتقين هُوَ سُؤال أَن يهْدِيهم ويوفقهم ويمن عَلَيْهِم بالعلوم النافعة، والأعمال الصَّالِحَة ظَاهرًا وَباطنًا، الَّتِي لَا تتمّ الْإِمَامَة إِلَّا بهَا.

وَتَأمل كَيفَ نسبهم فِي هَذِه الْآيَات إِلَى اسْم الرَّحْمَن جَلَّجَلَالُهُ؛ ليُعلم خلقه أَن هَذَا إِنَّمَا نالوه بِفضله ورَحمته ومحض جوده ومنته.

وَتَأمل كَيفَ جعل جزاءهم فِي هَذِه السُّورَة الغرف، وَهِي المَنَازل الْعَالِيَة فِي الجنَّة، وهذا لما كَانَت الْإِمَامَة فِي الدّين من الرتب الْعَالِيَة، بل من أَعلَى مراتب يُعطاها العَبْد فِي الدنيا، كَانَ جَزاؤُهُ عَلَيْهَا الغرف الْعَالِيَة فِي الجنَّة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّمَا سَأَلُوهُ مَا يعاونون بِهِ المُتَّقِينَ على مرضاته وطاعته وَهُوَ دعوتهم إِلَى الله بِالْإِمَامَةِ فِي الدّين، الَّتِي أساسها الصَّبْر وَالْيَقِين)؛ كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين)[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَتَأمل كَيفَ نسبهم فِي هَذِه الْآيَات إِلَى اسْم الرَّحْمَن** جَلَّ جَلَالُهُ**)**؛ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لِيُعلم خلقه أَن هَذَا إِنَّمَا نالوه بِفضله ورَحمته ومحض جوده ومنته)**، هو الذي وفقهم لذلك، وهذا من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَتَأمل كَيفَ جعل جزاءهم فِي هَذِه السُّورَة الغرف وَهِي الْمنَازل الْعَالِيَة فِي الْجنَّة)** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ ﴾، يعني: الجنة، ﴿ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ ﴾، بسبب ماذا؟ ﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفرقان:٧٥].

---

(١) انظر: قاعدة في الصبر (ص ٩٤)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٨).

....

ش: وَهَذَا بِخِلَاف طلب الرياسة؛ فَإِن طالبيها يسعون فِي تَحْصِيلهَا لينالوا بهَا أغراضهم من الْعُلُوّ فِي الأَرْض، وَتعبد الْقُلُوب لَهُم، وميلها إِلَيْهِم، ومساعدتهم لَهُم على جَمِيع أغراضهم، مَعَ كَونهم عالين عَلَيْهِم قاهرين لَهُم، فترتب على هَذَا الطلب من الْمَفَاسِد مَا لا يَعلمهُ إِلَّا الله؛ من الْبَغي، والحسد، والطغيان، والحقد، وَالظُّلم، وَالحمية للنَّفس دون حق الله، وتعظيم من حقر الله، واحتقار من أكْرمه الله.

وَلَا تتمّ الرياسة الدُّنْيَوِيَّة إِلَّا بذلك، وَلَا تنَال إِلَّا بأضعافه من الْمَفَاسِد، والرؤساء فِي عمى عَن هَذَا، فَإِذا كُشِفَ الغطاء، تبين لَهُم فَسَاد مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَا سِيمَا إِذا حشروا فِي صفة الذَّر يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم؛ إهانة لَهُم، وتحقيرًا وتصغيرًا؛ كَمَا صغروا أَمر الله، وحقروا عباده). انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَذَا بِخِلَاف طلب الرياسة)، الذي يطلب الرياسة والمنزلة عند الناس والثناء هذا خاسر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا تتمّ الرياسة الدُّنْيَوِيَّة إِلَّا بذلك، وَلَا تنَال إِلَّا بأضعافه من الْمَفَاسِد، والرؤساء فِي عمى عَن هَذَا)، لا يحصلون على الرياسة في الدنيا إلا بهذه الأمور الباطلة والأعمال السيئة؛ من الظلم والطغيان، والتجبر إلى

---

(١) انظر: الروح لابن القيم (ص٢٥٢- ٢٥٣).

غير ذلك، أما الإمامة في الدين، فإنها إنما تنال بالتقوى والإيمان والعلم والدعوة إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يطؤهم الناس**)، هذا إشارة إلى حديث: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ**»[1]، نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**انتهى كلامه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)؛ كلام ابن القيم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٢)، وأحمد في مسنده (١١/ ٢٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد (ص١٩٦) من حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إلى اليمَنِ، قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إليهِ: شهادةُ أَنْ لَا إله إلَّا الله -وفي روايةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ-، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ». أَخْرَجَاهُ(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إلى اليمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِليهِ: شهادةُ أَنْ لَا إله إِلَّا الله»**)، لما جاء وفد نجران إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا من النصارى، تصالحوا مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعقد بينه وبينهم صلحًا، فلما ذهبوا إلى بلادهم، أرسل إليهم من يعلمهم، ويدعوهم إلى الله، واختار لهم أعلم الصحابة بالحلال والحرام، وهو معاذ بن جبل الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأرسله إليهم معلمًا وقاضيًا وداعيًا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وأوصاه بهذه الوصية، فقال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**»، يعني: من النصارى، سموا أهل الكتاب؛ لأن الله أنزل عليهم التوراة والإنجيل؛ كما أنزل على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، فهم أهل كتاب؛ لأن هذا من باب

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٤٣٤٧، ٧٣٧١، ٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

الفرق بينهم وبين الوثنيين الأميين، الذين لم ينزل عليهم كتاب قبل القرآن، ولم يأتهم رسول قبل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة:٢]، يعني: محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأميين؛ لأنهم لا يقرؤون ولا يكتبون، ولم ينزل عليهم كتاب، ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ:٤٤]، فأرسله إليهم، وأوصاه بأن يتعامل معهم بما يليق، وهكذا الداعية إذا ذهب إلى جهة أو القاضي إذا ذهب إلى جهة، فإنه يجب عليه أن يعرف طبائعم، ويعرف أحوالهم؛ حتى يتعامل معم بما يليق بهم، فمخاطبة أهل الكتاب غير مخاطبة الأميين؛ لأنهم أهل علم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِليهِ: شهادةُ أَنْ لَا إله إِلَّا الله**»، هذا فيه بيان منهج الدعوة، وأن أول ما يقوم به الداعية: الدعوة إلى العقيدة، إلى إصلاح العقيدة؛ كما كان الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أول ما يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فهذا هو منهج الدعوة الذي عليه الرسل، وعليه المجددون والمصلحون؛ أنهم يبدؤون بإصلاح العقيدة أولًا؛ لأنها هي الأساس الذي يبني عليه بقية الأحكام الشرعية، فبدون العقيدة الصحيحة لا تنفع الأعمال، ولا تقبل عند الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِليهِ: شهادةُ أَنْ لَا إله إِلَّا الله**»، يدعوهم وهم أهل كتاب -علماء- دل على أن العلماء يُدعون إذا صار

عندهم أخطاء وانحراف، أنهم يُدعون إلى الله، وإلى الاستقامة، وإلى العمل بعلمهم.

قوله ﷺ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إليهِ: شهادةُ أَنْ لَا إله إلَّا الله**»، فإذا جاءت شهادة أن لا إله إلا الله، أو لا إله إلا الله، فإنها تدخل فيها شهادة أن محمدًا رسول الله.

قوله: (وفي روايةٍ: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»)، هذا تفسير لشهادة أن لا إله إلا الله، وأنها ليست لفظًا يقال باللسان، بل معناها: إفراد الله بالعبادة، «**إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**»، يعني: يفردوه بالعبادة، ليست مجرد أنهم يتلفظون بـ«لا إله إلا الله» بدون التزام، بدون معرفة لمعناها، وبدون عمل لمقتضاها.

قوله: (وفي روايةٍ: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»)، هذا تفسير لقوله ﷺ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إليهِ: شهادةُ أَنْ لَا إله إلَّا الله**»؛ أن معناها إفراد الله بالعبادة، وهذا مقتضاها ومعناها.

قوله ﷺ: «**فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ**»، هذا فيه تدرج في الدعوة؛ أن الداعية يتدرج في الدعوة؛ يبدأ بالأهم فالمهم، ولا يجمع الدنيا جميعًا، ويدعوهم جميعًا، بل يتدرج بهم: أولًا: إصلاح العقيدة والأساس، ثم يدعوهم إلى الصلوات الخمس، هذا دليل على أهمية الصلوات الخمس بعد الشهادتين، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام.

قوله ﷺ: «**فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**»؛ أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، هذا

فرض، ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وما عدا الصلوات الخمس من الصلوات فإنه يكون نافلة، الصلوات الخمس هي الفريضة، افترض عليهم، وبقية الصلوات نوافل، وهي كثيرة؛ كما في الحديث: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**»»(١)، فدل على أن ما عدا الصلوات الخمس من الصلوات، فهي نوافل، أو هي فروض كفايات، إذا قام بها من يكفي، سقط الإثم عن الباقين، أما الصلوات الخمس، فهي فرض عين على كل مسلم، ليست فرض كفاية.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ صَدَقَةً**»، هذه زكاة، وهذا دليل على أهمية الزكاة، وأنها هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً**»، الزكاة تسمى زكاة، وتسمى صدقة؛ قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة:١٠٣]، وهي الزكاة، سماها صدقة.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ**»، أما الفقير، فليس عليه زكاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦، ١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦)، ومسلم (١١)، من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والغني: هو الذي يملك النصاب فأكثر، أما من يملك دون النصاب، فليس عليه زكاة؛ لأنه ليس غنيًّا، إنما هو فقير.

قوله ﷺ: «**أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ**»، أين تصرف؟ «**فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**»؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج:٢٤، ٢٥]، هذا مصرف الزكاة، أو هذا أهم مصارف الزكاة؛ لأن مصارف الزكاة ثمانية؛ كما في الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠]، إلى آخر الآية، لكن أهمها: حق الفقراء؛ الله بدأ بهم في الأصناف الثمانية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠]، فهم مقدمون في الاستحقاق.

قوله ﷺ: «**تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ**»، هذا دل على أن زكاة المال تكون لفقراء البلد ولا تنقل، تصرف في فقراء البلد الذي فيه المال هم أحق بها، ولا تنقل إلا لمسوغ شرعي.

قوله ﷺ: «**فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ**»، الكرائم: جمع كريمة، وهي النفيسة، فالزكاة لا تجب في كرائم الأموال، ولا في ردي الأموال، لا في الجيد ولا في الردي، وإنما تجب في المتوسط من المال، إن أخذ من الجيد بغير رضا المزكي فهذا ظلم للمزكي، وإن أخذ من الردي فهذا ظلم للفقير، فخير الأمور الوسط؛ تؤخذ من الوسط.

قوله ﷺ: «**فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ**»؛ تحذير هذا.

ثم أوصاه، قال: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ**»؛ اخش من دعوة المظلوم، ولو كان من أهل الكتاب، ولو كان من الكفار، لا يجوز الظلم بحال من الأحوال، والله أمر بالعدل؛ ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة:٨]؛ العدل.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ**»: احذر منها، لماذا؟ «**فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»، فالله يتقبل دعوة المظلوم وإن كان كافرًا، وينتقم من الظالم، هذا فيه خطر الظلم، ظلم الناس، وأن المسلم يتجنب الظلم؛ فإن الله يقبل دعوة المظلوم، ويقتص من الظالم، ويعجل له العقوبة.

ش: قال الحافظ: كان بعث معاذ إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ؛ كما ذكره المصنف -يعني: البخاري- في أواخر المغازي.

وقيل: كان ذلك في آخر سنة تسع عند منصرفه ﷺ من تبوك. رواه الواقدي بإسناده إلى كعب بن مالك، وأخرجه ابن سعد في الطبقات عنه.

واتفقوا على أنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ثم توجه إلى الشام، فمات بها(١).

قال شيخ الإسلام: ومن فضائل معاذ رضي الله عنه: أنه بعثه ﷺ إلى اليمن مبلغًا عنه، ومفقهًا، ومعلمًا، وحاكمًا(٢).

قوله رحمه الله: (**قال الحافظ: كان بعث معاذ إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ**)، السنة العاشرة من الهجرة، يعني: قبل وفاته ﷺ، ولذلك معاذ رضي الله عنه لما جاء ورجع إلى المدينة، وجد أن الرسول ﷺ قد توفي.

قوله رحمه الله: (**وقيل: كان ذلك في آخر سنة تسع عند منصرفه ﷺ من تبوك. رواه الواقدي بإسناده إلى كعب بن مالك**)، المهم أن هذا كان في آخر حياته ﷺ.

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/ ٣٥٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٥٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واتفقوا على أنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم في خلافة أبي بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**، ثم توجه إلى الشام، فمات بها)**، اتفقوا على أن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقي في اليمن إلى أن مات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخلفه أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فجاء معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى المدينة، أرسله الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى الشام معلمًا وداعيًا إلى الله، فمات هناك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالطاعون، أصاب أهل الشام الطاعون، وهو الوباء المعروف بها، فمات به أبو عبيدة بن الجراح الأمير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومات به معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مات فيه خلقٌ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام: ومن فضائل معاذ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**: أنه بعثه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى اليمن مبلغًا عنه، ومفقهًا، ومعلمًا، وحاكمًا)**، هذا من فضائل معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختاره من بين الصحابة، وكان شابًا، اختاره من بين الصحابة لعلمه وفضله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام: ومن فضائل معاذ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**: أنه بعثه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى اليمن مبلغًا عنه، ومفقهًا، ومعلمًا، وحاكمًا)**، نائبًا عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: قوله: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» قال القرطبي: يعني به: اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب، أو أغلب، وإنما نبه على ذلك ليتهيأ لمناظرتهم[(١)].

وقال الحافظ: هو كالتوطئة للوصية لجمع همته عليها[(٢)].

قوله: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِليهِ شهادةُ أَنْ لَا إله إِلَّا الله» «شهادةُ»: رُفِع على أنه اسم يكن مؤخر، و«أولَ» خبرها مقدم، ويجوز العكس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» قال القرطبي: يعني به: اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب، أو أغلب)**، كانت اليهود في اليمن فيها منهم خلق كثير، ولا يزالون إلى الآن هناك، فيهم بقايا، وفيهم نصارى في نجران، واليهود والنصارى هم أهل الكتاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما نبه على ذلك؛ ليتهيأ لمناظرتهم)**، نبه معاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أنه يأتي قومًا من أهل الكتاب؛ من أجل أن يستعد لمناقشتهم ومناظرتهم؛ لأنهم سيدلون بشبهات وبحجج، ولذلك اختاره الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمواجهتهم، ففيه أن الداعية إذا ذهب إلى جهة أو القاضي أنه يدرس أحوال تلك الجهة، وطبائع أهلها؛ ليستعد لها.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ١٨١).
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٥٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إليهِ شهادةُ أَنْ لَا إله إلَّا الله»)، محل الشاهد من الحديث: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، أنها أول شيء؛ لا تدعهم إلى الصلاة، وهم ليس عندهم توحيد، لا تدعهم إلى الزكاة، لا تدعهم إلى أي عبادة حتى يترسخ التوحيد ويتقرر، وهذا منهج الرسل، كل رسول أول ما يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («شهادةُ»: رُفِع على أنه اسم يكن مؤخر)، مؤخر، كان ترفع الاسم وتنصب الخبر، «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ»: هذا خبرها مقدم، «شهادةُ أَنْ لَا إله إلَّا الله»: اسمها مؤخر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويجوز العكس)، يجوز العكس؛ أن يكون اللفظ: «وَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إليهِ شهادةُ أَنْ لَا إله إلَّا الله»، ويجوز أن تقول أو تقرأ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إليهِ شهادةَ أَنْ لَا إله إلَّا الله»، جاز التقديم والتأخير.

....

ش: قوله: «وفي روايةٍ: «إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ» هذه الرواية ثابتة في كتاب التوحيد من صحيح البخاري، وأشار المصنف بذكر هذه الرواية إلى التنبيه على معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن معناها توحيد الله تعالى بالعبادة، ونفي عبادة ما سواه.

وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللهِ»(١)، وذلك هو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، والعروة الوثقى هي: «لا إله إلا الله».

وفي رواية للبخاري فقال: «ادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ»(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وفي روايةٍ: «إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»)، هذه الرواية تفسر معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أنه توحيد الله بالعبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأشار المصنف بذكر هذه الرواية إلى التنبيه على معنى شهادة أن لا إله إلا الله)، هذا من فقه المؤلف، فقه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لماذا أتى

---

(١) أخرجها البخاري (١٤٥٨).
(٢) أخرجها البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (٢٩) (١٩).

بهذه الرواية؟ لأنها تفسر شهادة أن لا إله إلا الله، فليست لفظًا يقال باللسان، وإنما هي لها معنى، وهو إفراد الله بالعبادة؛ أن يوحدوا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن معناها توحيد الله تعالى بالعبادة، ونفي عبادة ما سواه)**، هذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللهِ »)**، وهذا أيضًا شهادة أن لا إله إلا الله معناها: عبادة الله وحده لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك هو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله)**؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، هذا معنى لا إله إلا الله؛ ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: هو معنى النفي: «لا إله»، ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: هذا معنى الإثبات: «إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦])**، العروة الوثقى هي «لا إله إلا الله»، العروة الوثقى هي كلمة الإخلاص، وكلمة التقوى؛ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي رواية للبخاري فقال: «ادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ»)**، ذكر الشهادتين هذا تفصيل، وإذا ذكر شهادة أن لا إله إلا الله، دخلت فيها: شهادة أن محمدًا رسول الله.

....

ش: **قلت: لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:**

أحدها: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقياد المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

السابع: المحبة المنافية لعدمها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط)،** سبعة شروط ذكروا:

علمٌ يَقِيْنٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعَ   مَحَبَّةٍ وَانقِيادٍ والقَبول لهَا

هذه الشروط السبعة في «لا إله إلا الله» لابد أن تتحقق، نظمها بعض العلماء بهذا البيت:

علمٌ يَقِيْنٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعَ   مَحَبَّةٍ وَانقِيادٍ والقَبول لهَا

زاد الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرطًا ثامنًا:

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا   دونَ الإلهِ مِنَ الأَوْثَانِ قَدْ أُلِهَا

الكفران بالطاغوت، ولهذا جاء في الحديث: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ**»(١)، لا يكفي أنه يشهد أن لا إله إلا الله، وهو يعبد القبور والأضرحة، والأولياء والصالحين، هذا ناقض «لا إله إلا الله»، لابد أن يكفر بكل ما عُبِدَ من دون الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أحدها: العلم المنافي للجهل**)، هذا واحد.

(١) سبق تخريجه (ص٤٢٠).

ش: وفيه دليل على أن التوحيد -الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه- هو أول واجب؛ ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون:٣٢]. وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود:٢٦]، وفيه معنى «لا إله إلا الله» مطابقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه دليل على أن التوحيد -الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه - هو أول واجب)**، هو أول واجب على المكلف، أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا يدخل الكافر في الإسلام حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لابد من هذا، فأول واجب هو التوحيد.

وليس أول واجب ما يقوله علماء الكلام والمنطق، يقولون: أول واجب: النظر والاستدلال، ثم بعد ذلك تعتقد، انظر أولًا، وفكر، ثم اعتقد.

نقول: لا، هذه الفطرة، «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»(١)، ليس بحاجة إلى نظر، هو مولود على الفطرة التي هي الإسلام، ولذلك الصبي أول ما يميز، فإن أول ما يؤمر به: الصلاة؛ لأنه على الفطرة، مولود على الفطرة؛ «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**».

---

(١) أخرجه البخاري -واللفظ له- (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما قولهم: إنه ينظر، أو يشك، ثم ينظر، ثم يعتقد بعد ذلك، هذا كلام باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه دليل على أن التوحيد -الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه- هو أول واجب)**، هذا رد على علماء الكلام الذين يقولون: أول واجب: النظر والتأمل والاستدلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسل** عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٣٢])، الرسل يدعون الكفرة، لا يقولون لهم: انظروا وفكروا في الآيات الكونية وتأملوا، بل يقولون لهم: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

علماء الكلام يقولون: لا، انظروا في الكونيات، وآيات الكون، ثم تتوصلون إلى التوحيد، سبحان الله! الخلق مفطورن على التوحيد؛ «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**».

....

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا خاطب الرسل أممهم مخاطبة من لا شك عنده في الله، وإنما دعوهم إلى عبادة الله وحده، لا إلى الإقرار به، فقالت لهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

فوجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره الا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته، وكلها تكذبه.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢]، إلى آخر الآيات[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا خاطب الرسل أممهم مخاطبة من لا شك عنده في الله، وإنما دعوهم إلى عبادة الله وحده لا إلى الإقرار به)، لا إلى الإقرار بتوحيد الربوبية، هذا الكل مقر به بالفطرة، إنما المقصود توحيد الألوهية والعبادة، ولذلك الرسل تأمرهم بالعبادة؛ ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المؤمنون:٣٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقالت لهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠])، لا شك في ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ عند كل أحد، إنما يتظاهر بعض

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٢).

الكفرة -كمثل فرعون والنمرود-، يتظاهرون بإنكار الربوبية، وهم يعتقدونها في قلوبهم، ولكن الكبر ومحبة العلو والرئاسة تحملهم على الإنكار، وإلا فهم مقرون بذلك، ولهذا قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعني: الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء:١٠٢].

﴿عَلِمْتَ﴾، يعني: بقرارة نفسك وبقلبك، لكن أنكرتها بلسانك تكبرًا وعنادًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فوجوده سبحانه وروبوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق)**: إذا تأملت في الكون والشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، والسماء، والأرض، والرياح، والمطر، والنبات، فإن هذا يدل على أن الله أوجده، لم يوجد من نفسه، أو أن الطبيعة أوجدته؛ أن له ربًّا أوجده، وخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار)**، ولهذا يقول الشاعر(١):

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، يعني: السماوات والأرض، ﴿لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، يتنازعون، كل واحد يريد كذا، وواحد يريد كذا، أما إذا كان

(١) هذان البيتان عُزيا للكثير من الشعراء، ولكن الأقرب أن قائلها أبو العتاهية. انظر: التمثيل والمحاضرة (ص ١١)، وزهر الآداب وثمر الألباب (٢/ ٣٧٨)، وشرح مقامات الحريري (١/ ٤١٠)، والدر الفريد وبيت القصيد (٥/ ١١٥).

واحدًا، فإنه لا ينازعه أحد، وتكون السماوات والأرض صالحة ومستقيمة، وهذا هو الواقع، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون:٩١]: يتقاتلون، يتنافسون، مثل الملوك في الدنيا أليسوا يتقاتلون؟! لا يصلح أن يكون في البلد ملكان؛ يتقاتلون، فلابد أن يكون الذي يتولى الأمور واحدًا ينفرد بها، هذا في الشيء اليسير، فكيف بالكون كله أن يكون فيه غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار)**، لا شك، البصائر: يعني للعقول، الأبصار العيون، والبصائر: هي العقول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما ينكره الا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته، وكلها تكذبه)**، ولذلك لما قال الكفار للرسل: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: هذا برهان، ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم:٩، ١٠]، قالوا: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم:١١]، هذه المناظرة التي كانت بين الرسل وأممهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما ينكره الا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته، وكلها تكذبه)**، يكذبها العقل والفطرة والشاهد في الكون، كلها تكفر الملحد، كلها ترد على الملحد، وتبطل قوله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢]، **إلى آخر الآيات)**، الفطرة تدل على أن هذا الكون له خالق واحد، ليس هناك خالقون متعددون، خالقه واحد، لو كان هناك خالقون لاختلف وتناقض ولم ينتظم.

....

ش: قال شيخ الإسلام: وقد عُلِمَ بالاضطرار من دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتفقت عليه الأمة: أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليًا، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال.

ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان.

قال: وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنًا، وظاهرًا، عند سلف الأمة، وأئمتها، وجماهير العلماء. اهـ[1].

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه: أن الإنسان قد يكون عالمًا، وهو لا يعرف معنى لا إله إلا الله، أو يعرفه، ولا يعمل به.

قلت: فما أكثر هؤلاء - لا كثرهم الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال شيخ الإسلام: وقد عُلِمَ بالاضطرار من دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتفقت عليه الأمة: أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله)، هذا رد على علماء الكلام الذين يقولون: أول ما يؤمر به النظر، والاستدلال أولًا، ثم يعتقد.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٠٩).

كيف النظر والاستدلال؟!! عنده فطرة سليمة خلقه الله عليها، وهي الإقرا ر بالله عَزَّوَجَلَّ، والإيمان به، فأول ما يؤمر به الصلاة؛ «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ**»(١).

الكافر أول ما يؤمر به: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فبذلك يصير الكافر مسلمًا)**، يدخل في الإسلام، «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، فَقَدْ حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال)**؛ «**حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ**»، إذا شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حرم دمه وماله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإن قاله بلسانه دون قلبه، فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان)**، وهذا المنافق، المنافق يقال له: مسلم، ولكن لا يقال له: مؤمن؛ لأن الإيمان بالقلب، والمنافق ليس عنده إيمان في القلب، فلا يقال له: مؤمن، يقال: مسلم فقط، فإذا قال: «لا إله إلا الله»، فإن قالها بلسانه وقلبه وعمل بها فهو المسلم، وإن قالها بلسانه فقط، وجب الكف عنه، وأما قلبه فلا يعلمه إلا الله، ليس لنا دخل بالقلوب، لكن من ظهر منه الكفر والشرك والشك هذا يسمى مرتدًّا، يطبق عليه حد الردة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد في مسنده (١١/ ٢٨٤، ٣٦٩)، من حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص٤٢٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنًا، وظاهرًا، عند سلف الأمة، وأئمتها، وجماهير العلماء)**، وإن كان يعترف بهذا في قلبه هذا لا يدخله في الإيمان، لابد من النطق باللسان، والاعتقاد بالقلب، والعمل بالجوارح؛ حتى يكون مؤمنًا حقًّا.

فإن اعترف بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو كافر، وإن نطق بلسانه ولم يعتقد بقلبه فهو منافق، وإن نطق بلسانه واعتقد بقلبه فهو المؤمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة)**، مع القدرة، أما إذا كان لا يتكلم؛ لأنه أخرس، فيكفي منه الإشارة، فالإشارة تقوم مقام النطق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهو كافر باتفاق المسلمين باطنًا، وظاهرًا، عند سلف الأمة، وأئمتها، وجماهير العلماء)**، لا يخالف في هذا إلا أهل الضلال:

منهم الذي يقول: الإيمان هو نطق باللسان فقط، هذا مذهب المرجئة هو نطق باللسان فقط.

منهم من يقول: الإيمان هو الاعتقاد بالقلب ولو لم ينطق، وهذا قول الأشاعرة ومن نحا نحوهم.

ومنهم من يقول: الإيمان هو النطق باللسان، والاعتقاد بالقلب، ولو لم يعمل، وهذا قول مرجئة الفقهاء، فالمرجئة أقسام، كلها ضالة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه: أن الإنسان قد يكون عالمًا، وهو لا يعرف معنى لا إله إلا الله، أو يعرفه، ولا يعمل به)**، قد يكون عالمًا،

وهو لا يعرف معنى «لا إله إلا الله»؛ لأن أهل الكتاب علماء، ومع هذا قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ: «ادعهم إلى الإسلام»، وهم علماء، فدل على أن بعض العلماء وإن كان عنده علم، فهو لا يعرف التوحيد، ولا يعرف معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، المصنف الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قال في مسائله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: فما أكثر هؤلاء -لا كثرهم الله تعالى-)**، يقول الشيخ عبد الرحمن: ما أكثر هؤلاء الذين هم بهذه الصفة؛ أنهم علماء ولا يعلمون معنى «لا إله إلا الله»، قد يكون متبحرًا في الفقه، لكن ليس عنده معرفة بالعقيدة، متبحرًا في العلوم وهو لا يعرف العقيدة؛ لأنه لم يدرسها ولم يهتم بها.

....

ش: قوله: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ»، أي: شهدوا، وانقادوا لذلك، «فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ». فيه: أن الصلاة أعظم واجب بعد الشهادتين.

قال النووي ما معناه: إنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لاتكون إلا بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة، والصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به، والمنهي عنه. وهذا قول الأكثرين. اهـ[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ». فيه: أن الصلاة أعظم واجب بعد الشهادتين)، واضح، ولكن لا يطالب بها إلا بعد الشهادتين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال النووي ما معناه: أنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام)، لا تطالب الناس بالصلاة، وبالزكاة، والحج، والصدقات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاسن الأخلاق إلا بعدما تدعوهم إلى التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، فيبدأ بها.

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١/ ١٩٨). وانظر -أيضا-: روضة الناظر (١/ ١٦٠) وما بعدها، والقواعد والفوائد الأصولية (ص٧٦)، وشرح الكوكب المنير (١/ ٥٠٠) وما بعدها، ومذكرة الشنقيطي (ص ٤٦، ٤٧)، ومجموع الفتاوى (٢٢/ ٧ - ١٦).

هناك الآن من يدعون الدعوة، ولا يهتمون بالتوحيد، ولا يدعون إليه، يقولون: أنتم تفرقون الناس، اتركوا الناس على عقائدهم، لا تشوشوا.

نقول: لا، لا تصلح الدعوة إلا إذا وُجِد الأساس، وهو التوحيد، أما إذا كنت تدعو إلى غير التوحيد من العبادات، فأنت تبني على جرف هار، ليس هناك فائدة، لابد من الأساس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة)**، هذه مسألة خلافية: هل الكفار مطالبون بفروع الشريعة، أو ليسوا مطالبين حتى يدخلوا في الإسلام؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به، والمنهي عنه. وهذا قول الأكثرين)**، وهذا فائدته: إذا قلنا أنهم مخاطبون بفروع الشريعة؛ أنه يزاد تعذيبهم زيادة على الكفر، يعذبون على ترك الفرائض زيادة على التعذيب على الكفر.

....

ش: **قوله: «فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ في فُقَرَائِهِمْ».**

فيه دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة، وأنها تؤخذ من الأغنياء، وتصرف على الفقراء، وإنما خص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفقراء؛ لأن حقهم في الزكاة آكد من حق بقية الأصناف الثمانية.

وفيه: أن الإمام هو الذى يتولى قبض الزكاة، وصرفها إما بنفسه، أو نائبه، فمن امتنع من أدائها إليه، أُخذت منه قهرًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ في فُقَرَائِهِمْ»**)، لاحظ التدرج في الدعوة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وإنما خص النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الفقراء؛ لأن حقهم في الزكاة آكد من حق بقية الأصناف الثمانية**)، مقدمون؛ لأن الله بدأ بهم؛ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠]، فهم مقدمون على أصناف الثمانية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفيه: أن الإمام هو الذى يتولى قبض الزكاة**)، من الذي يأخذها؟ هو الإمام، ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرسل العمال الذين يجبون الزكاة من القبائل، فالذي يقبض الزكوات من الناس ويوزعها على مصارفها هو ولي الأمر أو من ينيبه، هذا في الأموال الظاهرة مثل بهيمة

الأنعام والزروع والثمار، أما الأموال الباطنة، فهذه توكل إلى أصحابها يخرجون زكاتها، ولا يُرسل عمالٌ إليهم، لا يرسل عمال إلى التجار وأصحاب الدكاكين، لم يكن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسل إليهم، هذه تسمى الأموال الباطنة، إنما يجب على صاحب المال هو أن يزكي، مسؤوليته في هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن امتنع من آدائها إليه، أُخذت منه قهرًا)**، من امتنع من أداء الزكاة، فإن كان جاحدًا لوجوبها فهو كافر، وإن كان مقرًا بوجوبها، ولكن منعها بخلًا مع إقراره بوجوبها، فإنها تؤخذ منه ولو بالقوة؛ كما قاتل أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مانعي الزكاة وأخذها منهم.

فإن كان له شوكة ومنعة يقاتل، وإن لم يكن له شوكة فهو يؤدب، وتؤخذ منه الزكاة قهرًا؛ لأنها حقٌّ للفقراء، ومعلوم أن الإمام ينوب عن أصحاب الحقوق، إذا امتنع من هي عليه من أدائها، ولي الأمر ينوب عن أصحابها، ويأخذها من الظالمين ويؤديها إلى أهلها، ولو لم يرضوا.

ش: في الحديث دليل على أنه يكفي إخراج الزكاة في صنف واحد، كما هو مذهب الإمام مالك وأحمد[١].

وفيه: أنه لا يجوز دفعها إلى غني، ولا إلى كافر غير المؤلف، وإن الزكاة واجبة في مال الصبي، والمجنون؛ كما هو قول الجمهور لعموم الحديث[٢].

قلت: والفقير إذا أُفرد في اللفظ، تناول المسكين، وبالعكس؛ كنظائره، كما قرره شيخ الإسلام[٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (في الحديث دليل على أنه يكفي إخراج الزكاة في صنف واحد)؛ لأن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث ذكر صنفًا واحدًا: «تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ»، والفقراء صنف واحد، فإذا صرفها في صنف واحد أجزت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه: أنه لا يجوز دفعها إلى غني)، «فِي فُقَرَائِهِمْ».

لا تحل الزكاة للغني الذي عنده ما يكفيه، ليس الغني الذي عنده المليارات، الغني: الذي عنده ما يكفيه للنفقة، هذا غني، لا يعطى من الزكاة.

---

(١) انظر: المدونة (١/ ٣٤٤)، والجامع لعلوم الإمام أحمد -الفقه (٧/ ٢٩٣)، ومسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه (٣/ ١١٤٣)، والمغني (١٤/ ١٢٧)، والمبدع (٢/ ٤١٧-٤١٨).

(٢) انظر: اختلاف الأئمة العلماء لابن هبيرة (١/ ١٩٢، ٢١٥- ٢٢١)، والمغني (٤/ ١١٧-١٢٨)، والمجموع (٥/ ٣٢٩، ٦/ ٢٢٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٦٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولا إلى كافر غير المؤلف**)، ولا تدفع الزكاة إلى كافر؛ لأنها لفقراء المسلمين، إلا إذا كان الكافر من المؤلفة قلوبهم؛ ممن يرجى إسلامه أو كف شره، فإنه يعطى لرجاء إسلامه، أو يرجى كف شره عن المسلمين؛ ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠]، من الأصناف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وإن الزكاة واجبة في مال الصبي، والمجنون**)، «**تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ**»؛ كل من عنده ما يبلغ النصاب، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، صبيًا، عاقلًا أو مجنونًا، فإنه تؤخذ منه الزكاة؛ لأنها حق في المال للفقراء، فتؤخذ، يخرجها ولي القاصرين، ولي الأيتام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما هو قول الجمهور لعموم الحديث**)، «**تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ**»: هذا يشمل الغني، ويشمل العاقل والمجنون، يشمل الكبير والصغير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قلت: والفقير إذا أُفرد في اللفظ، تناول المسكين، وبالعكس**)، الفقير والمسكين بينهما فرق[(١)]، أليس كذلك؟ إذا ذُكِرا جميعًا، صار بينهما فرق، فالفقير: من لا يجد شيئًا، والمسكين: من يجد بعض الكفاية، أحسن حالًا من الفقير، أما إذا ذُكِر أحدهما دون الآخر؛ ذُكِر المسكين، يدخل فيه الفقير، ذُكِر الفقير، يدخل فيه المسكين، ولهذا يقال: (إذا اجتمعا، افترقا)، يعني: في المعنى، (وإذا افترقا اجتمعا) في المعنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قرره شيخ الإسلام**)، وقرره جمهور أهل العلم.

---

(١) انظر في الفرق بين الفقير والمسكين: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ١٩١)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٧)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٠٢- ١٠٤)، ولسان العرب (٥/ ٦٠).

....

ش: قوله: «فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» بنصب كرائم على التحذير، جمع كريمة.

قال صاحب «المطالع»: هي الجامعة للكمال الممكن في حقها، من غزارة لبن، وجمال صورة، وكثرة لحم وصوف[1]. ذكره النووي[2].

قلت: وهي خيار المال، وأنفسه، وأكثره ثمنًا.

وفيه: أنه يحرم على العامل في الزكاة أخذ كرائم المال، ويحرم على صاحب المال إخراج شرار المال، بل يخرج الوسط، فإن طابت نفسه بالكريمة، جاز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» بنصب كرائم على التحذير)، هذا بقية حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما بعثه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن معلمًا وقاضيًا، وداعيًا إلى الله، فأوصاه بوصايا مع أهل الكتاب، ثم قال في آخرها: «فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ»، يعني: إلى هذه الوصايا: شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأقاموا الصلاة، وأدوا الزكاة، فخذ من وسط أموالهم، ولا تأخذ من أجودها؛ لأن هذا ظلم لهم، إلا إذا طابت أنفسهم بذلك.

«فَإِيَّاكَ»: هذا تحذير.

«وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»، يعني: نفائس الأموال؛ بهمية الأنعام من الإبل والغنم والبقر، خذ من المتوسط، لا تأخذ من الجيد إلا برضاهم، ولا تأخذ

---

(١) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول (٣/ ٣٥٣).
(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (١/ ١٩٧).

من الردي؛ ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢٦٧]، بل توسط في هذا.

الوصية الأخيرة: قوله ﷺ: **«وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ»**، عليك بالعدل، ولا تحف في حكمك، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ -أي: بغضهم- ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

«وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»، فإن الله يتقبلها، تصعد إلى الله، تصل إليه فيتقبلها، وينتقم للمظلوم من الظالم.

فهذه وصية للولاة كلهم، ولأفراد المسلمين؛ اتقاء الظلم، والخوف من دعوة المظلومين؛ فإن الله ناصرهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» بنصب كرائم على التحذير، جمع كريمة)**، **«فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ»**، ما الذي نصب كرائم؟ على التحذير، إياك؛ لأن «إياك» كلمة تحذير، أي: تجنب، بمعنى: تجنب كرائم أموالهم، فهو بمعنى الفعل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال صاحب المطالع: هي الجامعة للكمال الممكن في حقها، من غزارة لبن، وجمال صورة، وكثرة لحم، وصوف)**، يعني: الكرائم.

صاحب المطالع: يعني: من كتب اللغة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويحرم على صاحب المال إخراج شرار المال)**، يعني: الردي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن طابت نفسه بالكريمة، جاز)**، إذا طابت نفس صاحب المال بالجيد وأخرج الجيد، جاز ذلك، وهو أفضل وآجر له عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

....

ش: قوله: «وَاتَّـقِ دَعْـوَةَ المَظْلُومِ»، أي: اجعل بينك وبينها وقاية بالعدل، وترك الظلم، وهذان الأمران يقيان من رُزِقهما من جميع الشرور؛ دنيا وأخرى.

وفيه: تنبيه على التحذير من جميع أنواع الظلم.

قوله: «فَإِنَّهُ»، أي: الشأن «لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» هذه الجملة مفسرة لضمير الشأن، أي: فإنها لا تحجب عن الله تعالى، فيقبلها.

وفي الحديث أيضًا: قبول خبر الواحد العدل، ووجوب العمل به. وبعث الإمام العمال لجباية الزكاة، وأنه يعظ عماله وولاته، ويأمرهم بتقوى الله تعالى، ويعلمهم، وينهاهم عن الظلم، ويعرفهم سوء عاقبته.

والتنبيه على التعليم بالتدريج. قاله المصنف.

قلت: ويبدأ بالأهم فالأهم.

واعلم أنه لم يذكر في الحديث الصوم والحج، فأشكل ذلك على كثير من العلماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ». أي: اجعل بينك وبينها وقاية بالعدل، وترك الظلم)، وصية لولاة الأمور أن لا يستغلوا سلطتهم ويظلموا الناس؛ لأن المظلومين لهم ناصر، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كذلك كل من له قوة أو سلطة، فإنه لا يظلم من تحت يده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه: تنبيه على التحذير من جميع أنواع الظلم)**، فيه: تحذير ليس خاصًّا بالظلم في الزكاة، بل هو عام لجميع أنواع الظلم؛ في الزكاة وفي غيرها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «فَإِنَّهُ»، أي: الشأن «لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» هذه الجملة مفسرة لضمير الشأن)**، ضمير الشأن: هو الضمير الذي ليس له مرجع سابق، يقال له: ضمير الشأن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أي: فإنها لا تحجب عن الله تعالى، فيقبلها)**، فيقبلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن كانت دعوة كافر، المظلوم وإن كان كافرًا تستجاب دعوته على من ظلمه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفي الحديث أيضًا: قبول خبر الواحد العدل)**؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحده، ولم يرسل جماعة، فدل على أنه يقبل خبر الواحد في الرواية؛ ردًّا على من يزعم أن خبر الواحد لا يفيد العلم، وإنما يفيد الظن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ووجوب العمل به)**، ووجوب العمل به، لا يقال: هذا خبر واحد، ولا يدل على المعنى المجزوم به، إنما يُظن هذا، هذا في الغالب قول علماء الكلام ومن تأثر بهم، وإلا فكل ما صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المتواتر والمشهور والعزيز والآحاد، فإنه مقبول، ويفيد العلم، ويجب العمل به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وبعث الإمام العمال لجباية الزكاة)**، وفيه -يعني: في هذا الحديث-: أنه يشرع لولي الأمر أن يرسل العمال لجباية الزكاة من أصحاب

الأموال، في الأموال الظاهرة التي هي بهيمة الأنعام: الإبل والغنم والبقر، يرسل من يجبيها منهم، فهذه سنة نبوية.

أما الأموال الباطنة كالدراهم والمحصولات، هذه توكل إلى ذمة من هي له، ولا يُرسَل لها عمال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه يعظ عماله وولاته)**، وأن ولي الأمر يعظ عماله عندما يبعثهم، يرسم لهم الخطة التي يتبعونها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتنبيه على التعليم بالتدريج. قاله المصنف)**، في الحديث: التنبيه على التعليم بالتدرج شيئًا فشيئًا؛ إن هم أجابوك في ذلك، فقل كذا، (إن هم)، إن هم، ففيه أن التعليم يكون بالتدرج، لا يكون العلم دفعة واحدة، ولذلك الربانيون الذين يربون الناس على العلم يبدؤون بصغار العلم قبل كباره؛ المختصرات، ثم المتوسطات، ثم المطولات، تدرج؛ لأن هذا هو طريق التعلم، أما أن تأتي العلم من فروعه، فهذا عكس طريقة التعليم الشرعية، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة:١٨٩]، كل شيء له أبواب، وأبواب العلم: البداية بالمسائل الصغار، أما أن تأتي على طلاب مبتدئين، وتجعلهم يقرؤون في المغني في الفقه، أو في صحيح البخاري، أو في صحيح مسلم في الحديث، فهذه ليست طريقة تعليم -كما يفعله بعض المدرسين الآن في الحلقات-، ابدأ بهم بالتدريج شيئًا فشيئًا؛ لأن العلم يبنى بعضه على بعض.

قولـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتنبيـه عـلى التعليـم بالتدريـج. قالـه المصنـف)**، قال المصنف: الشيخ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: ويبدأ بالأهم فالأهم)**، بالتدريج، ويبدأ بالأهم فالأهم، أولًا: الشهادتين، ثم الصلاة، ثم الزكاة؛ كما جاء في هذا الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واعلم أنه لم يذكر في الحديث الصوم، والحج)**، يعني: من أركان الإسلام ذكر ثلاثة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة.

بقي اثنان: الصيام والحج، وهما ركنا من أركان الإسلام؛ لأنهما لا يجبان على كل أحد، أو أن هذا الأمر كان قبل أن يُفرض الصيام والحج؛ لأن فرض الصيام في السنة الثامنة، والحج في السنة التاسعة، وكان من قبل ليس هناك حج واجب، ولم يشرع الصيام يوم أن كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة، ولا في أول سنة من الهجرة، التشريع جاء بالتدرج شيئًا فشيئًا.

ش: قال شيخ الإسلام: أجاب بعض الناس: أن بعض الرواة اختصر الحديث، وليس كذلك، فإن هذا طعن في الرواة؛ لأن ذلك إنما يقع في الحديث الواحد، مثل حديث وفد عبد القيس؛ حيث ذكر بعضهم الصيام، وبعضهم لم يذكره، فأما الحديثان المنفصلان، فليس الأمر فيهما كذلك، ولكن عن هذا جوابان:

أحدهما: أن ذلك بحسب نزول الفرائض، وأول ما فرض الله الشهادتين، ثم الصلاة، فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي؛ ولهذا لم يذكر وجوب الحج كعامة الأحاديث، إنما جاء في الأحاديث المتأخرة.

قلت: وهذا من الأحاديث المتأخرة، ولم يذكر فيها.

الجواب الثاني: أنه كان يذكر في كل مقام ما يناسبه، فيذكر تارة الفرائض التى يقاتل عليها كالصلاة، والزكاة، ويذكر تارة الصلاة، والصيام لمن لم يكن عليه زكاة، ويذكر تارة الصلاة، والزكاة، والصوم. فإما أن يكون قبل فرض الحج، وإما أن يكون المخاطب بذلك لا حج عليه، وأما الصلاة والزكاة، فلهما شأن ليس لسائر الفرائض؛ ولهذا ذكر الله تعالى في كتابه القتال عليهما؛ لأنهما عبادتان ظاهرتان، بخلاف الصوم بأنه أمر باطن من جنس الوضوء، والاغتسال من الجنابة، ونحو ذلك مما يؤتمن عليه العبد، فإن الإنسان يمكنه أن لا ينوي الصوم، وأن يأكل سرًّا، كما يمكنه أن يكتم حدثه، وجنابته، وهو يذاكر في الأعمال الظاهرة التى يقاتل الناس عليها، ويصيرون مسلمين

بفعلها؛ فلهذا علق ذلك بالصلاة والزكاة دون الصوم، وإن كان واجبًا كما في آيتي «براءة» نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس.

وكذلك لما بعث معاذًا إلى اليمن، لم يذكر في حديث الصوم؛ لأنه تبع وهو باطن، ولا ذكر الحج؛ لأن وجوبه خاص ليس بعام، و لا يجب في العمر إلا مرة. انتهى بمعناه[1].

قوله: (أَخْرَجَاهُ)، أي: البخاري، ومسلم، وأخرجه -أيضًا- أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال شيخ الإسلام: أجاب بعض الناس: أن بعض الرواة اختصر الحديث، وليس كذلك)، هذا الكلام ليس بشيء، الرواة لا يتصرفون في الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأول ما فرض الله الشهادتين، ثم الصلاة)، ثم الزكاة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي)، فرضت الصلاة بمكة قبل الهجرة، صلاها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة قبل الهجرة، فرضت ليلة المعراج في مكة، والزكاة قرينة الصلاة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا لم يذكر وجوب الحج كعامة الأحاديث، إنما جاء في الأحاديث المتأخرة)؛ لأنه لم يفرض إلا في السنة التاسعة، ولم يحج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه السنة، إنما حج في السنة العاشرة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٠٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الجواب الثاني: أنه كان يذكر في كل مقام ما يناسبه، فيذكر تارة الفرائض التى يقاتل عليها كالصلاة، والزكاة، ويذكر تارة الصلاة، والصيام لمن لم يكن عليه زكاة، ويذكر تارة الصلاة، والزكاة، والصوم**)، حسب أحوال المخاطبين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأما الصلاة والزكاة، فلهما شأن ليس لسائر الفرائض؛ ولهذا ذكر الله تعالى في كتابه القتال عليهما**)، يقاتل من أبى أن يصلى، من جحد وجوب الصلاة كفر، ويقاتل.

كذلك من جحد وجوب الزكاة، فإنه يقاتل عليها؛ كما قاتل أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مانعي الزكاة، لما مات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالوا: لا نؤديها لغيره -لغير الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد مات، فامتنعوا من أداء الزكاة، فقاتلهم.

ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أنَّ رَسُولَ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال يوم خيبر: لأُعطِينَّ الرَّايةَ غدًا رجُلًا يُحبُّ اللهَ ورسُولَه، ويُحبُّه اللهُ ورسُولُه، يفتحُ اللهُ على يديه. قال: فبات النَّاسُ يدُوكون ليلتهُم أيُّهم يُعطاها، فلمَّا أصبح النَّاسُ غدَوْا على رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كُلُّهم يرجُو أن يُعطاها. فقال: أين عليُّ بنُ أبي طالب؟ فقالوا: يشتكي عينيه يا رسُولَ الله، قال: فأرسلوا إليه، فأتوني به، فلمَّا جاء، بصق في عينيه، ودعا له، فبرأ حتَّى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الرَّاية. فقال عليٌّ: يا رسُول الله، أُقاتلُهم حتَّى يكونوا مثلنا. فقال: انفُذ على رِسلك حتَّى تنزل بساحتهم، ثُمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله فيه، فوالله لأن يهدي اللهُ بك رجُلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمرُ النَّعم»[١]. يدوكون. أي: يخوضون[٢].**

ش: قوله: «عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ» أي: ابن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجى الساعدي، أبي العباس، صحابي شهير، وأبوه صحابي أيضًا، مات سنة ثمان وثمانين، وقد جاوز المائة[٣].

قوله: «قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ» أي: في غزوة خيبر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٣٩٧)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٨١)، ولسان العرب (١٠/ ٤٣٠)، وتاج العروس (٢٧/ ١٦٣).

(٣) انظر في ترجمته: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٣١٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٦٤)، وتهذيب الكمال (١٢/ ١٨٨)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١١١٢).

وفي الصحيحين عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فَخَرَجَ عَلِيٌّ، فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاء اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ -أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ- غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عليهِ. فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيهِ»(١).

قوله: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ» قال الحافظ: في رواية بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي دَافِعٌ اللِّوَاءَ غَدًا إِلى رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»(٢)، (وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفها، ولكن روى أحمد، والترمذي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «رَأَيتُ رَايَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: كَانَتْ سَوْدَاءَ، وَلِوَاؤُهُ أَبْيَضَ»(٣)، ومثله عند الطبراني عن بريدة(٤)، وعن ابن عدي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزاد: «مَكْتُوبٌ فِيهِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُحمد رَسُولُ اللهِ»(٥))(٦).

قوله: «يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» فيه فضيلة عظيمة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه البخاري(٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٧).
(٢) أخرجه أحمد (٣٨/ ٩٨).
(٣) أخرجه الترمذي (١٦٨١)، وابن ماجه (٢٨١٨).
(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٧٧)، والكبير (٢/ ٢٢).
(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ١٣).
(٦) انظر: فتح الباري (٧/ ٤٧٧).

قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصف مختصًّا بعلي، ولا بالأئمة، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه، أو يكفرونه، أو يفسقونه كالخوارج، لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم، فإن الخوارج تقول في علي مثل ذلك، ولكن هذا باطل، فإن الله تعالى ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافرًا(١).

وفيه: إثبات صفة المحبة؛ خلافًا للجهمية، ومن أخذ عنهم.

قوله: «يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ» صريح في البشارة بحصول الفتح، فهو علم من أعلام النبوة.

قوله: «فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا» بنصب «لَيْلَتَهُمْ»، ويدوكون قال المصنف: يخوضون. أي: فيمن يدفعها إليه.

وفيه: حرص الصحابة على الخير، واهتمامهم به، وعلو مرتبتهم في العلم والإيمان.

قوله: «أَيُّهُمْ» هو برفع «أي» على البناء؛ لإضافتها، وحذف صدر صلتها.

قوله: «فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا على رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا»، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: «أن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ قَالَ: مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ»(٢).

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥٠).

قال شيخ الإسلام: إن في ذلك شهادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي بإيمانه باطنًا وظاهرًا، وإثباتًا لموالاته لله تعالى ورسوله، ووجوب موالاة المؤمنين له، وإذا شهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعين بشهادة، أو دعا له، أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة، ومثل ذلك الدعاء، وإن كان النبي يشهد بذلك لخلق كثير، ويدعو لخلق كثير، وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس(١)، وعبد الله بن سلام(٢)، وإن كان شهد بالجنة لآخرين، والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضرب في الخمر (٣) (٤).

قوله: «فَقَالَ: أَيْنَ على بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فيه سؤال الإمام عن رعيته، وتفقد أحوالهم.

قوله: «فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ»، أي: من الرمد؛ كما في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص، فقال: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا، فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ» الحديث(٥).

وفي نسخة صحيحة بخط المصنف: «فقيل: هو يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فأَرْسَلَ إليه» مبني للفاعل، وهو ضمير مستتر في الفعل راجع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أن يكون مبنيًّا لما لم يسم فاعله.

ولمسلم من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه قال: «قَالَ: فَأَتَيْتُ عليًا، فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (١١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٣، ٧٠١٠، ٧٠١٤)، ومسلم (٢٤٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٨- ٤٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٠٤).

(٦) أخرجه مسلم (١٨٠٧).

قوله: «فَبَصَقَ» -بفتح الصاد-، أي: تفل.

وقوله: «وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ» -هو بفتح الراء، والهمزة-، أي: عوفي في الحال عافية كاملة كأن لم يكن به وجع من رمد، ولا ضعف بصر.

وعند الطبراني من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فما رمدت، ولا صدعت منذ دفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليّ الراية»(١).

وفيه دليل على الشهادتين.

قوله: « فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ»، قال المصنف: فيه الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع، ومنعها عمن سعى.

وفيه: أن فعل الأسباب المباحة، أو الواجبة، أو المستحبة لا ينافي التوكل.

قوله: «انْفُذْ على رِسْلِكَ» -بضم الفاء-، أي: امض، ورسلك -بكسر الراء، وسكون السين-، أي: على رفقك من غير عجلة. و«ساحتهم»: فناء أرضهم، وهو ما حولها.

وفيه: الأدب عند القتال، وترك العجلة والطيش، والأصوات التي لا حاجة إليها.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٩)، والطيالسي (١/ ١٥٦)، وأبو يعلى (١/ ٤٤٥). وبنحوه أحمد (٢/ ١٦٨، ٣٤٢)، وابن ماجه (١١٧)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٤١١، ٤٦٣)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٨٠، ٤/ ١٣٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٦٧، ٧/ ٣٩٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢١٢) بلفظ: «... يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرْمَدُ الْعَيْنِ، فَتَفَلَ فِي عَيْنِي، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الحَرَّ وَالْبَرْدَ. قَالَ: فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا بَعْدَ يَوْمِئِذٍ..».

وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف، ولا انتقاص عزيمة؛ كما يشير إليه قوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ» أي: الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإن شئت قلت: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن هنا طابق الحديث الترجمة؛ كما قال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والعبودية له. كذا قال أهل اللغة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسله هو: الاستسلام له وحده، فأصله في القلب، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده، وعبد معه إلهًا آخر لم يكن مسلمًا، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا، وفي الأصل هو من باب العمل- عمل القلب والجوارح-، وأما الإيمان، فأصله تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب. انتهى[1].

فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد، ونفي الشرك في العبادة، وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله -تعالى- بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٦).

فيما أمرهم به على ألسن رسله؛ كما قال تعالى عن نوح -أول رسول أرسله-: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح:٣].

وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة، جاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أغار على بني المصطلق وهم غارون(١)، وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة، وجبت دعوتهم.

قوله: «وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عليهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ»، أي: في الإسلام، إذا أجابوك إليه، فأخبرهم بما يجب من حقوقه التى لابد لهم من فعلها كالصلاة، والزكاة؛ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا»(٢)، ولما قال عمر لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قتاله مانعي الزكاة: «يَا أَبَا بَكْرٍ، كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلاَّ بِحَقِّهَا؟ قال أبو بكر: فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلى رَسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ على مَنْعِهَا»(٣).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٥٤١)، ومسلم (١٧٣٠) عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، قَالَ: «كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ أَسْأَلُهُ عَنِ الدُّعَاءِ قَبْلَ الْقِتَالِ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، قَدْ أَغَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى المَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى سَبْيَهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ -قَالَ يَحْيَى: أَحْسِبُهُ قَالَ: جُوَيْرِيَةَ، أَو قَالَ: الْبَتَّةَ- ابْنَةَ الحَارِثِ»، وَحَدَّثَنِي هَذَا الحَدِيثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَكَانَ فِي ذَاكَ الجَيْشِ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٥٧، ٦٩٢٤، ٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٢)، ومسلم (٢٤٠٥)، واللفظ لمسلم.

وفيه: بعث الإمام الدعاة إلى الله تعالى؛ كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون يفعلون؛ كما في المسند عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في خطبته: «أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَبْعَثْ إليكُمْ عُمَّالِي لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلَا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ بَعَثْتُهُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَنَكُمْ»[١].

قوله: «فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»، «أن» مصدرية، واللام قبلها مفتوحة؛ لأنها لام القسم، و«أن» والفعل بعدها في تأويل مصدر، رفع على الابتداء، والخبر خير، وحمر -بضم المهملة وسكون الميم-، جمع أحمر، و النعم -بفتح النون، والعين المهملة-، أي: خير لك من الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب.

قال النووي: وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة خير من الأرض بأسرها، وأمثالها معها[٢].

وفيه: فضيلة من اهتدى على يديه رجل واحد، وجواز الحلف على الخبر، والفتيا ولو لم يستحلف.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٤)، وأبو داود (٤٥٣٧)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٥٠)، وفي معرفة السنن والآثار (١٢/ ٨٢)، والحاكم (٤/ ٤٨٥).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٧٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الإِخْلَاصِ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَوْ دَعَا إِلَى الحَقِّ؛ فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ البَصِيرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الرَّابِعَةُ: مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوْحِيدِ كَوْنُهُ تَنْزِيهًا لِلَّهِ تَعَالَى عَنِ المَسَبَّةِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرْكِ كَوْنَهُ مَسَبَّةً لِلَّهِ.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا؛ إِبْعَادُ المُسْلِمِ عَنِ المُشْرِكِيْنَ لِئَلَّا يَصِيرَ مِنْهُمْ؛ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ.

السَّابِعَةُ: كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؛ حَتَّى الصَّلَاةِ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعْنَى: (أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ) مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

العَاشِرَةُ: أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا، أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)، المسائل المستفادة من هذا الباب وما فيه من الآيات والأحاديث هي:

أولًا: أن الدعوة إلى الله هي طريقة من اتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:١٠٨]، أما من

يدعو إلى غير الله؛ يدعو إلى عبادة القبور والأضرحة، يدعو إلى الحزبيات والانضمام إليها، فهذا لا يدعو إلى الله، أو يدعو إلى نفسه؛ يريد أن يُعظم وأن يُمدح، فهذا لا يدعو إلى الله، إنما يدعو إلى ما دعا إليه ونواه وقصده.

ففي هذا وجوب إخلاص النية في الدعوة إلى الله؛ كما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن بعض الناس إنما يدعو إلى نفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الإِخْلَاصِ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَوْ دَعَا إِلَى الحَقِّ؛ فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ)**، فهو لا يريد الحق، إنما يستخدم الدعوة إلى الحق؛ ليعظمه الناس، ويكون له مكانة فيهم.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[1]، فعلى من يدعو إلى الله أن يخلص النية لله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يرجو من هذه الدعوة مدحًا من الناس أو طمعًا من أطماع الدنيا أو وظيفة، إنما يقصد الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

نعم، إذا أُعطي الداعي شيئًا من المال؛ ليتقوى به على الدعوة، دون أن يطلبه، ودون أن يقصده، فلا بأس بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: أَنَّ البَصِيرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ)**، أن البصيرة، وهي العلم من الفرائض، فلا يجوز لإنسان أن يدعو إلى الله وهو جاهل، لابد أن تكون دعوته على علم وبصيرة؛ حتى تكون نافعة ومؤثرة، أما الجاهل، فلا يصلح للدعوة؛ لأنه يفسد أكثر مما يصلح، ولأن الداعي سيسأل عن

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مسائل، ويستفتى عن أمور، فلابد أن يكون عنده علم يجيب به السائلين، علمٌ من الكتاب والسنة، يستعد بهذا، ليس مجرد أنه يتكلم ويمشي، لا، يسألونه الناس عن أمور دينهم ودنياهم ومعاملاتهم، لابد أن يكون عنده علم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوْحِيْدِ كَوْنُهُ تَنْزِيْهًا للهِ تَعَالَى عَنْ المَسَبَّةِ)**، هذا في الآية نفسها، ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ التوحيد هو تنزيه الله عن الشرك والتعطيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرْكِ كَوْنَهُ مَسَبَّةً للهِ)**؛ لأن الشرك مسبة لله، تنقص لله، وعدل بالله؛ جعل الشريك عديلًا لله عَزَّ وَجَلَّ، الصنم والحجر والشجر والميت يجعله عديلًا لله، فهذا تنقص لله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠]، يعدلون غير الله، يعادلونه بالله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا يقول أهل النار إذا أُلقوا في النار هم ومن عبدوهم: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، يقولون: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨]، اعترفوا وأدركوا، هؤلاء الذين عبدوهم لم ينفعوا أنفسهم؛ دخلوا النار وهم يُعبدون من دون الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ -وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا-: إِبْعَادُ المُسْلِمِ عَنْ المُشْرِكِيْنَ؛ لِئَلَّا يَصِيْرَ مِنْهُمْ، وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ)**، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، ختام الآية، هذه براءة من المشركين ومن شركهم، أما الذي يقول: الناس

على عقائدهم، وكلٌّ حسب قناعته، ولا يتبرأ من المشركين، فهذا يكون منهم، من لم يتبرأ من المشرك، فهو مثله؛ لأنه رضي بما هو عليه وأقره على ذلك، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، تبرأ من المشركين؛ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧].

بعض المتعالمين أو المغرضين يقول: تبرأ من الشرك، لا بأس، لكن لاتتبرأ من المشرك، تبرأ من شركه، ولا تتبرأ من شخصه، يا سبحان الله! لاتتبرأ من عدو الله؟! ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]، لاتتبرأ من عدو الله؟! لابد أن تتبرأ منه؛ إبراهيم وقومه قالوا لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤]، تبرءوا منهم ومن شركهم، هذه ملة إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: كَوْنُ التَّوْحِيْدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ)**، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بعثه إلى اليمن: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، ثم يتدرج في الدعوة، يدعوهم إلى الصلاة، يدعوهم إلى الزكاة، يدعوهم إلى بقية أوامر الدين، أما أن يهمل الدعوة إلى التوحيد، ويذهب يدعوهم إلى محاسن الأخلاق، وإلى ترك الربا، هذه ليست دعوة، هذه مخالفة لمنهج الرسل، وهذه لا تثمر شيئًا أبدًا.

الذين يدعون أنهم من أهل الدعوة، ويهملون التوحيد، ولا يهتمون به، ولا يدعون إليه، ولا يبينونه للناس، هؤلاء دعوتهم فاسدة وفاشلة، في الأخير لا تثمر شيئًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؛ حَتَّى الصَّلَاةِ**)؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ**»؛ لأن الصلاة لا تقبل مع الشرك، لا تقبل إلا إذا كانت مبنية على عقيدة التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعْنَى: «أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ» مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)، الرواية التي ساقها الشيخ في الحديث، وفي رواية: «**إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**» هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله: ألا يعبد بحق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليست لفظًا يقال باللسان فقط، وكلٌّ على عقيدته، لا، لابد أن يعمل بهذه الكلمة، يعمل بمقتضاها؛ فيوحدوا الله بالعبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**العَاشِرَةُ: أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُوْنُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا، أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا**)، يكون من أهل الكتاب؛ يقرأ التوراة والإنجيل، يكون عنده علم، ومع هذا لا يعرف التوحيد، فيحتاج إلى أن يُدعى إليه؛ «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فإذا كان العلماء يحتاجون إلى الدعوة، فكيف بالعوام والجهال؟!

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيْهُ عَلى التَّعْلِيم بِالتَّدْرِيْج.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: البُداءَةُ بالأَهَمِّ فالأَهَمِّ.

الثَّالثَةَ عَشْرَةَ: مَصْرِفُ الزَّكاةِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَشْفُ العَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنْ المُتَعَلِّم.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الأَمْوَالِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: اتِّقاءُ دَعْوَةِ المَظْلُوم.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لا تُحْجَبُ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيْدِ مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ المَشَقَّةِ وَالجُوْعِ وَالوَبَاءِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ» إِلَخْ؛ عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ النُّبُوَّةِ.

العِشْرُوْنَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ؛ عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِهَا أَيْضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيْهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيْجِ)، التنبيه على التعليم بالتدريج.

أولًا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم الصلاة ثم الزكاة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: البُدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ)، البداءة في الدعوة بالأهم وهو التوحيد، فالأهم وهو الصلاة، فالأهم وهو الزكاة، إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَصْرِفُ الزَّكَاةِ**)، «**تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ**»، ففيه: بيان لمصرف الزكاة؛ أنها للفقراء، فقراء البلد الذي فيه المال، «**تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَشْفُ العَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنْ المُتَعَلِّمِ**)، كشف العالم الشبهة عن المتعلم؛ فإن معاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أرسله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلمًا، وأمره أن يكشف الشبه التي يدلي بها أهل الكتاب والمشركون، فيبينها ويوضحها؛ لأنهم يعتمدون على شبه، ويظنونها أدلة، لابد من دحض هذه الشبه وبيان خطئها.

الذي ليس عنده استعداد لهذا لا يباشر الدعوة، وهذا مما يقتضي أن يكون الداعية على علم؛ من أجل أن يرد على الشبه التي تعترضه؛ كما قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، ولا يجادل إلا من عنده علم، فيشترط في الداعية أن يكون على علم؛ ليكون مستعدًّا للرد على الشبه وجدال المدعوين إذا جادلوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الأَمْوَالِ**)، النهي عن أخذ كرائم الأموال في الزكاة، إلا بطيبة من نفس أهلها، ولكن يأخذ من المتوسط، متوسط الأموال؛ لأن أخذ الكرائم بغير طيب نفس صاحبها ظلمٌ له، ولايجوز، تؤخذ الزكاة من الوسط؛ لا من الرديء، ولا من الجيد، إلا إذا أذن صاحب المال بالجيد، وطابت به نفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ المَظْلُومِ**)، «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُوْمِ**»، إذا أخذ من كرائم أموالهم، وهم لم يرضوا بذلك، فهذا ظلم، سيدعون عليه، ودعوة المظلوم مستجابة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ**)؛ لأن دعوة المظلوم لا تحجب عن الله عَزَّوَجَلَّ، لا يردها شيء، بل ترتفع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وينتصر للمظلوم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيْدِ مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وِسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ المَشَقَّةِ وَالجُوْعِ وَالوَبَاءِ**)، ما جرى على المرسلين وعلى أتباعهم من الشدائد، ومع هذا صبروا على الدعوة، وجاهدوا في الله عَزَّوَجَلَّ، صبروا على الدعوة، ولم يثنهم الفقر والحاجة عن الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ) إِلَخْ؛ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ**)، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة خيبر بعدما طال الحصار، حصار المسلمين لليهود في حصنهم وشق ذلك على المسلمين وجاعوا حتى سألوا عن أكل الحمر الأهلية، جاعوا ومع هذا صبروا وجاهدوا في سبيل الله، فعند ذلك بشرهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**لَأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا**»، يعني: في الصباح، «**رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ؛ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدِيْهِ**».

قوله: «**يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدِيْهِ**»: هذه بشارة بالفتح ونهاية الحصار، فهذا خبرٌ عن شيء مستقبل وقد حصل كما أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففيه علامة من علامات النبوة، وأنه لا يعلم الغيب إلا الله أو من أطلعه الله على شيء من الغيب؛ ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العِشْرُوْنَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ؛ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا)**، المعجزة الثانية: أنه تفل في عين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو لا يبصر من الوجع، وأُتي به يقاد إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبمجرد ما تفل في عينه، برأ كأن لم يكن به وجع، فهذا من معجزات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: فَضِيْلَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ.

الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الإِيْمَانُ بِالقَدَرِ لِحُصُوْلِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى.

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَى رِسْلِكَ».

الخَامِسَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ القِتَالِ.

السَّادِسَةُ وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّهُ مَشْرُوْعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا.

السَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الدَّعْوَةُ بِالحِكْمَةِ لِقَوْلِهِ: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ».

الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُوْنَ: المَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ فِي الإِسْلَامِ.

التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُوْنَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ.

الثَّلَاثُوْنَ: الحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: فَضِيْلَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، لكونه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ولكونه يفتح الله على يديه، هذه فضائل لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تضاف إلى فضائله الكثيرة -رضي الله عنه وأرضاه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ)؛ أن الصحابة اهتموا بهذا الخبر وهذه البشرى، وصار كل منهم يرجو أن يكون ذلك الرجل؛ من حرصهم على الخير. فلما

أصبحوا، غدوا، بكروا إلى رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يُعطاها، مع أن هذا فيه خطر وفيه قتال، ومع هذا كلهم يرجو أن يُعطاها؛ من حرصهم على أن يكونوا هم الذين ينالون هذه الصفات: (يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويفتح الله على يديه)، فهم يتنافسون في الخير وطلب الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الإِيْمَانُ بِالقَدَرِ لِحُصُوْلِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى**)، كلهم غدوا على رسول الله يرجو أن يُعطاها، ولم يحضر علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأن الله قدر أن تكون البشرى له، حصلت له وهو غائب.

في هذا الإيمان بالقدر، لكن الإنسان يعمل الأسباب؛ إن حصل له المطلوب فالحمد لله، وإن لمن يحصل فليرضَ بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَى رِسْلِكَ»**)، الأدب، يعني: أدب الجهاد، «امش على رسلك»، يعني: على هينتك، فلا يكون هناك أصوات ولغط أو عجلة؛ لأن التريث والمشي بتؤدة يدل على الشجاعة وعدم الاكتراث بالعدو، أما الذي يطيش ويركض ويصيح، هذا دليل على أنه جبان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ القِتَالِ**)، «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ»، قبل أن تقاتلهم ادعهم إلى الإسلام أولًا؛ فإن أسلموا، فالحمد لله، حصل المطلوب، وإن أبوا، فلابد من القتال؛ «**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّهُ مَشْرُوْعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا**)، الدعوة على الإسلام أنه -أي: الإسلام- مشروع لمن دُعي قبل

ذلك، وقوتل، تعاد دعوته إلى الله؛ فإن اليهود قد دُعوا، يهود خيبر قد دُعوا إلى الإسلام، سبق أنهم دُعوا، دعاهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الدَّعْوَةُ بِالحِكْمَةِ لِقَوْلِهِ: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ»**)، الدعوة بالحكمة التعليم، تعليمهم، لا تدعهم إلى الإسلام ولا تبين لهم ما هو الإسلام، بين لهم الإسلام الذي تدعوهم إليه؛ أنه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، إلى آخره.

لا يكفي أنك تدعوهم إلى الإسلام بدون بيان، كثير من الناس يمدحون الإسلام، ولكنهم لو تسألهم عن معنى الإسلام وأوامر الإسلام ونواقض الإسلام، لا يعرفونها، كيف تدعو إلى شيء وأنت لا تعرفه، ولا تعرف ما يخل به؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُوْنَ: المَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ فِي الإِسْلَامِ**)، «**وَأَخْبِرْهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم مِنْ حَقِّ اللهِ فِيْهِ**»، يعني: في الإسلام من العبادة والتوحيد وفعل الأوامر وتجنب النواهي وغير ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُوْنَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ**)، «**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلا وَاحِدا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»، فتدعو إلى الإسلام، ولو لم يكثر الذين يستجيبون، ولو واحد لك الأجر في ذلك، وهو خير من طمع الدنيا من حمر النعم، أنفس شيء في الإبل هو الحمر منها، إذا استجاب لك رجل واحد، خير لك من الدنيا وما فيها، ومن زينة

الدنيا، فكيف إذا هدى الله بك أجيالًا من الناس، ونفع الله بدعوتك أجيالًا من الناس؟! الأجر أعظم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّلَاثُوْنَ: الحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا)**؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلف على الفتيا، وهي قوله: «**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»، فإذا كان المفتي متأكدًا من إصابة فتواه للدليل، فإنه إذا أراد أن يقنع المستفتي، يحلف له أن هذا هو الصواب، وهذا هو الحق؛ ليكون أقنع للمستفتي.

٥- باب تفسير التَّوْحِيدِ وشهادة أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ

ش: أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الترجمة وما جاء بعدها من الآيات والحديث أن يزيد هذا المقام بيانًا وإيضاحًا، وإلا فقد تقدم في الآيات والأحاديث ما يفسر «لا إله إلا الله» وما دلت عليه من التوحيد ونفي الشرك والتنديد.

قوله: (بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ، وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

قلت: هذا من عطف الدال على المدلول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، تفسير التوحيد، التوحيد ما هو؟ يحتاج إلى تفسير.

أما أنك تحتاج إلى التوحيد، وإذا سئلت ما التوحيد؟ لا تدري ما هو، هذه مشكلة، لابد أن تفسر التوحيد ما هو، تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ليست لفظًا يقال فقط، ولكنه لفظٌ له معنى، فما هو المعنى؟ هذا مما يدل على أن الداعي يشترط فيه العلم لما يدعو إليه بالتفصيل، ليس أمرًا سهلًا أو بالإجمال، لابد أن يكون عالمًا بما يدعو إليه بالتفصيل وبأدلته؛ حتى يقنع المدعوين، وإلا فإن دعوته تكون نقصًا على الإسلام والمسلمين، إذا دعا إلى الله بغير علم وبغير بيان لما يدعو إليه وبغير توضيح، وإلا الإسلام كلٌّ يقول: أنا مسلم، كلٌّ يزعم أن ما هو عليه هو الإسلام، لكن إذا بينت ما هو الإسلام، فإنه يتبين للمخطئين أنهم ليسوا على الإسلام، فلا تقل: أخاف أن

يغضبوا، أخاف أن ينفروا، لا، بين لهم، هذا حق؛ من اقتنع فالحمد لله، ومن لم يقتنع فلست مسؤولًا عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الترجمة وما جاء بعدها من الآيات والحديث أن يزيد هذا المقام بيانًا وإيضاحًا)**، ومرَّ في حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما يبين هذا، ولكن عقد الشيخ هذا الباب زيادة إيضاح، وزيادة بيان وترسيخ لهذا العلم؛ لأنه مهم جدًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإلا فقد تقدم في الآيات والأحاديث)**، في الباب الذي انتهينا منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإلا فقد تقدم في الآيات والأحاديث ما يفسر «لا إله إلا الله» وما دلت عليه من التوحيد ونفي الشرك والتنديد)**، لكن مروها فيما سبق، قد يغفل عنه طالب العلم، لكن إذا عُقِد له باب خاص، فهذا مما يعطي طالب العلم اهتمامًا بهذه المسألة.

وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧].

ش: قال: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧]) **الآية، يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها، وهو قوله تعالى:** ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٥٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: **يقول تعالى:** ﴿قُلِ﴾ **يا محمد للمشركين الذين عبدوا غير الله:** ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ **من الأصنام والأنداد، وارغبوا إليهم؛ فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم، أي: بالكلية** ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ **أي: ولا يحولونه إلى غيركم، فإن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر**(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧])، هذه الآية -كما ذكر المفسرون- نزلت في قوم يعبدون أناسًا من الجن، أو أناسًا من الإنس كانوا مشركين، كان المعبودون

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨٨).

مشركين، فيدعونهم من دون الله وهم راضون بذلك. ثم إن الله منَّ على هؤلاء المدعوين فأسلموا، ولم يعلم الذين يدعونهم بإسلامهم، استمروا على ذلك. الله أخبرهم، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾، أي: يدعونهم هؤلاء ويشركون بهم من دون الله قد أسلموا.

﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾، وهي القرب منه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فالوسيلة هي العبادة والقرب من الله، ليست الوسيلة ما يقوله عباد القبور؛ أنك تجعل الميت بينك وبين الله واسطة؛ تتوسل به إلى الله، هذا كلام باطل، وكذب على الكتاب والسنة، الوسيلة: هي العبادة، سُمِيت وسيلة؛ لأنها تقرب إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فهؤلاء الذين كانوا يُعبدون ثم أسلموا، فصاروا هم ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾، إذًا هم محتاجون إلى الله، فكيف يعبدهم هؤلاء، وهم مثلهم فقراء يحتاجون إلى الله جَلَّ وَعَلَا؟!

وأيضًا قيل: إنها نزلت في الذين يدعون المسيح وأمه، المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وأمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا كانا يدعون الله، ويعبدون الله، فكيف يُدعَون مع الله وهم عباد يحتاجون إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؟ ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ ﴾، أمه مريم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا صِدِّيقة، الصديق: كثير الصدق الذي لا يكذب.

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]: هل الذي يأكل الطعام يُتخذ إلهًا مع الله؟! هذا دليل على أنهم بشر، يقولون: المسيح ابن الله، أو الله ثالث ثلاثة: الله والمسيح وأمه وروح القدس كما يقولون.

فإذا كان يأكلان الطعام، هذا دليل على حاجتهم وفقرهم للطعام، فكيف يُعبدون مع الله عَزَّوَجَلَّ؟ إنهم من بني آدم(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء:٥٧])، ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾، فيه الجمع بين الخوف والرجاء؛ أن الإنسان لا يأخذ الخوف فقط، فيكون من الخوارج الذين يعبدون الله بالخوف، ترهيب فقط.

ولا يأخذ بالرجاء فقط، فيكون من المرجئة الذين لا يخافون، بل الرسل وأتباعهم يجمعون بين الخوف والرجاء، هذا طريق الرسل وأتباعهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾)، يحذره المؤمنون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها، وهو قوله تعالى:** ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦])، تبينها الآية التي قبلها، يتحداهم.

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾، أي: غير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ ﴾، إذا نزل.

﴿ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ من عضو إلى عضو، أو من إنسان إلى إنسان آخر، أو من بلد إلى بلد آخر، إنما هذا بيد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هذا تعجيز لهم، فإذا كان الملائكة

---

(١) انظر أقوال المفسرين في هذه الآية في: تفسير الطبري (١٧/ ٤٧١- ٤٧٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٢- ٣٣)، والقرطبي (١٠/ ٢٧٩)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٨٨- ٨٩).

والرسل والصالحون لا يملكون كشف الضر ولاتحويله، فإنه لا تصلح عبادتهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨]، فالذي يكشف الضر ويجيب دعوة المضطر، ويحول المرض من المريض إلى غيره، أو من بلد إلى بلد ينقله هو الله جَلَّوَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يقول تعالى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد للمشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام، والأنداد، وارغبوا إليهم، فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم، أي: بالكلية ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: ولا يحولونه إلى غيركم)**، هذا بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذا كانوا عاجزين عن كشف الضر عنكم، وعن تحويله عنكم إلى غيركم، فكيف تعبدونهم من دون الله وهم عاجزون؟! هذا برهان، القرآن مبني على براهين واضحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق، والأمر)**، وهو الذي يستحق العبادة.

....

ش: قال العوفي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الآية: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة، والمسيح، وعزيرًا، وهم الذين يدعون[(١)].

وروى البخاري في الآية عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نَاسٌ مِنَ الجِنِّ كَانُوا يُعْبَدُونَ فَأَسْلَمُوا».

وفي رواية: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ الجِنُّ، وَتَمَسَّكَ هؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ»[(٢)].

وقول ابن مسعود هذا يدل على أن الوسيلة هي الإسلام، وهو كذلك على كلا القولين.

وقال السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في الآية، قال: عيسى وأمه، وعزير[(٣)].

وقال مغيرة عن إبراهيم: كان ابن عباس يقول في هذه الآية: هم عيسى، وعزير، والشمس، والقمر[(٤)].

وقال مجاهد: عيسى، وعزير، والملائكة[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٧١)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٠٧)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٨٩).

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٢٢٧)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٨٩).

(٥) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٤٣٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العوفي عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **في الآية: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة، والمسيح، وعزيرًا، وهم الذين يدعون)**، الملائكة والمسيح ابن مريم كانوا في الجاهلية يعبدونهم.

وعزير: وهو من بني إسرائيل، قيل: إنه نبي، وقيل: إنه رجل صالح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهم الذين يدعون)**، وهم الذين ﴿يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء:٥٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي رواية: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ الجِنُّ، وَتَمَسَّكَ هؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ»)**، بعبادتهم إياهم، وهم قد أسلموا، ولم يعلموا أنهم قد أسلموا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقول ابن مسعود هذا يدل على أن الوسيلة هي الإسلام)**، الوسيلة هي الإسلام، ليست الوسيلة هي الواسطة بينك وبين الله من الخلق، تتخذ واسطة من الخلق بينك وبين الله؛ تقول: هذا يشفع لي، هذا يقربني إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو كذلك على كلا القولين)**، فلا يتوسل إلى الله إلا بالإسلام والعبادة، لا يتوسل إليه بالأشخاص وبالأموات وبالأولياء والصالحين، لا يتوسل إلى الله بهذا، يتوسل إليه بالإسلام وبالأعمال الصالحة التي تقرب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه هي الوسيلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال مغيرة عن إبراهيم: كان ابن عباس يقول في هذه الآية: هم عيسى، وعزير، والشمس، والقمر)**؛ ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ

وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت:٣٧].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال مجاهد: عيسى، وعزير، والملائكة)**، كل الأقوال متقاربة، لا يضاد بعضها بعضًا، والآية تدل عليها كلها.

....

ش: قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧]، لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء[1]، فكل داع دعاء عبادة أو استغاثة لا بد له من ذلك، فإما: أن يكون خائفًا، وإما: أن يكون راجيًا، وإما: أن يجتمع فيه الوصفان.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية الكريمة -لما ذكر أقوال المفسرين: وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر، والسلف في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل؛ كما يقول الترجمان لمن سأله: ما معنى الخبز؟ فيريه رغيفًا، فيقول: هذا، فالإشارة إلى نوعه، لا إلى عينه، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع مع شمول الآية، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتًا، أو غائبًا من الأنبياء والصالحين -سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها-، فقد تناولته هذه الآية؛ كما تتناول من دعا الملائكة والجن، فقد نهى الله تعالى عن دعائهم، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين، ولا تحويله، ولا يرفعونه بالكلية، ولا يحولونه من موضع إلى موضع كتغيير صفته أو قدره؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٥٦]، فذكر نكرة تعم أنواع

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨٩).

التحويل، فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين، أو دعا الملائكة، فقد دعا من لا يغيثه، ولا يملك كشف الضر عنه، ولا تحويله. اهـ[(١)].

وفي هذه الآية رد على من يدعو صالحًا ويقول: أنا لا أشرك بالله شيئًا؛ الشرك عبادة الأصنام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧]، لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء)، لابد من الجمع بين الخوف والرجاء؛ فالذي لا يعبد الله إلا بالخوف، هذا من الخوارج، تكفيري، هذا التكفيري الصحيح.

والذي لا يعبد الله إلا بالرجاء، ولا يخاف، هذا من المرجئة الذين يعتمدون على آيات الوعد، والخوارج يعتمدون على آيات الوعيد، وأهل السنة يجمعون بين الأمرين؛ آيات الوعد وآيات الوعيد، فيخافون الله، ويرجونه، والذي لا يعبد الله إلا بالمحبة -كالصوفية-، هذا صوفي.

فمن عبد الله بالخوف فقط فهو حروري؛ يعني: خارجي، ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجئ، من عبد الله بالمحبة فقط فهو صوفي، ومن عبد الله بالخو ف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن.

الصوفية يقولون: نحن لا نعبد الله خوفًا من ناره، ولا طمعًا في جنته، وإنما نعبده؛ لأننا نحبه فقط.

---

(١) انظر: (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) ضمن مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢٦).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فكل داع دعاء عبادة، أو استغاثة لا بد له من ذلك، فإما: أن يكون خائفًا، وإما: أن يكون راجيًا)**، الذي يدعو الله لا يخلو من هذا؛ إما أن يكون يرجو رحمة الله وثوابه، وإما أن يكون يخاف من عذاب، فيسأل الله أن يدفع عنه العذاب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الآية الكريمة -لما ذكر أقوال المفسرين-: وهذه الأقوال كلها حق)**؛ لأن أقوال المفسرين لا تتناقض، كل واحد منهم يأخذ بمعنى مما تحتمله الآية، ولهذا يقولون: اختلافهم اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما يقول الترجمان لمن سأله: ما معنى الخبز؟ فيريه رغيفًا، فيقول: هذا، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه)**، والرغيف إنما هو نوع من الخبز، ليس كل الخبز أرغفة، فهو يعطيه نموذجًا منه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًّا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه)**، فكيف يُعبد، وهو يعبد الله، ومحتاج إلى الله، يرجو رحمته ويخاف عذابه، كيف يُعبد هذا؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فكل من دعا ميتًا، أو غائبًا من الأنبياء والصالحين -سواء كان بلفظ الاستغاثة، أو غيرها- فقد تناولته هذه الآية؛ كما تتناول من دعا الملائكة والجن)**، الآية عامة لكل من دعا غير الله من الملائكة من الرسل من الأولياء والصالحين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾** [الإسراء:٥٦]**، فذكر نكرة تعم أنواع التحويل)**، أي تحويل، سواء من عضو إلى عضو، أو من شخص إلى شخص، أو من بلد إلى بلد، لا أحد يملك هذا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكل من دعا ميتًا، أو غائبًا من الأنبياء والصالحين، أو دعا الملائكة، فقد دعا من لا يغيثه)**، من لا يغيثه، لا يقدر على إغاثته؛ لأنه هو بحاجة، يرجو الله ويخافه، هو بحاجة، فكيف تدعوه؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يملك كشف الضر عنه، ولا تحويله. اهـ)**، انتهى كلام شيخ الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذه الآية رد على من يدعو صالحًا، ويقول: أنا لا أشرك بالله شيئًا، الشرك عبادة الأصنام)**، هناك من يقول: الشرك عبادة الأصنام، أما الذي يعبد الصالحين والملائكة، هذا يعبد أناسًا مطيعين لله، وهم قريبون من الله، ويقربونني، ويشفعون لِيَّ عند الله.

نقول: لا، الشرك يعم كل من دعا غير الله من ملائكة أو أنبياء أو صالحين أو أصنامًا أو أحجارًا، فكل من دعا غير الله، فهو مشرك، ليس بخاص بعبادة الأصنام، ولذلك لما أنكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عباد القبور، قالوا: أنت تجعلنا مثل عباد الأصنام، يعبدون الأصنام، ونحن نتوسل بأناس صالحين!، بين لهم أنه لا فرق بين من عبد الصنم ومن عبد غير الصنم، الشرك هو دعوة غير الله أيًّا كان، هذا هو الشرك؛ كما ذكر ذلك في رسالة «كشف الشبهات».

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

ش: قال: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦- ٢٨]).

قال ابن كثير: يقول -تعالى- مخبرًا عن عبده ورسوله، وخليله، إمام الحنفاء، ووالد من بُعِثَ بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها؛ أنه تبرأ من أبيه، وقومه في عبادتهم الأوثان؛ فقال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]، أي: هذه الكلمة -وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله»- جعلها في ذريته، يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: إليها.

قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم في قوله: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾: يعني: «لا إله إلا الله» لا يزال في ذريته من يقولها[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧])، هذا يبين

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٥).

معنى «لا إله إلا الله»، والترجمة فيها بيان معنى «لا إله إلا الله»، وهذه الآية تبين معنى «لا إله إلا الله»؛ أنها البراءة من الشرك وأهله، وعبادة الله وحده لاشريك له؛ ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]، هذا معنى «لا إله إلا الله»؛ لأنه نفي وإثبات.

فمعنى «لا إله إلا الله»: البراءة من الشرك والمشركين.

أما الذي يقول: «لا إله إلا الله»، ولا يتبرأ من الشرك والمشركين، فهذا لا تنفعه «لا إله إلا الله»؛ لأنه لم يحققها، ولم يعمل بها، هي ليست مجرد لفظ يقوله بلسانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨])، وجعل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذه الكلمة باقية في عقبه، في ذرية إبراهيم، فلا يزال فيهم من يعبد الله إلى أن بُعِثَ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فدعا إلى هذه الكلمة، «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله، وخليله، إمام الحنفاء، ووالد من بُعِثَ بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها؛ أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان؛ فقال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾** [الزخرف:٢٦، ٢٧])، فالمشرك تتبرأ منه، وإن كان أقرب الناس إليكم، فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تبرأ من أبيه؛ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة:١١٤]، لا تقل: (أقاربي)،

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٧).

إذا كانوا أعداء لله، فأنت تعاديهم، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، يعني: «لا إله إلا الله» لا يزال في ذريته من يقولها)**، ويعمل بها.

ش: وروى ابن جرير، عن قتادة ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]، قال: إنهم يقولون: إن الله ربنا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧]، فلم يبرأ من ربه. رواه عبد بن حميد.

وروى ابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]، قال: الإخلاص، والتوحيد لا يزال في ذريته من يعبد الله، ويوحده[1].

قلت: فتبين أن معنى «لا إله إلا الله»: توحيد العبادة بإخلاص العبادة له، والبراءة من كل ما سواه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال: إنهم يقولون: إن الله ربنا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧]، فلم يبرأ من ربه)، فلم يبرأ من ربه؛ ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٧]، هم يعبدون الله، ويعبدون معه غيره، إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تبرأ مما يُعبد غير الله، لم يتبرأ منه، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وروى ابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]، قال: الإخلاص، والتوحيد لا يزال في ذريته

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٧٧)، والدر المنثور (٧/ ٣٧٣).

من يعبد الله، ويوحده)، حتى في الجاهلية كان من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من يعبد الله على الحنيفية، ولم يشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، إلى أن بُعِثَ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قلت: فتبين أن معنى «لا إله إلا الله»: توحيد العبادة بإخلاص العبادة له، والبراءة من كل ما سواه)**، هذا معنى «لا إله إلا الله»، فكلمة: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧] تبين معنى «لا إله إلا الله»؛ أنها البراءة من الشرك والمشركين، وإفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة.

ش: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وذكر سبحانه أن هذه البراءة، وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله.**

وفي هذا المعنى يقول العلامة الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «الكافية الشافية»**[1]:

وَإِذَا تَــوَلاَّه امْــرُؤٌ دُونَ الْـوَرَى ... طُــرًّا تَــوَلاَّه الـعـظـيـمُ الـشَّـانِ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وذكر سبحانه أن هذه البراءة، وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله**)، فهذه الآية تفسر شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن هناك من يقول: («لا لإله إلا الله»: لا قادر على الخلق والاختراع والرزق إلا الله)، نقول: هذا توحيد الربوبية، لا يكفي؛ معنى «لا إله إلا الله»: إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه. أما الإقرار بتوحيد الربوبية، فهذا -حتى عند المشركين- لم يجحده أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا تَوَلاَّه امْرُؤٌ دُونَ الْوَرَى * طُرًّا تَوَلاَّه العظيمُ الشَّانِ**)، إذا تولى الله امرؤ دون الناس، فإن الله يتولاه، الله ولي من تولاه.

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٤٥٤).

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

ش: قال: (وَقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]).

الأحبار: هم العلماء، والرهبان: هم العباد.

وهذه الآية قد فسرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك أنه لما جاء مسلمًا، دخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقرأ عليه هذه الآية، قال: «قُلْتُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ. فَقَالَ: «بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الحَلَالَ، وَحَلَّلُوا لَهُمُ الحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»، رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني من طرق(١).

قال السدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم(٢).

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، فإن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله تعالى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٤)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٨).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٤٨٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٣٥).

فظهر بهذا أن الآية دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن به الله، فقد اتخذه ربًّا ومعبودًا، وجعله لله شريكًا، وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله الذي دلت عليه كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، فإن الإله هو المعبود.

وقد سمى الله تعالى طاعتهم عبادة لهم، وسماهم أربابًا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾، أي: شركاء لله تعالى في العبادة ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٨٠]، وهذا هو الشرك.

فكل معبود رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله، فقد اتخذه المطيع المتبع ربًّا ومعبودًا؛ كما قال تعالى في آية الأنعام: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١]، وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة.

ويشبه هذه الآية في المعنى قول الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١]، والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١])، ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ ﴾، أي: النصارى، النصارى اتخذوا ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾، وهم العلماء، ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾، وهم العباد.

﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يحللون لهم، ويحرمون لهم، فيطيعونهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، يطيعونهم في ذلك، فهم اتخذوهم أربابًا.

فالذي يطيع الناس في التحليل والتحريم من غير دليل هذا مثل النصارى، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].

الآن إذا نُهوا عن شيء، قالوا: المسألة فيها خلاف، يعني: إذا صار فيها خلاف، هل كلٌّ بهواه؟! وإن كان فيها خلاف، لابد يؤخذ الحق، مع من الحق من المختلفين، فيؤخذ به ويطرح الخطأ.

تقولون: الحجاب فيه خلاف، صلاة الجماعة فيها خلاف، كذا فيه خلاف، الخلاف ليس بحجة، الحجة بالدليل.

نعم، الناس يختلفون، والفقهاء يختلفون، ولكن إذا اختلفوا، فلابد من الرجوع إلى الدليل وأخذ ما يقوم عليه الدليل، هذا هو الدين.

أما الذي يأخذ الأقوال، ولا يبالي هل وافقت الدليل أم لا، هذا ﴿ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣]، يعني: يأخذ ما يصلح له فقط، ولا يأخذ ما لايوافق هواه، هذه مشكلة واقع فيها كثيرٌ من الناس اليوم، خصوصًا كُتَّاب الصحف وغيرهم، إذا أُنكر عليهم شيء، قالوا: المسألة فيها خلاف، الأمر واسع، الحجة ليست بالخلاف، الحجة بالدليل، الذي يبرئ ذمته ويخاف الله يتبع الدليل ولا يتبع الخلاف، وإلا يصير مثل النصارى؛ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].

فمن معنى «لا إله إلا الله»: أن يطاع سبحانه فيما أحل وفيما حرم، ولا يطاع المخلوق إذا خالف حكم الله في التحليل والتحريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١])، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾، الطاعة في اتباع الأمر، وليست في اتباع الخلاف، انتبه! الطاعة في اتباع الأمر، وليست في اتباع الخلاف بين العلماء.

يقولون: خلافهم رحمة، لا، ليس برحمة، الخلاف عذاب ليس برحمة، الرحمة في الاجتماع والاتفاق على الحق، هذه هي الرحمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه الآية قد فسرها رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لعدي بن حاتم)**، عدي بن حاتم الطائي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان نصرانيًّا ثم أسلم، ومنَّ الله عليه بالإسلام وحسن إسلامه، وصار من أبطال الجهاد، من قواد الجهاد[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: فقلت: «إنهم لم يعبدوهم. فقال: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم)**، ولذلك قال في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١]؛ لأنهم في الجاهلية يأكلون الميتات، يقولون: حلال.

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾: الأكل منها فسق، خروج عن طاعة الله، ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾،

---

(١) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار (ص ٧٥)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢١٩٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٥٧)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٦٧٨).

يقولون: ما ذبحه الله يصير حرامًا، وما ذبحتموه أنتم يكون حلالًا؟، يعني: أن الميتة الله ذبحها، ذكاها الله، هذا أولى بالتحليل، ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال السدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم)**، فإذا خالف قول العالم كلام الله، فإنه يؤخذ بكلام الله وكلام رسوله، ولا يؤخذ بكلام العالم، والعالم مجتهد يخطئ ويصيب؛ له أجران إن أصاب، وله أجر واحد إن أخطأ[(١)]، لكن لا يتبع على خطئه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١])**، فالإله هو المطاع في التحليل والتحريم، يعني: من التوحيد؛ توحيد الطاعة والانقياد، ومن الشرك: شرك الطاعة -أيضًا-، فمن أطاع مخلوقًا في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، وهو يعلم أنه على غير حق، وأنه أحل ما حرم الله، وحرم ما أحل الله، من كان يعلم وأطاعه في ذلك فهو مشرك، أما من اتبع وهو لا يعلم، ويظن أنه على حق هذا معذور حتى يُبين له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله تعالى)**، وليس لأحد تدخل في هذا.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فظهر بهذا أن الآية دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن به الله، فقد اتخذه ربًّا ومعبودًا، وجعله لله شريكًا)**، في التحليل والتحريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك ينافي التوحيد)**، فالذين يقولون: المسألة فيها خلاف، لا تضيقوا على الناس، نقول: خلاف، وإن المخالف مخطئ، لكن لما وافق هواهم، قالوا: العالم الفلاني يقول كذا، وكلهم علماء، نقول: لا، كلهم علماء صحيح -إن شاء الله-، لكن منهم من يخطئ، ومنهم من يصيب، ونحن نتبع الصواب مع من كان، ونترك الخطأ مع من كان، حتى ولو كان عالمًا، العالم يخطئ.

لكن هؤلاء إذا وافق قول العالم المخطئ هواهم، أخذوا به، أخذوه تشريعًا، وإذا خالف هواهم، نبذوه ولو كان حقًّا -نسأل الله العافية-؛ لأنهم يتبعون هواهم؛ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله الذي دلت عليه كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»)**، إذًا من معنى «لا إله إلا الله»: تحليل ما أحل الله، وتحريم ما حرم الله، وإن خالف فيه من خالف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد سمى الله تعالى طاعتهم عبادة لهم)**، أي: طاعة الذين يحللون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله، جعلها عبادة لهم؛ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾، أي: معبودين، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكل معبود رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع المتبع ربًّا ومعبودًا؛ كما قال تعالى في آية الأنعام:** ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١])، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في أكل الميتة التي حرمها الله، وهم أباحوها، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ بالله عَزَّوَجَلَّ في التحليل والتحريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة)**؛ أن من معنى شهادة «لا إله إلا الله» وتفسير التوحيد: تحليل ما أحل الله، وتحريم ما حرم الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويشبه هذه الآية في المعنى قول الله تعالى:** ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١])، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾: جعلوهم شركاء لله، ﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

فالذي يقول للناس: توسلوا بالأنبياء والصالحين والأولياء، تقربوا إليهم؛ لأنهم يقربونكم إلى الله، هذا شرع دين لم يأذن الله به عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله شرع التوحيد وإفراد الله بالعبادة، لم يشرع أننا نتقرب إلى الأولياء، ونذبح لهم، وننذر لهم؛ من أجل أن يقربونا إلى الله؛ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾.

لاحظ! اعترفوا أنهم يعبدونهم، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، يقرؤون القرآن، ولكن لا ينتبهون -والعياذ بالله-، أو يقرؤونه ويخالفونه متعمدين؛ تبعًا لهواهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويشبه هذه الآية في المعنى قول الله تعالى**: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١])، الدين هو ما شرعه الله، أما من شرع دينًا لم يشرعه الله، فهذا مبتدع؛ «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢).

فلا دين إلا ما شرعه الله ورسوله، لا ما شرعه فلان، أو استحبه فلان، أو قال به فلان ولا دليل عليه.

(١) سبق تخريجه (ص١٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (٢٨/ ٣٧٣)، والدارمي (٩٦)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٥)، من حديث الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: قال شيخ الإسلام في معنى قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا -حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله- يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم على هذا التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله؛ اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم، ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين -مع علمه أنه خلاف للدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله- مشركًا مثل هؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام، وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله؛ كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب؛ كما قد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ في المَعْرُوفِ»[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال شيخ الإسلام في معنى قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]: وهؤلاء الذين اتخذوا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠، ٧١٤٥، ٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).

أحبارهم، ورهبانهم أربابًا -حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله- يكونون على وجهين)، لا زلنا في شرح (باب: من أطاع العلماء والأمراء)، فهذا فيه تفصيل:

أولًا: الله جَلَّ وَعَلَا قال في أهل الكتاب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

الأحبار: هم العلماء، والرهبان: هم العباد، والعلماء والعباد يخطئون ويصيبون، فيطاعون فيما وافق الشرع، ولا يطاعون فيما خالف الشرع.

وهذا فيه تفصيل -كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونقله عنه هنا-: أن من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، وهو يعلم ذلك، ويعلم أنهم أحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، فهذا شرك أكبر يخرج من الملة؛ لأنه «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»(١).

أما إذا كانوا لا يعلمون ذلك، وإنما أحسنوا بهم الظن، أطاعوهم وهم لم يعلموا أنهم حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، لم يعلموا ذلك، فهذا معصية، وفيه خطورة، فلا يجوز أن تطيع أحدًا غير الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاعة

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٥٤٤)، وأحمد (٢/ ٣٣٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٥٥)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٧٠)، والأوسط (٤/ ١٨١)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٢٦)، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.
وخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (٣٩) (١٨٤٠)، في حديث طويل.

مطلقة، إلا إذا علمت أنه لم يخالف ما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن لم تعلم، فأنت معذور، أما إذا علمت أنه مخالف، لا يجوز لك أن تطيعه، ولهذا سماه الله شركًا في قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ [التوبة:٣١]، أي: آلهة يعبدونهم في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، فمن اتخذ مع الله إلهًا آخر، فهو مشرك الشرك الأكبر.

﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، أي: مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾: المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول من رسل الله عَزَّوَجَلَّ، كيف اتخذوه ربًّا؟ غلوا فيه حتى قالوا: إنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو هو الله؛ ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة:٧٣].

كذلك من اعتقد أن لله ولدًا، فهو كافر؛ لأن الله لا ولد له؛ لأن الولد جزء من الوالد، وشبيه بالوالد، والله جَلَّ وَعَلَا لا شبيه له، وليس له جزء من خلقه، تعالى الله عن ذلك! ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾، أي: ولدًا، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف:١٥].

فهذا هو التفصيل في هذه المسألة: أن طاعة العلماء فيما لم يُعلم أنه مخالف لحكم الله ورسوله.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم نزه نفسه: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، فسماه شركًا، سمى طاعتهم فيما أحل الله وحرم الله في تغيير الحلال والحرام سماه شركًا، وسمى من أطاعهم أنه قد اتخذهم آلهة مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

شـ: ثم ذلك المحرم للحلال، والمحلل للحرام، إن كان مجتهدًا، قصده اتباع الرسول، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه.

ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول، ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول، فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لاسيما إن اتبع ذلك هواه، ونصره باليد واللسان مع علمه بأنه مخالف للرسول، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول، ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول، فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله)، بقي أخذ الأقوال الاجتهادية الفقهية.

العلماء يجتهدون في معرفة الأحكام الشرعية من الأدلة من الكتاب والسنة، يجتهدون، ولهم أجر في ذلك؛ إن أصابوا، فلهم أجران، وإن أخطؤوا، فلهم أجر واحد؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنَّ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»[١]، والخطأ مغفور إذا لم يتعمده، قصده الحق، معرفة الحكم الشرعي، لكن أخطأه، فهو مغفور له خطؤه، هو مثاب على اجتهاده، فهذا هو التفصيل في هذه المسألة، أما من يتعمد مخالفة الكتاب والسنة، فهذا ضال، وأيضًا هو مضل لغيره.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤٢).

....

ش: **ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه، وإنما تنازعوا على جواز التقليد للقادر على الاستدلال، وإن كان عاجزًا عن إظهار الحق الذي يعلمه، فهذا يكون كمن عرف أن دين الإسلام حق وهو بين النصارى، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق، لا يؤاخذ بما عجز عنه، وهؤلاء كالنجاشي وغيره، وقد أنزل الله في هؤلاء الآيات من كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران:١٩٩]، وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣]، وقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩].**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه)**، إذا علم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإنما تنازعوا على جواز التقليد للقادر على الاستدلال)**، اتفق العلماء وأجمعوا أنه إذا عرف الحق، لم يكن له أن يتركه إلى غيره، بل عليه أن يقول به، وإذا اجتهد، ولم يعلم الحق، يريد الحق، لكنه أخطأه، فهذا -كما سبق- مأجور على اجتهاده، ومغفور له خطؤه، لكن هل نقلده فيما يقول؟

هذا يختلف؛ العالم لا يجوز له أن يقلد، عليه أن يطلب الحق هو؛ إن كان عنده من المجتهدين الاجتهاد المطلق -كالأئمة الأربعة ومن قبلهم-، اجتهاد استنباط الأحكام من الأدلة، له ذلك.

وإن كان من العلماء الذين لم يتمكنوا من استنباط الأحكام، فعليه أن يختار ما ترجح بالدليل، عليه أن يأخذ من أقوال العلماء ما ترجح بالدليل، هذا شأن العلماء.

أما العوام، فإنهم يقلدون العلماء فيما لم يعلموا أنهم أخطؤوا فيه، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

فإذًا الأحوال ثلاث:

* العامي يقلد العلماء، ليس له إلا ذلك.

* العالم الذي عنده تمكن من معرفة الدليل والترجيح، وليس عنده اجتهاد مطلق يأخذ ما ترجح لديه بالدليل.

* المجتهد المطلق هذا يستعمل اجتهاده، وقد يخطئ لكنه مغفور له إذا بذل وسعه في معرفة الحق وأخطأ فهو معذور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان عاجزًا عن إظهار الحق الذي يعلمه، فهذا يكون كمن عرف أن دين الإسلام حق وهو بين النصارى، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه، وهؤلاء كالنجاشي وغيره)**، إذا عرف الحق وقدر على تنفيذه في الناس يجب عليه ذلك، أما من عرف الحق، ولم يقدر على تنفيذه في الناس، وهو من الولاة والحكام، فهذا ينفذ ما يقدر عليه؛ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، ولا يؤاخذ فيما لا يقدر عليه، ولا يطيعونه فيه؛ مثل: النجاشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، النجاشي كان نصرانيًّا فأسلم، واتبع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن الحبشة نصارى -رعيته نصارى-، ولا يستطيع أن يغيرهم

دفعة واحدة، فهذا ينفذ ما يقدر عليه، ويعذر فيما لا يقدر على تنفيذه، مثل النجاشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أنزل الله في هؤلاء الآيات من كتابه)**، أنزل الله في هؤلاء الذين يعرفون الحق ويتبعونه، ولكن لا يقدرون على تنفيذه في الناس المخالفين لهم في الدين، أنزل الله فيهم: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران:١٩٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران:١٩٩])**، ﴿ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٩٩]، من أهل الكتاب من آمن بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما آمن بالرسل السابقين، هذا يؤتيه الله أجره مرتين؛ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [القصص:٥٤]، ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾: أجر على اتباعه الأنبياء السابقين، وأجر على اتباعه لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: هذا خطاب للنصارى، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾، يعني: محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هم مؤمنون من الأول؛ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: خاطبهم الله بالإيمان.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾، يعني: محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد:٢٨]، فهؤلاء هم علماء أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤتيهم الله أجرهم مرتين، أما من كان متبعًا للرسل

من قبل، ومات قبل بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا مسلم وله أجره؛ لأنه لم يدرك محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو مؤمن بالرسل.

أما من أدرك محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علمائهم، ولم يؤمن به، فهذا يدخل النار؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، أَوْ يَهُودِيٌّ، أَوْ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ**»(١)، ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف:١٥٨]، هو رسول إلى جميع العالم، يجب اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ**﴾ [المائدة:٨٣])، وقوله في مؤمني أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل النجاشي: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ**﴾؛ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿**تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ**﴾ [المائدة:٨٣]، فهؤلاء هم النجاشي وأمثاله من مؤمني أهل الكتاب، الذين يخشعون للقرآن إذا سمعوه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف:١٥٩])، ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ**﴾: وهم اليهود، ﴿**أُمَّةٌ**﴾: جماعة؛ ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ**﴾، هؤلاء هم

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠/ ١٢٦)، وأحمد في مسنده (٣٢/ ٣٠٥، ٣٣٢)، والبزار في مسنده (٨/ ٥٨)، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المؤمنون من أهل الكتاب الذين آمنوا بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾: ليس كلهم، منهم، وهم المؤمنون خاصة.

....

ش: وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ؛ كما في القبلة، وأما إن قلد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيبًا، لم يكن عمله صالحًا، وإن كان متبوعه مخطئًا، كان آثمًا؛ كمن قال في القرآن برأيه، فإن أصاب، فقد أخطأ[(١)]، وإن أخطأ، فليتبوأ مقعده من النار[(٢)].

وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد، ومن جنس عبد الدينار والدرهم، والقطيفة والخميصة[(٣)]، فإن ذلك لما أحب المال، منعه عن عبادة الله وطاعته، صار عبدًا له، وكذلك هؤلاء فيكون فيهم شرك أصغر، ولهم من الوعيد بحسب ذلك.

وفي الحديث: «إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ»[(٤)]، وهذا مبسوط عند النصوص

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٢٨٦)، وأبو يعلى (٣/ ٩٠)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٦٣) والأوسط (٥/ ٢٠٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٥٤٠) من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٥١)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٢٨٥، ٢٨٦)، وأحمد (٣/ ٤٩٦، ٤/ ٢٥٠).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧، ٦٤٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والطبراني في الأوسط (٧/ ١٤٥)، والصغير (٢/ ١٢٢)، والكبير (٢٠/ ١٥٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥) من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التي فيها إطلاق الكفر والشرك على كثير الذنوب. انتهى[(١)].

وقال أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [فصلت:٩]، أي: وتجعلون لمن خلق ذلك أندادًا، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله. انتهى[(٢)].

قلت: كما هو الواقع من كثير، ومن عباد القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل)، هذا العامي، العامي الذي لا يعرف الحق هذا يسأل، ويأخذ بما يفتى به، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد)، هذا يجتهد في اختيار العالم الذي يرى براءة الذمة به، لا يأخذ من كل عالم، بل يختار من العلماء من يثق به فيسأله ويعمل بما يقول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ؛ كما في القبلة)، كما في القبلة؛ إذا حضرت الصلاة في البر، واجتهد في معرفة القبلة، وترجح لديه جهة خاصة يصلي إليها؛ لأنه بذل وسعه، فإذا تبين أنه مخطئ، فصلاته صحيحة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]، قالوا: هذه نزلت في المسافر إذا اجتهد في معرفة القبلة، وصلى

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٨٤).

باجتهاده، ثم بعد الصلاة عرف أنه مخطئ لا يعيد الصلاة، صلاته صحيحة؛ لأنه بذل وسعه، وأدى ما عليه وصلى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما إن قلد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية)**، هذا هو المتعصب الذي ينحاز إلى عالم معين دون نظر في حاله ودينه، هذا من أهل الجاهلية: المتعصب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان متبوعه مصيبًا، لم يكن عمله صالحًا)**، هذا يعتبر من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيبًا؛ لأن العبرة بنية القلب، إن كان قصده التعصب، يقول: أنا لا أريد غير فلان أصاب أو أخطأ، فهذا متعصب -والعياذ بالله-، وهذا دين الجاهلية.

أما إذا كان لا يعلم أنه أخطأ، وهو عامي لا يستطيع، فهذا فرضه أن يسأل أهل العلم، ويقلد من أفتاه ممن يثق به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان متبوعه مصيبًا، لم يكن عمله صالحًا)**؛ لأن العبرة بنية القلب، إذا اتبعه ليس طلبًا للحق، وإنما تبعه متعصبًا، فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيبًا؛ لأن العبرة بنية التابع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان متبوعه مخطئًا، كان آثمًا؛ كمن قال في القرآن برأيه، فإن أصاب فقد أخطأ، وإن أخطأ، فليتبوأ مقعده من النار)**؛ كما في الحديث: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ وَبِمَا لا يَعْلَمُ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٥٥).

لا يجوز أن يتكلم الإنسان في القرآن -يفسر القرآن-، إلا بعلم؛ لأنه يخبر عن مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن أتى بقول لا يوافق كلام الله، إنما يتبع هواه، فهذا ضال مضل، وإن كان يتبع هواه وما تهواه نفسه، فهذا قد اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد، ومن جنس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة)**؛ كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**تَعِسَ**»، أي: هلك «**عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ**»، يعني: هلك، الخميصة: نوع من اللباس، والقطيفة نوع من الفرش، يعني: الذي همه الدنيا، فيتبع ما تهواه نفسه، ولو خالف دينه، ويأخذ المال، ولا ينظر هل هو حلال أو حرام، فهذا هو المذموم، وهذا هو عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة؛ «**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»[1]، أو كما قال جَلَّوَعَلَا في المنافقين: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة:٥٨]، فرضاهم وسخطهم إنما هو للدنيا، لايرضون بشرع الله عَزَّوَجَلَّ ودينه، وإنما يرضون بما يوافق رغباتهم وأهواءهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن ذلك لما أحب المال، منعه عن عبادة الله وطاعته، صار عبدًا له، وكذلك هؤلاء، فيكون فيهم شرك أصغر، ولهم من الوعيد بحسب ذلك)**، الذي يؤثر الدنيا على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ هذا مشرك الشرك الأصغر؛ لأن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سماه عبدًا لها.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٥٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي الحديث: «إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ»)، في الحديث: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، وهو الرياء «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُحْسِنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ»[1]، هذا شرك الرياء، وهو يحبط العمل الذي خالطه، وهو شرك أصغر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا مبسوط عند النصوص التى فيها إطلاق الكفر، والشرك على كثير الذنوب. انتهى)، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو تفصيل جيد ومفيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [فصلت:٩]، أي: وتجعلون لمن خلق ذلك أندادًا، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله)، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢١، ٢٢]، يعني: شركاء وشبهاء، الند هو الشبيه والنظير، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه لا ند له، تعلمون أن هذه الأشياء لم يخلقها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمنفرد بالخلق هو الذي يفرد بالعبادة؛ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]، ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان:٣]، فهذا يعتبر من اتخاذ الأنداد مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٠٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: كما هو الواقع من كثير، ومن عباد القبور)**، هذا كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد.

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية هو الواقع من كثير من عباد القبور الذين يطلبون حوائجهم من الموتى، ويتبركون بتربتهم وبقبورهم، هؤلاء داخلون في هذا الوعيد، وهم مشركون الشرك الأكبر.

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

ش: قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يذكر الله حال المشركين به في الدنيا، ومآلهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا لله أندادًا، أي: أمثالًا ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له، ولا ند له، ولا شريك معه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أي: الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥])، في قوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾، أي: شركاء لله عَزَّوَجَلَّ.

﴿ يُحِبُّونَهُمْ ﴾، أي: يحبون أندادهم ﴿ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾، أي: كما يحبون الله، وهذا شرك في المحبة، والمحبة من أعظم أنواع الطاعة؛ كما يقول ابن القيم(٢):

وَعِبَادَةُ الرَّحمنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطبَانِ
وَعَلَيهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ ... مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ

فالمحبة هي أعظم أنواع العبادة، المشركون يشركون في المحبة، فهم يحبون الله، ويحبون معه غيره؛ ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ بالله،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٧٥٢٠)، ومسلم (٨٦).
(٢) سبق عزوه (ص١٤٢).

وأخلصوا التوحيد ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]؛ لأن حبهم لله خالص، وحب المشركين لله مشترك، فحب المؤمنين لله أشد من حب الكافرين لله، هذا قول في تفسير الآية.

والقول الثاني: أن المشركين لا يحبون الله، وإنما يحبون أصنامهم وآلهتهم، والمؤمنون يحبون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، أي: كحب المؤمنين لله، يحبون أصنامهم كحب المؤمنين لله عَزَّوَجَلَّ، فهم لم يعبدوا الأصنام، إلا لأنهم يحبونها(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أي: الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»)**، ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سأل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: «يَا رَسُولَ اللهِ، أي: الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟»؛ لأن الذنوب تتفاوت، بعضها أعظم من بعض، وأشد من بعض.

«**أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ، قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا**»، أي: شريكًا.

«**وَهُوَ خَلَقَكَ**»: وهذا الشريك لم يخلقك، فتشرك العاجز مع القادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**»، الزنا شديد، حرام، لكن بعضه أشد من بعض، كالزنا بالمحارم، والزنا بنساء الجيران الذين ائتمنوك على محارمهم وجاوروك، هذا أشد أنواع الزنا، «**أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**».

---

(١) انظر في القولين: تفسير الطبري (٣/ ٢٧٩- ٢٨٠)، وزاد المسير (١/ ١٣٠)، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٠٣- ٢٠٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٧٦).

«قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾: يعني خشية الفقر؛ ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١]، فأنزل الله تعالى مصداق ذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، إلا من تاب من الشرك، وقتل النفوس، والزنا قبل أن يموت، تاب الله عليه.

ش: وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، ولحبهم لله، وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم، وتوحيدهم لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه.

ثم توعد تعالى المشركين به، الظالمين لأنفسهم بذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٦٥].

فقال بعضهم: تقدير الكلام: لو عاينوا العذاب؛ لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا، أي: إن الحكم له وحده لا شريك له، فإن جميع الأشياء تحت قهره، وغلبته، وسلطانه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥].

كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر:٢٥، ٢٦]، يقول: لو علموا ما يعانون هناك، وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، ولحبهم لله، وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم، وتوحيدهم، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه)، المؤمنون يحبون الله، ولا يحبون معه غيره من الأصنام وغيرها يحبونهم معه.

* فالحب يكون منه ما هو خاص بالله عَزَّوَجَلَّ، وهو حب العبادة الذي معه ذل وانقياد.

* وحب في الله من أجل الله؛ من محبة الصالحين والأولياء، ومحبة الرسل، هذا من المحبة في الله.

* وحب طبيعي مثل: محبة الزوجة والمال والأصدقاء، هذا حب طبيعي، ليس معه عبادة ولا ذل، فهذا لا يدخل في أنواع الشرك؛ لأنه حب طبيعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾** [البقرة:١٦٥])، الذين آمنوا أشد حبًّا لله من محبة المشركين لله على القول أن المشركين يحبون الله، ولكن أشركوا معه غيره.

وأما على القول الثاني -المشركون لا يحبون الله-: فالذين آمنوا أشد حبًّا لله من محبة المشركين لأصنامهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولحبهم لله، وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم، وتوحيدهم، لايشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه**)، يفردونه بالرغبة، والرهبة، والطاعة، بل يستميتون في عبادته، ويصبرون على القتل، ويقدمون أنفسهم في جهاد الكفار، هذا كله محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾** [الفجر:٢٥، ٢٦]. **يقول: لو علموا ما يعانون هناك، وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلال**)، لو تصور الكفار الذين يعبدون الأصنام ويحبونها، لو تصوروا العواقب، وفكروا في الآخرة؛ ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾:

يوم القيامة، ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، لو يرون هذا ويتصورونه، لأقلعوا عن محبة غير الله من محبة الأصنام، ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٦٥]، فلا أحد يساوي الله في قوته وقدرته وخلقه وتدبيره، لو يرون هذا المصير، لأعرضوا عن هذا، لكنهم غفلوا عن الآخرة، وأعرضوا عنها ونسوها -والعياذ بالله!

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: يوم القيامة يتبرأ المتبوع من التابع، يتبرأ المعبودون ممن عبدهم في الدنيا، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾، أي: رجوعًا إلى الدنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧]، لم يتصوروا -والعياذ بالله- هذا المصير، وهذه العاقبة، وأن كل من عبدوهم يتبرؤون منهم يوم القيامة، فالمعبودون يتبرؤون ممن عبدهم يوم القيامة، ويقولون: لم نأمرهم بذلك، ولم نرض بهذا، وإنما هم فعلوا هذا بدون رضانا، وبدون أمرنا لهم بذلك، وهذا ينطبق على الملائكة الذين يُعبدون، وينطبق على الأولياء والصالحين الذين يعبدهم القبوريون يتبرؤون من هؤلاء يوم القيامة.

ش: ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم، وتبرؤ المتبوعين من التابعين، فقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة:١٦٦].

تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدونهم في الدار الدنيا، فتقول الملائكة: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص:٦٣]، ويقولون: ﴿سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤١].

والجن -أيضًا- يتبرؤون منهم، ويتنصلون من عبادتهم لهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥، ٦]. انتهى كلامه[1].

روى ابن جرير عن كلامه في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] مباهاة ومضاهاة للحق سبحانه بالأنداد، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من الكفار لأوثانهم[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم، وتبرؤ المتبوعين من التابعين، فقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة:١٦٦])، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٧).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٦).

عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الفرقان:١٧، ١٨]، فيتبرؤون من ذلك، يقولون: أبدًا، لم نأمرهم، ولم نرض باتباعهم لنا وعبادتهم لنا، هم الذين فعلوا ذلك، فيتبرؤون منهم، أشد ما يكون المشركون حاجة إلى متبوعيهم أن ينقذوهم، حتى الشيطان يتبرأ من هؤلاء يوم القيامة؛ ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ ﴾، أي: منقذكم، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴾ يعني: مغيثي، وأنا لا أغيثكم مما وقعتم فيه، هذا زيادة تحسر -والعياذ بالله-، ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، فهذا ما يؤول إليه الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويقولون: ﴿سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤١])**، ﴿يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ ﴾، أي: الشياطين، الذي أمركم بهذا هم الشياطين، نحن لم نأمركم، حاشا وكلا أن الملائكة يأمرون بالشرك، وعبادة غير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴾ [القصص:٦٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والجن أيضًا يتبرؤون منهم، ويتنصلون من عبادتهم لهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ**

بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥، ٦])، كل معبود غير الله جَلَّ وَعَلَا فإنه يوم القيامة يتبرأ ممن عبده، ويتخلى عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(روى ابن جرير عن كلامه في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾** [البقرة:١٦٥] **مباهاة، ومضاهاة للحق سبحانه بالأنداد)**، فالمشركون يضاهئون الأصنام بالله عَزَّوَجَلَّ، ويسوون بينها وبين الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك عبدوها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾من الكفار لأوثانهم)**، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾من محبة الكفار لأوثانهم.

....

ش: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ومن الأمور المبينة لتفسير التوحيد، وشهادة أن (لا إله إلا الله): آية البقرة في الكفار الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا، فلم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده؟. اهـ[1].

ففي الآية بيان أن من أشرك مع الله غيره في المحبة، فقد جعله شريكًا لله في العبادة، واتخذه ندًا من دون الله، وأن ذلك هو الشرك الذى لا يغفره الله؛ كما قال تعالى في أولئك: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، وقوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة:١٦٥]، والمراد بالظلم هنا: الشرك؛ كقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] -كما تقدم-، فمن أحب الله وحده، وأحب فيه وله، فهو مخلص، ومن أحبه، وأحب معه غيره، فهو مشرك؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن الأمور المبينة لتفسير التوحيد)، هذا كلام المصنف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) انظر: كتاب التوحيد (ص٢٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن الأمور المبينة لتفسير التوحيد، وشهادة أن لاإله إلا الله: آية البقرة في الكفار الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾** [البقرة:١٦٧])، في الآية تفسيران، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]:

المعنى الأول: أن الكفار يحبون الله، ولكنهم أشركوا معه غيره في المحبة؛ فيحبون أصنامهم مع الله؛ كما يحبون الله عَزَّوَجَلَّ، هذا شرك في المحبة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا﴾ منهم ﴿لِّلَّهِ﴾؛ لأن الذين آمنوا أحبوا الله حبًّا خالصًا، وهؤلاء أحبوا الله حبًّا مشتركًا، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من المشركين لمحبة الله.

والقول الثاني: أن المشركين لا يحبون الله، وإنما يحبون أصنامهم كحب الله، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة المشركين لأصنامهم(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن ذلك هو الشرك الذى لا يغفره الله؛ كما قال تعالى في أولئك: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾** [البقرة:١٦٧])؛ لأنهم مشركون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾** [البقرة:١٦٥] **والمراد بالظلم هنا الشرك)**، معنى ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾: أشركوا؛ لأن الظلم أنواع، أعظمه الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، فأعظم الظلم هو الشرك، لماذا؟ لأنه وضع العبادة في غير موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

---

(١) سبق بيان القولين قريبًا.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾، يعني: أشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ، ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥]، لو يرون هذا المشهد ويتصورنه لما أشركوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] -كما تقدم)**، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، يعني: بشرك، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن أحب الله وحده، وأحب فيه وله، فهو مخلص)**، من أحب الله وحده، وأحب فيه أولياءه من الرسل والصالحين، فهو موحد، فالحب في الله، والبغض في الله، أوثق عرى الإيمان؛ كما في الحديث(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن أحبه، وأحب معه غيره، فهو مشرك)**، من أحب الله، وأحب فيه أولياءه وعباده الصالحين، فهو موحد، ومن أحب الله، وأحب معه غيره، فهو مشرك الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ**

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣٠/ ٤٤٨)، والطيالسي (٢/ ١١٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٧٥) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **أَتَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟** قُلْنَا: الصَّلَاةُ قَالَ: **الصَّلَاةُ حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ**. قُلْنَا: الصِّيَامُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى ذَكَرْنَا الْجِهَادَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**».

﴿أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، أول أمر في المصحف هو هذا الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فإذا كان الله هو المنفرد بالخلق والربوبية، فهو المنفرد بالعبادة؛ ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾، هذه أدلة التوحيد، توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية؛ فإن الذي يستحق العبادة هو الذي يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويدبر؛ ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾: تمشون عليها، بسطها لكم، تمشون عليها، وتنامون عليها، وتبنون عليها، وتستقرون على ظهرها.

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، يعني: سقفًا؛ ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢]، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، وهو المطر، والمراد بالسماء هنا: السحاب، سمي سماء؛ لأنه مرتفع، كل ما علا وارتفع، فهو سماء، والسماء على قسمين:

القسم الأول: السماء المبنية، وهي السبع الطباق.

القسم الثاني: السماء التي هي بمعنى الارتفاع مثل السحاب، مثل الرياح، هذه سماء، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، أي: من السحاب، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾: من الثمرات، لاحظ! ثمرات ليست بثمرة واحدة، أنواع متنوعة الأشكال والطعوم والروائح والألوان، هذا خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شركًا، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢]: أنه لم يخلق هذه الأشياء ويوجدها لكم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ش: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ما معناه: فمن رغب إلى غير الله في قضاء حاجة، أو تفريج كربة، لزم أن يكون محبًا له، ومحبته هي الأصل في ذلك. انتهى.

فكلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» تنفي كل شرك في أي نوع كان من أنواع العبادة، وتثبت العبادة بجميع أفرادها لله تعالى.

وقد تقدم بيان أن «الإله هو المألوه الذي تأله القلوب بالمحبة أو غيرها من أنواع العبادة»، فـ«لا إله إلا الله»، نفت ذلك كله عن غير الله، وأثبتته لله وحده. فهذا هو ما دلت عليه كلمة الإخلاص مطابقة، فلا بد من معرفة معناها واعتقاده وقبوله، والعمل به باطنًا وظاهرًا. والله أعلم.

من رغب إلى غير الله -أيًّا كان هذا الغير من مخلوقات الله-، وطلب منه حوائجه، أو لجأ إليه فيما يخاف، فإنه قد أحبه، يلزم من هذا أنه قد أحب هذا الشيء، والمحبة هي أعلى درجات العبادة، تدخل دخولًا أوليًّا في معنى «لا إله إلا الله»؛ لأن «لا إله إلا الله»، أي: لا معبود بجميع أنواع العبادة بحق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومنها المحبة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فكلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» تنفي كل شرك في أي نوع كان من أنواع العبادة، وتثبت العبادة بجميع أفرادها لله تعالى)، لأن

«لا إله إلا الله» نفي وإثبات، مركبة من جزئين: «لا إله»، هذا نفي، «إلا الله»، هذا إثبات.

فمعنى «لا إله»، أي: لا معبود بحق -جميع أنواع العبادة-، لا معبود بحق، لابد من هذا القيد: «بحق»، لا تقل: (لا معبود إلا الله)، لا يجوز هذا؛ فهناك معبودات كثيرة، ولكن «لا معبود بحق»؛ لأن المعبودات منها ما هو بحق، ومنها ما هو بباطل.

فـ«لا إله بحق»، أي: لا معبود بحق أو حقٌّ.

«إلا الله»: تثبت جميع أنواع العبادة لله بعدما تنفيها عن غيره، ولهذا تسمى هذه الكلمة: كلمة الإخلاص، وتسمى كلمة التوحيد؛ لأنها تثبت التوحيد، وتنفيه عما سواه، كلمة الإخلاص وكلمة التوحيد.

وتسمى: العروة الوثقى؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، هذا معنى «لا إله».

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: الكفر بالطاغوت، والطاغوت هو: كل ما عُبِد من المخلوقات، كله طاغوت، عبادة للطاغوت؛ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ بجميع أنواعه، ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: هذا معنى الإثبات: «إلا الله»، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، وهي «لا إله إلا الله»؛ ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

وهذا كما في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

فالمعبود والإله بحق هو الله، وما سواه من المعبودات هذه باطلة، تدخل في قوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، باطل.

والباطل: معناه الزائف الذي لا قيمة له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد تقدم بيان أن «الإله هو المألوه الذي تأله القلوب بالمحبة أو غيرها من أنواع العبادة)**، الإله مشتق من الألوهية، وهي المحبة والعبادة، فالإله: هو المألوه أي: المعبود، المحبوب، هذا هو الإله.

فالألوهية هي العبادة، ولهذا توحيد العبادة يسمى توحيد الألوهية، فالألوهية والعبادة بمعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فـ«لا إله إلا الله»، نفت ذلك كله عن غير الله، وأثبتته لله وحده)**، نفت جميع أنواع العبادة عن غير الله، ليست تنفي وجود هذا، ولكنها تنفي أحقية هذا، وتثبت العبادة بجميع أنواعها لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذا هو ما دلت عليه كلمة الإخلاص مطابقة)**؛ لأن أنواع الدلالة ثلاثة: دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام.

فدلالة الشيء على تمام معناه دلالة مطابقة، ودلالة الشيء على بعض معناه دلالة تضمن، ودلالة الشيء على شيء خارج معناه دلالة التزام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا بد من معرفة معناها واعتقاده وقبوله، والعمل به باطنًا وظاهرًا)**، شروط «لا إله إلا الله» مذكورة، شروطها سبعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا بد من معرفة معناها)**، فلا بد من معرفة معناها، ما معناها؟ معناها: لا معبود بحق إلا الله، هذا معناها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واعتقاده)**، واعتقاد معناها، هذا الشرط الثاني.

الشرط الأول: معرفة معناها.

الشرط الثاني: اعتقاد معناها، ولو عرفه إذا لم يعتقده، لم تنفعه «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقبوله)**، وقبوله، هذا الشرط الثالث: قبوله، أما إن جامل في هذا، ولم يقبله بقلبه، وإنما قبله في الظاهر، هذا مذهب المنافقين الذين يقبلون الدين في الظاهر، وأما في الباطن، فهم لا يعتقدونه، يقبلون التوحيد ظاهرًا، ويقولون: «لا إله إلا الله» في الظاهر، ويعرفون -أيضًا- معناها، لكنهم لا يعتقدون ذلك، ولا يقبلونه، هذا نفاق، وإن قال: «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والعمل به)**، وهذا الشرط الرابع: العمل به، أما أنه يعرف معناها، ويعتقده، ويقبله، ولكن لا يعمل به، المسألة ليست مسألة علم فقط، لابد من العمل، العلم والعمل؛ علم بلا عمل لا يفيد، وعمل بلا علم لا يفيد، فلابد من العلم والعمل؛ العلم النافع، والعمل الصالح.

كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الصف:٩]، فالهدى: هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح، هذا الذي بُعِث به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والعمل به باطنًا وظاهرًا)**، ليس مثل المنافقين الذين يعملون به ظاهرًا للمجاملة، ولمصالح دنيوية، ولكنهم باطنًا لا يعملون به، ولا يتيقنونه، ولا يعتقدونه، ولا يحبونه أيضًا.

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه أي: مع الله تعالى بعبادته له. وتوحيد الحب: أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له، فهذا الحب -وإن سمي عشقًا-، فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه من كل ما سواهما، وأن يكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله تعالى، فلا يحب إلا الله، ولايحب إلا لله؛ كما في الحديث الصحيح: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ»(١) الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه أي مع الله تعالى بعبادته له**)، لا يحب أحدًا غير الله محبة العبادة، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة، فهو مشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

المحبة هي أعظم أنواع العبادة، فلابد من المحبة الخالصة لله عَزَّ وَجَلَّ، محبة العبادة لا تكون إلا لله، أما المحبة الطبيعية؛ الإنسان يحب المال؛ ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠]، يحب الأولاد، يحب الزوجة، يحب الوالدين، يحب الأقارب، هذه محبة طبيعية، لا يؤاخذ عليها الإنسان.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

والضابط: إذا أحب شيئًا وذل له، هذه عبادة، أما إذا أحب شيئًا، ولم يذل له، هذه محبة طبيعية؛ فأنت تحب المال، لكن لا تذل له، تحب الولد، لاتذل له، أما الزوجة، لا تذل لها إن كنت تحبها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتوحيد الحب: أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له)**، تخلص المحبة، محبة العبادة لابد أن يخلصها لله، لا يحب معه غيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فهذا الحب -وإن سمي عشقًا-، فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه)**، وإن سمي عند الصوفية عشقًا، فإنه عبادة، يسمى العبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وليس لقلبه صلاح ولا نعيم، إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه من كل ما سواهما)**؛ كما في الحديث: «**لَا يَجِدُ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

«**وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ**»، هذه المحبة في الله؛ يحب التوحيد والدين، ويبغض الكفر، هذا هو الإيمان والصدق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن يكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله تعالى)**، وهي المحبة في الله، «**أَحِبَّ لِلهِ، وَأَبْغِضْ لِلهِ، وَعَادِ فِي اللهِ، وَوَالِ فِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِذَلِكَ**»(٢)، الولاية من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تنال إلا بهذا.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٧٩).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ١٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٣٤)، و المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٧٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. =

«أَحِبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغِضْ لِلَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ»، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا راوي هذا الحديث: «وَقَدْ صَارَتْ مُوَاخَاةُ النَّاسِ الْيَوْمَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ مَا لَا يُجْزِئُ عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأن يكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله تعالى، فلا يحب إلا الله، ولا يحب إلا لله، كما في الحديث الصحيح: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ». الحديث)؛ «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

= وأخرجه: الطبراني في الكبير (١٢/ ٤١٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

....

ش: **ومحبة رسول الله ﷺ هي من محبته، ومحبة المرء إن كانت لله، فهي من محبته، وإن كانت لغير الله، فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها، ويصدق هذه المحبة بأن تكون كراهيته لأبغض الأشياء إلى محبوبه -وهو الكفر- بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد.**

ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة، فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه شيئًا، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه، بحيث لو خُيِّر بين الكفر وإلقائه في النار، لاختار أن يلقى في النار، ولا يكفر، كان أحب إليه من نفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومحبة رسول الله ﷺ هي من محبته**)، محبة الرسول ﷺ من محبة الله، تحب الله، وتحب من يحبه الله، والله يحب الرسول، يحب رسله، ويحب أولياءه وعباده الصالحين، فأنت تحبهم؛ لأن الله يحبهم، وتبغض الكفار العصاة؛ لأن الله يبغضهم، فأنت تبغض ما يبغضه الله؛ إما بغضًا خالصًا، وهو بغض الكفار والمنافقين، وإما بغضًا بعض البغض، وهو بغض العصاة من المؤمنين، تحبه من ناحية أنه مؤمن، وتبغضه من ناحية أنه عاصٍ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومحبة المرء إن كانت لله، فهي من محبته**)، يعني: محبة الله تابعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإن كانت لغير الله، فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها)، الذي لا يحب إلا من يعطيه من ماله، ويحسن إليه، هذه محبة دنيوية، لا تفيده شيئًا؛ «صَارَتْ مُوَاخَاةُ النَّاسِ الْيَوْمَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ مَا لَا يُجْزِئُ عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويصدق هذه المحبة بأن تكون كراهيته لأبغض الأشياء إلى محبوبه -وهو الكفر- بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد)؛ «وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**؛ لأن الله يبغض الكفر، ويبغض الكافرين، فأنت تبغض ما يبغضه الله، ومن يبغضه الله، هذا البغض في الله، والعدواة في الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه، بحيث لو خُيِّر بين الكفر وإلقائه في النار، لاختار أن يلقى في النار، ولا يكفر، كان أحب إليه من نفسه)**، فإذا بلغ هذه المنزلة: **«أَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**، فهذه هي غاية المحبة في الله عَزَّوَجَلَّ.

....

ش: وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق المحبون من محبة محبوبيهم، بل لا نظير لهذه المحبة؛ كمن لا مثل لمن تعلقت به، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل والخضوع، والتعظيم والإجلال، والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا، وهذا لا نظير له في محبة المخلوق، ولو كان المخلوق من كان، ولهذا من شَرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة، كان مشركًا شركًا لا يغفره الله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق المحبون من محبة محبوبيهم، بل لا نظير لهذه المحبة)، هذه أبلغ من محبة العشاق؛ لأن المحبة درجات: محبة العشق: عشق صور نساء والأشياء الجميلة، هذه يحبها محبة عشق وميول ورغبة، وهي لا تدخل في العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وتقتضي كمال الذل والخضوع، والتعظيم والإجلال، والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا، وهذا لا نظير له في محبة المخلوق، ولو كان المخلوق من كان)، محبة الله هذه لا يخالطها غيرها؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما في كل شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتقتضي كمال الذل والخضوع)**، كمال الذل، لابد من محبة العبادة أن يكون معها ذل وخضوع، هذا لا يكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتقتضي كمال الذل والخضوع، والتعظيم والإجلال، والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا)**، هذه محبة العبادة التي معها ذل وخضوع للمحبوب، وانقياد للمحبوب، هذه محبة العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا من شَرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة، كان مشركًا شركًا لا يغفره الله)**، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، هم يحبون الله، لكن شَركوا معه في العبادة غيره، فصاروا مشركين، صاروا كفارًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥])**، كما قال تعالى: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من حب الكفار لله، الكفار يحبون الله، لكنهم يحبون معه آلهتهم من الأصنام، وأما المؤمنون، فيحبون الله محبة خالصة، وذلك كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ عَزَّوَجَلَّ.

ش: والصحيح: أن معنى الآية: أن الذين آمنوا أشد حبًّا لله من أهل الأنداد لأندادهم؛ كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا؛ كما لا يماثل محبوبهم غيره، وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره، فهو قرة عين في محبته، ومن ضرب لمحبته الأمثال التي في محبة المخلوق للمخلوق -كالوصل، والهجر، والتجني بلا سبب من المحب، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه علوًّا كبيرًا-، فهو مخطئ أقبح الخطأ وأفحشه، وهو حقيق بالإبعاد والمقت[1]. انتهى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والصحيح: أن معنى الآية: أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من أهل الأنداد لأندادهم)؛ لأن الآية فيها تفسيران: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]:

* ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة المشركين لآلهتهم، وعلى هذا فالمشركون لايحبون الله، وإنما يحبون آلهتهم فقط، هذا معنى.

* المعنى الثاني: أن المشركين يحبون الله، والذين آمنوا يحبون الله أيضًا، لكن لما كانت محبة المؤمنين خالصة، صارت هي التوحيد، ولما كانت محبة المشركين مشتركة -يحبون الله ويحبون الأنداد معه-، صارت محبة شركية.

---

(١) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص ١٩٩- ٢٠٠).

فيكون معنى الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة المشركين لأصنامهم، هذا المعنى الأول الذي رجحه ابن القيم هنا.

والمعنى الثاني: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة المشركين لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى)**، انتهى كلام ابن القيم.

وفي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ على اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

ش: قوله: (وَفِي الصَّحِيحِ)، أي: صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فذكره.

وأبو مالك اسمه: سعد بن طارق، كوفي ثقة، مات في حدود الأربعين ومائة[(٢)]، وأبوه طارق بن أشيم -بالمعجمة، والمثناة التحتية وزن أحمر-: ابن مسعود الأشجعي، صحابي، له أحاديث[(٣)].

قال مسلم: لم يرو عنه غير ابنه[(٤)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفِي الصَّحِيْحِ)**، يعني: في الحديث الصحيح؛ صحيح البخاري، أو صحيح مسلم، أو كليهما.

قوله: («أن: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»)، بهذا الشرط، وإلا كثير يقولون: «لا إله إلا الله»، لكن لا يكفرون بما يعبد من دون الله.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣) من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار (ص ١٧٢)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٢٦٩)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٨٧٢).

(٣) انظر في ترجمته: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٥٥٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٥٤)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٣٣٣).

(٤) انظر المتفردات والوحدان للإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٨٢).

يقولون: (هذا صحيح، وهؤلاء شفعاء وأولياء، شفعاء عند الله)! كما تقوله الجاهلية: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، فالذي يقول: «لا إله إلا الله»، ولا يكفر بما يعبد من دون الله، لا تنفعه هذه الكلمة، ولا يخرج من الشرك بها؛ لأنه مجرد كلام باللسان، لكن يعتقد أن ما يعبده القبوريون والأضرحة والأولياء والصالحين، يقول: هذا صحيح، وليس هذا بشرك، هذا طلب للشفاعة، هذا طلب ليقربونا إلى الله زلفى، وما أشبه ذلك، كثير يقولون هذا ممن ينتسبون إلى العلم والدين والإسلام مع الأسف، هذا لا يعد مسلمًا إذا لم يكفر بما يعبد من دون الله، وهو يقول: هذا ليس بشرك، هذا إنما هو اتخاذ للوسائط والشفاعة والتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]-، هؤلاء ناس صالحون، ولهم أعمال صالحة، ونطلب منهم أن يشفعوا لنا عند الله، فيصرفون لهم أنواعًا من العبادة؛ كالذبح، والنذر، والطواف بقبورهم، وغير ذلك -نسأل الله العافية-، هذا شرك، وإن كانوا يقولون: «لا إله إلا الله»، لا تنفعهم، الذي يقول: «لا إله إلا الله» يبتعد عن هذه الأمور كلها، ويعاديها ويعادي أهلها، ويحذر منها وينهى عنها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفِي الصَّحِيْحِ عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ **أَنَّه قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ»)**، لم يقتصر على قول: «لا إله إلا الله»، كثير يقولون: «لا إله إلا الله»، لكن يبررون عبادة غير الله بمبررات باطلة، يقولون: هي ليست بشرك، يسمون الشيء بغير اسمه، إذًا ما هو الشرك؟

يقولون: الشرك: أن تعتقد أن أحدًا يخلق مع الله، أن أحدًا يرزق مع الله، أن أحدًا يحيي ويميت، نحن لا نعتقد هذا، هذا لله وحده، نقول: هذا توحيد الربوبية لا يكفي، لا يكفي هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»)، «**حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ**»: صار مسلمًا، يحكم بإسلامه في الظاهر، نحن ليس لنا إلا الظاهر، فمن قال: «لا إله إلا الله»، كففنا عنه؛ فإن صدق في قولها، ولم يرتكب ناقضًا من نواقضها، فإنه يكون مسلمًا حقًّا، ومن قالها لأجل غرض من الأغراض الدنيوية؛ ليتقي بها القتل، ليعيش مع المسلمين، ولكنه لا يكفر بما يعبد من دون الله؛ يقول: الناس أحرار، كل له عقيدته، وأنا ليس عندي كراهية للناس، يسمون هذا كراهية، الآن يسمون هذا بالكراهية؛ فلان عنده كراهية. نعم، كراهية دينية، ليست بكراهية هوى، نحن نكره الكفار والمشركين لله، نبغضهم لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة:١]، نهى الله عن ذلك، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]، لا يجوز هذا، نحن نبغض الكفار، ونعاديهم في الله عَزَّوَجَلَّ.

«**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** -لا يقتصر عليها- **وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ**»، لا يقتصر على «لا إله إلا الله»، ولا يكفر بما يعبد من دون الله، إما أن يسمي هذا غير الشرك، توسلًا، ويسميه تزلفًا عند الله، وطلبًا للشفاعة، الأسماء لا تغير الحقائق، هذا هو الشرك الأكبر.

«**وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ**»: بهذا القيد.

«**حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ**»؛ لأنه صار مسلمًا، ودم المسلم حرام، وماله حرام، وعرضه حرام؛ «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[1].

أما من قالها بلسانه، ولم يكفر بما يعبد من دون الله، وأظهر شيئًا يناقضها، فهذا لا يحرم دمه ولا ماله، وإن كان يقول: «لا إله إلا الله»؛ لم يأت بالقيد: «**وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ**»، فهذا قيد عظيم لهذه الكلمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («**وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»)، نحن ليس لنا إلا الظاهر، أما حسابه عند الله؛ إن كان صادقًا في قلبه، فهو صادق عند الله، وهو مؤمن ظاهرًا وباطنًا، وأما إن كان كارهًا بقلبه، وإنما قالها لطمع دنيوي، وليعيش مع المسلمين، والله يعلم منه ذلك، هو لم يظهر هذا، هذا في قلبه وقرارة نفسه، فإنه في الآخرة يكون مع الكفار، وحسابه على الله.

الحساب ليس من شأننا، الحساب عند الله، ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ**﴾ [الرعد: ٤٠]، الذي يعلم السر وأخفى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ما دام لم يظهر شيئًا من نواقض الإسلام، نقبله، فإذا أظهر شيئًا من نواقض الإسلام، حكمنا عليه بالردة، وعاملناه معاملة المرتد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأبو مالك اسمه: سعد بن طارق**)، ابن طارق الأشجعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأبو مالك اسمه: سعد بن طارق، كوفي ثقة، مات في حدود الأربعين ومائة، وأبوه طارق بن أشيم**)، الابن تابعي، رواي الحديث

(١) أخرجه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٤٤٠٦، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عن أبيه تابعي، والأب صحابي، أبو مالك الأشجعي تابعي، وأبوه طارق بن أشيم صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأبوه طارق بن أشيم - بالمعجمة، والمثناة التحتية وزن أحمر -: ابن مسعود الأشجعي، صحابي، له أحاديث)**، يعني روى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث في كتب السنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال مسلم: لم يرو عنه غير ابنه)**، غير ابنه: أبي مالك.

ش: وفي مسند الإمام أحمد عن أبي مالك قال: وسمعته يقول للقوم: «مَنْ وَحَّدَ اللهَ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

ورواه أحمد من طريق يزيد بن هارون، قال: أخبرنا أبو مالك الأشجعي، عن أبيه. ورواه أحمد عن عبد الله بن إدريس قال: سمعت أبا مالك قال: قلت لأبي: الحديث[1].

ورواية الحديث بهذا اللفظ تفسر: لا إله إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي مسند الإمام أحمد عن أبي مالك قال: وسمعته يقول للقوم: «مَنْ وَحَّدَ اللهَ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ»)، «مَنْ وَحَّدَ اللهَ»، يعني: قال: «لا إله إلا الله»، «وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ورواية الحديث بهذا اللفظ تفسر: لا إله إلا الله)، «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ»، يفسر «لا إله إلا الله»، ويبين أن معناها: الكفر بما يعبد من دون الله، وإفراد الله بالعبادة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥/ ٢١٢، ٢١٤، ٤٥/ ١٨٨).

ش: قوله: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ».

اعلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قول: «لا إله إلا الله» عن علم ويقين؛ كما هو مقيد في قولها في غير ما حديث -كما تقدم.

والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لابد من قولها والعمل بها.

قلت: وفيه معنى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»)**، لابد أن يتلفظ بها، أما إن اعتقدها بقلبه، ولم يتلفظ بها، لا يحكم بإسلامه، وكذلك من قالها، وتلفظ بها، ولم يكفر بما يعبد من دون الله، لا يحكم بإسلامه، لابد من الأمرين: النطق بها، والكفر بما يضادها ويخالفها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الأول: قول: «لا إله إلا الله»)**، النطق بها، والتلفظ بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لابد من قولها والعمل بها)**، قولها والعمل بمقتضاها، وهو الكفر بما يعبد من دون الله.

إن قال: أنا ليس لي شأن، والناس أحرار، وكل له قناعته؛ كما يقول الجهال أو المتساهلون أو الملاحدة، يقولون: ليس لنا شأن بالناس، كل له قناعته، الناس أحرار في العقيدة، لو كان الناس أحرارًا في العقيدة، لما أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الجهاد في سبيل الله، اتركهم أحرار في عقائدهم، هذا كلام باطل؛ الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، لابد أن يكونوا يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ، ليسوا بأحرار، هم عباد لله عَزَّوَجَلَّ يعبدونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قلت: وفيه معنى** ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٥٦])، تمامًا، «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ**»، هو معنى «لا إله إلا الله»، وهو يطابق قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٥٦]. لاحظ! قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قلت: وفيه معنى** ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة:٢٥٦])، العروة الوثقى هي «لا إله إلا الله».

....

ش: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا من أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله»، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك، أو توقف، لم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أجلها! ويا له من بيان ما أوضحه!، وحجة ما أقطعها للمنازع!. انتهى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا من أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله»**)، معنى «لا إله إلا الله» ليست لفظًا يقال باللسان، لكن معناها: إفراد الله بالعبادة، قول: «لا إله إلا الله»، النطق بها، والعمل بمقتضاها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله**)، فلو قال: أنا أقول: «لا إله إلا الله»، ولا أعبد إلا الله، ولكن ليس لي شأن بالناس، أنا لا أعادي في الله، ولا أبغض في الله، وأوالي في الله، ليس لي شأن بالناس، ليس لي شأن إلا بنفسي، أنا لا أشرك بالله، ولكن لا أعادي المشركين، لا أعادي، ليس لي شأن بهم، نقول: أنت لم تعرف الدين أصلًا.

وما الدين إلا الحب والبغض والولا كذاك البرا من كل غاو وآثم

لابد من الحب في الله والبغض في الله، والولاء والبراء، وهو معنى «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا من أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله»؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال)**، لم يكتف بقوله: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّاللهُ**»، بل أضاف «**وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل ولا معرفة معناها مع لفظها)**، بل ولا إذا قالها وهو يعرف معناها، لكنه لا يعمل بمقتضاها، لا يكفي هذا -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل ولا الإقرار بذلك)**، بل ولا الإقرار بذلك ظاهرًا حتى يكفر بما يعبد من دون الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له)**، يقول: أنا ليس شأن، أنا ليس عندي شرك، ولا أشرك بالله، ولكن لا أعادي المشركين والكفار، أنا ليس لي شأن بهم، نقول: أنت لم تفهم الدين أصلًا؛ ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]، لابد أن تبغض ما يبغضه الله ومن يبغضه الله، وتحب من يحبه الله وما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ، هذا معنى «لاإله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن شك، أو توقف، لم يحرم ماله ودمه)**، إن قال: أنا -والله- ليس لي شأن بالناس، ولا أكفر المشركين، ولا أكفر الكفار، هؤلاء

(١) هذا البيت للشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» (ص٩٨).

لهم قناعاتهم، ولهم حرياتهم، أنا لا أكفرهم أنت أصلًا لم تعرف معنى «لا إله إلا الله»، ولا المقصود بها، ولا ينفعك التلفظ بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيا لها من مسألة ما أجلها! ويا له من بيان ما أوضحه!، وحجة ما أقطعها للمنازع!)**، يقول الشيخ: يا لهذه المسألة، مسألة أن التلفظ بـ«لا إله إلا الله» لا يكفي، وأن عبادة الله وحده لا تكفي حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ كما قال الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وهذا هو محل الخلاف بين أهل التوحيد وبين غيرهم ممن يدعي الإسلام والإيمان، ولكنه لا يبغض الكفار، ولا يعاديهم، ولا يتبرأ من دينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيا لها من مسألة ما أجلها! ويا له من بيان ما أوضحه!، وحجة ما أقطعها للمنازع!)**، هكذا يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذًا من هذا الحديث، لم يأت بشيء من عنده، بل من هذا الحديث، كلام الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه لا ينفع التلفظ بها مجردًا، ولا ينفع اعتقاد معناها، ولا ينفع العمل بها حتى يضيف إليها الكفر بما يعبد من دون الله.

أما لو قال: والله أنا ليس لي شأن إلا بنفسي، ليس لي شأن بالناس، نقول: أنت لم تفهم الولاء والبراء، ولم تفهم الدين، يجب عليك أن تتعلم أولًا.

ش: قلت: وهذا هو الشرط المصحح لقوله: «لا إله إلا الله»، فلا يصح قولها بدون هذا الخمس التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصلًا.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ [التوبة:٥]، أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك، ويخلصوا أعمالهم لله تعالى، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن أبوا عن ذلك أو بعضه، قوتلوا إجماعًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قلت: وهذا هو الشرط المصحح)، هذا كلام الشارح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣])، ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾: قاتلوا الكفار.

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾، أي: شرك، قاتلوهم لأجل الشرك ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾: هذا هو الغرض من الجهاد في سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ [التوبة:٥])، ﴿فَٱقۡتُلُواْ

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: هذا وصف، هذا تعيين، الوصف إذا أعقب حكمًا، فهو علة لذلك الحكم، ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، لماذا؟ لأنهم مشركون، فالعلة في قتلهم أنهم مشركون؛ لأجل إفراد الله بالعبادة.

فلابد من هذا، لابد من قتال المشركين مع الاستطاعة، قتال المشركين هو الجهاد في سبيل الله، ليس بفوضى؛ كل يأخذ السيف، أو يقتل، ويفجر، لا، هذا من الفساد في الأرض، ليس من الجهاد؛ الجهاد له ضوابط، وله أحكام، يكون بقيادة ولي أمر المسلمين، يكون بتنظيمه وإشرافه، لابد أن يكون هذا، له قائد، وله راية، له راية موحدة يقود للجهاد، والذي يقوم بهذا هو ولي أمر المسلمين هو الإمام، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٣٨].

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾، من القائل؟ ولي الأمر، وهو الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في وقته أو خلفاؤه، أو من يأتي بعده من ولاة أمور المسلمين، فالجهاد لا يكون إلا تحت راية إسلامية موحدة، هذا هو الجهاد في سبيل الله، وإلا يكون فوضى وإفسادًا في الأرض.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:٥])، بهذا الشرط: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾: أخلصوا العبادة لله، وتركوا الشرك، تابوا.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مع التوبة يقيمون الصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، ويؤدون الزكاة -أيضًا-؛ لأنها قرينة الصلاة، ، أبو بكر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاتل مانعي الزكاة، مع أنهم يقولون: «لا إله إلا الله»، ويصلون، لكن لما منعوا الزكاة، قاتلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا»[1].

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِلَّا بِحَقِّهَا**»، والزكاة حق لـ«لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**)، ويؤتوا الزكاة، لابد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فإن أبوا عن ذلك أو بعضه، قوتلوا إجماعًا**)، قاتلهم الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم يصلون، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»، لما منعوا الزكاة، منعوا الركن الثالث من أركان الإسلام، قاتلهم على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٠، ٦٩٢٥)، ومسلم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

••

ش: وقد قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤]، فقال: قَالَ الحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ البَزَّارُ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ أحمد -وساق بسنده- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ، وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ». الحديث(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ على اللهِ تَعَالَى»(٢).

وفي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ على اللهِ»(٣). وهذان الحديثان تفسير الآيتين: آية الأنفال، وآية براءة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن

---

(١) انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٨٠)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٨١).
(٢) أخرجه مسلم (٢١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥، ١٣٩٩، ١٤٥٧، ٦٩٢٤، ٧٢٨٤)، ومسلم (٢١، ٢٢).

تزكى﴾، قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله»، ﴿تَزَكَّىٰ﴾، يعني: بالإيمان؛ لأن الزكاة أنواع:

* الزكاة التي هي التوحيد، تطهر بها من الشرك.

* زكاة في المال.

* وزكاة البدن التي هي صدقة الفطر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا»)**، والزكاة من حقها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذان الحديثان تفسير الآيتين: آية الأنفال، وآية براءة)**، ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:٥]، هذه آية براءة، وآية الأنفال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

....

ش: **وقد أجمع العلماء على أن من قال: «لا إله إلا الله»، ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات.**

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[١]: (معلوم أن المراد بهذا أهل عبادة الأوثان، دون أهل الكتاب؛ لأنهم يقولون: «لا إله إلا الله» ثم يقاتلون، ولا يرفع عنهم السيف)[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أجمع العلماء على أن من قال: لا إله إلا الله، ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات)**، لا يكفي التلفظ بها فقط، لابد من معرفة معناها، ولابد من العمل بمقتضاها، أي: بما تدل عليه.

المنافقون يقولون: «لا إله إلا الله»، وهم لا يعملون بمقتضاها، ولايعرفون معناها، فلم يدخلهم ذلك في الإسلام باطنًا، إنما دخلوا في الإسلام ظاهرًا فقط، وأما في الباطن، فليسوا مسلمين، هم في الدرك الأسفل من النار.

(١) سبق تخريجه (ص٨٠٢).
(٢) انظر: معالم السنن (٢/ ١١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات)**؛ لأنه لا يكفي النطق بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(معلوم أن المراد بهذا أهل عبادة الأوثـان، دون أهل الكتاب؛ لأنهم يقولون: «لا إله إلا الله» ثم يقاتلون، ولا يرفع عنهم السيف)**، الكفار على نوعين: كفار وثنيين، وكفار كتابيين، فأهل الكتاب إذا لم يؤمنوا بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فهم كفار؛ لأنهم مأمورون باتباع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومأمورون بدين الإسلام الذي بُعِثَ به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩]، فأهل الكتاب يقاتلون إلى أن يدفعوا الجزية، وإذا دفعوا الجزية، يخلى عنهم؛ لأن هذا من إمهالهم لعلهم يخضعون للإسلام إذا تدبروه؛ ولأن دينهم يأمرهم بهذا، دينهم الذي هم عليه -بزعمهم- يأمرهم بهذا؛ لأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بشَّر بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أيضًا بشَّر بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل الأنبياء لو بُعِثَ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحد منهم حي يجب عليهم أن يتبعوا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾، يعني: محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى

﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]، أخذ الله الميثاق على كل الأنبياء أنه إذا بُعِثَ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحد منهم حي أن يتبعه، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣/ ٣٤٩)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣١٢)، والدارمي (١/ ٤٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٤٧) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

....

ش: وقال القاضي عياض: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال: «لا إله إلا الله» تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بذلك مشركو العرب، وأهل الأوثان، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد، فلا يُكتفى في عصمته بقول: «لا إله إلا الله» إذا كان يقولها في كفره. انتهى ملخصًا(١).

وقال النووي: لابد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ كما جاء في الرواية: «وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ»(٢).

وقال شيخ الإسلام -لما سُئِل عن قتال التتار-، فقال: كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم، فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه؛ كما قاتل أبو بكر والصحابة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ مانعي الزكاة، وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم. قال: فأيما طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء، أو الأموال، أو الخمر، أو الميسر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين ومحرماته التى لا عذر لأحد في جحودها، أو تركها التي يكفر الواحد بجحودها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها، وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء.

---

(١) نقله النووي عنه في المنهاج شرح صحيح مسلم (١/ ٢٠٦- ٢٠٧).
(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (١/ ٢١٢).

قال: وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة، بل هم خارجون عن الإسلام. انتهى[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا يُكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذا كان يقولها في كفره)**، «إذ كان»، الظاهر أنها: «إذ كان يقولها في كفره»، فاليهود والنصارى يقولون: «لا إله إلا الله»، ولكن لا يقولون: «محمد رسول الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال النووي: لابد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ كما جاء في الرواية «وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ»)**، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُمِرْتُ»**، يعني: أمرني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ»: هذا هو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وطمس الشرك من الأرض.

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»: هذا فيه أنه لا يكفي النطق بـ«لا إله إلا الله» مع عدم الإيمان بما تدل عليه هذه الكلمة، وهو إفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة.

ولا يكفي النطق بشهادة أن محمدًا رسول الله حتى يؤمن بما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأوامر والنواهي، والشرائع؛ فليس المراد بالشهادتين مجرد النطق بهما، بل لابد من معرفة معناهما، والعمل بمقتضاهما.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٠٢).

هنا لم يذكر إلا ثلاثة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ وذلك لأنه في أول الأمر لم يشرع الجهاد، ولم يشرع الحج، ولم يشرع الصيام، إنما شُرِعت هذه بعدما هاجر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال النووي: لابد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **كما جاء في الرواية «وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ»)**، هو معلوم أنه لا يصح الإيمان به إلا مع الإيمان بما جاء به، ولكن «وَبِمَا جِئْتُ بِهِ» هذا من باب التأكيد، مما يدل على أنه لا يكفي التلفظ بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال شيخ الإسلام -لما سُئِل عن قتال التتار-، فقال: كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم، أو غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه)**، التتار هم المغول بادية المشرق، وهم قد خرجوا على المسلمين في آخر خلافة بني العباس، استدعاهم الرافضيان الخبيثان: ابن العلقمي، والطوسي، نصير الدين الطوسي، أو نصير الكفر الطوسي، هذان كانا حول الخليفة العباسي الأخير، كانا حوله، وزراء له ومستشارون، فغدروا به، وجلبوا التتار هذه البادية الغاشمة الكافرة، فأسقطوا دولة العباس، وقتلوا الخليفة، وقتلوا مذبحة عظيمة من المسلمين في بغداد وفي غيرها، وأحرقوا الكتب، أحرقوا كتب المسلمين أو وضعوها في دجلة في الماء؛ حتى انطمست، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف:٨]، فحصل بينهم وبين المسلمين معارك عظيمة، وامتدوا إلى الشام.

سئل شيخ الإسلام؛ لأنهم كانوا في وقت شيخ الإسلام، سُئِل عن قتالهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال شيخ الإسلام -لما سُئِل عن قتال التتار-، فقال: كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم، أو غيرهم)**، يعني: من التتار وغيرهم، الذي لا يلتزم بشرائع الإسلام؛ بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، الذي لا يلتزم بهذه الأركان كافر يجب قتاله، وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ لأنه لم يعمل بمقتضى الشهادتين، وليس المراد التلفظ بالشهادتين دون التزام لمدلوهما ومعناهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كل طائفة)**، ليس التتار فقط، كل طائفة تمتنع من شعائر الإسلام الظاهرة يجب قتالها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه)**، يجب قتالهم مع القدرة؛ إذا كان بالمسلمين قوة وقدرة على قتالهم، وتحت راية ولي الأمر، فإنهم يقاتلون قتال المرتدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين)**، لا يكفي النطق بالشهادتين مع ترك أركان الإسلام الظاهرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وملتزمين بعض شرائعه)**؛ لأن من آمن ببعض وكفر ببعض، فهو كافر بالجميع؛ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥]، لا يجوز هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قاتل أبو بكر، والصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **مانعي الزكاة، وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم)**، وأبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خليفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منعوا الزكاة، وهي ركن من أركان الإسلام؛ من منعها بخلًا، أخذت منه قهرًا وعزر، وإن كان له شوكة ومعه قتال، يُقاتل؛ لأنه لم يقاتل إلا لأنه يجحد وجوب الزكاة، يلزم منه أنه يقاتل المسلمين على منع الزكاة، يقاتل على منع الزكاة، يدل على أنه حاجد لوجوبها، فيحكم عليه بالردة، ولهذا لما راجع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -ومنهم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، قالوا: يا خليفة رسول الله، كيف تقاتلهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون؟ قال: «وَاللهُ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَاللهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَه إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ»(١)، فصمم على قتالهم، فدل على أن من ترك شعيرة من شعائر الإسلام الظاهر أنه يقاتل؛ لأنه مرتد عن دين الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم)**، وعلى هذا اتفق الفقهاء الأربعة وغيرهم من فقهاء المسلمين على هذا الأمر؛ أن الذي يمتنع أو يمنع شعيرة من شعائر الإسلام الظاهرة يجب قتاله عليها.

لو أن أهل بلد امتنعوا عن الأذان، وقالوا: ليست هناك حاجة من الأذان أو من الإقامة، أو قالوا: يكفي الأذان، لسنا بحاجة للإقامة، هذه شعائر الإسلام، ومن جحدها يجب قتاله؛ لأن هذا ردة عن دين الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو تركها التي يكفر الواحد بجحودها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها، وإن كانت مقرة بها)**، وإن كانت مقرة بها، تقاتل على تركها ومنعها؛ لأن الإسلام لا يقبل التجزئة، يجب العمل بالإسلام كله؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ ﴾، يعني: في الإسلام، ﴿ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة:٢٠٨]، أي: بجميع شراعه، ولا يكفي بعضها عن بعض، ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها، وإن كانت مقرة بها)**، تقاتل على منعها، وإن كانت معترفة بها، ولا تجحدها، لكن الامتناع، مجرد الامتناع يوجب قتالهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء)**، هكذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء)؛ أن من امتنع من شعيرة من شعائر الإسلام الظاهرة، وأصر على ذلك؛ أنه يجب قتاله عليها؛ حتى لا يتلاعب بالدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: وهؤلاء عند المحققين)**، «قال»: يعني: الشيخ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة، بل هم خارجون عن الإسلام)**، ليسوا بغاة، البغاة من المسلمين، لكن إذا خرجوا عن طاعة ولي الأمر، يقال لهم: بغاة، وأما إذا قاتلوا ولي الأمر، وخرجوا عن طاعته، فهم خوارج أشد من البغاة، فمن أظهر شيئًا من الإصرار على ترك بعض أوامر الدين، فإنه يجب قتاله على ذلك؛ لأن الدين لا يتجزأ، ولا يتلاعب به؛ يؤخذ بعضه ويترك البعض الآخر.

ش: قوله: «**وَحِسَابُهُ على اللهِ**» أي: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يتولى حسابه، فإن كان صادقًا، جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقًا، عذبه العذاب الأليم، وأما في الدنيا، فالحكم على الظاهر، فمن أتى بالتوحيد، ولم يأت بما ينافيه ظاهرًا، والتزم شرائع الإسلام، وجب الكف عنه.

قلت: وأفاد الحديث أن الإنسان قد يقول: «لا إله إلا الله»، ولا يكفر بما يعبدون من دون الله، فلم يأت بما يعصم دمه وماله؛ كما دل على ذلك الآيات المحكمات والأحاديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَحِسَابُهُ على اللهِ» أي: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يتولى حسابه)**، يقول الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»، يعني: الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل الظاهر، وأما سرائر الأمور وما في القلوب، فهذا موكول إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس لنا إلا الظاهر، ولهذا الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل من المنافقين إسلامهم، مع أنهم لا يؤمنون في باطن أمرهم، نحن ليس لنا إلا الظاهر، وأما ما في القلوب، فهذا أمره إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي يعلم ما في القلوب، ما لم يظهر شيء من نواقض الإسلام، فإذا ظهر، يحكم عليه بالردة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن كان صادقًا، جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقًا، عذبه العذاب الإليم)**، الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل من المنافقين، ووكل

سرائرهم إلى الله، قبل ظاهرهم، وأدرجهم في جماعة المسلمين، وسرائرهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما في الدنيا، فالحكم على الظاهر)**، هذا الحكم في الدنيا: الحكم على الظاهر، وأما في الآخرة وعند الله، فالحكم على الباطن؛ لأنه يعلم السر وأخفى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن أتى بالتوحيد، ولم يأت بما ينافيه ظاهرًا، والتزم شرائع الإسلام، وجب الكف عنه)**، من أتى بشرائع الإسلام الظاهرة، قبلنا منه، وإن كان في نفسه منافقًا، فأمره إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن لو أظهر شيئًا يناقض الإسلام، حُكِم بردته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وأفاد الحديث)**، «قلت»: هذا كلام الشيخ عبد الرحمن صاحب فتح المجيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأفاد الحديث أن الإنسان قد يقول: «لا إله إلا الله»، ولا يكفر بما يعبدون من دون الله، فلم يأت بما يعصم دمه وماله)**؛ أن الإنسان قد يقول: «لا إله إلا الله»، لكنه لا يكفر بما يعبد من دون الله، وهذا قيد في الحديث: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ**»، فإنه لا يعتبر مسلمًا حتى يكفر بما يعبد من دون الله.

والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، لم يقتصر على أن يؤمن بالله، بل لابد، وقبلها هذا: ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، قدم الكفر بالطاغوت،

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، فالذي يؤمن بالله، ولا يكفر بالطاغوت هذا كافر، ولا ينفعه إيمانه بالله عَزَّوَجَلَّ.

الذي يقول: أنا ليس لي شأن بالناس، والناس أحرار، والناس على عقائدهم وقناعاتهم، هذا كلام باطل، ولا يجوز الكلام هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما دل على ذلك الآيات المحكمات والأحاديث)**، هذا واضح، هناك من يعترضون على الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه قاتل عباد القبور والأضرحة، يقولون: لماذا يقاتلهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله؟، يا سبحان الله! لا يكفي قول: «لا إله إلا الله»، ما دام يعبد غير الله، ويعبد مع الله غيره، فهو مشرك، لا ينفعه قول: «لا إله إلا الله»، هذا تناقض، والدين ليس فيه تناقض.

وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَبْوَابِ.

ش: قلت: وذلك أن ما بعدها من الأبواب فيه ما يبين التوحيد ويوضح معنى «لا إله إلا الله».

وفيه -أيضًا-: بيان أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر، وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع، مما تركه من مضمون «لا إله إلا الله»، فمن عرف ذلك وتحققه، تبين له معنى «لا إله إلا الله» وما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، وبضدها تتبين الأشياء، فبمعرفة الأصغر من الشرك يعرف ما هو أعظم منه من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد، وأما الأصغر، فإنما ينافي كماله، فمن اجتنبه، فهو الموحد حقًّا، وبمعرفة وسائل الشرك والنهي عنها لتجتنب، تعرف الغايات التي نُهِي عن الوسائل لأجلها، فإن اجتناب ذلك كله يستلزم التوحيد والإخلاص، بل يقتضيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ**)، قال المصنف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شرح هذه الترجمة التي هي بيان التوحيد، ومعنى «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَبْوَابِ**)، شرح هذه الترجمة التي هي بيان التوحيد، ومعنى «لا إله إلا الله» هو هذه الأبواب التي بعدها إلى آخر الكتاب، كله شرح لها، وبيان لها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن عرف ذلك وتحققه، تبين له معنى «لا إله إلا الله» وما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، وبضدها تتبين الأشياء)، من عرف هذا، تبين له معنى التوحيد، ومعنى «لا إله إلا الله»، وعرف ما هو الشرك، وما هي نواقض الإسلام، تبين له هذا، هذا يحتاج إلى فهم، وإلى حضور قلب، وإلى تلقٍّ عن أهل العلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فبمعرفة الأصغر من الشرك يعرف ما هو أعظم منه من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد)**؛ لأن الشرك الأصغر وسيلة إلى الشرك الأكبر ويجر إليه، فلا يتساهل في الشرك الأصغر ويقال: هذا لا يضر، بل ينهى عن الشرك بنوعيه -الشرك الأكبر، والشرك الأصغر-، ولهذا خافه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خيار الصحابة؛ قال: «**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، فدل على أنه خوف ويضر فلا يتساهل فيه، سئل عنه، فقال: «**الرِّيَاءُ؛ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي يُحْسِنَ صَلَاتَهُ -أو- فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ**»[1]، هذا شرك؛ لأنه نوى بعبادته غير الله فهذا شرك، وهو يجر إلى الشرك الأكبر إذا تساهل فيه، فالواجب على المسلم أن يحذر من الشرك الأكبر والأصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأما الأصغر، فإنما ينافي كماله)**، الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر: أن الشرك الكبر ينافي التوحيد نهائيًّا؛ فلا يجتمع هو والتوحيد، عبادة غير الله وعبادة الله لا يجتمعان أبدًا، والشرك الأكبر ينافي التوحيد ويناقضه.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٠٤).

الشرك الأصغر لا ينافي أصل التوحيد، لكن ينافي كمال التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الأصغر، فإنما ينافي كماله، فمن اجتنبه، فهو الموحد حقًّا)**، فمن اجتنب الشرك الأكبر والأصغر، فهو الموحد حقًا، ومن اجتنب الشرك الأكبر، ولم يجتنب الشرك الأصغر، فإن توحيده ناقص، وعنده نقص، ويخشى أن يطغى عليه الشرك الأصغر حتى يتدرج إلى الشرك الأكبر، فلا يكون عنده توحيد؛ فلا يتساهل في الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبمعرفة وسائل الشرك والنهي عنها لتجتنب تعرف الغايات التي نُهِي عن الوسائل لأجلها)**، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الشرك، ونهى عن وسائله التي تفضي إليه، الذي هو الشرك الأصغر من وسائل الشرك الأكبر، فيجب الحذر منه واجتنابه.

فالصلاة عند القبر هذه وسيلة إلى الشرك، وإن كان المصلي يصلي لله، لا يصلي للقبر، لكن صلاته عند القبر وسيلة إلى الشرك، إلى أن يقع في نفسه شيء من تعظيم الميت، وأنه يقضي الحاجات إلى غيره، فيعبده من دون الله.

كذلك الصلاة عند غروب الشمس -أيضًا- نهى عنها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا وقت يسجد الكفار فيه للشمس فلا يتشبه بهم، وهذا وسيلة من وسائل الشرك، فيتجنب ذلك، وهكذا وسائل الشرك تجتنب؛ لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإن اجتناب ذلك كله يستلزم التوحيد والإخلاص، بل يقتضيه)**، يجب على المسلم أن يلتزم بالتوحيد، ويتجنب الشرك ووسائل الشرك التي تؤدي إليه، ولا يتساهل فيها.

....

ش: **وفيه -أيضًا- من أدلة التوحيد إثبات الصفات، وتنزيه الرب -تعالى- عما لا يليق بجلاله، وكل ما يعرف بالله من صفات كماله وأدلة ربوبيته يدل على أنه هو المعبود وحده، وأن العبادة لا تصلح إلا له، وهذا هو التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه -أيضًا- من أدلة التوحيد إثبات الصفات، وتنزيه الرب تعالى عما لا يليق بجلاله)**، في «لا إله إلا الله» إثبات الأسماء والصفات لله عَزَّ وَجَلَّ؛ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨].

والإله هو المعبود، الألوهية: هي العبادة، والإله له أسماء، وله صفات وردت في الكتاب والسنة، فيجب إثباتها والإيمان بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكل ما يعرف بالله من صفات كماله وأدلة ربوبيته يدل على أنه هو المعبود وحده)**، فالله جَلَّ وَعَلَا له أسماء وله صفات، دل عليهما الكتاب والسنة، ومذهب أهل السنة والجماعة إثباتها بلا تشبيه، لا يشبهونها بصفات المخلوقين؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فيثبتونها من غير تمثيل، وينزهون الله عن المشابهة من غير تعطيل؛ لأن قومًا غلوا في التنزيه في الله، حتى نفوا الأسماء والصفات، وقومًا غلوا في الإثبات، حتى شبهوا الله بخلقه، وكلتا الطائفتين على ضلال مبين -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل ما يعرف بالله من صفات كماله وأدلة ربوبيته يدل على أنه هو المعبود وحده، وأن العبادة لا تصلح إلا له)**، توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية، وبرهان على توحيد الألوهية، توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ فمن عرف ربوبية الله، يجب عليه أن يعبده.

الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾، ثم ذكر البرهان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، فذكر من مقتضى الربوبية: الألوهية والأسماء والصفات، والدليل: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، أي: شركاء، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة:٢١، ٢٢] أنه لا شريك له في خلقه وربوبيته وإلهيته.

فتوحيد الربوبية برهان ودليل على توحيد الألوهية، فمن أقر بالربوبية، يلزمه توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا هو التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله)**، هذا هو التوحيد، التوحيد ثلاثة أنواع:

* **توحيد الربوبية**: وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه.

* **توحيد الألوهية**: وهو توحيد الله بأفعال العباد؛ من صلاة، وزكاة، وحج، إلى آخره.

* **توحيد الأسماء والصفات**: وهو الإيمان بما سمى الله به نفسه، أو سماه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإثبات الصفات التي وصف الله به نفسه، ووصفه

بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تعطيل ومن غير تشبيه، هذا هو الإيمان، وهو التوحيد.

فإذا انفرد توحيد الربوبية، فإنه لا ينفع؛ المشركون مقرون بتوحيد الربوبية -كما دل عليه القرآن-، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام.

فِيهِ أَكْبَرُ الْمَسَائِلِ وأهمُّها: وَهِيَ تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ، وتَفْسِيرُ الشَّهادة، وَبَيَّنَهَا بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ:

مِنْهَا: آيَةُ الْإِسْرَاءِ، بَيَّنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ، فَفِيهَا بيَانُ أَنَّ هَذا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ.

وَمِنْهَا: آيَةُ بَرَاءَةٍ؛ بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ فِي الْمَعْصِيَةِ، لَا دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيهِ أَكْبَرُ الْمَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا**)، «فيه» يعني: في هذا الباب؛ (باب: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)، فيه من المسائل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَهِيَ تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ، وَبَيَّنَهَا بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ**)، «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ**»(١)، «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مَنْ قَلْبِهِ**»(٢)، وهكذا، فلا يكتفى بالشهادة حتى يلتزم بمدلولها ومعناها، ويؤمن به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**مِنْهَا: آيَةُ الْإِسْرَاءِ، بَيَّنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ**)، ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾؛ آية الإسراء.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾، أي: يدعوهم المشركون.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٢٠).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٨١).

﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧]، هذه نزلت في الذين يعبدون الملائكة، الله أخبر أن الملائكة عباد لله، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، فهم عباد لله، فكيف يُعبَدون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! هم فقراء إلى الله، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، لا يصلحون للعبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ**)، إذا كانت الملائكة لا تجوز عبادتهم، وهم محتاجون إلى الله، وفقراء إلى الله؛ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، فغيرهم من الأولياء والصالحين من باب أولى، كلهم عباد لله، فقراء إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمِنْهَا: آيَةُ بَرَاءَةٍ؛ بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ، وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ**)، آية براءة، قوله -تعالى- في أهل الكتاب -اليهود والنصارى-: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾، يعني: علماءهم، ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾، يعني: عبادهم، ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، بمعنى: أنهم يحلون لهم الحرام، فيحلونه، ويحرمون عليهم الحلال، فيطيعونهم في ذلك، ولذلك لما سمع عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذه الآية، وكان نصرانيًّا ثم أسلم، قال: «يَا رَسُوْلَ اللهِ؛ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! قَالَ: **أَلَيْسُوا يُحَرِّمُوْنَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟** قَالَ: بَلَى. قَالَ: **أَلَيْسُوا يُحِلُّوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَتُحِلُّوْنَهُ؟** قَالَ: بَلَى. قَالَ: **فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم**»(١).

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٣٨).

اتخذوهم شركاء لله في التحليل والتحريم، هذا حق لله، لا يشاركه فيه أحد، لا أحد يحرم ويحلل من عنده، الله هو الذي يحلل ويحرم لعباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فالحلال ما أحله تعالى، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فآية براءة تبين معنى «لا إله إلا الله»؛ أن من معناها، من معنى «لا إله إلا الله» أنه لا يحلل ولا يحرم، إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن من أطاع مخلوقًا يحل أو يحرم من عنده نفسه، فإنه قد اتخذه ربًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا**)، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة:٣١]. فدل على أن من أطاع مخلوقًا في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، فقد اتخذه إلهًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ فِي الْمَعْصِيَةِ، لَا دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ**)، هم الأحبار والرهبان، الأمراء والعباد طاعتهم في المعصية، أما طاعتهم في المعروف، فقد أمر الله جَلَّ وَعَلَا بها؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، فأولي الأمر يشمل الأمراء، ويشمل العلماء؛ لأنهم من أولي الأمر، فيطاعون فيما يوافق كتاب الله وسنة رسوله، ويعصون فيما خالف الكتاب والسنة؛ «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»(١)، وإن كان أميرًا، وإن كان عالمًا، وإن كان عابدًا، لا يطاع في معصية الله.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ فِي الْمَعْصِيَةِ**)، تفسير: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] هو طاعة الأمراء والعباد والعلماء في معصية الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ**)، لا دعاؤهم إياهم، هم لم يدعوهم، وإنما أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، ولم يدعوهم؛ يعني: دعوهم لحاجتهم وكشف كرباتهم، لم يدعوهم لكن لما أطاعوهم في التحليل والتحريم، وهم يعلمون أنهم قد أحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، لما أطاعوهم، اتخذوهم أربابًا من دون الله، هذا نوع من الشرك، وهو شرك الطاعة.

وَمِنْهَا: قَوْلُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ **لِلْكُفَّارِ:** ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]، **فَاسْتَثْنَى مِنَ الْمَعْبُودِينَ رَبَّهُ.**

وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الْبَرَاءَةَ وَالْمُوَالَاةَ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨].

وَمِنْهَا: آيَةُ الْبَقَرَةِ فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، **ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ حُبًّا عَظِيمًا، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.**

فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ؟! فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحْدَهُ، وَلَمْ يُحِبَّ اللَّهَ؟!.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمِنْهَا: قَوْلُ الْخَلِيلِ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **لِلْكُفَّارِ:** ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧])، هذا هو معنى «لا إله إلا الله»، قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾: هذا معنى «لا إله»، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: هذا معنى «إلا الله»، فهذه الآية فيها معنى «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الْبَرَاءَةَ وَالْمُوَالَاةَ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ:** ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨])، ﴿وَجَعَلَهَا﴾: الله، ﴿كَلِمَةً﴾، يعني: «لا إله إلا الله» ﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، يعني: عقب إبراهيم وذريته؛ فلا يزال منهم من يعبد الله وحده

لا شريك له، لا يزال في ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من يعبد الله، ولا يشرك به شيئًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمِنْهَا: آيَةُ الْبَقَرَةِ فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾** [البقرة:١٦٧]، **ذَكَرَ أَنهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللهِ**)، فيشركون مع الله في المحبة، فمن أحب مخلوقًا مع الله محبة العبادة، فإنه خالد مخلد في النار؛ ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، والعياذ بالله، فدل على أن الشرك في المحبة من أعظم أنواع الشرك.

المراد: محبة العبادة التي معها خضوع وذل للمخلوق، أما المحبة التي ليس معها حب وخضوع وانقياد للمخلوق، فهذه محبة طبيعية، لا يؤاخذ عليها؛ مثلما يحب والديه، ويحب أولاده، ويحب زوجته، ويحب الطعام، هذه طبيعية، ليس معها ذل، وليس معها عبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ حُبًّا عَظِيمًا**)، دل على أن الكفار يحبون الله، لكنهم يحبون معه غيره، فلا تنفعهم محبتهم لله؛ كما أن الشرك يبطل العبادة، قد يكون الإنسان يعبد الله، لكن يبطل عبادته بالشرك؛ بأن يشرك مع الله غيره من الأولياء والصالحين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ**)، ولم يدخلهم حبهم لله في الإسلام ما داموا يحبون معه غيره، هذا شرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللهِ؟!**)، كيف بمن يحب الأنداد أكثر من حب الله عَزَّوَجَلَّ؟! القبوريون يحبون أندادهم الذين

يعبدونهم أكبر من حب الله، ولذلك لو ذُكِروا بسوء، لغاروا عليهم، وإذا انتقص حق الله جَلَّ وَعَلَا، لا يغارون على ذلك، ولا يحدث لهم شيء، لكن لو يقال في أوليائهم الذين يعبدونهم مع الله في قلبهم شيء، غاروا عليهم، وانتقموا، ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحْدَهُ وَلَمْ يُحِبَّ اللهَ؟!)**، هذا أشد، الذي لا يحب الله أصلًا، وإنما يحب الأنداد من الأصنام والأحجار والأشجار والأولياء والصالحين هذا أشد كفرًا من الذي يحب الله ويحب معه غيره.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللّه، وَكَفرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ على اللّهِ»، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبيِّنُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ»، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالْمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا، مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلَا الْإِقْرَارِ بِذَلِكَ، بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لَا يَحْرُمُ دَمُهُ وَمَالُهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الْكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَرَدَّدَ، لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ.

فَيَا لَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا! وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ! وَحُجَةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازِعِ!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمِنْهَا: قَوْلُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ على اللهِ»**)، لم يقتصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قول: «لا إله إلا الله»، بل لابد أن يكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن كان يقولها، وهو لا يكفر بما يعبد من دون الله؛ ويجيز عبادة الأضرحة والقبور، ويقول: (هذا توسل إلى الله)، هذا شرك، وأنت لو سميته توسلًا لا يخرجه عن الشرك، الأسماء لا تغير الحقائق، فهذا شرك، والذي يقول: «لا إله إلا الله»، وهو يعبد الأولياء والصالحين، هذا لم يقلها بصدق، ولم يكفر بما يعبد من دون الله، ولو يقولها الليل والنهار، لا تنفعه حتى يكفر بما يعبد من دون الله، ويعتقد بطلانه ويتجنبه وينهى عنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمِنْهَا: قَوْلُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ على اللهِ»**)، فدل على أن الذي يقول:

«لاإله إلا الله»، ولا يكفر بما يعبد من دون الله أنه كافر حلال الدم والمال، وإن كان يقول: «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**)، هذا الحديث أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله»؛ أنه ليس المراد مجرد النطق بها، بل لابد من معرفة معناها، والعمل بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالْمَالِ**)، لم يقل: من قال: «لا إله إلا الله» عصم مني، بل قال: «وَكَفَرَ»، لابد من هذا القيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا، مَعَ لَفْظِهَا**)، بل ولو عرف معناها، وتلفظ بها، وهو يعرف معناها، ولم يعمل بمقتضاها لا تنفعه -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَلْ وَلَا الْإِقْرَارِ بِذَلِكَ**)، الإقرار بذلك من غير التزام لا يكفي -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَلْ وَلَا كَوْنُهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**)، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله، إذا كان يقول: أنا ليس شأن بالمشركين، كيفما شاءوا، وربما أن لهم قناعاتهم، ولهم حرية عقيدتهم، هذا لم يكفر بما يعبد من دون الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَلْ لَا يَحْرُمُ دَمُهُ وَمَالُهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الْكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ**)، حتى يضيف إلى قول: «لا إله إلا الله» الكفر بما يعبد من دون الله؛ فهي ليست مجرد لفظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ، لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ**)، الذي يشك في كفر عباد الأصنام والقبور، الذي يشك في هذا كافر، إذا شك في هذا، فكيف إذا قال: لا مانع، كل له عقيدته، وكل له قناعته، هذا أشد من الشك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَيَا لَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا!)**، (يا لها)؛ هذا الحديث: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ**»[1]، هذا هو الفيصل بين أهل الحق وأهل الباطل ممن يقولون: «لا إله إلا الله»، فهي مسألة عظيمة لمن تعقلها وانتبه لها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ)**، بيان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازِعِ!)**، الذي يقول: إن «لا إله إلا الله» يكفي النطق بها، ولو لم يكفر بما يعبد من دون الله، ولو لم يتبرأ من المشركين ومن الشرك، لو لم يتبرأ هو موحد؛ لأنه يقول: «لا إله إلا الله»، نقول: لا يكفي قول: «لا إله إلا الله»، لا يكفي هذا، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أضاف إلى ذلك قوله: «**وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ**».

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٢٠).

فهرس الموضوعات

مُقَدِّمَــةُ النَّاشِــرِ.......................................٥
مقدمة الشارح مَعَالي الشَّيْخ -حفظه الله-........................١١
مقدمة شارح كتاب التوحيد الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.......٢٧
معنى (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)..........................٦٢
لفظ الجلالة والصحيح أنه مشتق..................................٧٦
خصائص الاسم الشريف...٨٥
معنى اسم الله عَزَّوَجَلَّ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).........................٨٩
تفسير (الحمْدُ للهِ)..٩٦
معنى الصلاة من الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....................٩٨
معنى قوله: (وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)..........................٩٨
كِتَابُ التَّوْحِيدِ...١٠١
معنى التوحيد...١٠٢
أنواع التوحيد الذي دعت إليه الرسل...........................١٠٤
ليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية........................١٢٠
معنى كلمة: (التوحيد)..١٢٣
تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾..........١٣٤

تعريف العبادة شرعًا........................... ١٣٩

تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾........................ ١٥٥

تعريف الطاغوت وأنواعه........................... ١٥٥

تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾........... ١٨٠

تفسير قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾......... ٢٠٣

تفسير الآيات المحكمات في سورة الأنعام.................... ٢٠٧

شرح حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ... »............ ٢٥٦

شرح حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنْتُ رِدْيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... ».... ٢٦٣

معرفة حق الله عَزَّ وَجَلَّ علينا........................... ٢٧٢

معرفة حق العباد على الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أدوا حقه.................. ٢٧٩

مسائل الباب........................... ٢٩١

١- بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ........................ ٣٠٥

تفسير قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾........................ ٣٠٩

معنى (ما) في قوله: (وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ)........................ ٣٠٦

الظلم ثلاثة أنواع........................... ٣١٢

شرح حديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ... »......... ٣٢٦

معنى الشهادة........................... ٣٢٨

معنى كلمة التوحيد.......................... ٣٣٦
ذكر كلام العلماء في معنى الإله.......................... ٣٤٣
شرح حديث عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ...».......................... ٤١٧
معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَرَّمَ على النَّارِ».......................... ٤١٧
شرح حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ مُوسَى...».......................... ٤٤٠
شرح حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا ابنَ آدمَ...».......................... ٤٦٥
الفرق بين الحديث القدسي والنبوي.......................... ٤٦٧
مسائل الباب.......................... ٤٧٨
٢- بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.......................... ٤٨٩
مناسبة الباب لكتاب التوحيد.......................... ٤٨٩
تحقيق التوحيد بثلاثة أشياء.......................... ٤٩١
تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.......................... ٤٩٢
تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.......................... ٥٠٤
وجه الاستدلال من الآية على الباب.......................... ٥٠٤
شرح حديث حصين بن عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.......................... ٥٠٨
موضع الشاهد من حديث حصين بن عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.......................... ٥١٤
معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسْتَرْقُونَ».......................... ٥٣٨
معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا يَكْتَوُونَ».......................... ٥٤٣
معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا يَتَطَيَّرُونَ».......................... ٥٤٨

الجمع بين تحقيق التوحيد والأخذ بالأسباب........................٥٥٠
خلاف العلماء في التداوي........................٥٥٩
مسائل الباب........................٥٦٥
٣- بَابُ الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ........................٥٧٥
تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾........................٥٧٧
وجه الاستدلال من الآية........................٥٧٩
تفسير قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾....٥٩٦
تعريف الصنم........................٥٩٦
تعريف الوثن........................٥٩٦
شرح معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخْوَفُ ما أَخافُ عليكُم...**»........٦٠٤
شرح حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من مَاتَ وَهوَ يَدْعُو...**»........٦١٤
اتخاذ الند على قسمين........................٦١٨
وجه الاستدلال بحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ........................٦٢١
شرح حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ...**»........٦٢٥
مسائل الباب........................٦٣١
٤- بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ........................٦٣٥
سبب تبويب الشيخ بهذا الباب........................٦٣٥
تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾........................٦٤٢
شرح حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بعث...»...٦٥٨

وجهي الضبط في قوله ﷺ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ... »........ ٦٦٧
مناسبة إيراد الحديث للباب........ ٦٦٧
شروط الشهادة........ ٦٧٠
شرح حديث سهل رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ... »........ ٦٩٨
المعرفة بحق الله في الإسلام........ ٧٠٤
مسائل الباب........ ٧٠٦
٥- بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ........ ٧١٩
مناسبة الباب لكتاب التوحيد........ ٧١٩
تفسير آية الإسراء........ ٧٢١
معنى الوسيلة في الآية........ ٧٢٢
معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾........ ٧٣٢
معنى قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾........ ٧٣٨
تفسير النبي ﷺ التحليل والتحريم بالعبادة........ ٧٤١
تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾........ ٧٦١
المحبة نوع من أنواع العبادة........ ٧٦١
الفرق بين محبة العبودية والمحبة الغريزية........ ٧٦٤-٧٦٥
معنى قوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ...**»........ ٧٨٨

معنـى قـول الماتـن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَشَرْحُ هَـذِهِ التَّرْجَمَـةِ: مَـا بَعْدَهَـا مِـنَ الْأَبْوَابِ)..٨١٦
مسائل الباب..٨٢٣
فهرس الموضوعات..٨٣٣

انتهى بحمد الله تعالى الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني، (بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ)